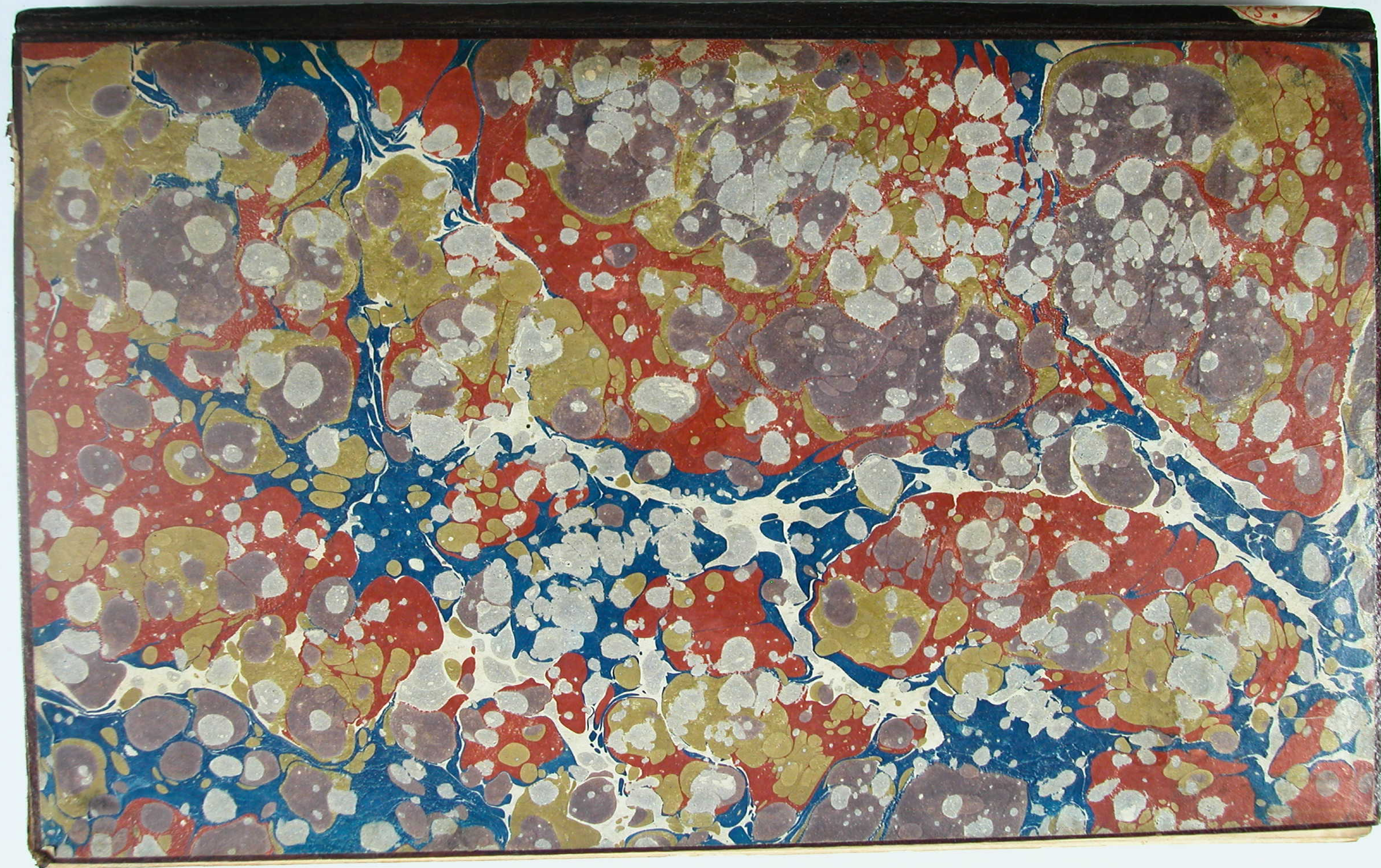




المجلد الاول من تفسير المولى العلامة
كمال پاشازاده جواب

كتاب
كمال پاشا

استصحبه الفقير عفوه ربه ومغفرته
عبد الله مسجزاده خصه الله تعالى
بالحسنى وزيادة بمنه وكرمه

صاحب
امام حنبل

مرحوم شیخ حسن افندینک
كتبلرندن بو كتاب [illegible]
[illegible]



[illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة فاتحة الكتاب السورة عبارة عن طايفة من القران مترجمة اقلها ثلاث ايات وهي ان جعلت ٥
واوها اصلية منقوله عن سور المدينة او من السورة التي هي الرتبة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن
السورة التي هي البقية او القطعة من الشي وفايدة تقطيع القران سورا ان تنويع الجنس احسن من كونه
بيانا واحدا وانشط للقاري واسهل للحفظ واما افراد الانواع وتلاحق الاشكال فلا يصلح وجها كما
ذكر لانه غير مراعي في ترتيب الايات وتقطيعها سورا كما لا يخفى على من تتبع وتامل وفاتحة الشي
اوله وخاتمته اخره اذ بهما الفتح والختم والتا للنقل من الوصفية الى الاسمية وقيل هي في الاصل
مصدر بمعنى الفتح ثم اطلقت على اول الشي تسمية للمفعول بالمصدر والفاعلة في المصادر غير عزيز
واضافتها الى الكتاب وهو مجموع كلام الله المفتتح بالتحميد المختتم بالاستعاذة بمعنى اللام لان اول
كل شي جزوه واضافة الجزء الى كله بمعنى اللام ثم وجه تسمية هذه السورة بفاتحة الكتاب والفاتحة
وسورة الحمد والشكر والدعا وتعليم المسيلة ظاهر اما تسميتها بام القران فلاشتمالها على
كليات المعاني التي في القران من الثنا على الله تعالى ومن التعبد بالامر والنهي والوعد والوعيد واما
التسمية بالاساس فلانها مفتتح الكتاب ومبدؤه فكانها اصله ومنشاؤه واما تسميتها بسورة
الكنز فلما قال النبي عم انها نزلت من كنز تحت العرش واما تسميتها بسورة الشفا والشافية فلقوله
عم هي ام القران وهي شفاء من كل داء واما تسميتها بسورة الصلاة فلوجوب قراتها فيها وقد تسمى
بالصلاة كما وقع في الحديث القدسي قسمت الصلاة بيني وبين عبدي وذلك من باب تسمية الشي باسم
ما يلازمه واما تسميتها بالوافية والكافية فلانها تكفي الصلاة عن غيرها ولا يكفي غيرها عنها والمراد
بالصلاة الركعتين الاخيرتين من الرباعية لان ضم السورة عليها واجب في الاوليين واما تسميتها بالسبع
المثاني فلانها سبع ايات تثنى في الصلاة وقيل لانها ثنيت في النزول فانها نزلت حين فرضت الصلاة
وبالمدينة حين حولت القبلة وفيها ان الوصف المذكور قد ثبت لها بمكة بدلالة قوله تعالى ولقد
اتيناك سبعا من المثاني يعني فاتحة الكتاب على ما نص عليه السلام حيث قال في رواية ابي هريرة رض فاتحة
الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته والاية مكية بالنص وبذلك استدلوا على مكية
هذه السورة والمكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سوا نزل بالمدينة او في سفر من الاسفار ٥
وهي سبع ايات بالاتفاق لان قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها عدوا انعمت عليهم

2

اية ولم يروا التسمية اية منها وعليه مالك واصحابه وابو ح واصحابه ولهذا لم يذكرها ما لك في ٥
الصلاة ويسر بها ابو حنيفة ويقول انها اية من القران نزلت للفصل بين السور والافتتاح بها تبركا
وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه
ولهذا يجهر بها في الصلاة ولا دلالة في الاجماع على ان ما بين دفتي المصاحف كلام الله تعالى
والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القران حتى لم يكتبا مين على صحة القول الثاني
اذ لا يلزم من كونها كلام الله تعالى ان تكون اية من الفاتحة نعم فيما روى ابو هريرة رض من انه عليه
السلام قال الفاتحة الكتاب سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم دلالة عليها، بسم الله ٥
الرحمن الرحيم فقد جاء في الخبر عن خير البشر انه كان عليه السلام يكتب باسمك اللهم فلما نزلت سورة
هود سورة بسم الله مجريها ومرسيها كتب باسم الله فلما نزل سورة بني اسرائيل قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن كتب بسم الله الرحمن فلما نزلت سورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم
الله الرحمن الرحيم ففي الخبر دلالة على انه ليس من اول كل سورة ولكنها بعض اية من كتابه في سورة النمل
وقالوا اللطف من الله تعالى في عدم كونها اية تامة ان لا يكون للجنب والحايض والنفسا ممنوع عنه
عند كل امر ذي بال كما انهما دينين لم يجمعا في القران في موضع واحد لئلا يتمم اية وربما يحضر الجنب
ونحوه فلا يمكنه التكلم بها عند ضم عمره بسم نصب بفعل مقدر تقديره بسم الله اقرأ وتقديم
المعمول للاهتمام والاختصاص واصله باسم بالالف فحذف لكثرة الاستعمال ولذلك تثبت عند
استعمالها في اخر نحو قولك لاسم الله حلاوة في القلوب ومضافا الى اسم اخر نحو باسم ربك وطولت
الباء لاجله وهي للخفض كسرت لتشابه حركتها عملها وعن عمر بن عبد العزيز انه قال للكاتب طول
الباء واظهر السينات ودور الميم وكان القياس السنات لانه جمع السن الا انه عدل عنه خوفا
عن الالتباس ببعض المصادر كما قال الجوهري في الدينار الدنار بالتشديد فابدل احد حرفي
تضعيفه ياء لئلا يلتبس بالمصادر التي تجي على فعال كقوله تعالى وكذبوا باياتنا كذابا فافتح
كتابه العزيز بحرف الباء واثرها على ساير الحروف لا سيما على الالف حيث اسقطه واثبت هيئة
الباء مكانه اشارة الى انها وان كانت متبوعا للباء صورة لكنه من نوابها معنى وذلك انك اذا
نظرت الى صورة وضع الحروف وجدت الالف مقدما على الباء متبوعا له واذا تلفظت
بالباء وجدت الالف تابعا لها والاسم من السمو لانها رفعة للمسمى وشعار له دخله لدفع توهم
الاستعانة بلفظ الله فقط فان القايل اذا قال بالله ابتدا فمعناه لهذا الاسم واذا قال
بسم الله ابتدا اي مضاه باسمه تعالى ابتدا فان المقصود بوح المسمى الله اسم علم خاص له
تعالى عند الخليل ومن تبعه ولا علاقة الاشتقاق بينه وبين غيره اعلم انا في علميته اذا اثبتنا اصالة

ذلك الغير وذلك لم يثبت بعد وقيل وصف لكنه غلب عليه تعالى بحيث لا يستعمل في غيره ه
وصار كالعلم لا علما لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر حقيقي او غيره غير معقول فلا يمكن ان يدل
عليه بلفظ ويرد عليه ان المعتبر في اسم الذات تجريد الموضوع له عن معنى زائد على الذات لا
تجريد الذات عنه عند الوضع فملاحظته بوصف مخصوص لا ينافي كونه اسم ذات اذ لم يكن ذلك
معتبرا في الموضوع له على ان وضع الاعلام لا حاجة الى معرفة الموضوع له وملاحظته بتشخيصه
بل يكفي معرفته وملاحظته على انه بتحصيل ذلك الوجه في الخارج فيه الا يرى ان الاب يضع علما لولده
قبل ان يراه ولو سلم انه يستحيل ان يضع له علما ولكن لم لا يجوز ان يسمي الحق نفسه باسم يدل على ذاته
بالمطابقة ثم يعرفنا بذلك او يقال لو دل على مجرد ذاته تعالى لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو
الله في السموات وفي الارض معنى صحيحا لان اللازم عدم دلالته وضعا على معنى زائد بل على عدم دلالته
عليه اصلا كحاتم فانه علم ومعنى ذلك دل على معنى السخاوة لاشتهاره بها واصله اله فلما دخلت عليه
الالف واللام حذفت الهمزة تخفيفا وعوضت عنها حرفا التعريف فان قلت اذا كان دخولهما
قبل حذفها فكيف يكونان عوضا عنها قلت دخولهما قبل حذفها لا بطريق اللزوم وبعد الحذف
لا يكونان لازمين فيها باعتبار اللزوم يكونان عوضا عنها ولذلك قطعت الهمزة في يا الله وهو
اسم جنس وضع لكل معبود بحق او باطل ثم غلب منكرا على المعبود بحق كبعوضة وسنوق وقد دل على
ذلك اي على غلبته منكرا كلمة التوحيد ثم اختص بذلك تعالى بعد حذف الهمزة وتعويض التعريف عنها
ويدل على هذا ايضا كلمة التوحيد مشتق من أله كعبد وزنا ومعنى وتصرفا او من اله بمعنى فزع او من
اله بمعنى ولع او من اله بمعنى تحير او من اله بمعنى سكن او من وله كعلم وزنا وتصرفا ومعنى اي
تحير ودهش او من وله بمعنى طرب او من لاه بمعنى ارتفع او بمعنى احتجب فمعنى اسنتنا رجموع الاقاويل
هو المعبود للخواص والعوام المفزوع اليه عند الامور العظام المرتفع عن الاوهام المحتجب عن الافهام
الظاهر بالاعلام الذي تحير في صفاته الاعلام وسكنت في عبادته الاجسام وولعت به نفوس
الانام وطرب اليه قلوب الكرام ° الرحمن الرحيم اصلهما واحد لانهما من الرحمة والاول ابلغ من الثاني
لان فعيلا لمن كثر منه الفعل وفعلانا لمن كثر منه الفعل وتكرر وحق الابلغ التاخير الا انه قدم لانه
لاختصاصه به تعالى كالعلم وصفه تعالى بالرحمة ومعناها اللطف ومنه الترحم من قبيل
اطلاق السبب على المسبب وهو الانعام والاحسان فان الملك اذا عطف على رعيته انعم عليهم واحسن
في حقهم وما في معنى الرحمن من الزيادة كما وكيفا حيث يقال تارة يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة واخرى
يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا فرجوعه الى الصيغة فان زيادة البناء لزيادة المعنى وهذا
انما هو عند الرجوع الى اصل واحد في الاشتقاق بشرط الاتحاد في النوع فلا ينقض بنحو حاذر وحذر

لان احدهما اسم فاعل والاخر صفة مشبهة فالرحمن علم المعنى خاص اللفظ حيث لم يستعمل في غير الله
تعالى الا تعنتا كرحمن اليمامة والرحيم على عكس ذلك ° الحمد لله ° هو الوصف بالجميل ولا اختصاص له
بالله تعالى يفصح عن ذلك قول عايشة رض نحمد الله لا نحمدك وقول علي رض لا تحمدن امرأ حتى
تجربه بل لا اختصاص له بذي علم وشعور يرشدك اليه قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا وقول العرب في المثل السائر عند الصباح يحمد القوم السرى ومن هنا تبين ان المحمود
لا يلزم ان يكون فعلا لما حمد به فضلا ان يكون مختارا فيه كما توهم وان من وهم قيام الفرق
بين الحمد والمدح بصحة تعلق الثاني بالجماد دون الاول فقد وهم واتضح انه لا دخل لمسئلة خلق
العباد افعالهم في هذا المقام لان الكلام في الحمد اللغوي والمرجع فيه من وثق بعربيتهم بالنقل ه
الصريح والاستعمال الصحيح من قبلهم عدم اختصاص الحمد به تعالى واما حمل التعريف على الجنس دون
الاستغراق فمنشاوه امر اخر وهو ان مقتضى مقام الخطابة تخصيص حقيقة الحمد لله تعالى تنزيلا لافراد
الحمد الثابتة لغيره منزلة العدم والقصد الى هذا المعنى ظاهر عند كون التعريف للجنس دون
الاستغراق لانه قد يكون عرفيا كما في جمع الامير الصاغة ويساعده فلا يوجد استيعاب جميع
الافراد فلا يتحقق مقتضى المقام والشكر مقابلة النعمة بالقول والعمل وكونه بالفعل كما يكون
بالقول قيل دابة شكور اذا اظهر سمنه فقد وهم منه باذني علفه له وقال الله تعالى اعملوا ال داود
شكرا فهذا اخص من الحمد متعلقا واعم منه موردا وهو اللسان والاركان ومقابل الشكر ه
الكفران ومقابل الحمد الذم الذي يقابل المدح على ما نص عليه الجوهري ومن هنا ظهر انهما مترادفان
لغة واما الجنان فليس بمورد له بل هو شرط لكون القول شكرا او لا دلالة في قول الشاعر افادتهم ه
النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا على استقلال كل منها موردا ولما كان الحمد في مقابلة بلغ
النعمة من شعب الشكر اشيع لها وادل على مكانها لان في اداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر
والعمدة وقال صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده ورفع الحمد بالابتداء
وخبره لله واصله النصب على المصدر باضمار فعله لكونه من المصادر التي حقها ان تكون كذلك
ولا يذكر معها الفعل البتة كشكرا وعجبا وقد قرئ على الاصل والعدول الى الرفع على الاول
للثبات لما في الفعل من التجدد لدلالته على الازمنة ولذلك كانت تحية ابراهيم عم احسن في
قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام ولان معناه على الرفع الحمد حق لله يستحقه لذاته وعلى
النصب لا دلالة على ذلك ولان الغافل عن معناه وكذا الناسي عن ملاحظته اذا تكلم به
على النصب يكون كاذبا باخباره عن نفسه بكونه حامدا مع انه ليس كذلك بخلاف ما اذا تكلم
به على الرفع وانما خص لاسم المذكور ههنا لكون المحامد كلها مقرونة بمعانيها المستندة

لما فانها اسم ينبئ عن جميع صفات الكمال لما اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد باعتبار ذاته
المستجمعة لجميع صفات الكمال وغاية نعوت الجلال حمدا ولم يحمد لله على استحقاقه له باعتباره
افعاله العظام واثاره الجسام من ربوبيته للكل وشمول رحمته الظاهرة للجميع وخصوص رحمته
الباطنة لعباده المؤمنين وذلك ان ترتيب الحكم على الوصف كما يشعر بالعلية كذلك تعقيب الحكم
بالوصف يشعر بها كانه قال الحقيقة للحمد مخصوصة لذاته الواجبة الكاملة بذاتها وكمالاتها
التي لا يشترك فيها غيره ۔ رب العالمين ۔ الرب يطلق على المربي والمصلح والسيد والمالك والخالق
والمعبود وكل ذلك يتحمله المقام فيصح ان يراد به ههنا كل منها وكفى بذلك وجها لايثاره على
نحوه ثم ان ربوبيته تعالى بمعنى الخالقية والمالكية والسيدية والمعبودية عامة وبمعنى التربية
والاصلاح خاصة بحسب انواع الموجودات متفاوتة فهو مربي الاشباح بانواع نعمه ومربي الارواح
باصناف كرمه ومربي نفوس العابدين باحكام الشريعة ومربي قلوب العارفين باداب الطريقة
ومربي اسرار الابرار بانوار الحقيقة ولقد احسن من قال انه تعالى يملك عبادا غيرك كما قال وما
يعلم جنود ربك الا هو وانت ليس لك رب سواه ثم انك تتساهل في خدمته كان لك ربا غيره وهو
يهتم في تربيتك كانه ليس له عبد سواك يحفظك بالنهار عن الافات ويحرسك بالليل من المخافات
من غير غرض فما احسن هذه التربية باطلاق الرب على غيره تعالى لا يجوز شرعا لا مطلقا ولا مقيدا
لما رواه الشيخان عن ابي هريرة رض مرفوعا لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك اسق ربك ولا يقل
ربي وليقل سيدي واما قول يوسف عليه السلام ارجع الى ربك وانه ربي فمحمول على الحكاية من الله تعالى
لانه عم كان يتكلم بالعربية فلا حاجة الى ما قيل انه ملحق بقوله ونحو وخروا له سجدا في الاختصاص بزمانه
بل لا وجه له كما لا يخفى ويجوز لغة ولو مطلقا كما وقع في شعر الحارث بن حلزة من شعراء الجاهلية يمدح
ملكا وهو الرب والشهيد على يوم الحيارين والبلاء بلاء ۔ والعالمين جمع عالم وهو في لسان العرب اسم
لنوع من المخلوقين فيه علامة يمتاز بها عن خلافه من الانواع كالملك والانس والجن فتقول العرب عالم
البر وعالم البحر وعالم الارض وعالم السماء على ما نقله ائمة اللسان وهو جمع لا واحد له من لفظه
كالانام والرهط والجيش وهو ماخوذ من العلم والعلامة فجعل اسما لما يعلم به الصانع ۔
فان فاعل كثيرا ما يجيء في اسم الالة التي يفعل بها الشيء كالخاتم والقالب والطابع فجعل بناؤه على
هذه الصيغة لكونه كالالة في الدلالة على الصانع واما جمعه فلانه لو افرد لربما يتبادر الى الفهم
انه اشارة الى هذا العالم المشاهد بشهادة العرف او الى الجنس والحقيقة على ما هو الظاهر عند عدم
العهد فجمع ليشمل كل جنس يسمى بالعالم لعدم العهد في الجمع دلالة على ان القصد الى الافراد دون
نفس الحقيقة والجنس وانما جمع جمع قلة والظاهر ان يستدعي بجمع الكثرة قال وهب لله ثمانية عشر

4

الف عالم والدنيا عالم منها تنبيها على انها وان كثرت قليلة في جنب عظمته وكبريائه وانما جمع
بالياء والنون فلتغليب العقلاء منهم ۔ الرحمن الرحيم ۔ ذكرهما عقيب الحمد لذاته ثناء على صفاته
كما قال النبي عليه السلام فيما روى عنه يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي
ويقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله تعالى اثنى علي عبدي فذكرهما في البسملة لاستمالة قلوب
عباده على العبودية بالرحمة والغفران وفي الفاتحة بالثناء على الله تعالى بالجمال والجلال
للقربة والرضوان ۔ مالك يوم الدين ۔ الملك تمام القدرة وقرئ ملك من الملك وهو التسلط
العام والاستعلاء التام وهو اشد مناسبة للاضافة الى يوم الدين فان مدار الجزاء على
الاعمال من الثواب والعقاب واخذ حق الضعيف من القوي على الاستيلاء والسلطنة واضافة الملك
والسلطنة الى الوقت شايع دون اضافة الملك وقيل في ترجيح قراءة مالك ان فيه زيادة حرف
وبه زيادة ثواب لقول النبي عليه السلام من قرا القران كتب له بكل حرف عشر حسنات ومحيت عنه
عشر سيئات ورفعت له عشر درجات واضافته الى اليوم اضافة الفاعل الى الظرف المجري
مجرى المفعول اتساعا وانما ساغ وقوعه صفة للمعرفة لان اضافة اسم الفاعل انما يكون غير
حقيقية اذا اريد به الحال او الاستقبال لكونه في تقدير الانفصال والمراد ههنا الزمان المستمر
او الماضي لقراءة ملك على المضي واليوم مدة كون الشمس فوق الارض عرفا وعبارة عن وقت انتشار
الفجر الثاني الى غروب الشمس شرعا وهو الوقت المطلق لغة ليلا كان او نهارا طويلا كان او قصيرا وهو
المراد في الاية لعدم الطلوع والغروب ثمة والدين الجزاء خيرا كان المجزي به او شرا ايضا كما تدين
تدان وانما خص اضافة ملكه اليه لان الاملاك ثمة زائلة قال الله تعالى والامر يومئذ لله ذكر
من اسمائه خمسة الله والرب والرحمن والرحيم والملك فكانه يقول خلقتك فانا الله ثم ربيتك بوجوه
النعمة فانا رب ثم عصيت فسترت عليك فانا رحمن ثم تبت فغفرت لك فانا رحيم ثم لا بد من ايصال
الجزاء اليك فانا ملك يوم الدين ۔ اياك نعبد ۔ لانك مالك ۔ واياك نستعين ۔ لان ما سواك هالك
ايا ضمير منفصل منصوب وكافه للخطاب مثل كاف ذلك وهو اي ياء وهما حرفا التنبيه والنداء
فادغم الياء وكسرت الالف لجوار الياء والعبودية التذلل والعبادة ابلغ منها لانها غاية التذلل
ولهذا اختصت بالرب عدل عن الغيبة الى الخطاب وهو صنعة الالتفات وقد اقتضاه المقام
وذلك ان من اول السورة الى هناك ثناء والثناء في الغيبة ومن هنا الى الاخر دعاء والدعاء في الحضور
اولى والمعنى نخصك يا من لا تسوغ العبادة الا له لاتصافه بما ذكر من اضافة النعم الدنيوية
والاخروية ولا يجوز الاستعانة الا به لكمال قدرته واحاطة ملكوته بكل شيء بغاية التذلل
في طلب المعونة لا نعبد غيرك ولا نستعين سواك ثم الضمير المنفصل للتخصيص والتوحيد

وقطعا لاحتمال تعلق العبادة لغيره من اول الامر لانه كفر لا بد من الاحتياط عن ذهابا بالوهم
اليه ولم يسلك في الحمد لله ذلك المسلك اذ لا باس في تعلق الحمد لغيره تعالى واوثر الضمير المستكن
الشامل للقاري ولساير الموحدين للتعميم والتشريك ودرجا لعبادته في تضاعيف عبادتهم
وخلطا لحاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركاتها ويجاب اليها ولهذا اشرعت الجماعة وكان في ذلك
ايفاء لكل مقام حقه فكانه يقول انت منفرد في العبودية ونحن شركاء في العبودية وذلك
ان تقول اني اعبد معنى التوحيد المشعر عن التكبر وفي نعبد معنى التواضع المناسب لمقام
العبادة والتذلل فكانه يقول القاري اني واحد من عبيدك وقدم العبادة على الاستعانة
تعليما للعباد وجريا على ما انطبع في الغرايز من تقديم الوسيلة على الحاجة لانه انجح لحصول
المقصود واسرع لوقوع الاجابة واطلق الاستعانة به ليعم كل مستعان عليه ثم
خصصها بقوله اهدنا ليتكرر اجمالا وتفصيلا فيدل على ان اهم المهمات الاستعانة
بتوفيقه في طلب الهداية والسعادة الاخروية الباقية وكرر الضمير للتنصيص على
التخصيص في كل من العبادة والاستعانة ولولا ذلك لكان التخصيص في مجموعهما ولا يلزم
من ذلك التخصيص في كل منهما • اهدنا الصراط المستقيم • الدين القويم وما يدل عليه
القران العظيم قال علي وابي بن كعب رضه اهدنا الصراط ثبتنا عليه كما يقال للقايم قم حتى اعود
اليك اي دم على ما انت عليه قيل وقوي ثبتنا على اصل الهداية وزدنا فيها في كل وقت
والهداية دلالة بلطف ومنه الهداية وخص ما كان بفعلت نحو هديت الطريق وما كان
من الاعطاء بافعلت نحو اهديت الهداية واستعمالها في الشر كما في قوله تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم على طريقة التهكم كالبشارة في قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والفعل منه
هدى يتعدى الى ثاني مفعوليه باللام تارة وبالى اخرى ففي حذف اداة التعدية على طريقة
واختار موسى قومه اخراج له مخرج المتعدي الى مفعولين بالذات ولا بعد في ان يقصد
بذلك الاشارة الى قوة الهداية المطلوبة فكانه قيل اهدنا هداية كاملة لا يحتاج
الى الواسطة وانما قال اهدنا دون اهدني رعاية للمناسبة مع نعبد ونستعين ولان
الدعا مهما كان اعم كان الى الاجابة اقرب كان بعض العلما يقول لتلامذته اذا قرأتم في
خطبة السبق رضي الله عنكم وعن جماعة المسلمين ان ذكرتني في قولك رضي الله والا فلا حرج
ولكن اياك ان تنساني في قولك وعن جماعة المسلمين فلا بد ان يكون في المسلمين من يستحق الاجابة
واذا اجاب الله الدعا في البعض فهو اكرم من ان يرد في الباقي ولهذا السبب قالوا السنة
اذا اراد احد ان يذكر دعا ان يصلي اولا على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يذكر ذلك الدعا ثم

يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فانه اذا اجيب في طرفي دعائه امتنع ان يرد وسطه وقد
قال عليه السلام ادعوا الله بالسنة ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله فمن اين لنا بتلك الالسنة
قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك والصراط كالطريق
في التذكير والتانيث اما في المعنى فبينهما فرق لطيف وهو ان الطريق كل ما يطرقه طارق معتادا
كان او غير معتاد والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك والصراط من السبل ما لا التواء فيه
ولا اعوجاج بل يكون على جهة القصد فهو اخص الثلاثة وفايدة وصفه بالمستقيم ان
الصراط يطلق على ما هو فيه صعود او هبوط والمستقيم ما لا ميل فيه الى جهة من الجهات
الاربعة واصل الاستقامة في قيام الشخص ان لا يكون منحنيا ولا متعبنا ولا مايلا الى يمين او
يسار • صراط الذين انعمت عليهم • بدل من الصراط المستقيم وفايدته التوكيد للتكرير
والتفصيل بعد الاجمال واطلق الانعام لينتظم كل نعمة شددت اللام في الذين لانهما لامان
والاصل الذ مثل عم ثم دخلت الالف واللام للتعريف فالتشديد بدل من صلة ذلك والانعام نفع
العالي من دونه بامر عظيم خاليا عن العوض والسمعة ولما كان الكفار من جملة الذين انعم الله عليهم
على ما صرح به في قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم خصهم بقوله • غير المغضوب
عليهم • في دار الدنيا • ولا الضالين • في دار الاخرة والمشهور ان نعمة الله تعالى على نوعين دنيوية
وهي اوفر في حق الكافر لقول النبي عليه الصلاة والسلام الدنيا سجن المومن وجنة الكافر واخروية
وهي مختصة بالمومن ونحن نقول ان النعمة الاخروية ايضا على قسمين نعمة نفع وهي مختصة بالمومن
ونعمة دفع ولا شبهة في عمومها للكافر ايضا لان الله تعالى لا يعذب كافرا من الكفار بنوع من العذاب
الا وهو قادر على ان يعذبه باشد منه وترك ذلك نعمة منه وتخفيف عليه غير صفة مقيدة
اي جمعوا بين النعمة والسلامة منهما وانما وصف المعرفة بغير تنزيلا للموصول منزلة النكرة
اذا لم يقصد بها معهودا او رفعا الى درجة المعرفة لزوال ابهامه بالاضافة الى ما له ضد
واحد اعلم ان غيرا لها ثلاثة مواضع احدها ان تقع موقعا لا تكون فيه الا نكرة وذلك اذا
اريد به النفي الساذج في نحو مررت برجل غير زيد تريد ان المراد به ليس هذا والثاني ان تقع
موقعا لا يكون فيه الا معرفة وذلك اذا اريد به شي قد عرف بمضادة المضاف اليه في معنى
لا يضاده فيه الا هو كما اذا قلت مررت بغيرك اي المعروف بمضادتك الا انه في هذا لا يجري
صفة فيذكر غير جار على الموصوف والثالث ان تقع موقعا يكون فيه نكرة تارة ومعرفة
اخرى كما اذا قلت مررت برجل كريم غير لئيم وعاقل غير جاهل والرجل الكريم غير اللئيم
كذا قال صدر الافاضل وقد تبين منه ان مرقي ان غيرا لا يتعرف اصلا وان اضيف الى المعارف

وان من زعم انه بالاضافة الى ما له ضد واحد تعين الحركة من غير السكون فقد اخطأ من وجوه
اما الاول فلانه وان اضيف الى ما له ضد واحد لكنه لم يعرف ما اريد به بمضادة المضاف اليه
في معنى لا يضاده فيه الا هو ولهذا لم يكن من قبيل الثاني فلم يتعين تعين الحركة من غير السكون واما
ثانيا فلانه لا بد ان يكون معرفة بالحقيقة على ما مر بالتاويل كما ظنه ذلك الزاعم واما ثالثا فلانه
ح لا يجري صفة وانما يذكر غير جار على الموصوف وهو في صدد كونه صفة لما قبله وقيل هو بدل
من الذين ولا يعجبني ذلك لان غير اصل وضعه الوصف والبدل بالوصف ضعيف والغضب تغير
يحصل عند غليان دم القلب لارادة الانتقام والقانون في امثاله وهو ان جميع الاعراض النفسانية
مثل الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والتكبر والاستهزاء لها اوايل ولها نهايات
ولنبين ذلك في الغضب فان اوله غليان الدم وغايته ايصال الضرر الى المغضوب عليه فلفظ
الغضب في حق الله تعالى لا يحمل على اوله الذي هو من خواص الجسم بل يحمل على غايته وهذه قاعدة
شريفة بقي ههنا نكتة لطيفة وهي انه صرح بالخطاب لما ذكر النعمة ثم لم يقل حيث قال غير
المغضوب عليهم ولم يقل غير الذين غضبت عليهم عطفا على الاول فجاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب
فاسند النعمة اليه لفظا وزوى عنه لفظ الغضب تحسنا وتلطفا وقيل يعني بالاول اليهود لقوله
تعالى في قصتهم وباؤا بغضب على غضب وبالثاني النصارى لقوله تعالى في حقهم قد ضلوا من قبل
واضلوا كثيرا وهذا على وفق ما روي عن النبي عليه السلام من ان رجلا ساله وهو بوادي القرى من
المغضوب عليهم فقال اليهود ومن الضالين فقال النصارى فان قلت كيف فسر ذلك وكلا الفريقين
ضال ومغضوب عليه قلت خص كل فريق منهم بصفة كانت اغلب عليهم وان شاركوا غيرهم
في صفات ذم وعليهم ههنا في محل الرفع لانه نايب مناب الفاعل بخلاف ما في انعمت عليهم
فانه في محل النصب على المفعولية ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قيل لا المغضوب
عليهم ولا الضالين وعين دخولها العطف على قوله المغضوب عليهم لمناسبة غير لئلا يتوهم في اول
الوهلة بتركها عطف الضالين على الذين والضلال فقدان الطريق السوي سواء سبقه الوجدان
اولا كما في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى وانما عدلنا عن تفسيره بالعدول عن الطريق السوي
عمدا وخطأ لان من طلب الصراط السوي ولم يجد او قعد عن الطلب ضال ولا عدول ثمة لا عمدا
ولا خطأ. امين مبني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفعه قصرها والاصل فيه القصر
وانما مد ليرتفع الصوت بالدعاء كذا قال ابن خالويه في اعراب القران وذكر ابن درستويه ان
القصر ليس بمعروف وانما قصره الشاعر في قوله امين فزاد الله بيننا بعدا للضرورة وذلك وهم
اذ لا ضرورة لانه لو قال فامين زاد الله بيننا اندفع الضرورة ولا يشدد ميمه فانه لحن

والعامة ربما فعلوا ذلك واما في قوله تعالى ولا امين البيت الحرام فالميم مشددة لانه من امنت
اي قصدت معناه على قول ابن عباس كذلك يكون وقيل اسم فعل اي استجب وروي عن كعب الاحبار انه
قال امين ختم رب العالمين يختم به دعاء عبده المومن وليس من القران اجماعا وقراءته سنة في الصلوة
وخارج الصلاة بعد الفاتحة مفصولة عنها

سورة البقرة مايتان وثمانون وست ايات

عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء سناما وسنا
القران سورة البقرة ولا حجة فيه على من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة
التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القران لان ما يكره
من الامة قد لا يكره منه عليه السلام الا يرى انه قال لا يومن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه
مما سواهما وقد انكر قول الاعرابي ومن عصاهما فقد غوى فقال بيس الخطيب انت. بسم الله الرحمن
الرحيم الم. في الفواتح المقطعة اوجه والاوجه انها اسماء السور وعليه الاكثر ومحلها رفع على
الابتداء وقيل نصب او جر على حذف حرف الجر واضماره والمروي عن الصدر الاول في التهجي انها
اسرار بين الله تعالى ونبيه عليه السلام وقال بعض الكمل قد يجري بين المحبين كلمات معماة تشير الى
سر بينهما والمقطعات في اوايل السور من هذا القبيل فانه تعالى قد وضعها مع نبيه عم في وقت
لا يسعه ملك مقرب ولا نبي مرسل ليتكلم بها معه على لسان جبريل باسرار وحقايق لا يطلع عليها
جبريل عم ويدل على هذا ما روي في الاخبار ان جبريل لما نزل بقوله تعالى كهيعص فلما قال كاف
قال النبي عم علمت فقال يا قال علمت فقال عين فقال علمت فقال صاد قال علمت فقال جبريل كيف علمت
ما لم اعلم. ذلك الكتاب. اصل ذلك ذا اسم مبهم للاشارة واللام عوض عن ها الذي للتنبيه
ولهذا لا يجمع بينهما والكاف للخطاب فلا دلالة في اصل وضعه للبعد وانما ذلك بحسب العرف الطارئ
فالاشارة به ههنا الى الحاضر اما على الوضع اللغوي او لان ما لا يحس بالبصر فالاشارة اليه
بلفظ ذلك وهذا سواء لانه من حيث انه لا يحس بالبصر اشبه المحسوس الغايب ومن حيث انه مدرك
بالعقل او السمع اشبه المحسوس الحاضر فصح فيه استعمال اللفظين ولهذا قال جمع من ايمة التفسير
والعربية ان معنى قوله تعالى ذلك الكتاب هذا الكتاب وتذكيره لان المشار اليه المسمى وهو ذلك
البعض من القران ليس بمونث وكذا اسمه المذكور وهو الم ليس بمونث نعم له اسم اخر مونث وهو
السورة لكن الاشارة ليست باعتبارها فلا حاجة الى التاويل في تذكيره وهو مبتدا ثان والكتاب
خبره والجملة خبر المبتدا الاول والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل او خبر المبتدا والكتاب صفة
ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود مصدر بمعنى المفعول قال الراغب الكتب ضم اديم الى اديم بالخياطة
وفي المتعارف ضم الحروف بعضها الى بعض في اللفظ ولهذا سمي كتاب الله وان لم يكتب كتابا ومن قال اطلق

على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب فكانه لم يفرق بين الخط والكتابة • لا ريب فيه •
في محل الحال والعامل فيه معنى الاشارة فيه اشارة الى كماله في نفسه وقوله هدى اشارة الى
كونه مكملا لغيره فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال قال الراغب في الفرق بين
الشك والمرية والريب ان الشك وقوف النفس بين شيئين متقابلين بحيث لا يترجح احدهما على
الاخر بامارة والمرية التردد في المتقابلين وطلب الامارة ماخوذ من مري الضرع اي مسحه
للدر فكانه يحصل مع الشك تردد في طلب ما يقتضي غلبة الظن والريب ان يتوهم في الشيئين
امرا ثم ينكشف عما توهم فيه ولما كان الريب اضعف كان نفيه ابلغ ثم ان المنفي عنه مثبتا
الريب لا نفسه لانه حالة قايمة بالمرتاب لا يحتمل ان يوجد في جنس الكلام فلا حاجة الى نفيها
بل لا وجه له في مقام المدح فتاخير الظرف لان الحصر المستفاد من تقديمه باطل لان باقي
الكتب السماوية ليس بمعجز فلا قاطع الريب فيه بل لتجريد الكلام لما سيق له فان المفهوم من الحصر
المذكور فضلة في المقام واختيار ما هو احسن نظما وتوسيع دايرة القراة على ما ستقف عليه
باذن الله تعالى وقرى لا ريب بالتنوين والرفع والقراة المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه
هدى للمتقين • اي المشارفين للتقوى الصايرين اليه فيه مجاز والمجاز وهما من اقوى اسباب
الاعجاز ونكتة المجاز التنبيه على قوة ترتب اهتدائهم على هدايته بحيث لم يتخلل بينهما زمان فكان
هدايته بالذين يهتدون به هداية بالمهتدين وانما لم يقل هدى للضالين ليلا يندرج تحت عمومه
المطبوع على قلوبهم هدى مبتدا خبره فيه قدم عليه محققا على قراة من وقف على لا ريب فيه ومعناه
على قراة من وقف على فيه للعناية والاهتمام تنبيها على ان المقصود بالاخبار كون الكتاب متضمنا
هدايتهم لا كونهم مهتدين وللمحافظة على الفاصلة وايثار الظرف على الضمير المتصل للاشارة الى
ان الهداية من بعض الفوايد التي تضمنها وتنكيره للتعظيم والهدى في الاصل مصدر على فعل
كالسرى وقد مر تفسير الهداية وما يتعلق به والتقوى على ما قاله علي كرم الله وجهه
ترك الاصرار على المعصية والاغترار بالطاعة والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى
والوقاية فرط الصيانة وقيل المتقي من سلك سبيل المصطفى ونبذ الدنيا وراء القفا وكلف
نفسه الاخلاص والوفا واجتنب الحرام والجفا ولو لم يكن فضل الا ما فهم من هنا لكفى فانه
تعالى بين في موضع ان القران هدى للناس وقال هنا هدى للمتقين فكانه يقول ان المتقين هم كل
الناس فمن لا يكون متقيا فليس منهم ولما كان معنى قوله للمتقين للذين يتقون صح ان يكون قوله
الذين يؤمنون موصولة بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب بتقدير اعني او
مرفوع بتقدير هم واما فصله عنه على انه مرفوع بالابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فضعيف

لا نقلاته مما قبله والذهاب به مذهب الاستيناف مع وضوح اتصاله بما قبله وتعلقه به
ومبنى الاستيناف على تقدير ان بيانا لما بال المتقين مخصوصين بذلك فلا يتم الجواب الا بمجموع القضيتين
فيكون القطع بينهما لكمال الاتحاد والظاهر انه لكمال الانفصال في الغرض والاسلوب على ما شهد لذلك
تصدير القضية الثانية بان المشعر بالاخذ في فن اخر والايمان افعال من الامن يقال امنته
وامنته غيري ثم نقل الى التصديق فقيل امنه التكذيب والمخالفة ثم ضمن معنى اقر واعترف
فعدي بالباء • بالغيب • اي بما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة حيث لا يدرك واحد منهما
لا بالبديهة ولا بالاستدلال يعني احوال البعث والجنة والنار كما في قوله تعالى الا المصلين
الذين على صلوتهم دايمون والذين في اموالهم حق معلوم للسايل والمحروم والذين يصدقون
بيوم الدين ولقوة غيبته حيث غاب عن مظهري الحس والعقل عبر عنه بالمصدر كما يقال لمن
بلغ الغاية في العدالة عدل ولكماله في معنى الغيبة حيث لم يمكن استحضاره لا بالبديهة ولا
بالنظر عرف بتعريف الجنس كان معنى الغيبة انما تم فيه وبافي الغايبين بمنزلة الشاهد نظرا
اليه ففيه اشارة الى قوة تصديقهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ووفور اعتقادهم بنبوته
حيث صدقوه في اخبار لا طريق الى العلم بصدقها لا بالحس ولا بالعقل لا بالبديهة ولا بالكسب
وعدم التعرض للتصديق بالمبدا للتنبيه على ان شانه تعالى اظهر الامور بحيث كان التصديق به
تصديقا باجل المعلومات فلا يناسب ذكره في مقام المدح بالتصديق باخفى المجهولات وفيه نعي
على الدهرية على ابلغ وجه • ويقيمون الصلوة • اقامة الشي جعله قايما والقيام الانتصاب القا
ولما كانت هيئة الانتصاب اكمل هيئات تمس له القامة واحسنها استعيرت الاقامة للتكميل
والتحسين ومنه اقام الامر اذا اتمه وجا به معطى حقوقه وايضا لما كان استعمال من له القامة
بقامتها استعيرت الاقامة للاستعمال ايضا ومنه اقام القوم سوقهم اذا استعملوها ولم يعطلوها
والصلاة الاذكار المعروفة والافعال المشهورة واصلها الدعا قال تعالى وصل عليهم اي ادع لهم
وفيما نقله الشرع اليه اشتمال على الدعا وفايدة الاطناب بزيادة الاقامة التنبيه على انه لم
يرد ايقاعها فقط ولهذا لم يامر بالصلاة ولم يمدح الا بلفظ الاقامة نحو اقم الصلاة والمقيمين
الصلاة ولم يقل والمصلين الا في المنافقين حيث قال فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون
ومن ثمة قيل المصلون كثير والمقيمون لها قليل كما قال عمر رض الحاج قليل والراكب كثير وكثير من
الافعال التي حث الله تعالى على توفيته حقه ذكره بلفظ الاقامة نحو ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل واقيموا الوزن بالقسط ولما كان المعنى يعبدون الله تعالى بكل من نوعي العبادة
البدنية والمالية عقبه بقوله • ومما رزقناهم ينفقون • وقدم ما هو الاشق والمقد

بم

اخوى لانه ام العبادات وعماد الدين وانما لم يقل ويوتون الزكوة ليلا يختص المدح بالاغنيآء
وايضا لما ذكر البدنية مطلقة شاملة للواجبة منها وغير الواجبة ناسب ان يذكر المالية ايضا
على وجه الاطلاق والرزق اسم لكل ما ينتفع به الحيوان واصله الحظ والنصيب من اى نوع كان
ثم شاع اطلاقه على ما اعطى الله عبده ومكنه من التصرف فيه حلالا كان او حراما لقوله عم
لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله
واما ما قيل لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المغتذى به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى
وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فيرد عليه ان الملازمة مسلمة وكذا بطلان التالى مسلم
انما الشان فى وقوع المقدم فافهم نعم هو محمول ههنا على المباح دون المحظور بقرينة اضافته
الى الله تعالى فان ما يضاف اليه تعالى بخصوصه حقه ان يكون خاليا عن الكراهة فضلا عن
الحرمة وان كان قد يضاف اليه الافعال كلها على سبيل العموم والاجمال واما الحث على الانفاق
والمدح للمنفق وكونه من المتقين فانما يصلح قرينة لكون المنفق مباحا ولا دلالة فيه على عدم
كون الرزق الذى ذلك المنفق بعض منه مشتملا على الحرام وزيادة حرف التبعيض للحث على
الاقتصاد المحمود لانه الجود الذى هو وسط بين الاسراف والاقتار قال الله تعالى ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ففيه اخبار صريح فى حق الغابرين ونهى ضمنى
فى حق الحاضرين واما التبذير فلا حاجة للاحتراز عنه الى اداة التبعيض لانه بمعزل عن مظنة
المدح به كيف وهو حرام منهى عنه بابلغ وجه فى قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
بخلاف الاسراف فانه قد شاع ان لا اسراف فى الخير فكان مظنة ان يمدح به ولما كان المدح باعتبار
تخصيصهم الانفاق بالبعض الحلال من رزقهم لا بالانفاق مطلقا كان ذكر المفعول وتعيينه اهم من
الاخبار عن نفس الفعل فقدمه عليه اظهارا للاهتمام به والاعتنآء بشانه ومحافظة على الفاصلة
والانفاق صرف المال الى الحاجة لا انفاذه واذهابه مطلقا فالاسراف مثلا ليس بانفاق
والذين يؤمنون هم مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين
يومنون بالغيب داخلون معهم فى جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين
امنوا وليسوا باهل الكتاب وبهولاء مقابلوهم فكانت الايتان الكريمتان تفصيلا للمتقين وانما
قدم غير الكتابى لان تصديقهم بتلك المغيبات اغرب اذ هم لم يسمعوا اشيا منها الى اذا خبر به النبى صلى
الله عليه وسلم فهم بالمدح بذلك الوصف احق ومن ذلك تبين وجه تخصيص التعبير بالغيب عن المصدق
به فى حقهم مع متعلق التصديق لكلا الفريقين واحد وظهر ان ما فصل بما انزل اليك الاية هو
بعينه ما عبر عنه اجمالا بقوله بالغيب اليكا... الا كل قلب فرقا بين الاضافة الى المكى وغيره

والانزال نقل الشى من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعانى بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها كما فى انزال
القران فانه انزل جملة من اللوح المحفوظ الى السما الدنيا ثم نزل منها على لسان جبريل عم منجما على
الرسول عليه السلام او ... النقوش الدالة عليها كما فى انزال التورية فانها قد انزلت على موسى عم مكتوبة
على الالواح فان كان المراد جميع ما انزل اليه عليه السلام الى حين نزول الاية كما هو الظاهر
فالامر بين فان الايمان بالمترقب غير واجب وذلك بين وان كان المراد جميع القران والشريعة
فمعناه على تنزيل المترقب منزلة النازل لتحقق وقوعه او لارتباط بعضه ببعض كالشى الواحد
ونظيره قوله كل ما خطب به فلان فهو فصيح ولا يريد الماضى فقط بل الاتى ايضا او تغليب النازل
على ما لم ينزل وفى يومنون اشارة الى ان القران غير متفاوت الابعاض فى البلوغ الى حد الاعجاز
فمن امن ببعضه يومن بكله لا محالة والعدول عن صيغة الماضى الى المستقبل لما فيه من الحدوث
التجددى المتضمن للاشارة الى ان ايمانهم بما انزل اليه عليه السلام يتجدد بحسب تجدد نزول
الايات والاحكام والى ان ايمانهم بما انزل من قبل ايمان حادث لا ايمان ثابت لان ايمانهم السابق
انكار له فى الحقيقة لا تصديق به وقدم الايمان بما انزل اليه عليه السلام لاصالته حيث كان صحة
ايمانهم بما انزل من قبله فى ضمن الايمان بما انزل وبسببه ولهذه النكتة لم يكرر البآء فى قوله
وما انزل من قبلك كما كرر فى قوله امنا بالله وباليوم الاخر والمراد بذلك ما انزل على الانبيآء
الذين كانوا قبل محمد عليه وعليهم السلام والايمان به واجب اجمالا لان الله تعالى ما تعبدنا الان به حتى يلزمنا
معرفته تفصيلا نعم ان عرفنا شيئا من تفاصيله فهناك يجب علينا الايمان بتلك التفاصيل وبالاخرة
تانيث الاخر صفة للدار كما فى قوله تعالى تلك الدار الاخرة او النشاة كما فى قوله تعالى ثم الله ينشى النشاة
الاخرة سميت بذلك لانها متاخرة عن الدنيا او النشاة الاولى زمانا وقيل للدنيا دنيا لانها ادنى من الاخرة
رتبة هم يوقنون تقديم الظرف للقصر عليه كما فى قوله تعالى لالى الله تحشرون وتقديم المسند
اليه وهو ضمير مع بناء الفعل عليه ايضا للقصر عليه كما فى قولك انا سعيت فى حاجتك والقصران اضافيان
كما هو الغالب فى استعمال البلغا والمعنى المستفاد من القصر الاول ان ايقانهم مقصور على حقيقة الاخرة
لا يتعداها الى ما هو على خلاف حقيقتها وتعريض باهل الكتاب وبما هم عليه من امر الاخرة والمعنى
المستفاد من القصر الثانى ان الايقان المذكور لا يتعداهم الى غيرهم وهذا تصريح بانهم على جهالة
فى امر الاخرة والايقان اتقان العلم بازالة الشك والشبهة عنه فاليقين هو العلم بالشى بعد ان كان صاحبه
شاكا فيه ولذلك لا يطلق على علمه تعالى قال الامام وبقى لى كلام فى العلم الحادث بالامور سواء كان هذا العلم
ضروريا او استدلاليا فيقول القايل تيقنت ما اردته بهذا الكلام وان كان قد علم مراده بالاضطرار ويقول
تيقنت ان الاله واحد وان كان قد علم بالاكتساب اولئك اى اهل هذه الصفات فيه تعليق الحكم على الوصف

فيتنون باشغاليه وهذا معنى الاختصاص واولاء كلمة معناها الكناية من جماعة نحو هم جمع لا واحد
له من لفظه بني على الكسر والكاف للخطاب والجملة استيناف لا محل لها فكانها نتيجة الاحكام والصفات
المتقدمة • على هدى • مثل لتمكنهم من الهدى شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونكر هدى ليفيد
ضربا مبهما لا يبلغ كنهه نحو لقد وقعت على لحم ومعنى كونهم على الهدى تمسكهم بموجب الدلايل الا انه اوجب
على التمسك بالدليل ان يدوم على ذلك فكانه تعالى لما مدحهم على الايمان بما انزل الله عليه اولا مدحهم
بالاقامة على ذلك ثانيا • من ربهم • نفى الكسب واثبات كونه بمحض العناية والعطاء كالشيء الذاتي
المقارن لوجودهم في اول الكون وفيه زيادة تعظيم لتلك الهداية واضافة الرب اليهم للتشريف
فكما يفيد اضافة العبد الى الله تعالى تشريفه فكذلك اضافته تعالى اليه يفيد بل ذلك اقوى افادة
له • واولئك • اعاد اسم الاشارة تنبيها على ان المقتضي للفلاح ايضا هو اتصافهم بتلك الصفات
وان كل واحد من الاثرين لهم بالاستقلال والانفراد لا بتبعية احدهما للاخرى ولو انفردنا احداهما
لكفت في تميزهم بالكمال او انا فهم على غيرهم وتوسيط العاطف لتناسبهما في الوجود حيث كان احدهما
علة للاخر وتغايرهما في المعنى المقصود فان الهدى حاصل في الدنيا والفلاح في الاخرة فالجملتان
متوسطتان بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع بخلاف كالانعام والغافلون لانهما شيء واحد بحسب
المقصود والمال وان تعددا بحسب اللفظ والمفهوم • هم المفلحون • هو فصل يفصل الخبر عن الصفة
ويوكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك
والمفلح الظافر بمطلوبه والفلاح الخير المقطوع ومنه الفلاح للمكاري والاكار لقطعهما الارض في
الكراء والاكرابة في المثل الحديد بالحديد يفلح اي يقطع ويصلح والتعريف للدلالة على ان المتقين هم
الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الاخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم
ولا دلالة في الاية على خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب لان الفايز بمطلوبه في الاخرة من زحزح
عن النار وادخل الجنة فالمعذب بالنار وان لم يخلد فيها غير مفلح نعم لو قيل ان فيها دلالة على ان الفاسق
بل تارك الصلاة لو كان تائبا لا بد له من العذاب لاحتيج في جوابه الى ان يقال ان المراد بالمفلحين الكاملون
في الفلاح • ان الذين كفروا • لما انجر الكلام في تقرير ما سيق له الى ذكر خاصة عباده وخلاصة
اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة
المردة من الكفار المطبوع على قلوبهم بحيث لا ينجع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف والدعوة والانذار
والما فصل بينهما لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لبيان شان الكتاب والثانية سوقها لشرح
تمردهم وانهماكهم في الضلال والتاكيد بان لان الخبر قد بولغ فيه وهلل مما عسى ان يستنكر او يستبعد
والتعريف للاشارة الى ناس معهودين اخرج ابن جرير وغيره بسند صحيح عن ابن عباس رض ان

9

المراد به الكفار من اليهود خاصة بقرينة ايلاء الايمان المؤمنين من اهل الكتاب ولان السورة مدنية
واكثر الخطاب فيها لليهود والكفر بالضم والفتح في اللغة الستر ومنه يسمى الزارع كافرا فانه يستر
البذر ونقل في الشرع الى عدم قبولها علم مجيء الرسول عليه السلام به عقدا او قولا لما فيه من ستر
نور الفطرة الاصلية الذي هو بمنزلة الكمال لهذا هو الكفر المقابل للايمان المنجي واما الكفر المقابل
للايمان الشرعي الذي لا بد فيه من الاحتراز عن امارات عدم قبول ما ذكر فيكفي في تحققه وجود
احدى تلك الامارات والاخبار بلفظ المضي نظرا الى حال المخاطب لانه مقصود بالافادة
والتكلم ليس بزماني فلا يختلف الاخبار بحسب دلالتها على الازمنة الثلاثة نظرا اليه • سواء
عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم • اي مستو عدل عنه مبالغة وايثارا للاسم على الوصف
لتجرده عن معنى الحدوث وتمحضه للدلالة على الثبوت والسواء الاعتدال في الوسط والوسط الاعتدال
في المقدار ولكون ذلك الاستواء ضارا اليهم غير نافع قال سواء عليهم ولم يقل سواء لهم والفعل في تاويل
المصدر وانما عدل عنه لما في الفعل من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء
وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء والمعنى سواء عليهم الانذار وعدمه فالانذار
وما عطف عليه مبتدا في المعنى وسواء الخبر والجملة خبر ان وانما قلنا ان سواء هو الخبر لان موضع الفائدة
الخبر والشك انما وقع في استواء الانذار وعدمه لا في نفس الانذار ومن ههنا خرج وجه العناية الداعية
الى تقديمه ولفظ الاستفهام لا يمنع عن ذلك اذ المعنى على اليقين والتحقيق لا على الاستفهام لما عرفت
من ان الهمزة هنا مستعارة للتسوية والانذار الاعلام بالتخويف قال ابن عطية ولا يكاد يكون الا
في تخويف يسع زمانه الاحتراز فان لم يسع زمانه الاحتراز كان اشعارا والاقتصار عليه والكفار ليسوا
اهلا للبشارة المطلقة والبشارة المعلقة على الايمان تندرج في ضمن انذارهم لانهم مصرون على
الكفر مصممون عليه فينتظم الانذار هنا القسم من البشارة في ضمنهم • لا يومنون • مفسرة لاجمال ما قبلها
فلا محل لها من الاعراب او خبر ان وما قبلها اعتراض ولا دلالة في الاية على وقوع التكليف بما لا يطاق
لان الاخبار بوقوع الشيء وعدمه لا ينفي القدرة عليه واستحالة الكذب على الله تعالى اللازم على تقدير
وقوع ما اخبر بعدم وقوعه انما تدل على عدم وقوع الملزوم لا على عدم كونه مقدورا فان استحالة
اللازم لا تستلزم استحالة الملزوم وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول
عم فضل الابلاغ ولذلك حكم بالتسوية نظرا اليهم دون اليه عم ولما كان مظنة ان يسأل عن سبب
الحكم السابق لغرابته استونف الجواب عنه بقوله • ختم الله • الختم والطبع الاثر الحاصل عن نقش
ويتجوز به عن الاستيثاق من الشيء والمنع منه نظرا الى ما يحصل بالختم على الكتب والابواب بالمنع وقد
يقال ذلك ويعنى به بلوغ اخر الشيء نظرا الى انه اخر فعل في احراز الشيء ومنه ختمت القران ولم يرد به

ههنا الختم في بدء الفطرة فيكون التكليف ضايعا ونحالفما روي عن النبي عليه السلام شايعا
من ان كل مولود يولد على الفطرة اى على الخلقة القابلة للاسلام ويخرج النعي عليهم شناعة
صفتهم مخرج التشنيع على فاقد البصر بعدم الابصار بل اراد الختم بعد ما عرضوا عن الحق واصروا
على ذلك على ما ورد في قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وافصح عنه ما روي ابن عمر رض مرفوعا
قال الطابع معلق بقايمة العرش فاذا اشتكت الرحم وعمل بالمعاصي واجترئ على الله يبعث
الله الطابع فطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيئا فالاسناد اليه تعالى مجازي لكن المسند
على حقيقته ● على قلوبهم ● اراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفواد ● وعلى سمعهم
السمع محل القوة السامعة من الاذن وكان في الاصل مصدرا ولذلك وحد في مواضع الامن عن
اللبس جريا على مقتضى الاصل واعادة الجار للدلالة على ان الختم على السمع بالاستقلال والاصالة
لا تبعا لختم القلب لان الختم على السمع لا يتبع الختم على القلب بل الامر على العكس فان الختم على السمع
يتبعه الختم على القلب في الجملة ولذلك ترك ارادة الجار حيث قدم ختم السمع على ختم القلب في قوله
تعالى وختم على سمعه وقلبه واما ذكره في قوله ● وعلى ابصارهم ● فليس باعادة لانه متعلق لما بعده
فان الابصار داخلة في حكم التغشية دون الختم بخلاف قوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل
على بصره غشاوة وللوفاق على الوقف على سمعهم دون قلوبهم ولان التغشية ليست بمانعة للسامعة
عن الادراك بخلاف الباصرة ● غشاوة ● رفع بالابتدا وتقديم الخبر للاهتمام فان المقصود بالاخبار
كونها على الابصار والعدول الى الاسمية لافادة الدوام والثبوت تقوية لحكم التغشية وجبرا
لنقصانه عن حكم الختم وقرئ بالنصب عطفا على المختوم من باب الاستغنا باحد الفعلين عن الاخر
فان العرب اذا اجتمع فعلان متقاربان في المعنى ولكل واحد متعلق على حدة جوزت ذكر احدهما وعطف
متعلق الاخر المتروك على المذكور كقوله متقلدا سيفا ورمحا والمصير الى تقدير فعل او الحذف
والايصال في مثل هذا من ضيق العطن ولولا الوفاق على الوقف على سمعهم لجاز ان يكون غشاوة اسما وضع
موضع مصدر من معنى ختم لان معنى ختم غشي وستر كانه قيل تغشية على سبيل التاكيد فيكون قلوبهم
وسمعهم وابصارهم مختوما عليها مغشاة ولما كان الختم والتغشية مسببا مما اقترفوه ناسب
تعقيبه بوعيد بيانا لما يستحقونه لا على وجه التفريع كيلا يتوهم ان ما سبق من الختم والتغشية
سبب لذلك فقيل ● ولهم عذاب عظيم ● اللام الجارة اذا اتصلت بالضمير غير الياء بنيت على
النصب والعذاب كل ما يمنع عن المطلوب يقال عذبه الرجل وعذب الحمار كل غير صايم والعظيم شديد
القوة وضد الحقير او الزايد القدر وذلك في الدنيا الاسار وفي العقبى النار والمعنى ان تلك
الطايفة مخصوصة من بين الطوايف بنوع من العذاب على ان التنوين للتنويع كما في غشاوة اي نوع

من العذاب لا يتعارفه الناس وفايدته التهويل وتوصيفه بالعظيم تاكيد له وتركه في الغشاوة
تنبيها على الفرق بين معنى التهويل فان الاول في احوال الدنيا والثاني في احوال الاخرة وكم
بين الحالين وما فيهما من المهولين ثم بعد ذكر المومنين واحوالهم والكافرين وافعالهم ذكر المنافقين
واقوالهم واعمالهم وخصالهم بقوله ● ومن الناس ● الناس اصله اناس جمع انسان ولذلك لا يستعمل
الا في معنى جماعة كقوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم
وقوله انهم اناس يتطهرون فحذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف وهي ههنا للعهد ومن في قوله
من يقول موصولة والقول عبارة عن جملة ما يتكلم به المتكلم على وجه الحكاية ووحد يقول نظرا
الى لفظ من وجمع امنا نظرا الى معناها اعتبرت جهة وحدته عند ذكر مقالتهم وجهة تعدده
عند بيان احوالهم اشارة الى انهم وان كانوا متفرقين على عقايد شتى في الكفر الباطن لكنهم مجتمعون
على كلمة واحدة في اظهار النفاق خص هذا الصنف من بين الاصناف بمبالغات وتشديدات وابرز نظم
قصتهم ابرازا غريبا حيث قدم الخبر على المبتدا وابهم غاية الابهام ونكر المبتدا ووصفه بصفات
عجيبة ليشوق السامع الى ذكر ما بعده من قبايحهم ونكرهم نعيا عليهم وتعجيبا من شانهم يعني انظروا
الى هولاء الخبثة وقبيح ما ارتكبوه كيف اختصوا من بين ساير الناس بما لم يرض العاقل ان ينسب اليه ولما
كانت فايدة الاخبار بكونهم من بعض الناس استعظام ان يكون من جنسه من اختص بمثل هذه الصفات
فانها تنافي الانسانية بحيث كان ينبغي ان لا يعد المتصف بها من جنس الانس ناسب تصدير الكلام به
وان كان حقه التاخير وهذا النوع من الاعتبار اللطيف مداره على دلالة رايقة خطابية لا يعتبرها
البليغ الا بمعونة المقام واقتضاء الحال فلا يطالب بالاطراد وهذا الصنف ابغض الكفرة الى الله تعالى
وامقتهم عنده لاستعدادهم للاهتدا وامكان قبولهم لذلك لعدم انطفا نور الفطرة فيهم مع د
بقايهم على الكفر وخلطهم بالكفر تمويها وتلبيسا واستهزاء وخداعا وقصتهم عن اخرها معطوفة
على قصة المصرين والاقتصار في وصف الكفار المصرين المطبوع على قلوبهم على آيتين والاطناب في وصف
المنافقين في ثلاث عشرة آية للاضراب عن اوليك صفحا اذ لا ينجع فيهم الكلام ولا يجدي عليهم الخطاب
واما المنافقون فقد ينجع فيهم التنبيه والتوبيخ والتعيير وعسى ان يرتدعوا بالتشنيع عليهم وتقطيع
شانهم وسبتهم وتهجين عاداتهم وخبث نياتهم وسريرتهم وتبيينها وتقبيح صورة حالهم وتفضيحهم
بالتمثيل بهم وبطريقتهم فتلين قلوبهم وتنقاد نفوسهم وتزكى بواطنهم وتضمحل رذايلهم فيرجعون
عما هم عليه ويصيرون من المستثنين في قوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا
دينهم لله فاوليك مع المؤمنين ● امنا بالله وباليوم الاخر ● اي يوم البعث وتوصيفه بالاخر لتاخره
عن الدنيا والمراد صدقنا بالبدء والمعاد وفيه احاطة الايمان بقطريه وفي تكرير الجار ادعاء التصديق

بحمل منهما على الاصالة وما قيل فيه ايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف فيما يقصدون
به النفاق فان القوم كانوا يهودا وكانوا يومنون بالله وباليوم الاخر ايمانا [illegible] لاعتقادهم التشبيه
واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات وغيرها ويرون المومنين
انهم امنوا مثل ايمانهم مبناه على ان يكون التصرف بتخصيصهما بالذكر في الحكاية دون المحكي وذلك خلاف
الظاهر ثم ان تمشية ما ذكر على تقدير ان لا يكون مرادهم من الايمان بالله واليوم الاخر التصديق بجميع
ما لا بد منه في دين الاسلام والظاهر خلافه على ما مر الاشارة اليه ثم ان بيانه بقوله فان القوم كانوا
انما يفيد انهم مخطئون فيما يعتقدون انهم مصيبون فيه لا انهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون
فيه لان الخطا لا يستلزم النفاق وذلك ظ بل لقول لشرط النفاق الكتم وهم لا يكتمون ذلك ، وما هم
بمومنين ما نايبة عن ليس ولهذا اعقبت بالباء والضمير للمعهودين والمعنى نفي ما انتحلوا اثباته ولاجل
التاكيد والمبالغة في نفي ايمانهم جات الجملة المنفية اسمية مصدرة بهم وسلط النفي على اسم فاعل
الذي ليس مقيدا بزمان ليشمل النفي جميع الازمان وجرد الكلام للدلالة على ما سيق له ولم يوت بشي زايد
عليه الا ما يشد من عضده كحرف الباء لتاكيد النفي واطلاق الايمان في سياق النفي وكان مقيدا في الاثبات
لانه غير منجز فمن اخل ببعض ما لا بد منه ليس بمومن اصلا لا انه مومن ببعض دون بعض اخر والاية الكريمة
لا تنتهض حجة على الكرامية لانهم يشترطون في كون الشهادتين ايمانا عدم مخالفة القلب للسان اعم
من ان يكون موافقا له او فارغا عنهما لان احتجاجهم بانه تعالى امر ان الرسول عليه السلام والصحابة رض
والتابعين كانوا يقنعون بالكلمتين فعلمنا ان الايمان بلا علم ولا عمل صريح في عدم الاشتراط بالقيد
المذكور بل لان كلامهم على ما دل عليه سياق احتجاجهم في الايمان الشرعي المعتبر عندنا في اجرا احكام
الاحكام والاسلام في الدنيا لا الايمان الحقيقي المعتبر عند الله تعالى المنجي عن الخلود في النار فلا يندفع
قولهم بالاجماع على ان المنافق كافر ولا بالاجماع على ان من هم بالشهادتين فمنع مانع من خرس او خوف
مومن ، يخادعون الله ، يعني رسوله فالتجوز في الاسناد تفخيما لشانه وتنبيها على ان المعاملة معه
فيما يتعلق بالرسالة معاملة في المرسل في الحقيقة وكونهم من اهل الكتاب العارفين بانه تعالى لا يخدع
فلا يناسبهم قصد خداعه وانما يناسبهم قصد خداع الرسول لانهم ينكرون نبوته كفى قرينة للمجاز
والمعنى يعملون له عمل المخادع والخداع اظهار ما يخالف الاضمار ويراد به التغرير ومنه الاخدع
لاستتارهما تارة وظهورهما اخرى وانه مفاعلة من واحد نحو طارقت النعل وعاقبت اللص وما
في الصيغة من المبالغة للافصاح عن بلوغهم الغاية من وجهي النفاق لانه بيان ليقولوا في موضع
الاستيناف بذكر ما هو الغرض منه كانه سيل عن اصل دعواهم وعن كيفية مبالغتهم فيه
من ذكر الايمان بقطريه وتكرير الباء فاجيب عنهما معا عن الاصل بالاصل وعن الوصف بالو

وعلى تقدير اعتبار الخداع من الجانبين يرتبط البيان على قدر الحاجة ويفصل الكلام عن مقتضى المقام ،
والذين امنوا ، يجوز ان يكون ذكر الله توطية والمراد مخادعة المومنين من قولهم اعجبني زيد وكرمه
وفايدة هذه الطريقة بيان قوة اختصاصهم وكونهم من الله تعالى بمكان ومنه قوله تعالى والله
ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يوذون الله ورسوله ، وما يخدعون الا انفسهم وما
يشعرون ، نفس الشي ذاته وهي من النفاسة يقال خادع اذا لم يبلغ مراده وخدع اذا بلغ مراده
فلما لم ينفذ خداعهم فيما قصدوا كان مخادعة ولما وقع ضرر فعلهم على انفسهم كان في حق
انفسهم خدعا اي لم يرجع بالخداع الا اليهم لانهم لما سلكوا مسلك الخداع نزلوا بقدمه
الدرك الاسفل من النار فكانت مفسدة خداعهم راجعة الى انفسهم والواو عاطفة الجملة
على الجملة وفي وما يشعرون واو الحال او بالعكس والشعور هو الادراك الحسي ومشاعر الانسان
حواسه الظاهرة والباطنة اي ما يحسون ان ضرر الخداع لا يلحق الا بهم لتمادي غفلتهم
فانه من شدة ظهوره كالمحسوس المشاهد فكانه لا حس لهم اصلا وليس نفي الشعور هنا كنفيه
في قوله تعالى لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون لانه لبيان العذر من جهلهم وهذا
لتعظيم الامر على المنافقين وانهم مع جهلهم يجهلون جهلهم كما قال جهلت ولم تعلم بانك جاهل
وذلك لعمري من تمام الجهالة ، في قلوبهم ، اثر اداة الظرف على اداة الملابسة ليدل على الاستقرار
والرسوخ ، مرض ، اي تردد واضطراب استعير المرض للغرض النفساني وتنكيره للتنويع اي نوع
مرض ليس مما يتعارفه الناس شبههم بمرضى لاضطرابهم في الدين لانهم كانوا يظهرون الموافقة
للمومنين بالقول ويضمرون لهم الخلاف بالقلب فكان حالهم كحال المريض اذ هو مشرف على الموت
وترجى الاقبال منه ثانيا واما سائر الكفرة فانهم لم يضطربوا في الدين بل اظهروا بالقول ضمايرهم
تعالى موتى وسمى المومنين احياء لانهم اطمانوا على الايمان قولا وعقيدة ، فزادهم الله مرضا ،
بتكرير الوحي وازدياد التكاليف ولا تجوز في الاسناد كما توهم من لا يرى صدور القبيح عنه
تعالى ولا يدري ان القبح بالنسبة الى الكاسب لا بالنسبة الى الفاعل واصل الكلام فزاد الله مرضهم
وانما عدل الى ما في النظم لنكتة سر تيب فلا دلالة في تنكير المرض الثاني على مغايرته للاول
حقيقة كيف وفي تصدير الكلام بالفاء دلالة على تفرع الثاني على الاول ، ولهم عذاب اليم ،
اي مولم نحو سميع وخصيب بمعنى مسمع ومخصب ذكره الراغب وصف به العذاب للمبالغة
وانما وصف عذاب المختوم على قلوبهم بالعظم لانهم حرموا من وجدان المشاعر وحجبوا عن عالم النور
وحبسوا في سجون الظلمات فما اعظم عذابهم وان لم يحسوا بايلامهم كعضو الميت والمفلوج
وعذاب المنافقين بشدة الايلام لان مشاعرهم غير ماوفة لعدم انطفاء نور فطرتهم

والالم بقدر ادراك المولم فلمنافاه نور استعدادهم لما رسخ فيهم من الرذايل والملكات
الرديّة والصفات الظلمانية يتألمون وكان ادراكهم لذلك اشد ايلاما وعذابهم اقوى وانكى
وان كان عذاب الاولين لشدة حجابهم وغاية بعدهم من النور اعظم لعدم منافاة ذواتهم
لصفاتهم وضعف ادراكهم لذلك فلم يحسّوا بالالم بخلاف هولاء • بما كانوا يكذبون •
بسبب ثباتهم واستمرارهم على الكذب زيادة كان للثبات وصيغة الفعل للاستمرار التجددي
وفيه دلالة على ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم الذي هو ادنى حالهم في الكفر والنفاق
فكيف ساير الافعال ولا دلالة فيه على ان الكذب وهو الاخبار بالشي على خلاف الواقع يستحق به
العذاب مطلقا كيف وقد صرح في كتب الفقه ان الكذب لاخباء الحق مباح وقال الامام الغزالي
قدس سره اذا اختفى مسلم من ظالم وسيل عنه وجب الكذب باخفايه • واذا قيل لهم لا تفسدوا
في الارض • عطف على يقول فلا محل له من الاعراب ولا باس بالتخلل بين اجزاء الصلة بالبيان والاستيناف
لانه ليس باجنبي فالايات على سنن تعديد قبايحهم وتوصيفهم بالاوصاف المذكورة قصدا
واستقلالا ويحتمل ان تكون مستانفة اذ هذه الجملة والجملتان بعدها من تفاصيل الكذب
وقبايح النفاق الا ترى قولهم انما نحن مصلحون وقولهم انومن كما امن السفها وقولهم عند لقاء
المومنين امنا كذب محض فبنا سجعل ذلك جملا مستقلة ذكرت لاظهار كذبهم ونفاقهم
والافساد جعل الشي فاسدا خارجا عما ينبغي ان يكون عليه وعن كونه منتفعا به وكان من
افسادهم في الارض هيجهم الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء
الاسرار اليهم والظاهر ان القايل من يشافههم من الرسول والصحابة رض والثاني اقرب • قالوا
انما نحن مصلحون • لما كان نهيهم عن الافساد مشعرا بان فيهم افسادا نفوا ذلك عن انفسهم بادعاء
انهم مقصورون على الصلاح من غير شايبة افساد واتوا انما دلالة على ان ذلك الدعوى
ظاهر بيّن لا ينبغي ان يشك فيه وفيه تنبيه على انهم يتصورون افسادهم بصورة الاصلاح
لما في قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقوله وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا فرد الله تعالى ذلك بقوله الا انهم هم المفسدون • فقصر قلبا اي هم مقصورون
على الافساد لا ينتظمون في جملة المصلحين اصلا مع المبالغة على ابلغ الوجوه واكدها من
الاستيناف المقصود به تمكن الحكم في ذهن السامع فضل تمكن لحصوله بعد التشويق الحاصل
من ذكر ادعائهم الاصلاح على وجه ابلغ مع توغلهم في الافساد فانه يشوق السامع ان
يعرف ما حكم الله عليهم والشي اذا وجد بعد الطلب يكون اعز مما فوجي به من غير الطلب
والتعب وتصدير الجملة بالاوان للتنبيه والتحقيق وذلك ان الا مركبة من همزة الاستفهام

12

وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد التقرير
والتحقيق كقوله تعالى اليس ذلك بقادر ولكون همزة الاستفهام لها من المناسبة من التحقيق
تتلقى بما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات القسم وطلايعه وتوسيط هم
وتعريف الخبر والاستدراك بقوله • ولكن لا يشعرون • وهذا اولى من نفي العلم مطلقا المستلزم
لنفي العلم الخاص لان من لا يشعر بالضروريات لاسيما المحسوسات منها اولى ان لا يعلم غيرها
وهنا من هذا الوجه لانه نفي مع دليل ولانه ينادي عليهم بانحطاط رتبتهم عن رتبة البهايم
ويوذن بان معلومه من اجل المعلومات ولا كذلك لا يعلمون وهذا الاخير هو الاصل والباقي
موكد • واذا قيل لهم امنوا • نهوا عن الافساد ثم امروا بالسلوك الى سبيل الرشاد وبدي بالنهي
عنه لانه الاهم وهو تركه والترك اسهل من اتيان المامور به فكان ذلك تدريج لهم
كما امن الناس • كما امن في محل النصب على المصدرية وهو في الحقيقة صفة مصدر محذوف
اي ايمانا مثل ايمان الناس واللام في الناس للجنس اما لانهم الكاملون في الانسانية من باب ذلك
الكتاب واما لان غيرهم ليس بناس حقيقة لقصورهم وانحطاطهم عن الرتبة الانسانية بل عن
رتبة البهيمة وفي الاول نظر الى كمال المومنين وفي الثاني الى قصور غيرهم على نحو اذا الناس ناس
والزمان زمان وهذا ابلغ في هذا المقام ولا دلالة على قبول توبة الزنديق لان النفاق غير
الزندقة كيف ويقتل الزنديق دون المنافق ولم يقل احد في عدم قتله ما المنافق دلالة
على عدم قتل الزنديق ثم ان دلالة التقييد على ان في افراد الايمان تفاوت بالكمال والنقصان
لا على ان الاقرار باللسان وحده اعلى ايمان قالوا انومن الاستفهام للانكار • كما امن السفها • لما كان
المامور به مشبها اتوا بانكارهم مشبها واللام للعهد والاشارة الى الناس والسفه خفة
في البدن او في المقال يقتضيها نقصان العقل والحلم رزانة يقتضيها وفور العقل نصحوهم
بامرين تقبيح ما هم فيه لادايه الى الفساد والفتنة وتبصيرهم طريق الهدى والصلاح فما كان
جوابهم الا ان سفهوهم وادعوا الصلاح فيما كانوا عليه لجهلهم المركب وتماديهم في غيهم
وافراطهم في السفه واعتقادهم ان ما هم عليه هو الحق وان ما عليه المومنون هو الباطل
فكانوا عندهم سفهاء • الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون • رد على وجه المبالغة في تجهيلهم
فان الجاهل الجازم على خلاف ما هو الواقع اتم جهالة واعظم ضلالة من المتوقف المعترف
بجهله فانه ربما يقلد وينفعه الايات والنذر والتفصيل بلا يعلمون لان تسفيههم العلما
الاعلام لا يكون الا لغاية السفه والجهل المركب ومعرفة الحق والايمان به وكون المومنين
على الحق وكونهم على الباطل امر نظري لا يتعلق بالحس بخلاف الفساد في الارض ولان ذكر العلم

مع السفه ولموجهل احسن طباق وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا تقول لقيته ولاقيته اذا استقبلته
قريبا منه بيان لمعاملتهم مع المومنين والكفار وما سبق سبق لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فلاه
تكرير على ان المعنى ومن الناس من يتفوه بالايمان نفاقا للخداع وذلك لقاء المومنين ففيه زيادة
بيان انهم ضموا الى الخداع الاستهزاء ولا يتفوهون بالكلمة الا عند الحاجة قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا
تقول خلوت به واليه اذا انفردت معه إِلَى شَيَاطِينِهِمْ الشيطان فيعال من شطن اذا بعد
لبعده عن الحق او فعلان من شاط اذا بطل ومن اسما به الباطل وقال الراغب من شاط اذا
احترق غضبا والمراد متمردوهم وشطارهم قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ خاطبوا المومنين بالجملة
الفعلية ادعا لاحداث الايمان اذ لا يروج عنهم دعوى التحقيق ولا يساعدهم انفسهم على
ذلك اذ ليس صدق رغبة ولا قوة داع وشياطينهم بالاسمية مع التاكيد لوجود الامرين ونفي
الشك والتردد عنهم في كذب قولهم امنا واستمرارهم على دينهم وموافقتهم ولك
ان تقول ان مقتضى المقام في الاول تجريد الكلام عن جنس المؤكد لان التاكيد والتقوية فيه
لا يخلو عن تذكير لنفاقهم من حيث باعتبار ان فيه دلالة على انكار المخاطب وسوء ظنه وهم
في صدق مقام التجنب عنه والاحتراز عن مظانه ومقتضى المقام في الثاني تحليته به لان
اظهارهم الايمان وموافقتهم المسلمين في ظاهر الاحكام كان مظنة لانكار المخاطبين ثباتهم على
اليهودية إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ الهزء السخرية من شي يخف عند صاحبه ولا يجو عند المهازئ
استيناف كانهم اعترضوا عليهم حتى قالوا انا معكم هو انا معكم قلوبنا وتوهم اصحاب محمد الايمان
وقع قوله انما نحن مستهزءون مقررا له لان الاستخفاف بالشيء انكار له ودفع للاعتداد به نقيض
الشي تاكيد لثبوته وان يكون بدلا لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاول اوجه الاوجه
لزيادة الغاية وكون المحرك للسوال اعني قوله انا معكم في غاية الظهور اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ
يقال هزئت واستهزئت نحو اجبته واستجبته والصحيح ان الاستهزاء ارتياد الهزء وان كان قد
يعبر عنه وكذا الاستجابة في الاصل معناها مخالف للاجابة وان كان قد يجري مجراها كذا قال
الراغب لما ذكر استهزاءهم بالمومنين استانف الكلام اظهارا للسخط انما قال يستهزئ ليدل على دوام
تجدد الاستهزاء بهم خاصة الاستهزاء الابلغ الاقوى الذي يكون استهزاؤهم بالنسبة اليه
كلا استهزاء ولا يحوج المومنين الى معارضتهم بِهِمْ ذكر ههنا لعدم الداعي الى الحذف بخلاف
ما تقدم فانه وجد باعثا لفظيا وهو المحافظة على الفاصلة وداعيا معنويا وهو تحرجهم من
ابلاغ المومنين وابقاء اللفظ محتملا لهم بحال التوجيه عند الحاجة اليه والمعنى انه تعالى عاملهم
في الدنيا على وفق معاملتهم فانهم اظهروا الايمان واخفى باطنهم النفاق والله تعالى اظهر لهم في الحال

الامان وعاقبتهم الاحراق بالنيران وعلى هذا يكون الكلام المذكور من قبيل الاستعارة التبعية وقيل
ان معناها يجازيهم في الاخرة جزاء استهزائهم والعرب يسمي الجزاء باسم الابتداء قال عمرو بن كلثوم
الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وفي القران وجزاء سيئة سيئة مثلها وهذا
توسع مخصوص غير المشاكلة وقيل انه تعالى يجعل المومنين يطلعون على المنافقين من الجنة فيقولون
لهم اتحبون ان تخرجوا من النار وتدخلوا الجنة فيقولون نعم فيفتح لهم باب من النار فيقصدون
اليه فيغلق عليهم ثم يفتح باب اخر فيقصدونه فيغلق فلا يزال يفعل بهم كذلك والمومنون يضحكون
منهم قال الله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الى ان قال الله تعالى فاليوم الذين
امنوا من الكفار يضحكون وعلى هذا يكون التجوز في اسناد الاستهزاء الى الله تعالى وَيَمُدُّهُمْ
من مد الجيش وامده اذا زاده والحقه بما يقويه ويكثره لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملى
لهم والحذف والايصال خلاف الاصل فلا يصار اليه الا بدليل وهنا دليل على خلافه وهو قراءة ويُمِدهم
فِي طُغْيَانِهِمْ الطغيان بالضم والكسر تجاوز الشيء عن مكانه والمراد غلوهم في الكفر وتجاوزهم
الحد في العتو وانما اضيف اليهم لانه اريد الطغيان الذي عرف لهم واشتهر بصدوره عنهم فلا
دلالة في اضافته اليهم على انه فعلهم يَعْمَهُونَ في محل النصب بالحال من مفعول يمدهم او فاعل
طغيانهم العمه في البصيرة والعمى في البصر وهو التردد قال الله تعالى ان الذين لا يومنون بالاخرة
زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى استيناف جار مجرى
التعليل لاستحقاقهم الاستهزاء الابلغ والمد في الطغيان ويحتمل ان يجعل مقررة لقوله ويمدهم
في طغيانهم يعمهون واستعير الضلالة وهو الجور عن القصد للذهاب عن الحق والصواب في الدين ه
والهدى قد مر بيان معناه للنور الفطري والدين القيم الاصل والاشتراء هو اعطاء بدل واخذ
اخر للاستبدال اي اختاروا الضلالة واستبدلوها بالهدى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ الربح الفضل
على راس المال والتجارة تعاطي الامتعة بالبيع والشري للربح وعدم الربح كناية عن الخسران ونسبته
الى التجارة على التوسع الشايع قال الراغب الربح والخسران ينسبان مرة الى صاحب السلعة ومرة
الى السلعة ومرة الى الصفقة اذ لا اشتباه فيه وحسن تلك الكناية التي هي ترشيح الاستعارة ه
المذكورة يظهر في وجه قوله وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ اي لطريق التجارة فانه كناية عن اضاعة
الطلبة الاصلية وهي سلامة راس المال لان من لم يهتد لطريق التجارة تكثر الافات في امواله
ويعم الحرمان اكثر احواله وقد استبان من هذا التوضيح انه يشد من عضد الترشيح وزيادة كان
لاستمرار النفي على ان النفي اعتبر اولا ثم قيد والنفي بل في مثل هذا على القراين مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ
الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا لما بين اوصافهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف والتبيين فانه اوقع

في قلب واقع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولشانه العجيب في ابرازه
الحقايق المستورة ورفع الاستار عن وجه الخفيات اكثر الله تعالى في القران وساير كتبه الامثال وفشت
في كلام رسول الله عم وساير الانبياء عم والمثل في الاصل بمعنى النظير ثم نقل في العرف الى القول
السائر الممثل مضربه بمورده ولم يسيروه ولم يجعلوه مثلا الا اذا اختص بنوع من الغرابة ولهذا
لم يغيروه عما ورد عليه ثم استعير للصفة والحال والقصة اذا كانت عجيبة الشان وفيها غرابة
فالمعنى حالهم العجيب الشان كحال المستوقد نارا فلا حاجة الى معنى الجمع كما في قوله تعالى مثل الذين
حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار واستوقد من الوقود وهو سطوع النار وارتفاع لهبها
وبين الاستفعال ليس للطلب في السؤال بل للاهتمام والمبالغة في الايقاد والنار جسم لطيف
حار محرق اشتقاقها من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله
الاضاءة فرط الانارة من الضوء الذي هو النور البالغ القوي ومصداقه قوله تعالى جعل
الشمس ضياء والقمر نورا وتاليف الحول للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور
واضاءت اما متعد وحوله مفعول به وما زايدة او ما موصولة مفعول به وحوله ظرف
صلته اي جعلت النار مضيئا واما لازم مسند الى ما حوله وما موصولة اي اضاءت الاماكن
التي حول المستوقد او الى النار وما حوله ظرف لغو لاضاءت وما زايدة او ظرف حول في موضع
الصلة وما موصولة عبارة عن الامكنة والموصول مع الصلة مفعول فيه وجواب
لما اما قوله ذهب الله بنورهم والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وانما لم يقل بنارهم
لان في النار شيئين حرارة ونورا والله تعالى اذهب نورا وبقي الحرارة المحرور واما محذوف
دل عليه ما بعده كما حذف من قوله فلما ذهبوا به مع استطالة الكلام مع الامن من الالباس
وفي الحذف ايجاز مع الافصاح عن الصفة التي عليها المستوقد بما هو ابلغ في الدلالة على المعنى
من اللفظ وهو العقل كانه قال فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين
على فوات الضوء خايبين بعد الكدح في احياء النار وما ذكرنا سببا فاي جواب للسؤال عن
وجه التشبيه لعدم ظهوره او بيان لجملة المثل واسناد الاذهاب الى الله تعالى لقصد المبالغة
ولذلك الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان
بماله وما اخذ الله تعالى وامسكه فلا مرسل له وعدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر
الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ان يكون الذاهب ما في الضوء من الزيادة
والغرض ازالة النور عنهم راسا الا يرى كيف قرر ذلك واكد بقوله وتركهم في ظلمات
لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها

ووصفها بالخلوص وترك بمعنى طرح وخلى وفي ظلمات متعلق به ولا يبصرون في موضع الحال
او في ظلمات في موضع الحال فيتعلق بمحذوف ولا يبصرون حال ايضا اما من الضمير في تركهم
واما من الضمير المستكن في المجرور وان ضمن ترك معنى صير يكون ثاني المفعولين في ظلمات ولا
يبصرون حال ولا يجوز العكس لان الخبر لا يكون مؤكدا وقول الشاعر فتركته جزر السباع
ينشنه يحتمل الوجهين لان جزر السباع وان كان معرفة يحتمل الحال كما ان ينشنه في قوله
ولقد امر على اللئيم يسبني يحتمل الصفة وان كان اللئيم معرفة والظلمة ماخوذة من ظلمه
اذا منع حقه لانها تمنع البصر من النفوذ ونسته وظلماتهم ظلمة الجهل وظلمة الكفر وظلمة
النفاق وقيل يجوز ان يراد بالنار نار مجازية كنار فتنة او حرب وليس بقوي لان الغرض من التمثيل
ابراز المعقول في صورة المحسوس ليكون مشاهدا وعلى هذا التقدير يفوت الغرض منه وفي
الاية دلالة على ان وجود النور شرط لروية الالوان لا لوجودها اذ لو انتفى الابصار فلا
يخرج قوله لا يبصرون عن مخرجه صم جمع الاصم النعت من الصمم وهو انسداد خروق المسامع
ومنه القناة الصماء التي ليست بمجوفة وكذا كل افعل كان نعتا مما هو خلقة فجمعه الفعل
ومثله البكم والعمي وان كان اسما فعلى الافاعل كالارنب والارانب والاعجم والاعاجم
وان كان نعتا مما هو وافقه فعلى الفعلى كالاعجف في العجفى والاحمق في الحمقى بكم من البكم وهو
الخرس وهو آفة في اللسان لا يتمكن معها ان يعتمد مواضع الحروف عمي من العمى لا عمي في العين
وجمعه العمي ومن القلب العمي وجمعه العمون قال الله تعالى بل هم قوم عمون لما سدوا اسماعهم
عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا السنتهم ويبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما فقدوا
مشاعرهم ولم يوجد وافواهم وايراد هذه الصفات مع سلامة حواسهم تشبيه بليغ اذ شرط
الاستعارة الاعراض عن المستعار له صفحا ونسيانه مطلقا وههنا وان حذف المبتدا الذي
هو ضمير المنافقين لكنه في حكم المقدر المنوي لاستناد الخبر اليه ونظير قوله صم اذا سمعوا خيرا
ذكرت وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا واما قوله اسد علي وفي الحروب نعامة ففي كونه من
هذا الباب نظر فهم لا يرجعون اي جوابا لان من استدت عليه تلك المشاعر لا يمكن ان يرجع
جوابا لمن يخاطبه لا بالعبارة ولا بالاشارة من الرجع بمعنى الصرف لا من الرجوع بمعنى الانصراف فان
رجع لازم ومتعد او كصيب مجرور بمضاف محذوف اي كمثل ذوي صيب من السماء صفة في محل
الجر اما تقدير المثل فلا بد منه للعطف على السابق واما تقدير ذوي فلقوله يجعلون اصابعهم
والا فنفس التشبيه لا يقتضي تقدير شيء اذ لا يلزم في التشبيه المركب ان يكون ما يلي الكاف هو المشبه
به كما في قوله وما الناس الا الديار واهلها وأو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها

فاطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين ومعناه ان قصة المنافقين
مشبهة لهذين القصتين وانهما سوا في صحة التشبيه بهما وتثنية التمثيل كشف بعد كشف
وايضاح غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك
الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ يرمون بالخطب
الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء والصيب فيعل للمطر والسحاب وفي الاية يحتملهما
وتنكيره للتعظيم كتنكير النار في المثل الاول والسماء هذه المظلة وقد يطلق على جهة الفوق وهو
المراد هنا وتعريفها للدلالة على انطباق ذلك الصيب الافاق كلها فان كل افق يسمى سماء امد به
ما في صيب من المبالغة من جهة التركيب فان الصاد من المستعلية والياء مشددة والباء الشديدة
ومن جهة المعنى فان الصوب فرط الانسكاب والوقوع ومن جهة البناء فان فيعل صفة مشبهة دالة
على الثبوت ومن جهة العارض لان التنكير للتعظيم والتهويل فيه ظلمات ورعد وبرق صفة
اخرى في محل الجر وظلمات مرفوع بفاعلية الظرف لاعتماده على الموصوف والمعنى في اثنائه وتضاعيفه
ان اريد بالصيب المطر وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره وجعلهما كانهما فيه
بطريق استعارة التلبس المخصوص للتشبيه بتلبس الظرفية الحقيقية والظلمات ظلمات المطر
بتتابع القطر والسحاب وسحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وان اريد به السحاب ففيه الرعد والبرق
واما الظلمات فما ذكرت بعينها الا المطر لانها قد تكون وقد لا تكون والرعد الصوت الذي يسمع
من السحاب اذا تحاكت اجزاؤه برق الشي بريقا اذا لمع ولم يجمع رعد وبرق وان كان الجمع اشد مناسبة
لقوله ظلمات واكثر مبالغة كما في قول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروق ورعود
لكونهما في الاصل مصدرين فان اريد المعنيان روعي الاصل فلم يجمعا وان اريد الحدثان اي الابراق والارعاد
فحقهما الافراد ايضا قصدا للتهويل المناسب للمقام بغرابة نوعهما المستفاد من التنكير لا بتعدد
افرادهما المستفاد من صيغة الجمع يجعلون اصابعهم في اذانهم جملة استينافية وذلك انه
لما ذكر الظلمات والرعد والبرق على ما يوذن بالهول والشدة فكان قايلا قال فكيف حالهم
مع ذلك الرعد فقال يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد
البرق يخطف ابصارهم ثم قال فكيف حالهم مع تلك الظلمات فقيل كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم
عليهم قاموا او صفة للمضاف المحذوف في محل الجر اي ذوي صيب يجعلون وصح رجوع الضمير اليه
لكونه في حكم المذكور وفي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل ومبناها على ان يكون الاصابع
بتمامها لا بعض الانامل وفي العدول عن يدخلون وهو الظاهر الى المذكور نوع تقوية لتلك
المبالغة ثم انه كناية عن كمال الحيرة وفرط الدهشة فيستقيم المعنى بلا حاجة الى تنزيل الكلا

عن درجة البليغة حذرا عن عدم مطابقته الواقع من الصواعق متعلق بيجعلون كقولك
سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار لطيفة حديدة لا تمر بشي الا اتت
عليه لكنها مع حدتها سريعة الخمود للطافتها وهي تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه او جرم
ثقيل مذاب منقدح من الاجزاء اللطيفة الارضية الصاعدة الى السماء دخانا والمائية المسماة بخارا
حار حاد في غاية الحدة والحرارة لا تقع على شي الا تفتت واحرق ونفذ في الارض حتى يبلغ الماء فانطفى
ووقف ومنه الخارصين من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد
ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو
ليس بقلب من الصواعق لاستواء البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع ونظيره
جبذ في جذب وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الرواية
او مصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت منصوب على المفعول له والموت زوال الحياة والله
محيط بالكافرين جملة اعتراضية لا محل لها واحاطة الله بالكافرين مجاز معناه انهم لا يفوتونه
كما لا يفوت المحاط به المحيط يكاد البرق يخطف ابصارهم كاد من افعال المقاربة وضعت
لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرطه او لعروض مانع
والخطف الاخذ بسرعة كلما اضاء لهم مشوا فيه المشي السير السهل واضاء اي صار متعديا
اي اضاء لهم ممشى ورجع الضمير في فيه اليه لكونه منويا ويؤيده قراءة كلما ضاء لهم وان كان
لازما وهو الظاهر كاظلم فمعناه مشوا في الضوء اي في مطرحه او به او كلما نار البرق فانار
الطريق مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا اظلم غير متعد على الظاهر ويحتمل ان يكون متعديا
من ظلم الليل ويعضده قراءة أُظلم على ما لم يسم فاعله ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم
ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد وانما جاء مع اضاء بكلما ومع اظلم باذا لقوة
دواعيهم الى امكان المشي والخلاص عما هم فيه من الشدة والحيرة وحرصهم على ما همتهم
به معقود من السعي والحركة فلا يسعهم الاهمال وترك الفرصة واما الوقوف فليس كذلك
لانه يلزمهم العجز ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم
وابصارهم وقرئ لاذهب الله باسماعهم وابصارهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم
شاع حذف مفعول شاء واراد مع حرف الشرط لدلالة الجواب عليه حتى لا يكاد يذكر الا اذا كان
مستغربا كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته اراد ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم
وفي ضوء البرق فاعماهم وفائدة هذه الشرطية التنبيه على ان كل محنة منها بمعرض ان
الدفع تفوق نعمة النفع ولا دلالة فيه على وجود ما يقتضي الجزاء المذكور ولا على ان تاثير الاسباب

مشروط بمشيئته تعالى ولما ان الكل واقع بقدرته فالتنبيه عليه بقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير
تقرير لما تقدم ولا اختصاص للشيء بالموجود كيف وهو اعم العام يقع على الواجب وعلى الممكن والممتنع
نص على ذلك سيبويه حيث قال في كتابه ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه وخص هاهنا بالممكن بدليل العقل
وقرينة القدرة اذ القدرة هي مبداء الافعال المتضادة على نسبة متساوية والواجب راجح الوجود
والممتنع راجح العدم فلا يمكن تساوي الطرفين الذي هو شرط تعلق القدرة الا في الممكن فكانه قيل
على كل شيء ممكن قدير نعم انه في الاصل مصدر شاء الا ان اطلاقه بمعنى مشيء لا يستلزم الوجود
في الجملة لان متعلق المشيئة قد تكون زوال الوجود وعدم الايجاد واشتقاق القدرة من القدر لان
القادر يوقع الفعل على مقدار قوته والقادر هو الذي يصح منه الفعل والترك واما الذي ان شاء
فعل وان لم يشا لم يفعل فهو المختار ولا يلزم ان يكون قادرا لجواز ان تكون مشيئة الفعل لازما لذاته
وصحة الشرطية لا تقتضي وجود المقدم واعلم ان ما ذكر تتميم لتمثيل شدة الامر على المنافقين بشدته
على اصحاب الصيب من الحيرة والخوف والدهشة بحيث اذا صادفوا خفقة من البرق انتهزوها
فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطوات يسيرة فاذا انطفت وانطفت جلسوا عن الحركة
وبقوا متحيرين خايبين ثم ان التمثيلين المذكورين جاز ان يكونا مفترقين الا ان الاصح الافصح الذي عليه
الفحول من علماء البيان ان يكونا من التمثيلات المركبة لا يتكلف لكل جزء جزء من اجزاء الجملة الممثل لها
فرادى شيء يشبه به من اجزاء الجملة الممثل بها مفترقة كما في قول امرء القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي بل تشبه هيئة حاصلة من اشياء تضامت وتلاقت وصارت
شيئا واحدا باخرى مثلها من غير مراعاة افرادهما والنظر الى تشبيه شيء من هذه بشيء من تلك فان الغرض
تشبيه حال المنافقين في حيرتهم وما ضبطوا فيه من الضلالة وشدة الامر عليهم وخزيهم وافتضاحهم
بحال من يكابد شدة امره عند انطفاء ناره بعد ايقادها ورجاء الانتفاع بها والتهدي باضائتها
او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق ﴿يا ايها الناس﴾ التفت
من الغيبة الى الخطاب لان الكلام السابق كان في تعداد فرق المكلفين وحكاية احوالهم وبيان مآلهم
وناسبه اسلوب الغيبة واما هذه الاية فمصدرة بامره وتكليفه وحق الاوامر والنواهي ان يسلك فيها
مسلك الخطاب خصوصا اذا كان ما كلف به مما فيه مشقة فان فيه جبرا لتلك الكلفة بلذة المخاطبة
والنداء باحضار الغايب وتنبيه الحاضر وتوجيه المعرض وتفريغ المشغول وتهييج الفارغ ويا حرف نداء
وضع في اصله لنداء البعيد واستعماله هاهنا في نداء القريب لجعله عما خوطب به معنى وقد يستعمل لنداء
القريب الفطن للدلالة على ان الخطاب المذكور يعتنى به جدا واما نداء الداعي المتضرع لربه بقوله
يا رب مع علمه بانه اقرب اليه من حبل الوريد فلهضم نفسه استقصارا لها واستبعادا من مظان القربة

والزلفى واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام لتعذر الجمع بين حرفي التعريف وهو اسم مبهم
يفتقر الى ما يزيل ابهامه من اسم جنس او ما يجري مجراه صفة له حتى يحصل المقصود بالنداء وكلمة
التنبيه لمعاضدة حرف النداء بتاكيد معناه ووقوعها عوضا عما يستحقه اي من الاضافة والناس
صفة لاي واجبة فيها خاطبهم مقبلا عليهم بالنداء لان فيه هزا لما يلقيه اليهم من امر العبادة
له ﴿اعبدوا﴾ قد مر تفسير العبادة والامر به يعم افراد المكلفين لان اسم الجمع المحلى باللام
للعموم حيث لا عهد وما روي عن علقمة ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فمكي ان صح فلا يوجب تخصيصه
بالكفار وليس المراد احداث العبادة خاصة بل ما يعمه والمواظبة عليها فان هذا هو المناسب
للمقام وان كان الاول هو المتبادر من الكلام والعبرة في الكلام البليغ لمقتضى المقام لا لما يتبادر
الى الافهام واعلم ان النبي عم بعث بدعوة الكفار الى الايمان وورد في ذلك نصوص وانهم اخبروا
في بعضها بان العبادة لا صحة بدونه وبعد هذا امرهم بالعبادة في هذا النص وغيره وان ورد
مطلقا عن قيد الايمان لفظا لكنه مقيد به معنى بحكم النص المخبر عن اشتراط صحة العبادات
بالايمان وليس في ذلك امر بالايمان في ضمن الامر بالعبادة حتى يلزم ايجاب الاصل تبعا لايجاب الفرع
فينا في حكم الاصالة ﴿ربكم﴾ عبارة الرب صادف محزها اذ هو السيد والمصلح ومن كان مالك ومصلح
احوال العبد فجدير ان يعبد ولا يشرك به ولما امر بعبادته وهي موقوفة على معرفة وجوده
ناسب ان يذكر من الاوصاف ما يتضمن الدليل على وجوده واستحقاقه العبادة فقال ﴿الذي خلقكم﴾
فالتوصيف المذكور باعتبار تضمنه الاشارة الى ان ما لا قدرة له على الخلق والايجاد لا استحقاق
له للعبادة تعريض للمشركين حيث عبدوا ما لا قدرة له على شيء وما قيل على تقدير ان يكون الخطاب
للمشركين يكون الوصف المذكور للتخصيص وهم متناولون علم فهم معنى ربكم فان المعنى المتبادر منه
الرب المشترك فيما بينهم وليس ذلك الا الله تعالى لانهم ما اتفقوا على واحد من معبوداتهم الباطلة
فاذ لا شركة في معنى ربكم فلا حاجة الى مخصص واصل الخلق التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها
وسواها بالقياس والمراد ايجاد الشيء على تقدير واستواء ﴿والذين من قبلكم﴾ ذكر خلق من قبلهم لانهم
اصولهم وخلق الاصول انعام على الفروع وقدم خلق المخاطبين وان تقدم خلق من قبلهم زمانا
لان علم الانسان بحال نفسه اظهر من علمه باحوال غيره ولانهم المواجهون بالعبادة فتنبيههم اولا على
احوال انفسهم اهم واكد وبدأ اولا بصفة الخلق اذ كانت العرب مقرة بان الله تعالى خالقهم وهم
المخاطبون ولكن ان تقول لاخرجه مخرج المقرر المعلوم اما لاعترافهم به كما افصح عنه قوله
تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او مبالغة في ظهوره حيث نزل لتمكنهم من
العلم بادنى نظر منزلة المعلوم ودخلت من على الزمان اذ التقدير من زمن قبل زمان خلقكم وقري

بفتح الميم على انه خبر مبتدا محذوف هو صلة الصلة تقديره والذين هم اناس قبلكم وحذف صلة الصلة
كثير الدور في الكلام وفيه تاكيد ابهام يتضمن التنبيه بما فيه من التفخيم على ان خلق من قبلهم داخل في القدرة
وعلى هذا يكون من موصوفة وقبلكم صفتها ويحتمل ان يكون موصولة مفخما كما الفخم تيم في يا تيم
تيم عدي • لعلكم تتقون • تجعلون العبادة وقاية لكم ولعل فيها لغات ولم يجئ في القران الا افصحها
وهي للترجي والاطماع وذلك بالنسبة الى المخاطبين والمعنى اذا عبدتم ربكم رجوتم حصول التقوى
وهي التي تحصل بها الوقاية من النار والفوز بدار القرار فتعلقت جملة الرجا باعبدوا ربكم وقيل
تعلقها بخلقكم ولا يعجبني ذلك لان الذي سيق الكلام لاجله هو الامر بالعبادة وذكر الموصول وصلته
لما قصد بالتبع فلم يجئ الموصول ليحدث عنه وكذا صلته كيف وهي لتتميم ما قبلها فلا يناسب ان
يتعلق بها ترج بخلاف اعبدوا فانها الجملة المفتتح بها اولا والمطلوبة من المخاطبين واذا تعلقت
باعبدوا ناسب خطاب لعلكم تتقون • الذي • نصب على انه صفة بعد صفة ولزوم توسط الاجنبي
بين الوصفين لا يضعفه لانه ادنى من توسيطه بين الموصوف والصفة الواقع في قوله تعالى قل اغير
الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض او على المدح او رفع عليه او على خبر مبتدا محذوف او بالابتدا
وخبره فلا تجعلوا وفيه ضعف لمضي الصلة فلا يناسب دخول الفا في الخبر وللربط بالاسم الظاهر
جعل • الجعل هنا بمعنى التصيير فيتعدى الى مفعولين ثانيهما فراشا • لكم • فيه منة على عباده
وفي تقديمه اشارة الى عزة عدد وفضيلتهم على باقي المخلوقات حيث خلق السموات والارض لاجلهم خا
الارض فراشا • الفراش والمهاد والبساط متقاربة المعاني والمراد ما يفترش وفيه اشارة الى
ان الارض لم تخلق مبسوطا بل خلقت على وضع اخر ثم بسطت على ما انصح عند قوله تعالى والارض بعد
ذلك دحاها ومن ظن انه فراشا حال فقد اشتبه عليه الحال • والسماء بناء • مصدر سمي به المبني • وانزل •
عطف على جعل • من السماء • متعلق بانزل او في موضع الحال فيتعلق بمحذوف والمعنى من جهة السما لانه الا
الذي لا يبعد عند الابصار فان المعرفة اذا اعيدت تكون الثانية عين الاولى ومن للابتدا • ماء •
سببا ليضاد النار برطوبته وبرودته وتنكيره للتنويع يعني انزل من السماء نوعا من الماء ففيه اشارة
الى ان في ذلك الجنس ما لم ينزل من السماء وهو ما يحدث من الارض بطريق الانقلاب من الهواء وغيره • فاخرج به •
الخروج في الاصل الانفصال من المحيط الى الصور ويلزمه الظهور وانما عطف على انزل بحرف التعقيب
وان كان متراخيا عنه لسرعة خروج النبات بالمطر كانه لم يتخلل بينهما زمان لتصوير البشرة
تاثير قدرته تعالى وفي توسيط الاسباب حكم ليست في الانشاء بغتة ثم انه تعالى جعل بلطفه
منافع السما متصلة بمنافع الارض فانا كثيرا ما يخرج من الارض مما ينزل من السماء ليعلم ان منشأهما
واحد لانه لو كان منشأ هذا غير الاخر لم يتصل منافع هذا بمنافع الاخر على بعد ما بينهما وتوهم

خلاف احدهما الاخر فلما دل هذا على ان منشأهما واحد لا شريك له فلا تجعلوا له اندادا • من الثمرات •
الثمرة اصلها الزيادة والنماء يقال ثمر الله ماله اي زاده وكثره وحمل الشجرة تسمى ثمرة لهذا وتجمع
ثمرا بحذف الهاء التي هي للتوحيد ثم ثمارا كالبكة تجمع بلادا ثم الثمار تجمع على الثمر كالحمار يجمع على
الحمر وهذه جموع تكسير وجمع السلامة هو الثمرات والمراد منها هاهنا الماكول كلها من الحبوب والفوا
وغيرها مما يخرج من الارض والشجر وقد بسط الله تعالى ما اختصره في هذه الاية في اية اخرى
فقال وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرج به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا
وقوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده • صرح في عموم الشجرة الثمرة لان الحصاد
انما يكون للزرع واللام لتعريف الجنس وانما جمع لاختلاف انواعه ثم ان جمع التصحيح انما يكون
للقلة اذا لم يعرف باللام فلا حاجة الى ان يقال ان الجمع يتعاور بعضها موضع بعض ومن للتبعيض
فان ما يصلح رزقا لنا بعض الثمرات المخرجة ولا يصلح للتبيين اذ لم يتقدم ما يبين • رزقا • مصدر
فيكون مفعولا له ويحتمل ان يكون بمعنى مرزوقا فينتصب على الحال وعلى الاول تكون الكاف في • لكم •
مفعولا به واللام مقوية لتعدي المصدر اليه وعلى الثاني يكون في موضع الصفة فيتعلق اللام
بمحذوف اي كاينا لكم ولا يمتنع عكس ذلك ويجوز ان يتعلق باخرج • فلا تجعلوا لله اندادا • الند الشيء
المشارك في الجوهر وذلك ضرب من المماثلة فان المثل يقال في اي مشاركة كانت فكل ند مثل ولا ينعكس
ولما كانوا اتخذوا اندادا جا النهي عن جعل الانداد لله تعالى على حسب الواقع والا فحق النهي ان يتعلق بجعل
ند له تعالى وهذه الجملة متعلقة بالذي على ما جعلناه خبر مبتدا محذوف اي هو الذي من عليكم بانواع
النعم العظام من خلق السما سقفا مرفوعا وجعل الارض فراشا موضوعا واخراج النبات بالمطر
رزقا مجموعا فلا تجعلوا له اندادا وانما عدل الى الظاهر نعيا عليهم بان جعلهم له اندادا جعل
الانداد لذات موصوف بصفة لا شريك له فيها في الشركاء ويجوز ان يكون متعلقا بقوله اعبدوا
ربكم والفا للتسبب اي تسبب عن ايجاد هذه الايات الباهرة النهي عن اتخاذكم الانداد ولولا هذا الاعتبار
لكان لا نسب عطفه بالواو كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا ويجوز ان يكون نفيا منصوبا
باضمار ان على جواب الامر كما في زرني فاكرمك لا يقال الشرط انتصاب المضارع باضمار ان في جواب الامر ولو
كون الاول سببا للثاني منتف هنا لانه يجوز ان يكتفي بسببية الاول للاخبار بمضمون الثاني كما اكتفى
بسببية الاول للاخبار بمضمون الجزاء في قوله وما بكم من نعمة فمن الله • وانتم تعلمون • اي والحال انكم
من اهل العلم على ان تعلمون من الافعال المنزلة منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول ويجوز ان يقدر له
المفعول على ان المعنى وانتم تعلمون امتناع التماثل وانها لا تفعل مثل هذه الافعال وعلى هذا فالمقصود منه
التوبيخ والتنبيه على قبح فعلهم لان مرتكب القبيح مع علمه بقبحه اعظم جرما لا تقييد الحكم وتخصيصه به

فان العالم او للجاهل المتمكن من العلم سوا فى التكليف وانما خصصنا التوبيخ بالوجه الاخير لان الظاهر ان
المراد على الاول الحث لترك الانداد ووجه ذلك ان التلطيف بعد التغليظ ادخل فى الاسماع واعون فى الا صغاء
من التغليظ بعد التغليظ الا ترى كيف وصى رسوله اذا ارسل الى عدوه وقال فقولا له قولا لينا • وان كنتم
فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله • لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم
بها عقبه بذكر ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القران المعجز بفصاحته وعرفهم ما
يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله ثم انه سلك مسلك الاطناب حيث لم يقل وان ارتبتم سوق الكلام
على وفق حالهم وتنبيها على توغلهم فى الارتياب واستمرارهم على ذلك واستقرارهم فيه وتضمينا للنعي
عليهم حيث بلغوا النهاية فيما لا يجوز لاولى الالباب الوقوع فى بدايته وهل هذا الا اية غاية
الغباوة والغواية واتى بكلمة الشك مع تحقق الريب على خلاف الظاهر تكميلا للنعي عليهم بتنزيله
حالهم المحقق منزلة القدر للتنبيه على ان مثل ذلك الحال حقيق بان يعد من قبيل ما يفرض كما يفرض
المحال والتنكير فى ريب للتحقير وفيه تنبيه على ان وضوح دلايل الاعجاز فى المنزل المذكور بلغ الى حد
لا ينبغى ان يفرض فيه ريب الا على وجه القلة ومن تحتمل ابتدا الغاية والسببية وما موصولة اى من
الذى نزلناه والعايد محذوف اى نزلناه وتضعيف نزلنا بمنزلة همزة النقل ويؤيده قراة انزلنا
ولا دلالة فيه على نزوله منجما فى اوقات مختلفة لان مبناه على ان يكون التضعيف للتكثير وذلك
فى المتعدي نحو جرحته وقطعته ولا يكون فى اللازم الا نادرا نحو قولهم مات المال وموتنا اذا كثر
ذلك فيه وح لا يجعله متعديا لئلا يلزم الجمع بين معنيين للتضعيف وذلك غير جايز وفيما نحن
فيه لا بد من معنى التعدية فلا مجال لارادة معنى التكثير والتعبير بما نزلنا دون القران للتنبيه
على ان الريب فيه باعتبار ذلك الوصف والعبادة لما كانت اشرف الخصال والتسمي به انفس
الخطط حتى قال الشاعر لا تدعنى الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي سمى نبيه عبدا واضافه الى نفسه
تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لامره لا يخالفه فكانه يقول على الرسول الذى
كل ما يبلغه من عندنا وقد شاركه فى ذلك التشريف بعض الانبياء ثم انما اختصاصه بتسميته
بالعبد المطلق فانه لم يسم غيره الا بالعبد المقيد باسمه كما قال واذكر عبدنا داود واذكر
عبدنا ايوب وغيرهما وذلك لان كمال العبودية ما تهيأ لاحد من العالمين الا لحبيبه عم وكمال
العبودية فى الحرية عما سوى الله تعالى وهو مختص بهذه الكرامة كما اثنى الله تعالى عليه بذلك
فقال يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى فلما اختص بهذه الحرية اكرم باسم العبد
المطلق كما قال فاوحى الى عبده ما اوحى وقرى على عبادنا يعنى النبيين الذين انزل عليهم الكتب
وفيه تنبيه على ان من شك فى القران مع ظهور اعجازه فهو شاك فى ساير الكتب الالهية

18

ايضا حقيقة او حكما ويجوز ان يراد من اخبر بنبوة محمد وبشر بمجيئه من الانبيا كموسى وعيسى
عم والامر فى فاتوا للتعجيز كما فى فات بها من المغرب والفا لانه جواب الشرط وبدونها يقال
ايتوا الالف مجتلبة والهمزة صارت يا لكسرة ما قبلها وسقطت همزتها كراهة التقا
الهمزتين ويثبتها اليا كتابة فى قوله ثم ايتوا لانه يوقف على ثم ويبدا ايتوا ولا يثبت فى قوله
فاتوا وفى قوله واتوا لتعذر الفصل على الفا والكلمة وكذا بين الواو وبينها والسورة
ماخوذة من قولهم سار يسور اذا ارتفع وعلا وسمى الجدار المحيط بالمدينة سورا لارتفاعه
فالسورة من القران مجموع ايات مفصلة ارتفعت وعلت وظهرت وصارت كالعلم فى مغايرتها
لساير السور وهى باطلاقها تتناول الاقصر وفى القران سورة الكوثر وهى ثلاث ايات قصار
وهذا ابلغ الزام واتم قطع لاهل الخصام فقد كان التحدى اولا بالاتيان بمثل كل القران
بقوله تعالى فاتوا بحديث مثله ثم اخبر عن عجزهم عن ذلك بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ثم بعشر سور مثله بقوله تع قل فاتوا بعشر سور
مثله ثم لما عجزهم عنها ايضا تحداهم بسورة بقوله تع فاتوا بسورة من مثله وقد عجزوا عن
ذلك كله من مثله فى محل الجر صفة لسورة اى بسورة كاينة من مثله والضمير لما نزلنا والمعنى
ان كنتم فى شك مما انعمنا على عبدنا الحسن استعداده فى كمال العبودية بانعام الوحى ومنه نعمة
القران فى انه من عندنا زاعمين ان معارضته بايراد المثل مقدور للبشر على ما افصح عنه قوله
تعالى واذا تتلى عليه اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشا لقلنا مثل هذا فاتوا بسورة من مثله اى من مثل
المقدور للبشر فى زعمكم وقد افصح عن هذا المعنى فى التحدى بعشر سور ولولا القصد الى هذا لكان
الظاهر ان يقال فاتوا بمثل سورة منه ورجوع الضمير للمنزل عليه لا يساعده المقام ولا الكلام
اما الاول فكما عرفت فيما تقدم ان المقام مقام توسيع دايرة التحدي حيث تنزل من التحدى بكل القران
الى التحدى بعشر سور ثم التحدى بسورة فلا يناسبه التضييق باشتراط ان يكون الاتي بها اميا
فى هذه الصورة دون الصور السابقة واما الثانى فلان قوله • وادعوا شهداكم من دون الله
فى معرض وادعوا من استطعتم من دون الله من قوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من
استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فهو امر بان يستعينوا بكل من يعينهم فى ذلك فعلى هذا الوجه لا
المذكور ايضا لا بد من اعتبار قيد للمماثلة بين المنزل والماموربا تيانه وعلى تقدير عود الضمير
المذكور الى المنزل عليه يلزم ان يكون الكلام خلوا عن ذلك القيد المهم والشهدا جمع شهيد
معناها على ما قال ابن عباس رض اعوانكم لان الشاهد كالعون للمدعى فى استخراج حقه والمراد
بالدعا دعا استصراخ وكلمة دون لها معان والمراد هنا معنى غير وهى فى الاصل اسم لهذا خلفه

شتراط

تبها

الخافض وخفضها ولكنها تستعمل استعمال الحروف مفردة عن اللازم الذي هو للتعريف والتنوين
الذي هو للتنكير وهما من خصايص الاسما لانها تفيد المعنى في غيرها كالحروف فاجريت مجراها
لذلك، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، في زعمكم السابق ذكره والصدق الاخبار المطابق للواقع هذا اذا
كان وصفا للمتكلم واما اذا كان وصفا للكلام فهو الخبر المطابق للواقع ولما كان الامر المذكور امرتهكم
وتعجيز اخبرانهم ليسوا قادرين على اتيان المامور به بقوله، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا، لما ارشدهم
الى الدليل الذي تبين به امر النبي عم وصدقه وكون ما جا به حقا صرح بنتيجته لاستلزام نفيه
اللازم وهو امتناع معارضته نفي الملزوم الذي هو انتفا الريب فلزمهم تصديقه والايمان به
والا استوجبوا اشد العذاب وانما اورد الفعل في موضع الاتيان لانه ما من شي من الاحداث الا ويصح
ان يعبر به عنه وذلك لما ذكره الراغب ان معناه اعم من معنى ساير اخواته نحو العمل والصنع،
والاحداث فالمعنى فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله ولا يخفى ما فيه من حسن الايجاز
واتى بكلمة ان دون كلمة اذا مع تحقق الشرط اما تهكما بهم واما بنا على ظنهم قبل ظهور العجز عن المعارضة
ولم كلمة نفي تدخل على المستقبل وتجعله بمعنى الماضي ثم دخول ان وهو للشرط يجعله بمعنى المستقبل
فكان فيه اشارة الى انقلاب حال المخاطبين ولا محل لقوله ولن تفعلوا لانه اعتراض قبل تمام المرام
وهو من محاسن الكلام اشارة لهممهم ليكون عجزهم بعد ذلك ابلغ ومعناه لستم تقدرون على ذلك ابدا
لان لن لتاكيد النفي في المستقبل فتشاركه لا في نفيه وتباينه في التاكيد والتشديد واختلف في اصله
فقيل لا ان وقيل لا ابدلت الفه نونا والظاهر انه حرف مقتضب براسه كما هو قول سيبويه واحدى
الروايتين عن الخليل قيل فيه دليل على صحة نبوته عم حيث اخبر عن الغيب على ما هو به وفيه انه من باب
الكرامة ولا اختصاص لها عند اهل الحق بالانبيا عليهم السلام واما الاسند لال بعدم كونه عم شاكا
في امره فمما لا وجه له لان مبني دلالته على صحة دعواه على ثبوت عصمته عن الخطا وهو فرع ثبوت نبوته
فاثباته به مصادرة، فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، جواب الشرط وكني به عن ترك
العناد تقريرا للمكني عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وذلك ان من عاند
بعد وضوح الحق له استوجب العقاب بالنار واتقا النار من نتايج ترك العناد والنار عبارة عن
جهنم وقيل النار مجاز عن العناد وهذا اشد تهويلا لما فيه من ابراز العناد في صورة النار
خلافا لاول فان النار على حقيقتها والتهويل انما جا من ان الامر باتقا النار من ترك العناد
ثم ان الامر باتقا النار ابلغ من الامر بالترك في النهي عن ملابسة العناد وتعريفها بنا على ان تلك النار
كانت معلومة للمخاطبين بسماعهم من النبي عم اما قبلا او بواسطة المومنين وايضا هذه الاية
مدنية فنزولها بعد نزول قوله نارا وقودها الناس والحجارة لانها مكية ففيه تعريفها

لكونها معروفة قبل ذلك ضرورة ان التحريم نزولها قبل الهجرة متقدمة على المدنيات النازلة
بعدها ولتفظيع شان العناد لم توصف النار بقوله التي وقودها الناس والحجارة وكون الصلة،
معلومة انما اشترط في غير مقام التفخيم والتهويل الا يرى الى قوله فاوحى الى عبده ما اوحى والوقود بالفتح
ما يوقد به النار وبالضم التهابها وهو مصدر والاول اسم وقد جا المصدر بالفتح والاسم بالضم
وقري بهما والظاهر المناسب لبلاغة القران ان يكون المراد بالمصدر على المجاز عقلي فان الغرض
وهو المبالغة في التهويل يحصل على وجه اتم واكمل وفي المصير الى حذف المضاف تنزيل لشان،
التنزيل والناس هنا هم الكفار والحجارة جمع حجر كالجمالة والجمل وهو جمع على غير قياس،
والقياس فيه الاحجار كالشجر والاشجار وقد صح عن ابن عباس رض على ما اخرجه ابن جرير في تفسيره وعن
ابن مسعود على ما اخرجه البيهقي في البعث والنشور انها حجارة الكبريت ولعل تخصيصها من بين
انواع الاحجار لانه اسرع وقودا وابطا خمودا وانتن ريحا واكثر دخانا واشد حرا والصق بالبدن
والظاهر ان مرادهما بيان الواقع لا تفسير المراد هنا من لفظ الحجارة فلا يتجه انه تقييد للمطلق بغير
دليل فهي على اطلاقها فلا يفوت ما قصد به وهو تهويل شان تلك النار وتنا في لهبها حيث تتقد
بما لا يتقد به غيرها واما احتمال ان يراد بها الاصنام فيا باه العموم المستفاد من قوله تعالى انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم فان بعض ما عبدوه ليس من جنس الحجر ومعنى وقودها الناس والحجارة ان
تلك النار لا تتقد الا بهما، أُعِدَّتْ، الاعداد وهو التهيية والارصاد اكثر استعماله في الوجود
وقد يستعمل فيما هو في معنى الموجود كما في قوله اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما فدلالة الاية على ان النار
مخلوقة الان كما هو مذهب اهل الحق ليست بقوية، لِلْكَافِرِينَ، ختم بما وقع به البدو اي اتقوا الكفر
الموجب للنار فانها اعدت للكفار والجملة استيناف ويويده عطف وبشر على لفظ المبني للمفعول عليه
وقيل صلة بعد صلة بلا عاطف بينهما على قياس ما يقع في الاخبار والصفات ويويده قوله تعالى في
سورة ال عمران واتقوا النار التي اعدت للكافرين واما العطف بترك العاطف فتجويزه يودي الى
الالباس في مواضع الفصل والوصل ودلالة الام الاختصاص على ان اعداد تلك النار للكفار لا
يلزم من ذلك اختصاصها بهم كما لم يلزم من اختصاص اعداد الجنة للمتقين ان لا يدخلها غيرهم
فلا حاجة الى ان يقال ان النار التي وقودها الناس والحجارة هي للكفار خاصة ولغيرهم كما زعم
وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا، البشارة في اللغة اسم لخبر يغير بشرة الوجه مطلقا سارا كان او محزنا
الا انه غلب استعمالها في الاول وصار اللفظ حقيقة له بحكم العرف حتى لا يفهم منه غيره
واعتبر فيه الصدق على ما نص عليه في الكتب الفقهية فالمعنى العرفي للبشارة الخبر الصدق
السار الذي ليس عند المخبر به علم والمامور بالتبشير على قراة بشر على لفظ المبني للفاعل الرسول

ء م ولا وجه للتعميم لكل من يقدر على البشارة من غير تعيين لما عرفت من ان مدار البشارة على الصدق
لحقها ان يكون المبشر صادقا او مصدقا كانه ما اتكل امر التبشير على كل قادر عليه بل نص على اعظمهم
واصدقهم ليكون ذلك اوثق عند المبشرين واقطع في الاخبار بهذه البشارة الجليلة وفيه من
التعظيم لامر البشارة والمؤمنين ما لا يخفى والجملة معطوفة على ما قبلها عطف قصة على قصة بينهما
جهة جامعة بحيث يقتضي ذكر احداهما الاخرى توفية لحق الكلام ورعاية لما يقتضيه المقام
وذلك ان قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا خطاب عام يشمل الفريقين المخالف والموافق ثم ان قوله وان كنتم
في ريب مختص بالفريق الاول ومضمونه الانذار وان قوله وبشر الذين امنوا مختص بالفريق الثاني
ومضمونه البشارة كانه اوحى الى نبيه ان يدعو الناس قاطبة الى عبادته وتوحيده وتصديق
رسوله عم ثم امر ان ينذر من ابى وعانده ويبشر من اتى وعبده وهذا هو المعتمد وقيل معطوفة
على مقدر بعد اعدت اي فانذر الذين كفروا بتبكيت النار وبشر الذين امنوا على هذا يكون العاطف فصيحة
كما في قوله تعالى واهجرني مليا اي فاحذرني وقيل معطوفة على قل مقدرا قبل يا ايها الناس اي قل كذا وكذا
وبشر المؤمنين ولا ينافي ورود ذلك قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فانه قد جاء في كلام الله تعالى
في غير موضع منها قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فانه لو كان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية
كلام الله تعالى كانه قال قل ما تكلمت به وجوز ان يكون معطوفة على قوله فاتقوا على انه ليس جوابا
للشرط بل هو محذوف وهذا مرتب عليه فعلى هذا يكون تقدير الكلام اذا تبين عجزكم عن المعارضة
فقد صح عند المعاند والموافق صدقه واذا كان كذلك فاحذروا ايها المعاندون العقاب وبشر
يا محمد المصدقين بالثواب وعطف الامر لمخاطب على الامر لمخاطب مما اخطأ في منعه النحاة لوقوعه قطعا
في قوله تعالى يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك ونقف على تتمة هذا الكلام في تفسير قوله
تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله • وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ • الصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى
الاسم وهي ما ورد به الامر ايجابا او ندبا من الاعمال وتانيثها على تاويل الخصلة والتعريف للجنس
لكن لم يرد بالصالحات جنس الجمع بل جميع الجنس باعتبار التوزيع واللازم منه ان يعمل كل مكلف
ما يختص به من مواجب التكليف كما في لبس القوم ثيابهم ودخلوا مساجدهم لا ان يعمل كل واحد منهم
عمل واحد منها كيف ما كان وفي مقارنة الايمان والعمل الصالح في القران ايذان بانهما كالمتلازمين
في توقف مجموع النجاة والثواب عليهما وهذا لا ينافي كون الايمان المجرد عن العمل الصالح منجيا ثم ان
بشر يتعدى الى مفعوله بنفسه والى الاخر بحرف الجر وهو قوله • ان لهم جنات • وحذف منه الحرف
وهو في موضع نصب على مذهب الخليل لا في موضع جر خلافا لمن نقل المذهب انه في موضع جر وهو
ابن مالك قاله في التسهيل وهو قليل الالمام بكتاب سيبويه واللام للاختصاص لا للتخصيص بفضل الله

20

تعالى لا بالاستحقاق الذاتي والمختص بهم منازل عالية من دار الثواب لا الدار نفسها حتى يشكل
بالنصوص الدالة على عدم اشتراط العمل في الدخول بها وكذلك الجنات دون الجنة فانها علم
لتلك الدار وحمل الجنات على الجنان الثمانية لا يلائمه مقابلة الجمع بالجمع لان مقتضاها
الانقسام والتوزيع وقد روعي ذلك في قرينتها السابقة ولا مجال لرعايتها ههنا لعدم العهد
في توزيعها ثم ان ذلك الاختصاص مشروط بسلامة العاقبة لان الاعتبار للخاتمة على ما
افصح عنه قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم
واما الاستمرار على الايمان المقارن بالعمل الصالح فليس بشرط والجنة في الاصل المرة من الجن
وهو مصدر جنّه اذا ستره ومدار التركيب على ذلك سمي به الشجر المظلل لالتفاف اغصانه وستر
ما تحته ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان
والمراد ههنا الغرف وهي المواضع العالية والمنازل الرفيعة من بساتين الجنة على ما افصح عن ذلك
في قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها فان القران يفسر بعضه بعضا وتنكير الجنات للتعظيم اي جنات اي جنات لا يكتنه وصفها
ثم اكد بالاوصاف الغريبة ويجوز ان يكون المراد جنات شتى مترتبة في مراتب بحسب طبقاتهم ودرجاتهم
اعمالهم وعلومهم واخلاقهم • تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ • الضمير للجنات يعني من تحت الغرف وفيه
تنبيه على انها اماكن عالية وقد جاء في الاثار ان الجنة درجات والنار دركات والنهر بالفتحتين
وبسكون الثاني المجرى الواسع والمراد الانهار المعهودة المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير
اسن الاية فان الاصل في التعريف العهد ولا يعدل عنه الا عند التعذر ولا تعذر ههنا اذ لا حاجة
في ثبوت العهد الى سبق نزول تلك الاية فان المخاطب بتبليغ البشارة هو النبي عم فكفى علمه بها
باعلام من الله تعالى في البيان بقوله من ماء دلالة قاطعة على ان المراد ماء الانهار على التجوز فيها او
الاضمار • كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا • صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف اي هي او
جملة مستانفة على تقدير سؤال يختلج في ذهن السامع اثمار جنات من جنس ثمار الدنيا ام اجناس
اخر فقيل من جنسها ومن الاولى لابتداء الغاية وكذا الثانية وواقعتان موقع الحال ورزقا مفعول
ثان بمعنى المرزوق واصل الكلام ومعناه كل حين او مرة رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات
مبتدأ من [illegible] الرزق المطلق بكونه من الجنات ثم المقيد بكونه من الجنات قيد بكونه
مبتدأ من اي ثمرة من ثمارها فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره
المستكن في الحال الاولى ويجوز ان يكون الثانية للتبعيض اي كلما رزقوا من تلك الجنات بعض
الثمرات على انه مفعول ثان ورزقا حال او نصب على المصدر وليس المراد من الثمرة الثمرة الواحدة

بالشخص وانما المراد النوع الواحد من انواع الثمار يقال فلان ادركت ثمرة بستانه والمراد الجنس
ويجوز ان يكون بيانا كما تقول رايت منك اسدا اي انت اسد وعلى هذا الوجه يصح ان يراد بالثمرة
النوع والجناة الواحدة. قالوا هذا الذي رزقنا من قبل. اي من قبل هذا في الدنيا والمقول جعله
تشبيها لقوله. وأتوا به متشابها. اي هذا مثل الذي او كالذي رزقنا من قبل حذف حرف
التشبيه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته وانما جعل ثمار الجنة من جنس ثمار الدنيا لتميل النفس
اليها اول ما رات فانه لو لم يكن من جنسها لامكن ان ينفر منها طباعهم وتعافها نفوسهم في اول الوهلة
وبادي النظر وهذا لا ينافي التلذذ به فوق ما التذ بما لو فاته بعد الوقوف على طعمه ولا يخالفها
اشتهر فيما بينهم من ان لكل جديد لذة ولانهم اذا صادفوا ما التذوا به والفوه من جنس ما كان معهودا
لهم وراوا بينه وبين ما عهدوه تفاضلا بينا وتفاوتا عظيما عرفوا قدر النعمة وحقها وبلغ
استلذاذهم به واستحسانهم الى ما لا يمكن وصفه لكونه نعمة غير مترقبة ولو كان من جنس
اخر وان فاق وبلغ غاية الحسن ورق لحسبوا ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك ولم يقع في انفسهم
وقع تلك النعمة وتكرارهم هذا القول واستيناقهم له عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي
الامر في الفضيلة والمزية وان ذلك الفرق البين والتفاوت العظيم هو الذي يستدعي تلفظهم
بذلك ويستنطقهم ويستهشهم فرحا وحبورا ولا يدعهم يقروا ويسكنوا بل يستفزهم
لذة وسرورا وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها كلما نزعت منها ثمرة عادت
مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والضمير في به يرجع الى المرزوق في الدنيا والآخرة
لاشتمال الكلام عليها كقوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير ولو رجع
الى المذكور لقيل اوتوا به ويجوز ان يكون المعنى من قبل هذا في الجنة لان طعامها متشابه الصورة
كما حكي الحسن يؤتى احدهم بالصحيفة فياكل منها ثم يؤتى له بالاخرى فيقول هذا الذي اوتينا به من قبل
فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعلى هذا يرجع الضمير الى الرزق المطلق كما ان هنا
اشارة اليه ولا يخفى ان الوجه هو الاول لعدم المساعدة في نكتة كلما للاخير والجملة اعتراض صفة
كقوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون والواو في. ولهم فيها ازواج مطهرة. عاطفة
الجملة من تتمة وصف ثواب المؤمنين ومطهرة بالتوحيد ومطهرات بالجمع لغتان فصيحتان في وصف
الازواج لكونه جمع التكسير وان كان جمع المؤنث الحقيقي بخلاف ما لو قال زوجا اذ الواحدة
فيه فلم يجز الا مطهرات كما تقول الجماعة ازواج مطهرة وبناؤه للمفعول الفخم اذ فهم ان لها مطهرا
وليس الا الله تعالى فيكون طهارتهن اعظم من كل طهارة فان قيل هذا معارض بان فيه اشعارا
بسابقة التلويث بما يستقذر والكمال في كون الطهارة خلقية بخلاف بنائه للفاعل فان

المتبادر منه بمعونة المقام ان تكون طهارتهن خليقة قلنا نعم كذلك الا ان الاول ارجح لكونه
ادخل في البلاغة لما فيه من تعظيم المؤمنين وهو المناسب للمقام ورعاية جانب من سيق له الكلام وتطهير من
من الاوصاف القبيحة في الخلق والخلق لما كانت مجامع اللذة في المسكن البهي والمشرب الروي والمطعم الشهي
والمنكح الرضي ذكرها تعالى فيما يبشر به المؤمن وبدا بالمسكن لان به الاستقرار ثم بالمشرب والمطعم
لان بهما قوام الجسم وقدم المشرب لما فيه من نشر بقا المسكن ثم بالازواج لان بها تمام اللذة والانس
ولما ذكر مجامع اللذة وذلك ينتقض بخوف الزوال والفناء بقوله. وهم فيها خالدون. الخلد
البقاء الدائم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون
وتقييده بالتابيد في قوله خالدين فيها ابدا لقطع التجوز فان استعماله في الثبات المديد وان لم
يدم متعارف شايع. ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة. لما بين التوحيد واثبت صحة
النبوة بالبرهان وهداهم اساس الدين واصل الايمان وارشدهم الى معرفة حقية القران
وافحمهم بالتحدي ورتب الوعيد على الكفر به والوعد على الايمان شرع في ابطال الاعتراضات
والشبهات التي طعن بها الجاحدون الجهلة كقولهم ان الله اجل قدرا واعظم شانا من ان يمثل بهذه
المحقرات كالذباب والعنكبوت وقولهم اما يستحيي رب محمد فجاءهم بما دل على ان التمثيل امر
يستدعيه حال الممثل له فكلما كان اعظم كان الممثل به اعظم وكلما كان احقر كان الممثل به
احقر كقوله تعالى ولله المثل الاعلى فيلزم ان يكون لالهتهم المثل الادنى لانها جمادات لا قوة لها
ولا شعور اذ الغرض من التمثيل تصوير المعقول بصورة المحسوس وتقرير المعنى المراد في النفس
ولا يعارض العقل في المعاني المعقولة الا الوهم لميله الى الحس وامتناع ادراكه للمعاني الكلية
فاذا تمثل المعنى العقلي بصورة محسوسة اذعن له وانقاد وقبل المعنى المراد ولهذا اكثر التمثيل
في كلام البلغاء والحكماء والانبياء وفشا في الكتب الالهية ولا يتعلق حال المثل في الحسن والقبح بحال
الممثل الا فيما يصار اليه من وجه الشبه بين الممثل به والممثل له فان لم يكن مطابقا بان لا يكون الوصف
المشترك المقصود اظهاره في الممثل به اجلى واقوى واشهر كان الممثل قاصرا في البلاغة
منسوبا الى الدناءة وان كان مطابقا بان كان المعنى المراد افهامه في الممثل به ابلغ واتم واكمل
واعم كان الممثل اجل قدرا واعلى شانا ولهذا كان تمثيل الله تعالى الهتهم بالبعوضة فما فوقها في المعنى
الممثل له من الحقارة اي ما هو احقر كجناحها او مخها وكما قيل اقل من لا شيء في غاية الحسن والجزالة
ونهاية الفصاحة والبلاغة كما تقول فلان اقل قدرا من الكلب فيقول صاحبك وفوق ذلك اي
في قلة القدر وقد جاء في الانجيل تمثيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء باثارة
الزنابير وفي كلام العرب اصرد من جراد واسمع من قراد ويحتمل ان يكون المراد بقوله

فما فوقها العنكبوت والذباب وما ورد في المثل مما هو اعظم من البعوضة رداً لما استنكروه
كما قيل فلان يجل بدرهم فتقول انه يجل بدانق فما فوقه اي فضلاً عما فوقه في العظم من الدرهم
والحيا انقباض النفس مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراة على القبائح وعدم
المبالاة بها والخجالة التي هي انحصار النفس عن الفعل مطلقاً واستعمال الاستحيا لله تعالى
مجاز على سبيل التمثيل اي لا يترك ضرب المثل بالمحقرات ترك من يستحيي لحقارتها وقد جا في الحديث
ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وفي التمثيل من المبالغة ما لا يخفى على الفطن للتخييل
وتصوير المعقول بصورة المحسوس او الوجداني المدرك بالضرورة ويجوز ان يكون وقوعه على سبيل
المقابلة وتطبيق الجواب لسؤالهم فانه لما جا في كلام الكفرة اما يستحيي رب محمد ان يضرب المثل بالذباب
والعنكبوت قابله بان الله لا يستحيي ان يضرب وهو في كلامهم نوع بديع وفن عجيب يستحبونه
ويرتضونه لمراعاة المشاكلة وضرب المثل صنعه واعماله من ضرب اللبن وضرب الخاتم واصله
وقع شي على اخر والاستحيا يتعدى بنفسه وبمن فعلى الاول يكون ان يضرب مثلاً منصوب المحل على
المفعولية وعلى الثاني يكون مجرور المحل بتقدير من او منصوبة بنزع الخافض حذفاً وتعدية
الفعل اليه بنفسه ومثلاً مفعول ليضرب وما ابهامية منصوبة المحل صفة لمثلاً تزيد
شيا عاً وعموماً وابهاماً وسد الباب التقييد او مزيدة للتاكيد كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله
اي مثلاً حقاً بعوضة بالنصب بدل او مفعول به وقيل عطف بيان لمثلاً وفيه انه لا يكون في النكرات
عند الجمهور ومثلاً حال مقدم عليها لتنكيرها او مفعول ثان ليضرب اجراً الضرب مجرى جعل وصير
وان رفعت بعوضة فما موصولة حذف صدر صلتها كما في قوله تعالى تماماً على الذي احسنُ بالرفع
او موصوفة كذلك اي صفتها جملة محذوفة المبتدا ولا الوجوه الاربعة المذكورة في بعوضة
بالنصب وجه اخر اعربه وافصح وهو ان يكون ما استفهامية مبتدا خبره بعوضة اي بلغ البعوضة
فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما يهب ما دينار او ديناران والبعوضة من البعض كالقطوع والخموش
من القطع والخمش ومعنى البعض القطع كالبضع والعضب ومنه بعض الشي لانه قطعة منه وهو
في الاصل صفة غلبت على هذا النوع • فما فوقها • عطف على بعوضة او على ما ان جعل اسماً
فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم • اما حرف التفصيل وفيه معنى الشرط ولذلك
يجاب بالفاء يفيد الكلام توكيداً تقول زيد ذاهب فاذا اكدت قلت اما زيد فذاهب ثم
بعد اما جملة جزائية حقها ان يصدر بالفا لولا دخول اما عليها فاخر الى الخبر لوجودها و
المبتدا سادا مسد الشرط المحذوف لفظاً ومعنى التفصيل في اما وتصدير الجملتين بها ان بين الفريقين
غاية البعد والتضاد في فضل الفريق الاول وتحقيقهم في علمهم واصابة نظرهم وهدايتهم

22

وسدادهم ونقص الفريق الثاني وعمههم في جهلهم وازاغة بصرهم وغوايتهم وزيغهم لو عناد هم
ومكابرتهم لانهم بين ان يتفطنوا لوجه التمثيل وحسنه وحقيقته وبين ان يجاحدوا ويكابروا كلا
الامرين وفيه بعد عن مقتضى الفطرة وسقوط عن درجة الانسانية وتجاف عن الصواب والسداد
وانهماك في الغي والفساد والحق هو الامر الثابت الصحيح في نفس الامر الذي لا يسوغ عند العقل
انكاره يقال حق الامر اذا ثبت • واما الذين كفروا فيقولون • انما قال في مقابلة قوله يعلمون
يقولون لدلالته على عدم العلم بابلغ الوجوه واكد البرهان فان صدور القول المذكور منهم
يدل على فرط الغباوة من عدم التفطن او مخالفة العلم بالمكابرة واهمال العمل بمقتضى العلم وجهل
ايضاً • ماذا اراد الله بهذا مثلاً • يحتمل ان تكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته
والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسماً واحداً بمعنى اي شي منصوب المحل على المفعولية مثل ما
اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع
النفس وميلها الى الشي وهو نقيض الكراهة التي هي النفرة وارادة الله تعالى ليست بصفة زائدة على ذاته
كارادتنا بل هي عين حكمته التي تخصص وقوع الفعل على وجه دون وجه وحكمته عين علمه المقتضي لنظام
الاشيا على الوجه الاصلح والترتيب الاكمل وانضمامها مع القدرة هو الاختيار وفي لفظ هذا استحقار
واستحقار كما في قول عايشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو بن العاص رضي يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلاً نصب
على الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية او على التمييز كما في قولك لمن اجاب بجواب ضعيف ماذا اردت
بهذا جواباً • يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً • بيان للجملتين المصدرتين باما وتقرير لان العلم بكونه
حقاً من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نوراً الى نورهم والجهل به واستنكاره من باب الضلال
والفسق الذي ازداد به الجهلة ظلمة الى ظلمتهم وفيه تسجيل على الفريقين بهداية المحقين ورشدهم
وضلالة المنكرين وفسقهم وكون كلاهما موصوفاً بالكثرة في انفسهم لا بالقياس الى الاخر والصالحين
بالعدد والمهتدين بالقدر والحقيقة كما قال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا
فان المهتدين اقل من الضالين بالعدد ولهذا قدم يضل به كثيراً واما احتمال كونه جواباً لما في ماذا
اي ان المراد اضلال كثير وهداية كثير او اراد اضلال كثير فيأباه قوله مثلاً فان التمثيل لا يناسبه يراد
به الاضلال قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون • وما يضل به الا الفاسقين •
الفسق لغة هو الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقاً عن قصدها جوائراً ويستعمل في مجرد الخروج
ومنه فسقت الرطبة عن قشرها وشرعاً هو الخروج عن امر الله تعالى بارتكاب الكبيرة والمراد بالفاسقين
ههنا الخارجون عن الايمان لدلالة ما يعطف عليه وقصر الخسران عليهم وترتيب الضلال على الفسق
يدل على كونه مسبباً عن الفسق • الذين ينقضون عهد الله • منصوب المحل صفة للفاسقين للذم

او مثل اخبره اولئك هم الخاسرون ويكون بيانا للفاسقين وتسجيلا عليهم بالخسران والنقض
الفسخ وفك التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في العهد من باب الاستعارة بالكناية بايراد
صفة المستعار منه دون ايراده لتنبيه بالرمز على ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين
وعلى هذا لا يلزم ان يكون النقض مستعملا في معنى الابطال منقولا عن معناه الاصلي كما ان استعارة
الاسد للشجاع واستعارة البحر للعالم بطريق الكناية لا يلزمها خروج الافتراس والاغتراف
عن معناهما الاصليين بل نقول مقتضى تلك الاستعارة ان يكون ما به الكناية باقيا في معناها
الاصلي حتى يكون من خواص المستعار منه حقيقة والعهد الموثق ولهذا قال في الوصية عهد اليه كذا اذا وصى
به ووثقه عليه ووضعه لما يحفظ ويراعى ويتعهد كالوصية والشرط واليمين ويقال للدار التي تراعى والتاريخ
الذي يحفظ عهد وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على جميع ما يجب فيه
في الايمان وعلى هذا أول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول الله
المصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولا يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب • من بعد ميثاقه • الميثاق ما وثق به العهد من القبول والالتزام والحلف وامثاله مفعال
من الوثاقة والاصل في مفعال ان يكون صفة كمعطار او آلة كمحراب وقال ابن عطية اسم بمعنى المصدر ولا يعلم مفعالا
جاء مصدرا ولا عدوه في ابنيته والضمير عائد على العهد ان عني به ما وثق به العهد وعلى الله وعليه ان عني به اسم المصدر
• ويقطعون ما امر الله به ان يوصل • يحتمل كل قطيعة لكن الظاهر ان توصيف الفاسقين بانهم يضيعون حق خلق
الله بعد توصيفهم بانهم يضيعون حق الله تعالى بنقض عهده وتضييع حق خلقه بتقطيع ارحامهم والامر طلب الفعل ممن هو
دونك وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر كان الداعي الذي يدعو اليه ويبعث عليه
آمر به فهو مأمور به كما سمي شأنا والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده وان
يوصل مخفوض المحل بدل من الضمير في به بدل الاشتمال وعلى تقدير اللام • ويفسدون في الارض • بقطع الزرع
والنسل وتهييج الحروب والفتن واحداث الهرج والمرج ولذلك قصر في قوله • اولئك هم الخاسرون • الخسران عليهم
بخروجهم عن مقتضى الفطرة واستبدالهم الجهل بالنور الفطري والغواية بالهداية الاصلية التي هي نور العقل
والنقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب • كيف تكفرون • كيف للاستفهام
عن الحال والمراد الانكار والاستبعاد والتعجب وليس فيه معنى الاخبار ولا يلزم الجمع بين المعنى الحقيقي والمجازي
ولما علم امتناع وقوع الشيء على غير حال من الاحوال كان انكار حال ما من احوال الكفر انكار تحقق الكفر على الطريق
البرهاني فيكون من باب الكناية بنفي اللازم عن نفي الملزوم فيفيد كون الكفر بالله مع العلم بالحال الذي ذكرها
كالمستحيل في نفسه لقوة الدليل الموجب للايمان فانها آيات بينات ولهذا كان الاستفهام الانكاري بالهمزة وحمل الكفر
على معنى الكفران المقابل للشكر باباه التعدي في قوله • بالله • لانه يقال كفر بالمنعم وبالنعمة بل يقال كفر المنعم والنعمة ولان بعض

ما ذكر ليس من النعم كما لا يخفى والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم
على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك • وكنتم امواتا •
اي اجساما لا حياة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا والاموات جمع ميت كالاقيال جمع قيل واطلاقه قوله
على تلك الاجسام من قبيل اطلاق المقيد على المطلق مجازا كاطلاق المرسن على الانف وقيل بطريق
الاستعارة للاشتراك مع الاموات الحقيقية وهي التي زالت عنها الحيوة في عدم الروح والاحساس وفيه
نظر والواو للحال والمنصوب على الحال ليس فعلا واحدا بل جملة قوله كنتم الى قوله ترجعون وهي وان كانت
بعض اجزائها ماضيا وبعضها مستقبلا ولا يصح كونهما حالا حتى يكون فعلا مغايرا لوجود ما هو حال
عنه لكن مضمونها وما لكم المشهوده وتضمنتكم المعلوم منهن فيؤول معناها الى قوله كيف تكفرون في حال
علمكم بهذه القصة • فاحياكم • بنفخ الارواح فيكم واما خلق الارواح فلا دليل على تأخره عما
ذكر بل الظاهر من بعض الاحاديث تقدمه عليه والعطف باداة التعقيب لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ
عنه بخلاف البواقي • ثم يميتكم • عند انقضاء آجالكم • ثم يحييكم • بالنشور يوم ينفخ في الصور
او للسؤال في القبور ادلا ينبأ سببا التنزيل منزلة البديهي في الظهور • ثم اليه ترجعون • بعد الحشر
فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب وهذه الامور بعضها معلوم بالضرورة وبعضها
لوضوح ادلته النقلية جعل كالمعلوم بالبديهة لقوة التمكن من العلم به • هو الذي خلق لكم ما في الارض •
لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الاول فظاهر واما الثاني فبالنظر فيه من عجائب الصنع
الدالة على الصانع القادر الحكيم بعجائب الحكمة والمصلحة في خلقه انتفاعكم وهذا لا ينافي التوقف في الانتفاع
به على الرخصة من جهة الشرع حتى يكون فيه دلالة على ان الاصل في الاشياء الاباحة ولا الاختصاص في البعض
بعضهم الطاري بسبب بعض العوارض حتى يحتاج الى انتقال ان الكل للكل على التوزيع فان المعتبر صلاحية
الانتفاع لا الانتفاع بالفعل وايراد الضمير مبتدأ او بناء الذي عليه دون ايقاع صفة به يفيد التخصيص
والتعظيم اي هو الخالق لما ذكر دون غيره والمراد من الارض الجهة السفلية فما في الارض يتناول الارض وما فيها
• جميعا • نصب على الحال مما في الارض وهو للمبالغة في التكثير لا للاستغراق كلفظ كل في قوله واتيناكم من
كل شيء وفي قوله كلي من كل الثمرات لان في الارض ما لا صلاحية فيه للانتفاع ولا هو في معرض الاعتبار
لكونه مستورا عن النظر • ثم استوى الى السماء • الاستواء الاعتدال والاستقامة من استوى العود اذا
قام واعتدل واستوى اليه قصد قصدا مستويا لا عوج فيه كالسهم المرسل من غير ميل الى غيره
وسواه عدله وقومه والاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء
ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى اليه بمعنى استولى عليه وملكه قال قد استوى
بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والتسوية المرتبة عليه والمراد من السماء هنا الاجرام العلوية

او جهات العلو. فسواهن سبع سموات. من ضمير مبهم فسره سبع سموات بالله وقيل راجع الى السماء
لانه في معنى الجنس وسبع سموات حال وقيل جمع سماءة والوجه الاول وقوله. وهو بكل شيء عليم. جملة اعتراضية
وثم للتفاوت بين الخلقين وبيان فضل خلق السما على الارض استعير من معنى التراخي لبعد خلق السما من خلق
الارض في الرتبة ولهذا عطف وتحقيقه بالابهام ثم التفسير ليفيد عظمة ورفعة في النفس ثم قوله
بالحالة الاعتراضية لافادة ان مثل ذلك الخلق لا يكون الا عن علم تام بالغ فوق كل ذي علم فمعنى انه مع خلق
هذه الاشيا البديعة العجيبة اقدم على خلق ما هو ابدع منها واعجب وابدع من الوهم والقياس من
غير ميل الى شي غيره فلا يدل على خلق تاخر السما عن الارض بالزمان بل على شدة تباينهما وتفاضلهما
واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة. اذ ظرف ينتصب باضمار اذكر فيكون عطفا على
قوله وبشر على الوجه الذي جعل عطف قصة على قصة وما تخلل ليس باجنبي بل من تمام القصة
واحسن منه لقربه ما ضمر وصحته على الاوجه ان يقدر نحو قدر او نحوه بعد قوله وهو بكل شي عليم
ويكون واذ ذكر عطف عليه ولما كان هذا من اجل النعم على نوع البشر وهو ادل الدليل على عناية البارئ
توبنا ان هذا النوع كان العطف عقيب تعداد النعم مناسبا كانه قيل تحمد بذلك واذكر هذه
النعمة خاصة فان فيها بلاغا لمن تذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا وحينئذ يتعين ان يكون عطف قصة على قصة
متقدمة من قوله كيف تكفرون او من قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا وقد سبق انها قصة واحدة
في المساق والغرض وانه بحسب مراعاة الخبر والطلب في هذا الضرب والملائكة جمع ملاك على الاصل
كالشمائل في جمع شمال والحاق التا لتانيث الجمع كما في الصياقلة جمع صيقل والخليفة فعيلة بمعنى
الفاعل من خلف غيره اذا قام مقامه والتا فيه للمبالغة وفي الارض خليفة كانا في الاصل مبتدا وخبر
انتصبا بمفعولي جاعل من جعل المتعدي الى مفعولين بمعنى صير والمعنى اني جاعل في الارض خليفة مني
اي من يخلفني ويقوم بامري في الارض وقيل منكم اي من يخلفكم ويسكن مكانكم لانهم كانوا قبل ادم سكان الارض
فخلفهم فيها ادم وذريته واستغنى بذكر ادم عن ذكر الذرية كما يستغنى بذكر ابي القبيلة نحو في قولك
مضر وهاشم او اريد به الجنس اي من يخلفكم وانما اخبرهم بذلك ليعرفوا اسم الله وجوابه حكمة الله تعالى
في قوله اني اعلم ما لا تعلمون اذ الملائكة تطلع على تفاصيل وجوده وخواص قواه من الافساد في الارض
وسفك الدماء المختصين بالقوى الشهوانية والغضبية ولا تطلع على خواص الهيئة الاجتماعية وعلى
خواص ما فوقها طواهرهم من المعارف في الاسرار الالهية او قاسوا الانس على الجن حين سكنوا الارض قبل
الملائكة فاستعانوا بها ولذلك استبعدوه وتعجبوا منه وليس فيه تعليم المشاورة لانه ليس بطريق
المشورة فقالوا الاعتبار لقوله اني جاعل في الارض خليفة على الاستشارة فان الاستشارة انما هي في
العلم من المستشار والله منزه عن ذلك وانما هو اعلام كاعلام بان كثيرا من الكائنات لمصلحة تما

ولا البشارة بوجود المجهول لانه انما يكون بالخبر السار والعيد المذكور مفقود ههنا على ما تبع
عنه قولهم ونحن نسبح الخ. قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء. لما كان قول الملائكة مع
عصمتهم ظاهره الاعتراض تاوله العلما على وجوه احسنها عندي انهم كانوا احق الخطاب
لهم مجملين وابليس مندرج في جملتهم فورد منهم الخطاب مجملا فلما انفصل ابليس عن جملتهم بابائه واستكباره
انفصل الجواب الى نوعين فنوع الاعتراض كان عن ابليس ونوع التقديس والتسبيح كان من الملائكة فانقسم
الجواب الى قسمين كانقسام الجنس اليهما وناسب كل جواب لمن ظهر عنه كان الظاهر المطابق للخطاب
السابق ان يقولوا اتجعل فيها خليفة من يفسد وانما عدلوا عنه الى ما ذكر صرفا للتعجب الى جعل
المفسد خليفة في الارض مع قطع النظر عن معنى الخلافة يعني ان وجودهم فيها محل استبعاد فاني كونهم
خليفة ويحتمل ان يكون القصد تجريدا للتعجب عن شوب التعصب فان في ذكرهم بوصف الخلافة تعرضا
لما هو مطمح نظرهم واما قصد الاستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي اهرت تلك المفاسد والاستخبار
عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسوال المتعلم معلمه فيا باه ما في توصيفهم انفسهم بالتسبيح والتقديس
من التعريض وما في قوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون من علم البيان لما اشتبه عليهم لا يناسبه ومن
يفسد احد مفعولي تجعل والثاني فيها وانما قدم للاهتمام وفي تكريرها تنبيها على ان ما كان محلا
للعبادة لا يناسب ان يكون محلا للفساد والسفك والسبك والسفح والسن والشن انصب متقاربة وبينها
فروق فالصب اعم من هذه الالفاظ والسفح تقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح
في الدم من اعلى والشن والسن للصب عن القرب ونحوها. ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. الواو في
ونحن للحال كما تقول تحسن الى فلان ونحن وانا احق منه بالاحسان فقوله بحمدك في محل الحال اي ملتبسين
بحمدك بمعنى حامدين لك والتسبيح تنزيه الله تعالى من النقص والسوء قولا واعتقادا واصله من السبح وهو
سرعة الذهاب في الماء واستعير لمر النجوم في الفلك ومجرى الفرس وقال تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا
اي سعة ذهاب وسبحته عن كذا اي نزهته والتقديس التطهير من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد
ثم استعمل في التطهير لان مطهر الشي مبعد عن الاقذار ومعنى نقدس لك نقدسك واللام مزيدة
وقيل نقدس نفوسنا لاجلك كانهم قابلوا الفساد بالتسبيح وسفك الدماء بتطهير النفس وليس ذلك
اظهارا للمنة بل هو على حسب ما يقول المجتهد بحيث لا يفوض صاحب اليد خدمة ما فيقول انا من الخدمة
بمن عبر اما محدثها او على ذلك قولهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون. قال. تعالى جوابهم
اني اعلم ما لا تعلمون. لم يصرح ولم يصرح ههنا ليريهم فضيلة الانسان مما اختصوا به من العلم والعمل
اللذين تقصر الملائكة عنهما عيانا ومشاهدة وانما ابهم بيان استحقاقه فيه ليعرفوا بالعبودية ويعترفوا
ان لدى آدم علما هم عنه محجوبون وكفى العباد بذلك ليزدادوا تعظيما له ويتبينوا نقصهم وكماله

ثم بين لهم بعضه فيما بعد ليعظم عندهم وقعه فيرجعوا او ليبلوا او يعترفوا بنقصهم ونقلين شكا يهم
منا جملة محذوفة يتم بها المعنى ويصح بها العطف تقدير ها لجعل في الارض خليفة وسماه ادم فالوا المذكورة
فيصححه ﴿وعلم ادم الاسما كلها﴾ التعليم حقيقة فعل يترتب عليه العلم ولا يتخلف عنه وقد يطلق مجازا
على القاء مقدمات العلم وهو الذي يترتب عليه العلم غالبا وقد يتخلف عنه وهو المراد في قولهم علمته فلم يتعلم
ومعنى تعليم الاسماء انه اراه اجناس المخلوقات ثم بين ان هذا اسمه فرس وان هذا اسمه بقر على ان المراد
من الاسماء الالفاظ الموضوعة للمعاني مفردة كانت او مركبة مخبرا عنها او خبرا او رابطة بينهما
او بين ان هذا المركوب وهذا المحرث على ان المراد منها سمات الاشيا وخصايصها ولا علم لنا بطريق
تعليمه ادم الاسما واعلم انهم بعدما اتفقوا على ان دلالة الالفاظ وضعية اختلفوا في تعيين الواضع
فذهب قوم الى انه هو الله تعالى ويسمى هذا المذهب مذهب التوقيف وذهب بعضهم الى انه هو الناس ويسمى
هذا المذهب مذهب الاصطلاح وبعضهم الى التوزيع اي بعضه توقيفي وبعضه اصطلاحي وبعضه الى التوقف
فان كان النزاع في الظهور لا في القطع فالظاهر من الاية المذكورة هو الاول وعلى المذهب الثاني لا يلزم من
الحاجة الى سابقة اصطلاح التسلسل ويجوز ان يعرف العقلاء المحتاج اليه في الاصطلاح بالترديد
والقراين كما يعرف الاطفال والله اعلم بحقيقة الحال وادم وزنه فاعل كازر وعازر وسالح وفالخ
ان كان عجميا وافعل على انه مشتق من اديم الارض ان كان عربيا قال الجواليقي في المعرب اسما الانبياء
كلها اعجمية الا اربعة اسما وهي ادم وصالح وشعيب ومحمد عم وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنه انه
قال انما سمي ادم لانه خلق من اديم الارض اخرجه ابن جرير وابن ابي غانم والحاكم وصححه البيهقي في الاسما
والصفات وورد مثله عن علي رض وابن مسعود رض اخرجه ابن جرير واديم الارض ظاهر وجهها ه
وقرئ علم على البنا للمفعول ورفع ادم ومنع الصرف للعلمية والعجمة او وزن الفعل ﴿ثم عرضهم على
الملائكة﴾ الضمير للمسميات المدلول عليها كما في قوله تعالى وان كان الالف واللام في الاسما
للجنس او العقد ان كان التعريف للام عوضا عن التعريف بالمضاف اليه على ان المراد اسما المسميات
كما في قوله تعالى واشتعل الراس وانما ذكر الضمير للتغليب فان في المسميات العقلا ولفظة ثم للدلالة على
تاخير العرض عن التعليم وذلك ليتحقق ويظهر فضل ادم وحجة احقيته للخلافة وقت قوله
تعالى ان كنتم صادقين فانه يدل على انهم غير صادقين في زعمهم انهم احق بالخلافة وذلك بثبوت
فضل ادم في ذلك الوقت ﴿فقال انبئوني باسماء هولاء ان كنتم صادقين﴾ الانبا اخبار فيه
اعلام ولذلك اجري مجرى كل واحد منهما فقيل انباته بكذا كقولك اخبرته بكذا وانباته
كذا كقولك اعلمته كذا ولما كان المراد هنا معنى الاخبار قال باسماء ثم انه لا يقال لنبا الا لخبر فيه
خطر ففي عبارة الانبا تعظيم لشان علم الاسما وانما استنباهم للتبكيت والرد عليهم فيما اظهروا

25

من عدم استحقاقه للخلافة وما ابطنوا من او لويتهم بذلك التكليف لا لانه من باب التكليف بالمحال
لانه معلق لان التعليق المذكور لا يناسب التكليف وجواب الشرط في ان كنتم محذوف دل عليه انبئوني فان
قيل الصدق انما يتعلق بالخبر وهم مستخبرون لا مخبرون فكيف يصدقون او يكذبون قلنا الصدق
والكذب وان كانا لا يتعلقان بالاستخبار بالقصد الاول لكن يتعلقان بالقصد الثاني من حيث المنطوق فقد يتعلقان به بالقصد
الثاني من حيث المفهوم وذلك اذا كان الاستخبار على وجه يفهم منه معنى الخبر وقد نبهت فيما تقدم
ان الامر فيما نحن فيه كذلك فان مساق كلامهم لما كان كاشفا عن زعمهم انهم احقا بالخلافة كان استخبارهم
متضمنا لمعنى الخبر فان قلت اليس زعمهم المذكور فاسدا متضمنا لتجويزهم صدور ما يخالف الحكمة عن
الله تعالى وشان الملائكة اعلى من ذلك لانهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
قلنا الان قوي الاشكال وقد قدمنا الاشارة الى وجه الانحلال بارجاع الزعم المذكور الى ابليس
والله اعلم ﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيه منهم له تعالى عن فعل ما لا مصلحة فيه ولا حكمة اي نبعدك عن
فعل ما يمكن ان يكون اصلح منه واما الاشعار بان سوالهم كان استفسارا محضا فلا يناسب المقام
لما فيه من التلبيس ولانه مردود بقوله تعالى ان كنتم صادقين على ما نقف عليه باذن الله تعالى وسبحان
من المصادر اللازم حذف فعلها سماعا وهو علم التسبيح يجري ذكره مجرى ذكر الفعل اي نسبحك
تسبيحا ﴿لا علم لنا الا ما علمتنا﴾ اعتراف منهم بالنقص لزوم الحد اي لا يمكننا الاكتساب والترقي
ولما كان قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا من باب الشكر افادت الاية ان العبد ما ينبغي له ان يغفل عن نقصانه
وعن فضل الله تعالى واحسانه وفي وجه هذا الجواب من الحسن ما يبهر الالباب بحيث قدموا بين يديه
تنزيه الله تعالى ثم اعترفوا بالجهل ثم نسبوا العلم له واردفوا صفة العلم بصفة الحكمة اذ بان لهم
وصف الحكمة في قوله اني جاعل في الارض خليفة وقدموا وصف العلم لان الذي ظهرت به المزية
لادم هو العلم ولان الحكمة من اثاره ﴿انك انت العليم الحكيم﴾ سلب للعلم والحكمة عن انفسهم بقصرها عليه
وانما قصروها عليه بتوسيط الضمير وايراد اللام وصدروا الجملة بان التوكيدية للشكر الرافع
والانكار لايهام كلامهم بان استخلاف ادم على خلاف مقتضى العلم والحكمة ودعواهم العلم لانفسهم وشكهم
في استحقاقه وانكارهم المزية عليهم فرجعوا عن ذلك واقروا بان ماهية العلم والحكمة مخصوصة
به دونهم دون غيره وانه محقق عندهم والحكيم فعيل بمعنى مفعل اي محكم لمبدعاته وذلك
لانه لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة ﴿قال يا ادم انبئهم باسمائهم﴾ ناداه باسمه العلم وكذا سائر
الانبيا وهو خطاب تعريف ونادى محمدا عم بيا ايها النبي ويا ايها الرسول وهو خطاب تشريف
فانظر تفاوتها بين الندائين وقال انبئهم فجعل من اعترضوا به معلم لهم ومنبيهم بما تقاصرت
علومهم عنه ليظهر بذلك فضله عليهم ﴿فلما انباهم باسمائهم﴾ بين هذه الجملة والتي قبلها

جملة محذوفة تقديرها فانباهم فالفا المذكورة فصيحة اى اخبرهم بها وعلموا فضله وظهر عجزهم
قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ انكار داخل على النفي فيفيد التقرير لان نفي النفي اثبات إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
استحضار لقولهم اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه البسط ليكون كالحجة عليه واضافة غيب بمعنى في
كضرب اليوم اى ما غاب في السموات والارض والغيب هنا ما خفي عنهم فيهما وفي الاصل ما غاب عن الحس اي
الغايب المقابل للشهادة بمعنى الشاهد وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ عطف على الم اقل لا على
اعلم لانه ما كان مقولا لهم في قوله انى اعلم ما لا تعلمون فهو مقول لذلك ويجوز ان يكون واو الحال
والمراد بما تبدون ما صدر عنهم من التضرع والتلويح فينتظم ما تعرضوا له بطريق التعريض وبما تكتمون
ما اسره ابليس من الكبر والعصيان فهو قبيل خطاب الجميع بفعل الواحد منهم كما في قوله تعالى فعقروها
واعلم ان هذه الاية دالة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة
فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاشتهاره فيمن يحترف بالتعليم
وان لم يكن مختصا به كما يفصح عنه تلقيب الفارابي بالمعلم الثاني وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ نظمه بما قبله
من جنايتي اول هذه الاية كشف على ما اجمل في ختم تلك الاية بما نسب اليهم من كتمان ابليس من الكبر والعصيان
واذ هذه عطف على التي قبلها ان نصبتها باضمار اذكر وان نصبتها بقالوا فهي منصوبة باذكر مقدرة
والواو عاطفة الجملة على الجملة ولكذا ان تقول ان العامل محذوف تقديره انقادوا فسجدوا لان
السجود كان ناشئا عن الانقياد وفي قلنا خروج عن الضمير المتكلم المفرد الى ضمير الجميع لان التعظيم من حيث
انه ادعى لامتثال الامر من غير بطوء يناسب المقام اسْجُدُوا لِآدَمَ فيه ايجاز ونقل للامر التعليقي الى صورة
التنجيز اعتبار الحاصل على ما دل عليه قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فانه
صريح في ان الامر بالسجود كان قبل تسوية خلق ادم عم فلما لم يكن امرهم بالسجود مرتبا على انبائهم
بالاسما بل على ظهور شان نفخ الروح في قالب ادم عليه السلام لم يصح ان يكون ذلك اعترافا بفضله
واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه قال ابو عمرو يقال سجد اذا طاطا راسه وانحنى فالسجود التطامن
مع خفض الراس وبه يفارق الركوع واما التذلل فاعتباره في مفهومه عرفي دون اللغوي قد جاء
في المثل اسجد لقرد السوء في زمانه وليس في سجوده تذلل الا في الشرع وضع الجبهة على الارض ولا يلزم ان يكون على قصد
العبادة فان صلوة المرائي صلاة حقيقة وليست على قصد العبادة والسجود المامور كان على سبيل التكرمة
كسجود اخوة يوسف عم له وكون السجود دستورا على ان يكون ادم عم قبلة يرده قوله تعالى حكاية عن ابليس
أأسجد لمن خلقت طينا لان الاعتراض بكونه طينا انما يتجه ان لو كان سجودا حقيقة لا قبلة للسجدة
كالكعبة شرفها الله تعالى قال الامام ابو منصور فيه دليل على ان الكتاب ينسخ بالسنة فان جواز السجود
لغير الله تعالى ثبت بقصة ادم عم ثم نسخ ذلك بالخبر قيل وهو بيان استغنائه عن عبادتهم اياه وانكاره

عليهم قولهم نحن نسبح بحمدك ونقدس لك يعني الهم لا حاجة لي الى عبادتكم وخدمتكم فاخدموا عبدا من عبادي
لم يخدمني كثير خدمة فَسَجَدُوا له عن ومهار اول من سجد جبرائيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل
ثم ساير الملايكة وكان ذلك لما نفخ فيه الروح من غير تاخير لقوله عز وجل فقعوا له ساجدين فان الفا
للتعقيب بلا تراخ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ استثنا متصل لا لانه من جنس الملائكة ولا ينافيه قوله
وكان من الجن لان صنفا منهم يطلق عليه الجن على ما دل عليه قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولا لانه كان
جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملايكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله للملائكة ثم استثنى منهم استثنا
واحدا منهم لما في قوله تعالى استكبرت ام كنت من العالين دلالة على ان ثنا ول الامر اياه بطريق الدلالة لان المعنى
امرك دابرين ان يكون ادنى من المامورين بالسجود فينا ولكنا الامر دلالة فيلزم الاستكبار او على منهم
فيكون في زمرة العالين الذين لم يتناولهم الامر بل لان تقدير الكلام فسجدوا والمامورون به تبعا الا ابليس
فانه امتنع عن السجود واستعظم نفسه ورفعها عن حيز المامورين تبعا وهذا ما قيل ان الجن ايضا كانوا
مامورين مع الملايكة الا انه استغنى بذكر الملايكة عن ذكرهم لانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل
لاحد علم ان الاصاغر ايضا مامورون به وليس مبنى هذا على ان يرجع الضمير في فسجدوا الى القبيلين لان
قوله فسجدوا هنا في موضع فسجد الملايكة في ايات اخر وامتنع ابليس من الصرف للعلمية والعجمة ومن جعله مشتقا
من الابلاس بمعنى الياس قال وشبه العجمة لكونه لم يسم به احد من العرب فصار خاصا بمن اطلقه الله تعالى عليه
فكانه دخيل في لسانهم وهو علم مرتجل والابا امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من شانه
والاستكبار طلب ذلك بالتشبع فهو من افعال القلوب وانما قدم الابا عليه وان كان اولا لان مفهوم الاستثنا
وهو عدم صدور السجود عنه ناش عن ابائه واباوه ناش عن استكباره فروعي هذا الترتيب واستونف
ابى لانه موضع سوال لاحتمال ان يكون ترك السجود لعذر دون استكبار لظهور ان الامتناع بالاختيار
عن امر فيه تذلل لا يكون الا عن استكبار وكان استكباره مسببا عن كفره الاصلي ولهذا ذيله بالجملة الاعتراضية
للتعليل وهو قوله وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ اى كان اصله من كفرة الجن فلذلك ارتكب المعصية على ما افصح عنه
قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه وقيل اى صار منهم باستقباحه امر الله تعالى ولو كان المعنى هذا لقيل فكان
من الكافرين وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ من السكنى اى اتخذها مسكنا ولهذا ذكر متعلقه بدون في لا من السكون بمعنى
ترك الحركة وان كان ذلك في الحقيقة راجعا الى السكون لانه نوع من اللبث والاستقرار أَنتَ وَزَوْجُكَ
معطوف على الضمير المستكن في اسكن المؤكد بانت ليصح العطف بالتاكيد لتصحيح الوصل على سبيل التغليب اشعارا
بدنو رتبتها وتبعيتها وكان ذلك توطئة للاكتفا بذكره في قوله فتاب عليه الْجَنَّةَ اللام للعهد والمعهود
دار الثواب لا غير وَكُلَا مِنْهَا عدل هنا عن اسلوب التغليب تنبيها على ان تبعيتها لزوجها في السكنى دون
الاكل رَغَدًا وصف للمصدر اى اكلا رغدا والرغد العيش الهنيء الذي لا عنا فيه وقال الليث الرغد

اذ يأكلا ما شاءا اذا شاء حيث شاء. حيث شئتما. حيث للمكان المبهم اى اى مكان من الجنة شئتما وعمل حيث مضافا
الى الجملة النصب على الظرفية علقه بالاكل مع ظهور تعلقه بالسكنى لان اباحة الاكل من اى مكان كان وفى اى وقت
كان مستلزمة لاباحة السكنى فيه بحسب العادة بدون العكس وانما اطلق لهما الاكل من الجنة حيث شاءا ومتى اراد
مع سعتها وكثرة اشجارها ولم يتقيد بوقت ولا موضع ولا اكل مخصوص شئ دون شئ لئلا يبقى لهما عذر فى التناول
من شجرة واحدة منهى عنها بتلك المبالغة. ولا تقربا هذه الشجرة. نهى عن الاكل منها بطريق الكناية مبالغة
فلا نهى عن القرب منها وقد افصح عن هذا قوله ما نهاكما عن هذه الشجرة حيث اشار بما يشار به للقريب
ثم انه لم يقل عن القرب من هذه الشجرة والشجرة نعت او عطف بيان على هذه واختلفوا فى تعيينها وقال ابن جرير
والاولى ان لا تعين لان العلم بها علم لا ينفع والجهل بها جهل لا يضر ولكن ان تكون نفى التعيين بانها الكرمة كما
ذهب اليه بعضهم فائدة الاشارة الى ان الخمر ام الخبائث لانها اصلها هو الذى كان السبب فى الخروج من
الجنة اولا فيجب الاجتناب عنها لئلا يكون مانعا من العود فيها. فتكونا. مجزوم عطف على تقربا او منصوب
بتقدير ان جوابا للنهى والفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهى او الجواب له وفى جعله سببا للكون
المذكور مبالغة اخرى فى تاكيد النهى. من الظالمين. انفسهم بنقص حقوقها بالعصيان وحطها عن درجة
القرب والكرامات الى مهول الحرمان والهوان والظالم ابلغ من الذى ظلم ففيه ايضا مبالغة. فازلهما الشيطان
اى حملهما على الزلة والضمير فى عنها للشجرة اى بسببها وتحقيقه اصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه
مثلها فى قوله تعالى وما فعلته عن امرى قيل يجوز ان يكون الضمير للجنة اى اذهبهما عنها وابعدهما من زل اذا
ذهب يقال زل عن الشهر كذا اذا ذهب ويؤيد قراءة حمزة فازالهما اذ على هذه القراءة لا يكون الا للجنة
والفرق بينهما ان ازل من الزلل وهو عثور القدم وازال من الزوال وهو التنحية ويقوى هذه القراءة
انهما امرا بالثبات والاستقرار فى الجنة فناسب بعد ذلك ان يقال فازلهما الشيطان بالمعصية عن
المكان الذى امرا بالثبات فيه على وجه الطاعة وازلة له هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما من
الناصحين وهذا صريح فى ان القائه اليهما كان مشافهة لا على طريق الوسوسة وهو قول ابن عباس رض
وابن مسعود رض وجمهور العلماء واختلف فى كيفية توصله الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك
رجيم فقيل منع من الدخول على جهة التعزز تبعا للتكرمة كدخول الملائكة ولم يمنع من الدخول على جهة
الوسوسة ابتلاء لادم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما ويرده قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان
لان الوسوسة لا تجامع النداء وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما ورجح هذا الوجه بانهما يعرفانه انهما
ويعرفان ما عنده من العداوة والحسد فيستحيل فى العادة ان يقبلا قوله ويرده قوله تعالى الم
اقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين لانه صريح فى مباشرة الشيطان للازلال والله اعلم بحقيقته

الحال. فاخرجهما مما كانا فيه. من النعيم والكرامة والابهام للتعظيم اى مما لا يدخل تحت الوصف
او من الجنة ان خص الضمير فى عنها للشجرة والاسناد هنا وفيما تقدم مجازى لان الفاعل فى الحقيقة هو الله
تعالى والشيطان سبب عادى. وقلنا اهبطوا. هبط لازم ومتعد ومصدر المتعدى الهبط ومصدر
اللازم الهبوط وهو النزول من علو الى سفل والخطاب لادم وحواء لقوله تعالى فى موضع اخر قال اهبطا منها
جميعا والخطاب تكوينى على ما نقف عليه فلا مجال للتعدد فلا وجه لما قيل المراد هما وابليس وكذا لما قيل
هما المراد وذريتهما لان ما وضع لخطاب المشافهة لا ينتظم المعدوم حال الخطاب لا عبارة ولا دلالة
خلافا للحنابلة وانما جمع الضمير هنا رعاية لشانهما كما فى قوله وكنا لحكمهم شاهدين. بعضكم لبعض
عدو. جملة فى محل النصب بالحال استغنى بالضمير عن الواو اى متعادين والمعاداة فقدان الملاءمة
وذلك بين الرجل والمراة كثير فى الخلق والخلق حتى ان عامة ما يحمد من اخلاق الرجال يذم من المراة
وليس الامر تكليفيا حتى يلزم الاذن فى المعاداة بناء على ان الحال قيد والامر بالمقيد يتناول القيد
ولكم فى الارض مستقر. اما حال بربطها بالواو واما عطف عليها والمستقر اما موضع استقرار او
استقرار والقرار هو السكون عن برودة ولما كان من شان البرودة السكون ومن شان الحرارة الحركة قيل
فى الساكن برد وفى المتحرك اشتعل والتهب حتى يشبه السريع بنار متقدة والساكن بما جامد. ومتاع
الى حين. المتاع انتفاع ممتد الوقت ومنه قيل متعه الله بكذا والمراد بالحين وقت الموت اذ لا انتفاع
تمتع بعده وجعله ابتداء يوم القيمة من الموت تكلف مستغنى عنه وكذا جعل السكنى فى القبر تمتعا
فى الارض. فتلقى ادم من ربه كلمات. التلقى كالتلقف الا ان التلقى يقتضى استقبال الكلام وتصوره
والتلقف يقتضى الحذق فى تناوله والتلقف يقارب به لكن يقتضى الاحتيال فى التناول وصيغة
التفعل للتكلف اى تكلف فى لقائها بالجهد فى التقبل والتوجه وعلى قراءة النصب فى ادم والرفع
فى كلمات تكلفت الكلمات فى الوصول اليه لتكون تزكيه وتصفى قلبه بالتوبة منه تجوزا فى اسناد التلقى
الى الكلمات مجاز شبه تنزلها على التدرج بالتكلف فى النزول اليه وحاصل المعنى استقبلها
بالقبول والعمل به واستقبلته بالبلوغ والوصول اليه واختلف فى المراد بالكلمات واكثر المفسرين
على انها قولهما ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل غيره واصل
الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحد الحاستين السمع والبصر والكلام بحاسة البصر فكلمته جرحته
جراحة بان اثرها ذكره الراغب وتضمن البناء فى قوله فتلقى معنى التوبة قال. فتاب عليه. مضمنا
اياه معنى العطف اى فرجع متعطفا عليه بالقبول والرحمة بعد اعراضه والخبر عنه وحده لانه
هو المواجه بالامر والنهى وحواء تابعة له او طوى ذكرها كما طوى فى قوله وعصى ادم ربه فغوى وطى
ذكر النساء فى القران والحديث كثير. انه هو التواب. الرجاع على عباده بالمغفرة واصل التوبة الرجوع

وتوبة العبد رجوعه إلى ربه من ذنبه وتمامها من العبد بالندم على ما كان وترك الذنب الآن
والعزم على أن لا يعود إليه في مستأنف الزمان وفي المظالم لا بد مع ذلك من إرضاء الخصم • الرحيم
المبالغ في الرحمة يرحم التائب فيغفر حوبته ويقبل توبته • قلنا اهبطوا منها جميعا • كرر هذا لا
لأن الأول من الجنة إلى سماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض لأنه مردود بقوله ولكم في الأرض مستقر ولا خلاف
المقصود حينئذ دل الأول على أن هبوطهم إلى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني أشعر بأنهم
اهبطوا إلى التكليف لأن ما ذكر لا يقتضي التكرار فإن الدلالتين المذكورتين يمكن أن تجمعا بل لتعليق الجزا
في قوله • فإما يأتينكم مني هدى • ليدل على أن هذا الغضب مسبوق برحمته إلى رحمته ولهذا أورد إما المؤكد
الملازمة والتزموا لتقويتها زيادة النون في الشرط وإنما أورد كلمة الشك في إتيان الهدى محقق عند
نظرا إلى أنه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وفي هذا النظر إظهار لما فيه من جهة التفضل والإحسان فلذلك
حسن وجميعا حال في اللفظ تأكيد في المعنى كأنه اهبطوا أنتم أجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على
الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا • فمن تبع هداي • من شرطية ويجوز أن تكون موصولة و
إتيان الموصول في قسيميه ودخول الفاء على الجملة الخبرية جائز هنا جعل الهدى بمنزلة الإمام المتبع المقتدى
وفي إضافته إليه من التعظيم ما لا يكون لو أتى معرفا باللام وإن كان بسبيل ما يكون نكرة ثم يعاد وجواب
فإما يأتينكم فمن تبع • فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • أي فلا خوف عليهم من الضلالة في الدنيا ولا حزن
الشقاوة في العقبى قال تعالى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقدم انتفاء الخوف مع انتفاء الحزن لأن انتفاء الخوف
فيما هو آت أكثر من انتفاء الحزن على ما فات ولذلك أبرزت جملة مصدرة بالنكرة التي هي أدخل في باب النفي
وأبرزت الثانية مصدرة بالمعرفة وفيها إشارة إلى اختصاصهم بانتفاء الحزن وأن غيرهم يحزن ه
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا • عطف على من اتبع هداي إلى آخره قسيم له وهو أبلغ من قوله ومن
لم يتبع هداي وإن كان ظاهر التقسيم يقتضيه لأن نفي الشيء قد يكون لعدم القابلية في المحل فأبرز
القسيم في صورة ثبوتية مذيلة لهذا الاحتمال وإنما ذكر الصلتين ومعناهما واحد تقريرا لقبائحهم
وتكريرا لفضائحهم كما قال وأضل فرعون قومه وما هدى والآيات العلامات الدالة على وحدانية
الله تعالى وصفاته من الكتب المنزلة وغير ذلك وسميت آية القرآن بها لأنها علامة لانقطاع كلام عن كلام
وانفصاله عنه وقيل سميت آية لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة من الكلم كما يقال خرج القوم بآيتهم
أي بجماعتهم • أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون • لا اصطحاب اجتماع مع طول اللبث وأولئك مبتدأ
ويجوز أن يكون عطف بيان أو بدلا فيكون أصحاب خبرا عن الذين وهم فيها خبرا ثانيا أو تفسيرا ومتمسك
للحشوية في هذه القصة على عدم عصمة الأنبياء عم لأن مبناه على أن يكون آدم عم نبيا وأن يكون
النهي تكليفيا وأن لا تكون التوبة إلا عن معصية وواحد منها غير مسلم وأما ما قيل إنه أخطأ في اجتهاده

حينئذ ظن أن الإشارة إلى عين تلك الشجرة فأكل غيرها من ذلك النوع وكان الإشارة إلى النوع فرد
بقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الآية لأنه صريح في أنه كان الأكل في المنهي عنه • يا بني إسرائيل
انتظامه بختم قصة آدم عم أنه وعد متبع الهدى بالجنة وأوعد مخالفه بالنار وحثهم في هذه
الآية على الوفاء بعهده وهو الإيمان به والطاعة ليوفي بعهدهم وهو إدخال الجنة والخطاب لأولاد
يعقوب عم فإن إسرائيل لقبه ومعناه بالعبرانية صفوة الله وقيل عبد الله ولم ينصرف للعجمية
والعلمية وأصل بني بنين وهو جمع ابن سقطت نونه للإضافة والبنون تطلق على الذكور والإناث
من الأولاد إذا اجتمعوا والابن من البناء وهو وضع الشيء شبه الأب بالأس والابن بما بني عليه • اذكروا
نعمتي • أمر من الذكر الذي هو مضموم الذال وهو بالقلب خاصة فالمراد الحفظ الذي يضاد النسيان
أمر بذكر النعم وكان المقصود القيام بشكرها إيماء إلى أنها من النعم الجسام التي لا مانع للعاقل عن القيام
بشكرها إلا الغفلة عنها واختير تحريك الياء في نعمتي لأنه لقيها الألف واللام فلم يكن بد من إسقاطها أو تحريكها
وكان التحريك أولى لأنه أدل على الأصل وأشكل بما يلزم اللام في الاستئناف من فتح ألف الوصل وأما
الياء في قوله يا عبادي الذين أسرفوا أجود لأن من حق ياء الإضافة أن لا تثبت في النداء وإذا لم تثبت
فلا طريق إلى تحريكها • التي أنعمت عليكم • من السابقة واللاحقة الظاهرة والباطنة والنعم اسم للشيء المنعم
أضافها إلى ذاته أولا ثم أسندها إليه تعظيما لها ثم قيدها بهم هزا لهم وحثا لطباعهم المجبولة حبها
على القيام بشكرها وأما ما قيل لأن الإنسان غيور حسود بالطبع فإذا نظر إلى ما أنعم الله تعالى على غيره حمله الغيرة
والحسد على الكفران أو السخط فإنما يصلح وجها لعدم تقييدها بغيرهم وهو بمعزل عن هذا المقام لما عرفت
أن المطلوب القيام بشكرها لا مجرد الذكر • وأوفوا بعهدي • الوفاء مراعاة العهد والغدر تضييعه كما أن بالشكر
الإنجاز مراعاة الوعد والخلف تضييعه فالوفاء والإنجاز في الفعل كالصدق في القول والغدر والخلف
كالكذب فيه وأوفى أبلغ من وفى كما أن أسقى أبلغ من سقى والعهد هو حفظ الشيء ومراعاته حالا فحالا قال الخليل
أصله الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به وسمي الموثق عهدا للزوم مراعاته يضاف إلى المعاهد ه
والمعاهد وههنا أضيف إلى المفعول أي أوفوا بعهدي في أن لا تؤثروا على غيري • أوف بعهدكم • في
أن لا أمنع منكم خيري إيفاؤه تعالى بعهدهم هو ترتيبا لإنجاز ما وعدهم على ذلك وإنما سماه عهدا على سبيل
المقابلة أبرزه في صورة المشروط الملتزم به والجزم أوف على جواب الأمر وهو متضمن للأمر معنى الشرط
فالجزم أو بأن عن الشرط إذ حذفت جملة قولان ويجوز أن يكون إضافته في الأول إلى الفاعل أي أوفوا
بعهدي الذي قبلتم يوم الميثاق أوف بعهدكم الذي ضمنت لكم يوم الميثاق الثلاثة وقيل هو ما أخذ عليهم
من العهد في كتابهم بالإيمان برسولنا محمد عم قال الله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ه
لتبيننه للناس ولا تكتمونه • وإياي فارهبون • من باب الإضمار على شريطة التفسير كقولك زيدا رهبته

والفا لتقرير الشرط اى وايای ارهبوا ان كنتم راهبين شيئاً فارهبون وهو اوكد فى افادة التخصيص من
اياك نعبد لتكرار الرهبة مضمرة ومظهرة وايقاعها على المفعول مرتين مع التقدم فى الاولى واخراج الكلام
على الجملة الشرطية والرهبة خوف مع تحرز واضطراب وتضمنه الاحتراز اخبرت على الخوف لان المقام
الحث على التحرز عن نقض العهد وحذف اليا من فارهبون لدلالة الكسرة عليه وكون الفواصل كالقوافي
وآمنوا بما انزلت اى بالقران الذى انزلته على محمد عم مصدقا لما معكم من الكتب الالهية حيث نزل
حسبما نعت فيها حال او ذو الحال الضمير فى انزلت او الموصول ويحتمل ان يكون ما مصدرية والتقدير امنوا
بانزالى مصدقا لما معكم وفيه تنبيه على انه لا منافاة بين ما اتى به الانبيا من اصول العبادات واما الاختلاف
بينهم فى جزئيات الاحكام وفروعها كما ما يقتضيه مصلحة كل قوم وزمان فكل مصدق للاخر فيما
اتى به من حيث ان كليات شرايعهم متساوية وان فروعها حق بحسب الاضافة الى زمان كل واحد منهم وا
حتى لو كان موسى عم حيا لما وسعه الا اتباعى فليس وجه هذا بل كونه عم مبعوثا لكافة الناس فلا يسع من
فى زمنه كائنا من كان الا الاتباع بخلاف ساير الانبياء عم ولا تكونوا اول كافر به لا مفهوم هنا لقوله
اول فيكون قد ابيح لهم ثانيا او اخرا وانما ذكرت الاولية لانها افحش لما فيها من الابتدا بالكفر ولان المعنى لا
ايمة فى الكفر فيقتدى بكم اتباعكم فتكونوا حاملين لاوزارهم كما قال تع وليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة
ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم فلا بد من القيد المذكور لافادته واضيف الى مفرد لانه كان قبله جمع لان المفرد
اذا كان صفة جاز ان يطابق وان يفرد وقد جا ذلك فى قوله فاذا هم طعموا فالام طاعم واذا هم جاعوا
جياع افرد فى طاعم وطابق فى جياع وتناولها النحاة فقدر الفرا الام من طعم وقدر غيره الام فريق طاعم
والضمير فى به للمنزل او المنزل عليه ويجوز ان يكون لما معهم فان فيه نعته فالكفر به كفر لما يصدقه على
هذا ايضا لا يكون القيد المذكور على ظاهره لان مشركى العرب سبقوهم اليه هنا بحسب جليل النظر
واما الذى بحسب دقيقه فهو انما وحد الخبر عن ضمير الجمع لان حكمهم لتساندهم واتفاقهم على دين واحد
واتحادهم لذلك وللالفة فيما بينهم كان حكما واحدا فكانهم شخص واحد وعلى هذا ورد قوله تع فقولا
انا رسول رب العالمين واول افعل لا فعل له وزنه افعل واصلها وول او أوأل ولا تشتروا
باياتى ثمنا قليلا استعير الاشترا للاستبدال والثمن القليل هو الرياسة التى كانت لهم فى قومهم فاستبدلوا
بايات الله تع لانهم خافوا فواتها لو امنوا بمحمد عم وصدقوا به وما اقلها بالنسبة الى الحق الذى كان
كثيرا بالنسبة اليه قليل والهدى الذى كل كبير بالنسبة اليه حقير فكيف المتاع الدون اليسير ولا مفهوم
لقوله قليلا بل فيه التنبيه على خساسة انفسهم اذ يبذلون الشى العظيم فى تحصيل الشى الحقير وانما
اوثر الثمن على الشى مع انه ابلغ فى التحقير للتنبيه على ان الحظوظ الدنيوية وسايل لا مقاصد والنعى على
تعاكس نحو الحمو انهم حيث جعلوا المثمن ثمنا والثمن مثمنا وكلمة البا والاستعارة السابق ذكرها

وجه تقوية لهذا المعنى واياى فاتقون باتباع الحق والاعراض عن الباطل فصلت الاية الاولى
بالرهبة لان التحذير فيها عن الكفران نقض العهد وهما من المعاصى وهذه الاية بالاتقا وهو فرط الصيانة
لان التحذير هنا عن الكفر عقدا وعملا ولكنا نقول لما التقوى فوق الرهبة حيث ما خاطب العا
عالمهم ومقلدهم وحثهم على شكر النعمة التى يشتركون فيها بالرهبة التى هى مبادى التقوى وحيث ما خاطب
العلما منهم خاصة وحثهم على مراعاة اياته والتنبيه على ما ياتى به اولوا العزم من الرسل امرهم بالتقوى
التى هى منتهى الطاعة ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس والستر اخوان وضد الستر الكشف
وضد اللبس الايضاح واللباس ما واريت به جسدك وهو من جملة اشباه الخلط وقد تقدم الكلام
فى الحق فاما الباطل فما لا ثبات له عند الفحص عنه والحق بنا قضه وذلك عام فى الاعتقاد والمقال
والفعال والبا صلة معناها الالصاق اى لا تخلطوا الحق بالباطل بان تكتبوا فى التورية ما ليس منها
او للاستعانة اى لا تجعلوه ملتبسا بسبب الباطل الذى تكتبونه فلا نظر الى معنى الاختلاط
كما لا نظر فى الاول الى معنى الاشتباه وتكتموا الحق بان تقولوا ليس صفة محمد عم او هذا الحكم فى التورية
فليس المراد من الحق فى الموضعين شيئا واحدا وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهى بمعنى ولا تكتموا او منصوب
باضمار ان والواو بمعنى الجمع وحقيقته لا يكن منكم لبس الحق وكتمان الحق والقصد الى ان ينعى عليهم سوء
فعلهم الذى هو الجمع بين امرين كل منهما مستقل بالقبح ووجوب الانتها عنه ويجوز ان يكون المراد من
الحق فى الموضعين واحدا ويكون اعادة صريح الحق دون ضميره لانهم يكررون اسما الاجناس والاعلام
كثيرا ولا سيما اذا قصدوا التفخيم صرح به الامام المرزوقى والشيخ عبد القاهر وعلى ذلك ورد قوله
تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وقوله قل هو الله احد الله الصمد ويجوز ان يكون النهى عن الجمع لان
الخلط بالباطل قد يكون لترويج الحق واسماعه فان اسماع العوام محجوب عن الحق الصرف لانه فخلط الباطل
للحق به لئلا ينبو عنه طبع السامع ليس مما ينكر كل الانكار فان الضرر اليسير قد يتحمل للنفع الكبير ومثل
هذه الرخصة ترغيبا للمخاطب الى الاستماع من مقتضيات البلاغة وموجبات الخطابة الا ترى قوله تع
وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين كيف سرد فيه المقال على ابهام الحال واظهار التردد فيه توسعة
للابرة الاحتمال وفى مصحف ابن مسعود رض وتكتمون وهو فى موضع الرفع على حذف المبتدا اى وانتم تكتمون
وانتم تعلمون فى محل النصب بالحال اى فى حال علمكم بذلك وقبحه وانما قيد به لان الجاهل ربما يعذر
ويحمل عنه انه على هذا لكن الحذف للاختصار او رعاية للفاصلة ويجوز ان يكون اقتصارا اى وانتم من
ذوى العلم ولا يناسب من كان عالما ان يكتم الحق ويلبسه بالباطل ففيه تعييرهم بانهم يفعلون فعل الجهلا
وتذكير لما فيهم من صفة العلم وحث على العمل بمقتضاه وذلك ادخل فى قبول الحق واسماعه من التعريفات
الشديدة واقيموا الصلاة واتوا الزكوة التعريف فيها للعهد والاشارة الى الصلوة المعلومة

والزكوة المعهودة او للجنس كقولهم هو الرجل كان ما عدا صلوة المسلمين ليس بصلوة وكذا الزكوة لكونها غير مقبولين والزكوة من زكا الزرع اذا نمى فانها تثمر المال باستجلاب بركة الله تعالى امرهم بفروع الايمان بعد ما امرهم باصوله فيحتمل ان يكون الامر الثاني مشروطا بالامتثال بالاول فلا تكون الاية حجة على لكون الكفار مخاطبين بالفروع • واركعوا مع الراكعين • اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من فضيلة المشقة وفضيلة الانتظار وقد تقرر في موضعه ان من ادرك الامام في الركوع فقد ادرك فضيلة الجماعة والادراك فيما قبله ليس بشرط ولا عبرة للادراك فيما بعده وهذا هو السر في تخصيص الركوع بالذكر وايثار عبارة مع على عبارة في واما الاحتراز عن صلوة اليهود فلا حاجة اليه بعد ما اريد من الصلوة فيما تقدم صلاة المسلمين واصل الركوع الانحناء صاحب العين كل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الارض او لا تمس بعد ان يطأطئ رأسه فهو راكع • اتأمرون الناس بالبر • اعتراض والبر التوسع في افعال الخير واشتقاقه من البر الذي هو الفضاء الواسع ويتناول كل معروف • وتنسون انفسكم • وتتركونها من البر والنسيان يجيء بمعنى الترك ومنه النسي وما هو يسقط في منازل المرتحلين من رذال امتعتهم والهمزة للتقرير معناه ان الامر الذي ورد عليه الاستفهام مكشوف لا يمكن للمخاطب انكاره فلانه ملجئ الى الاقرار والتعجب من حالهم والتوبيخ على الجمع بين امر بالبر وتركه في حق انفسهم روي انها نزلت في احبار اليهود كانوا يامرون سرا من نصحوه ولا يتبعونه • وانتم تتلون الكتاب • يعني التورية تبكيت بالحجة كقوله وانتم تعلمون وفي عبارة التلاوة اشارة الى وضوح ما في التورية من النهي عن هذا الوصف الذميم بحيث يقف عليه كل من يتلوه من اهل اللسان والتلاوة اتباع اللفظ اللفظ سوا تدبر المعنى او لا وفي الاية التحريض على تقديم العمل على القول والوعيد على مخالفة القول العمل والنهي على من يعظ الغير ولا يعظ نفسه وكان المنكر تركهم انفسهم لا امرهم غيرهم بالمعروف لانه بدا التوبيخ به ايماء الى ان ذلك الترك بلغ في الشناعة غاية خرج ما يقارنه من الفعل المندوب الى معرض المستنكر وفيه من المبالغة في الانكار على سوء صنيعهم ما لا يخفى • افلا تعقلون • توبيخ عظيم بالهمزة وتوسيط الفاء اي اتعقلون ذلك فلا تعقلون كانهم مسلوبوا العقول فلا تفطنون القبح ما ترتكبون فتنتهون • والعقل اصله المنع الشديد ومنه عقل البعير لمنعه اياه من الشرود ومنه العقل للدية لانها تمنع ولي المقتول عن قتل الجاني وفي ايثار نفي العقل عن نفي العلم نوع تأييد لما قدمناه بمعنى ان المحتاج في ادراكه عند التلاوة انما هو العقل الجبلي لا لادراك المكتسب ولا دلالة فيه على ان قبح هذه الاشيا عقلي بل دلالة على انه شرعي حيث رتب التوبيخ على ما صدر عنهم بعد تلاوة الكتاب والفاء للعطف كان الاصل تقديمها لكن الهمزة لها صدر الكلام فتقدمت على الفاء وحكم الواو وثم في نحو اولم يسيروا اثم اذا ما وقع حكم الفاء • واستعينوا • اطلبوا المعونة في دفع المكاره وجلب المنافع فالاختصار

للتعميم • بالصبر • وهو حبس النفس على ما يكره وقدمنا الاستعانة بالصبر لتقدم تكاليف عظيمة يشق التزامها على من تولاها • والصلوة • كان رسول الله عم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وهي ارفع منزلة من الصبر لانها تجمع ضروبا من الصبر اذ هي حبس الحواس على العبادة وحبس الخواطر والافكار على الطاعة بل تنول اللهو والصبر تمهيد للامر بالصلوة فان مرجع الامر بينهما ان يصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب بدفع الوسواس ومراعاة الاداب ولهذا قال • وانها • خصها برد الضمير اليها دون الصبر ولولا ذكر الصبر تمهيدا لكان حق الصلوة ان يعاد فيها حرف الباء الدالة اعادتها على الاصالة والجملة اعتراضية وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر وعلى هذا رد الضمير الى الصلوة ليس بطريق التخصيص بل بطريق الاكتفاء بالاعم والاقدم كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها وقوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فان الكناية في احدهما رد الى الفضة لانها الاغلب والاعم وفي الاخرى الى التجارة لانها افضل واهم • لكبيرة • من كبر بمعنى عظم تمثيل وتصوير لمعنى ثقلها وكونها شاقة على غير الخاشعين لا من كبر بمعنى ثقل وشق حقيقة ومجاز • الا على الخاشعين • يعني لا تهون على احد الا على الخاشعين لانه استثناء مفرغ من كلام موجب فلا بد من تاويل النفي والخشوع هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع وفيه اشارة الى ان الصلاة التي تخف على غير الخاشع مسماة باسمها وليست هي في حكمها فان قيل هلا يلزم ان يكون ثواب غير الخاشع اكثر لما جاء في الخبر ان اكثر الاعمال ثوابا اشقها قلنا لا يلزم ذلك لان مفهوم الخبر ان الاعمال المتساوية في اشتمال الاركان والشرائط وسائر ما يجب رعايته فيها يستحب اكثرها ثوابا اشقها • الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم • لما كانت الملاقاة متعذرة الحمل على الحقيقة جعلت كناية عن رؤيته تعالى وهو الوجه فيما روي في الاخبار لقي الله تعالى وهو عليه غضبان والظن بمعنى العلم ويعضده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون ولا يصار الى التضمين الا عند قيام القرينة اللفظية وهي ذكر ما يتعلق بالمضمن وهو مفقود هنا وفي عبارة الظن اشارة الى انه يكفي في حصول الخشوع الذي يزول به ثقل الصلوة ادنى مراتب الاعتقاد بملاقاته تعالى وقيل الملاقاة ثوابه ويصح ان يكون الظن بمعنى التوقع لانه وان علم انه لا بد من ثواب لو عقاب لكن من اين يعلم ما يختم به عمله فلا بد من صرف الظن عن معنى العلم الى معنى التوقع اللازم له ويأباه قوله • وانهم اليه • الى مشهد حكمه يوم العرض والسؤال • راجعون • اذ لا يناسبه معنى التوقع وتقدير عامل اخر له خلاف الظاهر وانما ثقل على غيرهم لانهم لم يعتقدوا الجزا ولم يرجوا الثواب فكانت في حقهم مشقة خالصة ولم تثقل عليهم لانهم اعتقدوا القاء الجزاء وتوقعوا ما ادخر للصابرين على متاعبها فاوطابر عنه ونشاطوا انشراح صدر واستلذوا بها ومن ثمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة • يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم • تكرير تمهيدا للتذكير نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وذكر

تلك النعمة على الآباء الزام الشكر على الابنا لانهم يشرفون بشرفهم ولذلك قال وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ ولم يقل
فضلت اباكم والفضل بالزيادة في الخير والجملة في محل النصب معطوفة على ما تقدم اي اذكروا نعمتي عليكم واني فضلتكم
عَلَى الْعَالَمِينَ الظاهر هو الاستغراق وقد خرج الى ضمير النص بقوله واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ولا
حاجة الى الصرف الى الاستغراق العرفي بقرينة ان المتبادر من الموجود المعتبر في مفهوم العالم الموجود بالفعل
لعدم الدلالة فيه على التفضيل من كل جهة عموما ولا من جهة القرب والمكانة عند الله خصوصا ولذلك
لم يكن فيه متمسك لمن فضل البشر على الملك وَاتَّقُوا يَوْمًا يريد يوم القيمة وعظمه بالتنكير ثم بالتوصيف
والمقصود بيان كون ذلك معيارا للمخاوف بحيث لا يكون آنا من اناته خاليا عن الخوف وهذا يجعل نفس اليوم
مخوفا لا ما فيه لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا اي لا تقضي نفس ما من النفوس عن نفس اي نفس كانت ما من الحقوق
وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع المصدر اي قليلا من الجزاء وعلى لا تجزي من اجزأ عنه اذا اغنى عنه
لا يكون الا بمعنى شيئا من الاجزاء والجملة في محل النصب صفة ليوما والعائد محذوف اي لا تجزي فيه وهل الحذف
بتدريج ام حذف برمته ابتدا قولان وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ اية شفاعة كانت والضمير في منها
راجع الى النفس الثانية العاصية اي ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى الاولى اي
لا تجزي منها شيئا وان شفعت لها لا تقبل وقس على هذه وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ والعدل الفدية لانها تعادل
المفدى والشفاعة من الشفع كان الجاني كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه وضمير الجمع في
وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ يرجع الى ما دلت عليه النفس المنكرة في سياق النفي الدالة على العموم والتذكير بمعنى العباد
والاناسي والنصر اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر وانما عدل عن الجملة الفعلية المعطوفة
على اخواتها الى الاسمية للدلالة على الدوام الوضعي اي ولا هم ينصرون دائما ما داموا هم هم
وفيه ايماء الى انه ينصر غيرهم وانما قطع طمعهم الانقطاع الكلي لان اليهود كانوا يزعمون ان اباهم الانبيا
يشفعون لهم ولما كان الخطاب لليهود كان تقديره لا تجزي نفس ما منكم فلا دلالة فيه على ان الشفاعة عن
لا تقبل للعصاة مطلقا وكانه اريد بالاية نفي ان يرفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل
فانه اما ان يكون باعطاء شيء او مجانا فان كان الاول فاما ان يكون باداء ما كان عليه وهو الجزاء
او غيره وهو الفدية وان كان الثاني فاما ان يكون على سبيل اللطف وهو الشفاعة او على سبيل
القهر وهو النصرة انما عدل عن الترتيب الذي هو مقتضى هذا التقسيم اختيارا للاسلوب الترقي
كانه قيل النفس الاهلي غير قادرة على استخلاص صاحبتها بقضاء الواجبات وتدارك التبعات لانها
مشتغلة عنها بشانها كما افصح عنه قوله تعالى لكل امرئ يومئذ شان يغنيه ثم ان قدرت على سعي ما
مثل الشفاعة فلا يقبل منها وان زادت عليها بان يضم اليها الفدا فلا يؤخذ منها وان حاولت الخلاص
بالقهر والغلبة واني لها ذلك فلا يتمكن منه فالترقي من السعي الى السعي وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ اذ نصب

باذكروا والتنجية التخليص من مكروه وشدة ومثله الانجاء قيل نجيناكم القيناكم على نجوة من الارض وهي
ما ارتفع منه هذا هو الاصل ثم سمي كل فائز ناجيا فالناجي من خرج من ضيق الى سعة ومعناه خلصنا اباكم
وجعل ذلك نعمة عليهم لانهم نجوا بنجاتهم ومن عادة العرب هنا يقولون قتلناكم يوم عكاظ اي
قتل اباؤنا اباكم وقرى نجيتكم فوافق الضمير ضمير نعمتي وعطفها عليها كعطف جبرائيل وميكائيل
على الملائكة او تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم والتفصيل لا يلزم ان يكون
على وجه الاستيعاب بل قد يكتفى فيه بذكر المعظمات مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ اصل آل اهل لان تصغيره اهيل
فابدلت هاؤه الفا وخص بالاضافة الى اعلام الناطقين دون النكرات والامكنة والازمنة
والصناعات وفرعون علم شخص يسمى به كل من ملك العمالقة وهم جبابرة مصر وضعا ابتدائيا
دل على ذلك منع صرفه وجمعه بافراد كقيصر لملك الروم وكسرى لملك فارس ولشهرة العمالقة عنه
بالعتو اشتق منه تفرعن اذا عتا وتجبر وآله قومه المناسبون له وحقيقته الا اهله الذين يؤول
امرهم اليه في نسب او صحبة يَسُومُونَكُمْ حال من آل فرعون او استيناف حكاية حال والسوم اصله الذهاب
في ابتغاء الشيء فهو لفظ مفرد لمعنى مركب من الذهاب والابتغاء فاجري مجرى الذهاب في قولهم سامت
الابل فهي سائمة ومجرى الابتغاء في قولهم سمته كذا ومنه السوم في البيع سُوءَ الْعَذَابِ نصب على المفعول ل
ليسومونكم والسوء مصدر ساء اي قبح ومعنى سوء العذاب مع ان نفسه سيئ افحشه واقطعه يُذَبِّحُونَ
أَبْنَاءَكُمْ استيناف او حال من ضمير الفاعل في يسومونكم او بدل منه او معطوف عليه حذف منها حرف
العطف ويؤيده ثبوته في سورة ابراهيم عم وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ الاستحياء استفعال من الحيوة
يبقون بناتكم للخدمة سميت بما يؤول اليه امرهن ولما في صيغة الاستفعال من الدلالة على ان ابقاءهن
كان لمصلحتهم كان المذكور من جملة الشدائد وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ هو الاختبار ويكون بالشر ليصبروا فيكون
محنة وبالخير ليشكروا فيكون منحة وكلاهما محتمل هنا بحسب المشار اليه ان يكون مصدر انجيناكم
او مصدر يسومون او يذبحون او يستحيون والاول وفق بقوله مِنْ رَبِّكُمْ والثاني اليق باصل المقام فانه
لتعديد النعم والثاني الصق بمقام تفصيل المحن وانسب للتذييل بهذه الجملة الاعتراضية عَظِيمٌ صفة
بلاء وفيما ذكر من المبالغة والتاكيد بالاجمال والتفصيل والتسجيل بان الذبح اشد العنا بلغ واقطعه
ما لا يخفى ولهذا ذيله بالاعتراض تاكيدا وتقوية له وَإِذْ فَرَقْنَا الفرق والفلق كالفصل لكن الفلق لا يكون
الا بين جسمين والفرق يكون بينهما وفي المعاني وقرى فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط
وَالْبَاءُ في بِكُمُ للسببية اي بسببكم وبسبب انجائكم ولا يجوز ان يكون للملابسة اي ملتبسا بكم ولا للاستعانة
اي تسلكونه او تفرق بكم كما يتفرق الشيء بالسكين عند قطعه لان قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق صريح
في ان انفلاق البحر بعضه عن بعض وحصول المسالك كان بضرب العصا قبل اخذهم في السلوك فالتي في الفاء

الفصيحة في قوله فانفلق دلالة على عدم تراخي الانفلاق عن الضرب • البحر • هذا البحر كان قريبا
من مصر فرعون موسى عم يقال له اساف ويسمى اليوم بحر القلزم • فانجيناكم • من خطر عبور البحر ه
واخرجناكم من ضيق مسالكه الى سعة البر وهذه الفاء ايضا فصيحة • واغرقنا • غرق في الماء من حد
علم اي سببه فهو غرق اذا كان لم يمت بعد فاذا مات فهو غريق وجمعه الغرقى • آل فرعون • اتباعه
فهم اولى بالغرق واولى به فكان غرقه معلوما دلالة وفيما في العدول من الضمير الى المظهر من التنبيه
على ان السبب لذلك الحال كونهم اتباعه نوع تاييد لتلك الدلالة • وانتم تنظرون • تقلبون
ابصاركم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاه خطب او تنظرون ما يفعل باعدائكم فعلى الاول يكون
النظر بمعنى طلب الابصار وعلى الثاني بمعنى الانتظار روي انه تعالى امر موسى عم ان يسري ببني اسرائيل
فاتبعهم فرعون وجنوده مشرقين ولما تراءى الجمعان وهم على شاطئ البحر اوحى الله تعالى اليه ان اضرب
بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها حتى جاوزوا البحر ثم وصل اليه فرعون
وراءه متعلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين • واذ واعدنا موسى اربعين ليلة •
الوعد هو الترجية بالخير وعد الله تعالى موسى عم بعد هلاك فرعون ان ينزل عليه كتابا يتبعون
اليه ويتمسكون به وعين له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وانما عبر عنها بالليالي لانها
غرر الشهور وانتصاب اربعين على المفعول به اذ هي الموعودة على الاتساع المعهود بجعل الزمان يكون
شرط للموعود موعدا ولا يجوز نصبه على الظرفية لانه معد وقيل لزم انه يكون وقوع العامل في كل
فرد منها وليس كذلك وقرئ واعدنا وقال الزجاج هذا جيد لان الطاعة في القبول بمنزلة المطالبة
من الله تعالى ووعد من موسى عليه السلام فتقول موسى اسم اعجمي لا ينصرف للعجمة والتعريف وروي
ان القبط يقولون للماء مو وللشجر سا فلما وجد موسى في التابوت عند ماء وشجر سمي موسى
ثم اتخذتم العجل • اي اتخذتموه الها وحذف المفعول الثاني للعلم به ولسماجة ذكره وفيه
تقطيع لشانه حيث ترك تظهيرا اي جعلتموه لانفسكم معبودا او نسب الاتخاذ الى جميعهم وان كان
بعضهم لم يتخذه ولم يرض به لان القبيلة قد تذم وقد تمدح بما وقع من بعضها وفيه تنبيه
على زيادة القبح في ذلك الاتخاذ حتى خرج البريء مخرج الذام لمقارنته المباشر له والتعريف
في العجل للعهد والمعهود ما ذكر في قوله عجلا جسدا له خوار وثم للبعد بين مشاهدة النعم
المذكورة واتخاذ العجل معبودا الا ان معنى التراخي قد فهم من قوله من بعده الضمير لموسى عليه السلام
والمعنى بعد غيبته وهي بالمضي الى الطور • وانتم ظالمون • اخبار بان سجيتهم الظلم ويشد ذلك
هذا قوله تعالى في موضع اخر اتخذوه وكانوا ظالمين او الاتخاذ المذكور يدل على انهم مجسمة او حلولية
ثم عفونا • اي تجاوزنا • عنكم • حين تبتم فانظر انهم عوقبوا بالقتل على ما ياتي عن قريب

32

فما معنى العفو قلنا العفو قد يكون قبل العقوبة وقد يكون بعدها بخلاف الغفران فانه
لا يكون معه عقوبة البتة على ان العقوبة كانت لبعضهم واصل العفو المحو من عفت الريح الاثر اذا
اذهبته لا من عفا المنزل اذا درس فانه يتعدى ولا يتعدى وثم للبعد فان العفو بعد ارتكابهم ما هو
الموجب لاشد العذاب في غاية البعد وذلك في قوله • من بعد ذلك • لتعظيم الشرك اي عفونا عنكم
بعد ذلك الامر العظيم البعيد عن العفو • لعلكم تشكرون • نعمة العفو ومعنى الشكر في اللغة
عرفان الاحسان بالجنان ونشره باللسان وتفسير لعل بكي مردود بان جمهور ائمة اللغة اقتصروا
في بيان معناها الحقيقي على الترجي والاشفاق وعدم صلوحها لمجرد معنى العلية والعرضية بما وقع
عليه الاتفاق الا ترى تقول دخلت على المريض كي اعوده واخذت الماء كي اشربه ولا يصح لعل
وحملها على الارادة انما يصح على اصل الاعتزال واما على اصل اهل الحق فلا صحة له لان ارادته
تعالى يستلزم الوقوع عندهم ولم يقع فلا بد من الحمل على كونهم في صورة من يرجى منه الشكر وان
لم يتعلق بها الارادة • واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان • الواو بينهما هي التي تتوسط بين الصفات
المفيدة كون الموصوف جامعا لها اي الشيء الجامع بين كونه كتابا منزلا من عند الله تعالى وبين كونه
فرقانا يفرق بين الحق والباطل وهي التوراة وفي توصيفه بالكتاب في مقام المدح اشارة الى نزوله
من السماء مكتوبا وحمل الفرقان على النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كما في قوله تعالى يوم الفرقان يوم
بدر لا يناسبه قوله • لعلكم تهتدون • باتباع ذلك الكتاب المنزل والعمل بما فيه قال تعالى انا انزلنا
التورية فيها هدى ونور • واذ قال موسى لقومه • القوم اسم جمع لا واحد له من لفظه ويختص
بالرجال • يا قوم • المنادى اذا اضفته الى نفسك جاز فيه حذف الياء واثباتها كما في قوله تعالى يا عبادي
الذين اسرفوا وفتحها كما في قراءة من يفتح الياء والاجود الاكتفاء بالكسر • انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم
العجل • اي ضررتم انفسكم بايجاب العقوبة عليها او نقصتموها ثواب الاقامة على عهده فان الظلم
في اللغة النقص وفي العرف الضرر الخالي عن نفع يزيد عليه ودفع مضرة اعظم وظلم الانسان نفسه
اخس من ظلم غيرها • فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم • الفاء الاولى للسببية لان الظلم سبب التوبة
والثانية للتعقيب فان كانت توبتهم نفس القتل فقوله فاقتلوا تفسير وتفصيل لقوله فتوبوا والا احتيج
الى تقدير العزيمة وان كانت تتمة التوبة وسبب قبولها فمعناه توبوا فاتبعوا توبتكم القتل تتمة
لها والتعدية بالى لما في التوبة من معنى الرجوع وخص الباري بالذكر من بين اسمائه لان الباري هو
خلقهم بريا من التفاوت في النوع والتشابه في الشخص وذلك من عجيب حكمته وبديع قدرته فغيرهم
على تركهم من هذا شانه الى عبادة من هو مثل في الغباوة حتى عرضوا انفسهم لسخطه فناسب
خلقهم وجمع بنيتهم باللطف قتلهم وفك تركيبهم بالقهر حيث تعالى بلا والنفس ههنا هي جزء البنية

الانانية والقتل ازهاق الروح وحمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو الانجع اي قتل
احد نفسه ويجوز ان يكون على التجوز بجعل المقتول نفس القاتل لما بينهما من التعلق والاتحاد في
الاعتقاد وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا بالسيف وقيل من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة • ذلكم
خير لكم • اي ذلكم القتل او الرجوع انفع لكم من الحياة بالاصرار المؤدي الى العذاب المخلد في النار
ولما كان ظهور نفعه في الاخرة بالحيوة الابدية والبهجة السرمدية نبه عليه بقوله • عند بارئكم
واعادة بارئكم كاعادة الحق في قوله تع وبالحق انزلناه وبالحق نزل • فتاب عليكم • اخبار بالتوبة
وعطف على محذوف اي فامتثلتم ذلك فتاب عليكم وهاتان الجملتان مندرجتان تحت الاضافة
الى الظرف الذي تقدم والتفات من الغيبة الى الخطاب حيث عبر عنهم بطريق الغيبة بلفظ قومه
واما اندراجه تحت قول موسى عم على تقدير شرط محذوف اي ان فعلتم فقد فيه اذن دخول الفاء
الجزائية على الماضي المتصرف من غير قد غير جائز واضمارها ضعيف وحذف فعل الشرط واداته
معا وابقاء الجواب مما نوزع في صحته • انه هو التواب الرحيم • المبالغ في الوصف الاول لكثرة توفيقه
تع التوبة وقبولها مرة بعد اخرى والمبالغة في الوصف الثاني لعدم الاستعجال في امر العقوبة
والامهال الى زمان التوبة بدءا وعودا • واذ قلتم يا موسى • يعدد عليهم ما صدر عنهم من سوء
الاقتراح وفي ندائهم موسى كليم باسمه دليل على سوء ادبهم معه وقد تكرر ذلك منهم • لن نؤمن
لك • تعدية الايمان باللام باعتبار تضمينه معنى الوثوق وما قيل لاجل قولك اباه قوله
حتى نرى الله • لان عدم ايمانهم لاجل قوله لا ينتهي عنده غايته تع بل يستمر والرؤية بصرية
واكدت بقوله • جهرة • اي غير مستتر عنا بشيء مبالغة في الابصار وانتصب على المصدر لانها
نوع من الرؤية او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع
جاهر والاوجه هو ان يكون بمعنى جهرة لان كل اسم كان ثانيه من حروف الحلق يجوز تحريكه قياسا
مطردا كالبحر والبحر والنهر والنهر والاصل في القراءتين التوافق والجهر حقيقة في ظهور الشيء بافراط
صوتا كان او غيره والقائلون هم النقباء السبعون الذين خرج بهم موسى عم الى الطور وقيل قاله
عشرة الاف منهم والمؤمن به ان هذا كتاب الله تع وانك سمعت كلامه وانه امرنا بقبوله والعمل به
فاخذتكم الصاعقة • لا لاستحالة المسؤول بل لانهم لم يسألوا سؤال استرشاد بل سألوا سؤال
تعنت اساءوا الادب في السؤال حيث قالوا لن نؤمن لك والصاعقة كل امر هائل يميت او يزيل العقل
والفهم غالبا والمراد الصيحة الهائلة الحاصلة بالرجفة لقوله تع في سورة الاعراف فاخذتهم
الرجفة واصلها الاضطراب فخروا صعقين ميتين يوما وليلة • وانتم تنظرون • دل على
هذا على انها جاءتهم معاينة بالنهار وهم ناظرون اليها وذلك اقطع واشد وقعا • ثم بعثناكم

البعث

البعث اثارة البارك والنائم عن مكانه ونشر الميت كبعث النائم فالتقييد بقوله • من بعد موتكم
اي بسبب الصاعقة لتعيين المراد ودفع الاشتباه • لعلكم تشكرون • نعمة البعث او نعمة الهداية
بعد الضلالة • وظللنا عليكم الغمام • اي وجعلنا الغمام ظللا لكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب
يسير بسيرهم يظلهم من الشمس والظلة في اللغة الستر والغمام جمع غمامة وهي ههنا ما ابيض من السحاب
سمي بها لستره فان كل ما يستر شيئا فهو غمه • وانزلنا عليكم المن • هو الترنجبين وكان ينزل عليهم مثل
الثلج من طلوع الفجر الى غروب الشمس • والسلوى • هو السماني وكانت ريح الجنوب تحشره عليهم • كلوا •
على ارادة القول • من طيبات ما رزقناكم • من المشتهيات الخاليات عن الادواء والمضرات وعن الحرمة
والكراهة لان امر الاباحة لا يتناولهما • وما ظلمونا • عطف على مقدر اي فظلموا بكفرانهم هذه النعم وما
ظلمونا فالواو فصيحة ولما اخبر عن وقوع الظلم واتصل ضرره فاستدرك ببيانه فقال • ولكن كانوا
انفسهم يظلمون • فتقديم المفعول للتخصيص والجمع بين كان وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار
التجددي • واذ قلنا ادخلوا • الدخول الانتقال من العورة الى الحصن • هذه القرية • هو كقولك هذا
المال وذلك الرجل تنبيها على كمال الشيء اذا عظم امره يوصف باسم جنسه والقرية والابنية
التي هي مجتمع الناس من قولك قريت الماء في الحوض اي جمعته والمراد بالقرية ههنا بيت المقدس وقيل ايليا
وهي البلد التي فيها بيت المقدس وقيل اريحا وهي بقرب بيت المقدس امروا به بعد التيه وقد امروا
بالدخول في الارض المقدسة مرة اخرى وذلك الامر قبل التيه دل على ذلك ما في سورة المائدة من ترتيب
التيه على عدم امتثالهم لهذا الامر • فكلوا منها حيث شئتم • اي ابحنا لكم ووسعنا عليكم فعيشوا فيها
اين شئتم بلا تضييق ولا منع وذكر الاكل لانه معظم المقصود والفاء لافادة تسبب دخولهم للاكل منها لانه
كناية عن استيلائهم عليها وهو سبب الملك المعبر عنه بالاكل • رغدا • واسعا نعت لمصدر محذوف ويجوز
ان يكون في موضع الحال • وادخلوا الباب • يعني باب القرية قال مجاهد والسدي هو الباب الثامن
من بيت المقدس يعرف اليوم بباب حطة والامر على لسان يوشع بن نون عم فلا ينافي عدم دخولهم
بيت المقدس في حياة موسى عم • سجدا • امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله تع وتواضعا
وقيل امروا بالدخول بخشوع واخبات • وقولوا حطة • فعلة من الحط وهو انزال الشيء من علو وحط
الذنب اسقاطه وهو كالقاء الحمل عن الظهر وحط حطا وحط حطوطا لازم وهو خبر مبتدأ محذوف
اي مسألتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي
معنى الثبات وقرئ بالنصب على الاصل على انه مفعول لقولوا وقيل معناه امرنا حطة اي نحط
في هذه القرية ونقيم بها • نغفر لكم خطاياكم • جواب الامر مترتب على دخول الباب بقيد السجود
وقول حطة والغفر والغفران والمغفرة الستر ومنه الجماء الغفير للجمع الكثير الذي يستر بعضه بعضا

والخطايا جمع خطيئة بمعنى الاثم نيا لخطئ اذا أثم متعمدا او اخطأ اذا لم يتعمد • وسنزيد المحسنين •
ثوابا يعني من كان خاطئا غفرنا له خطاياه ومن كان محسنا زدنا في عطاياه • ففي الكلام جمع وتفريق
اما عدم انجزام سنزيد مع عطفه على مجزوم فلخروجه عن صورة الجواب بدخول السين المانعة عن
الانجزام ونكتة الاخراج الدلالة على انه يحصل بفعل البتة لان تلك الزيادة اذا كانت عن وعد
الله تعالى كانت قطعية مما اذا كانت مسببة عن فعلهم • فبدل الذين ظلموا • وضع المظهر موضع
المضمر ليدل على ان التبديل ظلم او مسبب عن ظلمهم وعادتهم في وضع الاشيا غير مواضعها وان المبدلين
بعضهم لا كلهم • قولا غير الذي قيل لهم • اي امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فبدلوا
به قولا معناه غيره وليس الغرض انهم امروا بلفظة معينة فجاؤا بغيرها لانهم لو قالوا مكان حطة
نستغفرك ونتوب اليك وما اشبه ذلك لم يؤاخذوا به ولم يعذبوا وقيل قالوا مكان حطة
حنطة استهزاء واعراضا عن طلب ما عند الله تعالى الى طلب ما اشتهت نفوسهم • فانزلنا على
الذين ظلموا • الاظهار في موضع الاضمار للتنصيص على عدم تعدي العذاب عن الذين ظلموا الى غيرهم
فان منه ما يتعدى الى غير الظالم على ما دل عليه قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
واما الاشعار بان الانزال عليهم بظلمهم المذكور فقد حصل من الفا الدالة على التسبب فيما تقدم
رجزا من السماء • عذابا في غاية الاشتداد خارجا عن حد المعتاد فان النسبة الى السماء للاشارة
الى هذا المعنى روي انه مات منهم بالطاعون في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا وقيل
سبعون الفا وههنا وجه آخر وهو ان العذاب ضربان ضرب يحصل بالاسباب الظاهرة فيظن
انه يمكن دفاعه كالهدم والغرق وضرب يحصل باسباب غير ظاهرة فلا يظن انه يمكن دفاعه
كالطاعون والصاعقة وقد شاع في متعارف الناس نسبة هذا الضرب الى السماء والرجز انما يطلق
على العذاب الموجب للاضطراب مبتغا لا رتجز اذا ارتعش • بما كانوا يفسقون • بسبب اعتيادهم
بالخروج عن الطاعة • واذ استسقى موسى لقومه • الاستسقا طلب السقي او الاسقا والسقي
ان يجعل له ما يشربه والاسقا التعريض للماء وجعله له ليتناوله متى اراد فهو اخص معنى من السقي
وقد دل ذلك على انهم عطشوا واشتد حاجتهم الى الماء وكان العطش والتظليل في التيه ودخول
القرية بعدها ولم يراع الترتيب في ذكرها لان المقصود تقرير النعم والتقريع على كفرانها
نعمة نعمة على التفصيل والتفريق دل على ذلك لانها لو وردت مرتبة كانت قصة واحدة فيظن ان المراد
ذكر نعمة واحدة • فقلنا اضرب بعصاك الحجر • كانت عصاه من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في
الظلمة واللام في الحجر للعهد على ما روي انه كان حجرا اهبطه آدم من الجنة فوقع الى شعيب
م فاعطاه مع العصا او حجر الطور او حجرا حمله معه او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل

ويراه

ويراه الله عصاه موسى من الادرة فاشار اليه جبرئيل عم بحمله او للجنس على ما قيل لم يامره الله ان يضرب
حجرا معينا ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجر بها حمل حجرا في مخلاته وهذا اظهر في الحجة
والاول انسب لتعريف غريبة قال ابن عطية لا خلاف انه كان حجرا منفصلا مربعا يطرد من كل جهة ثلاثة
عيون اذا ضربه موسى عم واذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون نعم يا كان توهم ان هذا من قبيل
ما يستند الى الطبايع من الخواص كجذب بعض الاحجار الحديد وحلق بعضها الشعر لانه لا يتبع الارادة
والحاجة والحق ان فتح باب امثال هذا التوجيه الباطل في خوارق العادات الصادرة عن الانبياء عم
سعي في سد طريق دلالة المعجزة على صدق النبوة • فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا • متعلق بمحذوف سد
يفصح عنه الفا الفصيحة تقديره فضرب فانفجرت ونكتة الحذف الدلالة على سرعة الامتثال وظهور
الاثر في الحال وعلى ان المقصود بالامر اثر الضرب لا الضرب بنفسه والاشارة الى ان ترتب الانفجار وان
كان في الظاهر على ضرب موسى عم لكنه في الحقيقة على امر الله تعالى به وبتعليقه عليه والانفجار الشق ومنه الفجر
لانه فتق وشق عصا المسلمين خروجه الى الفسق والعين الينبوع وهي مؤنثة سماعا ونصب على التمييز
وجاز اجتماع علامتي التانيث في اثنتا عشرة لانهما في شيئين • قد علم كل اناس • الاناس اسم
جمع لا واحد له من لفظه والمراد سبط من اسباط بني اسرائيل وكانوا على عدد العيون • مشربهم •
المشرب موضع الشرب والعلم بموضع الشرب كناية عن عدم التجاوز عنه كما يقال فلان يعرف حده اي
لا يتجاوز عنه ففي الكلام ايجاز بليغ حيث دل على سبق التعيين والتخصيص قيل كانوا ستمائة الف وسعة
العسكر اثني عشر ميلا • كلوا واشربوا • على تقدير القول قيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو
رزق يؤكل منه ويشرب ولا وجه له في هذا المقام لانهم في التيه ما كانوا يأكلون من زرع الماء وثمره
من رزق الله • من المن والسلوى وماء العيون من للابتداء او التبعيض والرزق المرزوق والاسناد الى الله
تعالى لعدم التوقف على الكسب العادي والا فالرزق كله مستند الى الله تعالى خلقا وايجادا • ولا
تعثوا في الارض مفسدين • لما كان تقدم تهيأ لهم الماكول والمشروب من غير تعب نهوا عن الفساد
اذ كان ذلك قد يدعو اليه كما قال الشاعر ان الشباب والفراغ والجدة • مفسدة للمرء اي مفسدة
والعثي على ما ذكر في العين اشد الفساد والفساد خروج عن ان يكون منتفعا به ورب ما لا يكون منهيا
بل يكون واجبا كهدم دور المشركين وحرق زروعهم ولذلك قيد بقصد الافساد المستفاد من قوله
مفسدين فان المفسد من باشر الفساد عمدا لا من صدر عنه الفساد مطلقا ولو سهوا او فائدة ما
في مفهوم العثي من الشدة الدلالة على ان اشد الفساد غير منهي فكيف الفساد في الجملة قال الراغب العثي صح
والعيث يتقاربان مثل جذب وجبذ الا ان العيث اكثر ما يقال فيما يدرك حسا والعثي فيما يدرك حكما
واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد • يعني ما رزقوا به في التيه قيل كان ينزل عليهم المن

وحده ثم سئموه فارسلت عليهم السلوى وكان هذا الكلام منهم قبل نزول السلوى وقيل اريد بالواحد ما لا يختلف
ولا يتبدل كالذي يأكل في التعدد فادع لنا ربك سله لنا بدعائك ايانا هو في معنى الربوبية التي هي مأخذ الرب
مناسبة للمقام يخرج لنا جزم على انه جواب فادع كانهم طلبوا لحصول ما طلبوه على سبيل خرق العادة
كنزول المن ولذلك قالوا يخرج اي يظهر ولم يقولوا ينبت وانما كرر لنا مع ان في الثاني منهما غنى عن الاول
اظهار الصلة الدعا النافع اهتماما في شانه مما تنبت الارض من للتبعيض والاثبات عمل طبيعة
الارض في تربية البذر ومادة النبات بتسخير الله تعالى اياها وتدبيره وذلك امر اخر وراء ايجاده
وايجاد اسبابه والعمل انما يسند حقيقة الى من باشره والى من خلقه واوجده فالمنبت والمولد والمصور
ونحو ذلك حقيقة المباشر باسباب هذه الاعمال الا الباري تعالى وانما نسب اليه كنسبة القتل والقطع
والكسر اليه لكونه الممكن منها من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع
الحال من الضمير تقديره مما تنبت كاينا من بقلها او بدل باعادة الجار والبقل كل ما يوكل من الطعام من الخضر
والفوم الحنطة عند الاكثر وقال مجاهد الفوم الخبز يقال فوموا لنا اي اختبزوا وقال الفراء هي لغة
قديمة وقيل الثوم ويدل له في قراءة وثومها عليه لان الثا يبدل من الفا كما قالوا مغافير مغاثير
وجدف وجدث ولو كان المراد الثوم لكان المناسب ان يذكر بعد العدس والقثا جمع قثاءة وهو نوع
اخر من جنس الخيار واختير صيغة الجمع هنا لفصاحتها واما معنى الجمع فقد بطل بالتعريف لعدم مناسبة
المقام قيل كان القوم فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه قال اي الله تعالى او موسى عم اي
دعا فاجابه الله تعالى فقال الله تعالى او موسى باذنه اتستبدلون الذي هو ادنى اتطلبون تبديل
الذي هو ادنى والمنصوب هو الحاصل والذي يدخل عليه الباء هو الزايل وادنى افعل تفضيل من الدنو
المستعار من القرب المكاني للخسة كالبعد المستعار للشرف والرفعة او من الدون وهو الردي فقلب
او اصله ادنا فسهلت همزته بابدالها الفا من الدناة وقد قرى بالهمزة بالذي هو خير المن
والسلوى وانما كان خيرا لحصوله بلا تعب ووصوله من جهة الرب تشريفا وخلوصه عن شبهة الخطر
وكونه ذي خطر بخلاف البقول اهبطوا مصرا انحدروا فان القادم على قطر كانه منصب عليه والمصر
البلد العظيم اي انزلوا بعض الامصار ان كنتم تريدون هذه الاشيا ويحتمل ان يريد العلم اعني مصر فرعون
وصرفه لعدم سبب اخر او على ارادة البلد او لسكون وسطه ويويده انه غير منون في مصحف ابي رض
وقراة ابن مسعود رض وقيل اصله مصرايم فعرب ولصرفه وجه اخر وهو انه لا اعتداد بالعجمة
لوجوب التعريب والتصرف فان لكم ما سألتم لما كان هذا في قوة قوله فوجدوا ما سالوه عطف
وضربت عليهم الذلة والمسكنة وفي الجمع بينهما اشارة الى ان الذلة والمسكنة من روادفها اللازمة
من الزراعة والحراثة وقد جا في الخبر والذلة في اذناب البقر والكلام كناية عن كونهم اذلا متصاغرين

مبناها

مبناها على الاستعارة اما في الذلة تشبيها لها بالقبة فهي مكنية واثبات الضرب تخييلية واما في الفعل
اعني ضربت تشبيها لالصاق الذل ولزومها بضرب الطين على الحائط فتكون تصريحية تبعية والذلة فعلة
من السكون وهي هنا زي الفقر وخضوعه وان وجد يهودي غني فلا يخلو من زي الفقر ومهانته مخافة
ان تضاعف جزيتهم وباؤا بغضب من الله رجعوا به اي لزمهم ذلك ومنه قوله في دعائه ومناجاته
ابوء بنعمتك اي اقر بها والزمها نفسي هذا على ما ذكره الفراء ان باء بمعنى رجع وقال الكسائي ولا يكون باء
الا بشيء اما بخير واما بشر ولا يكون لمطلق الانصراف وحلوا مبواهم ومعهم غضب الله تعالى اي عقوبته
وقوله بغضب في محل الحال نحو خرج بسيفه واستعمال باء للتنبيه على ان مكانهم الموافق يلزمهم غضب الله وكيف
غيره من الامكنة وهذا على ما ذكره الراغب من ان اصل البوء مساواة الاجزا في المكان خلافا للنبو الذي هو
منافاتها ذلك اشارة الى ما سبق من الضرب والبوء بانهم كانوا يكفرون بايات الله بسبب انهم جمعوا
بين الثبات على الكفر والدوام عليه وبين تجدد انواعه والمراد من الايات المعجزات او الكتب المنزلة ويقتلون
النبيين انهم قتلوا شعيبا وزكرياء ويحيى وغيرهم بغير الحق ليس احترازا اذ لا يقع قتل الا بغير الحق فهو
قيد لانه نحو دعون الله سميعا وجاناظيرا للشفقة والذنب الذي اتوه وما قيل معناه انهم قتلوهم بغير الحق
عندهم يرده انهم كانوا يقولون هولا كاذبون وما اتوا به تمويهات وليست من الله تعالى ويقتلونهم لهذا
الاعتقاد الباطل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اشارة الى السبب المذكور والباء في بما للسببية فيكون
بيانا لسبب السبب مبالغة في وجوب اجتناب المعصية والاعتداء بانهما يفضيان الى الكفر بالايات وقتل
الانبياء وهما من اشنع القبائح ويجوز ان يكون ذلك تكريرا للدلالة على ان ضرب الذلة والمسكنة والبوء
بالغضب مسبب عن امور كثيرة كل واحد منها يوجب ذلك العصيان والاعتدا هنا من الافعال التي جعلت لازمة
وتركت مفاعيلها نسيا منسيا والاعتدا وان كان في اصل وضعه تجاوز الحد في كل شيء لكن عرفه في الظلم
والمعاصي والعدول عن قولهم اعتدوا والمثل ما مر من النكتة في قوله بانهم كانوا يكفرون واما التاكيد بمجرد و
هنا فلان الكفر بالمعجزات الباهرة وقتل الانبيا المبعوثين بالبينات الظاهرة مظنة ان يستبعد بخلاف
مطلق العصيان والاعتدا ان الذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب لا بد من هذا القيد ليدخلوا
في عداد الكفرة وينتظموا معهم فيصح الابدال او الاخبار بان من امن منهم ايمانا خالصا فله كذا والذين هادوا
يقال هاد يهود اذا دخل في اليهودية ويهود من هاد بمعنى تاب سموا بذلك لانهم تابوا من عبادة العجل
والنصارى اختلف في اصلها والاقرب ما قيل ان المسيح عم كان من قرية يقال لها نصران فاما ان سموا
باسمها ثم جمعته العرب على نصارى نحو سكران سكارى او جعلوا منسوبين اليها ثم حذفت نحو مهري ومهاري
كذا قال الراغب فالياء في نصراني للنسبة الى تلك القرية او الى ذلك الجبل او للفرق بين اسم الجمع والواحد
كما في اليهودي والمجوسي والصابئون الصابي من صبا اذا خرج من الدين وهم خرجوا عن دين

اليهودية والنصرانية وعبدوا الملايكة والكواكب • من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا • في محل
النصب بدل من اسم ان وما عطف عليه وخبر ان فلهم اجرهم ودخول الفا لتضمن الموصول معنى الشرط او في محل
الرفع بالابتدا وخبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان والمعنى من امن من هولاء الكفرة ايمانا صادقا مصدقا
بقلبه بجميع ما يجب تصديقه عاملا بمقتضى شرع نبي ارسل اليه وما قيل من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ
لا يناسب المقام لما عرفت ان المراد من الذين امنوا المنافقون والصابيون لم يثبت لهم دين سماوي
ولذلك اختلف في حل نكاحهن • فلهم اجرهم • اى ثواب ايمانهم وعملهم الصالح سماه اجرا لانه جزا
عملهم على الصادق فضلا منه وترتيب الحكم على الموصول دل على ان الاستحقاق له مسبب عما ذكر
في الصلة من الايمان والعمل الصالح فقد بحسبه والجملة اعتراض بين خطابي بني اسرايل • عند ربهم • كناية
عن كون ذلك الاجر مامونا عن الضياع لكونه عند امين حافظ • ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • اى لا
خوف ولا يصيبهم حزن في الاخرة لانهم يصيرون الى النعيم المقيم والامن الدايم والتنكير في الخوف
وفي قوله ولا هم دلالة على ثبوت الحزن لغيرهم • واذ اخذنا ميثاقكم • بالعمل على ما في التورية والله
على اختصاصه قوله • ورفعنا فوقكم الطور • اى حتى قبلتم واعطيتم الميثاق والميثاق مفعال من
وثق يثق مثل ميزان من وزن يزن ووحد وان اضيف الى الجمع تنبيها على ان الماخوذ على الكل ميثاق واحد
قال الواحدي الطور الجبل بالسريانية وقد تكلمت به العرب وقيل علم للجبل الذي ناجى عليه الله موسى
وهو المراد هنا • خذوا • على ارادة • ما اتيناكم • اى التوراة • بقوة • اى بجد واجتهاد امتنعوا من اخذ
التوراة والتزام احكامها الشاقة فاكرهوا على ذلك برفع الطور فوقهم • واذكروا ما فيه • امر بحفظه
وعدم تناسيه قولا وعملا • لعلكم تتقون • قد مر في تفسير لعلكم تشكرون ما يغني عن بسط الكلام في
هذا المقام توضيح ورد الاوهام • ثم توليتم من بعد ذلك • اى اعرضتم عن الوفا بالميثاق بعد
اخذه على الكيفية المذكورة وفي كلمة ثم اشارة الى ان الاعراض بعد تاكيد الميثاق بما ذكر امر بعيد
ورشحه عبارة ذلك • فلولا فضل الله عليكم • بقبول التوبة • ورحمته • بالعفو عن الزلة
وارتفاع فضل على الابتدا وعليكم متعلق بفضل والخبر محذوف واجب الحذف على المختار لدلالة
الجواب عليه • لكنتم من الخاسرين • اى المغبونين بالوقوع في العذاب وحرمان الثواب جواب
لولا وكثر دخول اللام عليه اذا كان موجبا ولو في الاصل لامتناع الشي لامتناع غيره فاذا دخل
على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشي لثبوت غيره والتفريع المستفاد من الفا باعتبار ان في مدخولها
دلالة على انهم كانوا على شرف الخسران لولا تدارك فضل الله تعالى وذلك مسبب عما تقدم ذكره من
احوالهم القبيحة • ولقد علمتم • اللام موطية للقسم وسهله لتفهم جوابه على السامع وعلم هنا تعد
الى واحد يعني قد عرفتم حكاية السبت وما احللنا بهم من النكال في الدنيا بالمسخ حين اعتدوا بالا

36

يوم السبت فلم يكن تاخيرنا العقوبة عن اسلافكم الذين كانوا قبلكم على عصيانهم ونقضهم ميثاقهم للعجز
عن تعجيل ذلك بل فضلا ورحمة ولو شينا لعاجلنا لهم بما عاجلنا به اصحاب السبت فيكون هذا التذكير
لتوقير ما ذكر من ان نجاتهم عن الخسران بمحض فضل الله تعالى ورحمته • الذين اعتدوا منكم في السبت •
اى الذين جاوزوا الحد الذي حد لهم من ترك الصيد يوم السبت من اسلافكم وهو يوم معروف سمي به
لانه سبت فيه خلق كل شي اى قطع وتم واصل السبت القطع ومنه السبات لانه يقطع الافعال الاختيارية
واليهود يسبتون فيه اى يقطعون الاعمال وقيل هو ماخوذ من السبوت الذي هو الراحة والدعة والسبت
هنا مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت فمعنى السبت في تعظيم يوم السبت وتعظيمه عبارة عن ترك
العادات والاشتغال بالعبادات والاعراض عما يودي الى ما يوذي الحيوانات فدخل فيه الحوت وذكر الموصول
مع الصلة يفيد تعلق العلم بالوصف المذكور الموجب للمسخ المذكور لا بذواتهم وتفصيل القصة في تفسير
سورة الاعراف باذن الله تعالى • فقلنا لهم كونوا قردة • مجاز لتعلق ارادة الله تعالى بمسخهم في ان واحد والقردة
جمع قرد كالديكة جمع ديك وهو القياس في فعل الاسم نحو لحو فرود وجمعه على فعلة لا ينقاس • خاسئين •
خبر اخر لكونوا او صفة لقردة باعتبار انهم كانوا من العقلا اى جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار
والطرد وفعله خسا يجي متعديا ولازما والضمير في • فجعلناها • للمسخة • نكالا • النكال العقوبة
الغليظة المنكلة للغير اى المانعة من الذنب واصله المنع ومنه النكل للقيد واللجام • لما بين يديها • لما
ياتي بعدها • وما خلفها • من تقدمها وجودا والتقدم بحسب الوجود لا ينافي حضور المتقدم عند المتاخر
او ما يحضرها وما بعدها فظرفا المكان مستعاران للزمان وان ما اقيمت موقع من لا تحتمل لشانهم
لانه يناسب المقام بل لاعتبار وصف المعتبرين • وموعظة • مفعلة من الايقاظ والانزجار والوعظ
التخويف والعظة الاسم • للمتقين • لكل من اعتبر واتقى اى لم يفعل ذلك قصدا للتشفي كفعل الادميين
بل لمصلحة العباد • واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة • اول هذه قوله تعالى واذ قتلتم
نفسا وانما فكت عنه واخرج اول القصة مخرج الاستيناف كانه قصة مستقلة بالتقريع على القتل
والتدافع والتنبيه على القدرة في احيا الميت والاعجاز وقدم اخرها لاستقلاله بنوع اخر من مساويهم
وهو الاستهزا بالامر والاستقصا في السوال وترك المسارعة الى الامتثال ولذلك لم يقل قال موسى لقومه
يا قوم كما قال فيما تقدم فانه كان جواب سوال لا ابتدا خطاب لم يناسب التصدير بالندا ثم اضمر في الثانية
ضمير البقرة ليدل بهذا الربط انها قصة واحدة وفيما يراد منها من التقريع والتبصير قصتان ولو اوردت
مسرودة على الترتيب لامكن ان يغفل عن ذلك وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه
وطرحوه على باب المدينة ثم جاوا يطالبون بدمه فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها
ليحيى فيخبر بقاتله والبقرة اسم للانثى واسم الذكر الثور مثل ناقة وجمل وقيل البقرة واحد البقر

الانثى والذكر سواء واصله من تقراء شق فالبقر يشق الارض بالحرث • قالوا اتتخذنا هزوا اي اتجعلنا
نفس الهزء للمبالغة وفرط الاستهزاء او اهل هزء او مكان هزء او مهزوا بنا للاختصار في الايجاز واما
كون المفعول الاول جماعة فلا دخل له في اقتضاء التاويل بالحذف او التجوز في المفرد والحكم لان ما اصله
المصدر يجوز ان يكون خبرا عن الاثنين وعن الجماعة كما في قوله تعالى فقولا انا رسول رب العالمين وقوله تعالى لا هن
حل لهم وكيف بالمصدر ظنوا ان موسى م يستهزئ بهم وبدا عيهم قالوا انخبرك ان رجلا منا قتل فتقول لنا
اذبحوا بقرة فيحتمل ان موسى م امرهم بذبحها ولم يبين المراد والثمرة بها في اول الامر فلذلك وقع هذا القول
منهم موقع الهزء في بادي نظرهم قيل وقرئ ايتخذنا بالياء اي الله تعالى ولا يناسبه قوله • قال اعوذ بالله ان اكون
من الجاهلين • تبرأ عن الاستهزاء على وجه ابلغ حيث جعله من الجهل واستعاذ منه استفظاعا له وذلك
لكونه في مقام التبليغ والارشاد فلا ينافي قصده في مقام الاحتقار في التهكم بمثل فبشرهم بعذاب
اليم فمرجع الجهل هنا الى عدم العلم بمقتضى المقام فلا حاجة الى معنى السفه • قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا • قد مر نظيره عن قريب • ما هي • لما راوا ما امروا به على حال لم يعهد من احوال جنس البقر تشبه
عليهم وجه الامتثال فلذلك قالوا يبين لنا ما هي فان الحاجة الى البيان انما يكون في موضع الاشتباه والسؤال
بما هي يكون غالبا عن الجنس • قال انه يقول • انما زيد هذا لئلا يتوهم ان ما ذكر قول موسى م وقد روعي
هذه النكتة في مواضع من هذه القصة • انها بقرة • تكرير لتقرير المعنى المراد دفعا لاحتمال ان يراد جنس
آخر اخراية ما ذكر من الاثر كما سبق اليه وهم السائلين • لا فارض ولا بكر • صفة للبقرة واذا وصفت النكرة
بما دخل عليه لا كررت وكذا الخبر والحال الا ما ندر والفارض المسنة التي انقطعت ولادتها من الكبر
والبكر الصغيرة التي لم تلد من الصغر • عوان • نصفا لفعل من الفارض فرضت تفرض فروضا ومن العوان
عونت تعون تعوينا ولم يسمع من البكر فعل الا ان في تركيبها الاولية ومنها البكرة والباكورة وانما لم
يدخل الها في هذه الصفات للتانيث لانها من خصائص اوصاف الاناث فصارت كالحائض في الطالق ه
بين ذلك • اي بين البكر والفارض ولم يقل بين تينك ترجيحا لما في عبارة ذلك من الفخامة على ما في تينك
من الجناس مع بين وقد مر وجه التعبير عن الاثنين بذلك • فافعلوا ما تؤمرون • ما موصولة والعائد
محذوف واصل ما تؤمرون به لان الامر يتعدى الى المامور بنفسه ثم حذف المفعول به لا مصدرية اي
امركم بمعنى مامور كم لان المصدر بمعنى المفعول شائع واما المصدر بمعنى المفعول به فقليل جدا تجد به
للامر وتاكيد وتنبيه على تركها لتعنت المسارعة الى الامتثال ولم يجدهم حتى عادوا السؤال • قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها • الفقوع اشد ما يكون
من الصفرة وانصعه واستعماله للتاكيد يقال اصفر فاقع واحمر قاني واخضر ناخر واسود حالك
وابيض يقق فهذه التوابع تدل على شدة الوصف وخلوصه في ارتفاع اللون بفاقع مزيد تاكيد لذلك

كانه

كانه صفراء شديدا الصفرة صفرة تعلو على هذا لا تقف على صفراء لئلا تفصل بين الصفة والموصوف وان
جعلت صفراء بمعنى سوداء وقفت عليها ويكون الفقوع بمعنى الخلوص صفة اللون كما يقال لونها خالص على ان جعلت
كالفاقع واقع خبرا عن اللون فلم يقع تاكيدا لصفراء حتى يتاتى في تفسيرها بالسوداء • تسر الناظرين • اي تروق
هذه البقرة من نظر اليها وتعجبه وتفرح قلبه لتمام خلقها ولطافة شكلها وحسن لونها والسرور لذة في القلب
عند حصول نفع او توقعه او اندفاع ضر • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي • طلبوا تمام الكشف
ببيان ما يرفع الاشتباه ويدفع الصدق على متعدد ولما اراد التعيين الزائد على التعيين بالعوارض المشتركة
سالوا بما هي فكانهم ما في منزلة الذاتي المميز من الاوصاف المخصوصة بشخص معين • ان البقر • وقرئ ان
الباقر قال القرطبي البقر والباقر والبيقور والبقير لغات بمعنى والعرب تذكره وتؤنثه والى ذلك ترجع
القراءات في تشابه • تشابه علينا • اعتذار عنه وانما لم يقل ان البقرة تشابه علينا اذ لم يرد تشابه
المعهود بل اريد ان الاوصاف المذكورة صدقت على جماعة من الجنس المذكور فاشكل علينا الامر فيها للتشابه
والتشارك في تلك الاوصاف وقرئ تشابهت مخففا ومشددا قال القرطبي وفي مصحف ابي ان البقر تشابهت
بتشديد الشين قال ابو حاتم وهو غلط لان التاء في هذا الباب لا تدغم الا في المضارع وانما ذكر الفعل
لتذكير اللفظ كقوله نخل منقعر وفي كل جمع حروفه اقل من حروف واحده جاز تذكيره مثل بقر ونخل
وسحاب وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر • وانا ان شاء الله لمهتدون • الى البقرة المراد ذبحها لما
جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لم يقولوا ان شاء الله وانما سميناه استثناء لصرفها الكلام
عن الجزم وعن الثبوت في الحال من حيث التعليق بما لا يعلمه المستثني واخر الابد كناية عن المبالغة في التابيد
والمعنى الى الابد الذي هو آخر الاوقات وتقدير الكلام وانا لمهتدون ان شاء الله فقدم على ذكر الاهتداء
اهتماما به وحفظا لرؤوس الاي ولا متمسك به لاصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى لانه دال على ان مراده
تعالى واقع واما ان الواقع ليس الا مراده فلا تعرض له ولا على ان الامر قد ينفك عن الارادة لان محل الخلاف في
الامر التكليفي وهذا الامر للارشاد على ما يرشد اليه قولهم اتتخذنا هزوا ولا خلاف فيه • قال انه يقول انها
بقرة لا ذلول • صفة لبقرة اي لم تذلل للكراب من الذل بكسر الذال وهو خلاف الصعوبة يقال ذلت الدابة
ذلا فهو ذلول واما الذل في الرجل فبضم الذال وهو ذليل • تثير الارض • صفة لذلول داخلة تحت النفي
والمقصود نفي اثارتها الارض • ولا تسقي الحرث • نفي معاد لقوله لا ذلول والمعنى انها لم تذلل بالعمل
في حرث ولا سقي وقيل لا في قوله ولا تسقي الحرث زائدة للتوكيد والمعنى لا ذلول تثير الارض وتسقي الحرث
والفعلان صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية فيلزم الوصف بلا غير مكررة ولا مقابل منفي وذلك
لا يكون الا في الشعر وقرئ لا ذلول بالفتح على ان لا لنفي الجنس والخبر محذوف والجملة صفة ذلول كناية
عن نفي الذل عنه كما يقال الذليل حيث هو كناية عن اثبات الذل له والحرث الارض المهيأة للزرع ومعنى

الاثارة هنا قلب الارض للزراعة يقال اثرت الشي واستثرته اذا هيجته • مسلمة • من العيوب
اى سلمها الله تعالى او من العمل اى سلمها اهلها وقيل مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له اى لم يشبه
صفرتها شي من الالوان ويرد عليه ان حق هذا البيان ح ان يعقب السوال السابق ويذكر في اخر جوابه
لا شية فيها • اى لا علامة فيها تشينها وقيل الالوان فيها لخالص لونها جلدها ماخوذة من وشي الثوب
اذا نسج على لونين مختلفين يقال فرس ابلق وكبش اخرج وتيس ابرق وغراب ابقع وثور اشيه كل ذلك [بمعنى]
البلقية ويرد على هذا ما ورد على المعنى الاخير لمسلمة • قالوا الآن • هو حد الزمانين الماضي والمستقبل
مبنى لتضمنه معنى الاشارة تقديره هذا الوقت جئت بالحق • اى بما تحققنا به المراد من البقرة فيفيد [لان]
على انهم عرفوها بعينها وروى انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم
انى استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت وحيدة بالصفات المطلوبة فساوموها
اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت اذ ذاك بثلاثة دنانير • فذبحوها • اى فحصلوا
البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وانما حذف ما حذف لاختصار الدلالة المذكور عليه والفاء
ليست فصيحة لان شرطها ان يكون المحذوف سببا للمذكور والتحصيل ليس سببا للذبح وانما سببه الامر به
بل للتعقيب والدلالة على انهم كما حصلوها ذبحوها • وما كادوا يفعلون • يعني شيئا من الذبح ومقدماته
من تحصيل المامور بذبحه وتعيينه انسب به لافادة هذا التعميم كان المذكور ابلغ من يذبحون وكاد
من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فالفعل المقرون به مثبت والنفي الداخل عليه قد يعتبره
سابقا على القيد فيفيد معنى الاثبات بالتكليف كما في هذه الاية وقد يعتبر مسبوقا به فيفيد لبعد الاثبات
عن الاثبات والوقوع كما في قوله تع لا يكادون يفقهون قولا ومن غفل عن هذا توهم التدافع بينه وبين
قوله فذبحوها فتكلف في التوفيق واعلم انه لا خلاف في ان ظاهر اللفظ في اول الامر بقرة مطلقة مبهمة
ولا في ان الامتثال في اخر الامر انما وقع بذبح بقرة موصوفة معينة حتى لو ذبحوا غيرها لم يكن مطابقا
لكن اختلفوا في ان المراد به في اول الامر هو البقرة المعينة واخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ولحقها
التغيير الى المعينة بسبب تثاقلهم في امتثالهم وكثرة سوالهم واستكشافهم والحق هو الثاني لقوله عم
لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شوم وروي
مثله عن ابن عباس رض وهو رأي المفسرين ولان اللازم على الاول تاخير البيان عن وقت الحاجة له لا الى وقت
فافعلوا ما تؤمرون على انهم امروا بايقاع ذبح البقرة قبل بيان اللون وكونها مسلمة غير مذللة وهذا
اللازم محذور عند المخالف ايضا ومن ذهب الى الاول تمسك اولا بان الضماير في الاجوبة اعني انها بقرة
كذا وكذا للمعينة قطعا فكذا في السوال للتطابق ولسوال انما هو عن البقرة المامور بذبحها فتكون
هي المعينة وجوابه انهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيي ظنوها معينة خارجة عما
هو عليه صفة الجنس فسالوا عن حالها وصفتها فوقعت الضماير للمعينة بزعمهم واعتقادهم تعينها الله
تعالى تشديدا عليهم ولم يكن المراد من الامر هي المعينة وثانيا بانه قد دل السياق ووقع الاتفاق على انه
لم يرد امر متجدد غير الاول فالامتثال ليس الا بالامر الاول فلزم ان يكون منسوخا وان يكون المراد بذبح المعينة
لظهور ان الامتثال لم يقع الا بذبح المعينة وجوابه ان انتقال الحكم الى المخصوصة لا يلزمه ارتفاع الحكم [الامتثال]
الامر الاول حتى يحتاج ايجاب المخصوصة الى امر متجدد بل على انه كان متناولا لها ولغيرها بمعنى حصول
باى فرد كان فارتفع حكمه في حق ما عداها وبقي الامتثال بذبحها خاصة وكان ذبحها امتثالا للامر الاول
ولم يكن هذا منافيا لنسخ الاول في الجملة ولا موجبا لكون المراد اولا ذبح المعينة • واذ قتلتم نفسا •
خطاب الجمع لان القتل صدر عن جماعة وهم بنو عم المقتول • فادارأتم • اى تخاصمتم لان المتخاصمين
يدرأ بعضهم بعضا او تدافعتم لان كلا منهم يدفع التهمة عن نفسه الى الاخر والبراءة عن الاخر
الى نفسه واصله فتدارأتم فادغمت التاء في الدال لانهما من مخرج فسكنت وادخلت الف الوصل لتعذر
الابتداء بالساكن ومعنى في • فيها • للتعليل كما في قوله تع لمتنني فيه • والله مخرج • مظهر لا محالة
ما كان مستقبلا ولذا عمل فانتصب به • ما كنتم تكتمون • على المفعولية كما يحكى ما كان حاضرا او
التغليب في قوله وكلبهم باسط ذراعيه • فقلنا اضربوه • عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض مشعر
بان التدارء لا يجدي اذ الله تعالى مخرج ومظهر ما كتموه والضمير البارد للقتيل ذكره تنبيها على
زوال الحكم النفس عن الجسد بعد القتل • ببعضها • اى ببعض كان دل على ذلك الابهام • كذلك يحيي الله الموتى •
خطاب لمنكري البعث من مشركي مكة او للذين حضروا القتيل على تقدير فقلنا لهم والكاف في محل النصب
على المصدر اى مثل ذلك الاحياء العجيب الشان تو لكا اشارة الى ما دل عليه المحذوف المدلول عليه بهذا
الكلام مما قبله وهو قوله فاحيى وروى انه لما ضربوه قام باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما
فقال قتلني ابنا عمي فلان وفلان وسقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك • ويريكم اياته •
دلايله لان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الكل لعدم الفرق عند العقل • لعلكم تعقلون •
تستدلون به او تعملون على قضية عقولكم وقد مر معنى لعل غير مرة وانما جعل احياءه مسببا عن ذبح
البقرة وضربه ببعضها وهو قادر على احيائه ابتداء ليعلم ان في الاسباب والشرائط حكما وفوائد
كالتقرب بالقربان والتنبيه على حسن تقديم القربة في الطلب وتحري الاحسن والغالي في الثمن وعلى
وجوب المسارعة في امتثال الامر ولو كان للارشاد وان التشديد موجب للتشديد منه تع على من شدد
وان الاستهزاء من فعل الجهال وان بر الوالدين له بركة وكذا التوكل والشفقة على الابناء • ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك • اى بعد احياء القتيل وهو امر عظيم خارق للعادة موجب للاعتبار وقيل ثم للاستبعاد
وفيه ان معناها الحقيقي غير متعذر كما لا يخفى والقسوة يبس الغلظ قلبه يقسو قسوة وقساوة وهي المشقة

والصلابة واليبس وقست قلوبكم استعارة تبعية واقعة على سبيل التمثيل شبهت حال قلوبهم وهي نبوّها
عن الاعتبار بحالة قسوة الحجارة في انها لا تجدي فيها لطف العمل وحسن الحيل ولا عبارة هذه الاستعارة حسن
التفريع والتعقيب بقوله • فهي كالحجارة او اشد قسوة • تشبيه في القساوة بالحجارة ثم رجوع عنه
بتفضيلها في القساوة على الحجارة لامر الله تعالى دونها وعلى هذا قوله او اشد معطوف على قوله
كالحجارة من قبيل عطف المفرد على المفرد كما تقول زيد على سفر او مقيم وقرئ اشد بالفتح عطفا على الحجارة
او مثل شي اشد من الحجارة قال الواحدي قال المفسرون انما شبه قلوبهم بالحجارة في الغلظ والشدة
ولم يشبه بالحديد وان كان الحديد اصلب من الحجارة لان الحديد يلين بالنار ولا تلين الحجارة بحالة
ابدا او انتصب قسوة على التمييز وتقتضيه اشد وكاف التشبيه وهذا التمييز الذي بعد افعل التفضيل
منقول عن المبتدا او هو نقل غريب وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة لدلالته عليها بجوهر
اللفظ الموضوع لها مع هيئة موضوعة للشدة فيها وذلك من الايما الى الاعتنا ببيان الزيادة
مما لا يخفى والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو بمعنى بل كما في قول الشاعر
بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها او انت في العين املح او للابهام على المخاطب
قال ابو الاسود الدئلي احب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة او عليا فان يك حبهم رشدا اصبه
ولست بمخطئ ان كان غيا ولم يشك ابو الاسود ان حبهم رشد ظاهر وانما قصد الابهام وقد قيل له حين
قال ذلك شككت قال لا ثم استشهد بقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين قال او كان شاكا
من اخبر بهذا • لما يتفجر منه الانهار • التفجر التفتح بسعة وكثرة وقرئ وان بخففة من الثقيلة لوجود اللام
في لما • وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء • اصله يتشقق وقرئ والتشقق التصدع بطول او عرض
فينبع الماء بقلة هذا على التتميم دون الترقي والا لقدم المؤخر • وان منها لما يهبط من خشية الله •
الهبوط التردي من علو الى سفل والخشية الخوف عن علم وهي ههنا مجاز عن الانقياد اطلاقا لاسم الملزوم
على اللازم وقوله من خشية الله متعلق بالافعال السابقة كلها ولما كانت قساوة القلوب تنشا عنها
الاعمال القبيحة قال تعالى على سبيل التهديد • وما الله بغافل عما تعملون • وقرئ بالياء للغيبة ضما
الى ما بعده من الضمائر العائدة الى اليهود • افتطمعون • الطمع نزوع النفس الى شي ما
شهوة والخطاب لرسول الله عم والمؤمنين • ان يؤمنوا • في محل الجر اي في ايمانهم والضمير لليهود
الذين في زمن محمد عم لانهم الذين صح منهم الطمع واللام في • لكم • للتعليل او لاعتبار معنى الاستجابة
اي ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم او يستجيبوا لكم كما في قوله فامن له لوط لا للصلة كما في وما انت
بمؤمن لنا اي مصدق لان رسالة لا يوجد في الفعل وانتظامه بما قبله ان النبي عم والصحابة رض لما
سمعوا هذه الايات من في مخاطبة اليهود طمعوا ان يؤثر ذلك في قلوبهم فيؤمنوا فقال الله تعالى افتطمعون

مبالغة في انكار الطمع مع كونه كالمستحيل عادة بايراد الفاء بعد الهمزة اي ما تشاهدون منهم
ما يوجب الياس من ايمانهم من قسوة القلب تطمعون في ايمانهم وهم قوم راعيانهم كما قوله تعالى ءانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون • وقد كان فريق • الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالحزب والواو
للحال اي في حال علمكم بطريقتهم وعادتهم • منهم • الظاهر رجوع الضمير الى ما يرجع الضمير في يؤمنوا
وعناد البعض انما كان منافيا لاقرار الباقين لانهم كانوا مقلدين لهم • يسمعون كلام الله • ما يتلونه
من التورية اسماع كناية عن القبول ففي ذكره زيادة تقبيح لحالهم لان التحريف بعد القبول اشد قبحا (حد)
ولو كان على حقيقته لما احتيج الى ذكره لان التحريف لا يكون الا بعد السماع • ثم يحرفونه • تحريفا الشي
امالته عن حاله الى حال اخرى فكلم محرف اي احد شقيه مائل فينتظم التغيير والتبديل والتاويل وما حرفوه
نعت الرسول عم وشريعتهم كاية الرجم ويجوز ان يكون المراد من الفريق من كان في زمن موسى عم وهم اهل الميقات
والكلام المسموع كلامه تعالى بالطور وقد نقل تحريفهم ما سمعوه وعلى هذا ايضا الضمير في منهم على ظاهره
ولا حاجة الى ان يكون المعنى من اسلافهم فان اسلاف طائفة يعدون منهم وعلى هذا يكون المعنى الاصرار
على البطلان موروث لهم شنشنة اعرفها من اخزم • من بعد ما عقلوه • اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه
ريبة • وهم يعلمون • انهم مفترون اي يفعلوا ذلك عن خطا ونسيان بل فعلوه عن قصد وتعمد حسدا وبغيا (يعني المنافقين)
واذا لقوا الذين امنوا • المخلصين من اصحاب رسول الله عم • قالوا امنا • اي بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر
في التورية وانما لم ينطقوا بالمتعلق لعدم المساعدة من باطنهم وهذا اية غاية خبثهم • واذا خلا بعضهم
الى بعض • اي انفردوا عن المخلصين منضمين بعضهم الساكتون وقت الملاقاة الى الناطقين بكلمات النفاق
قالوا • اي الذين سكتوا حال عاتبين على الذين نطقوا • اتحدثونهم بما فتح الله عليكم • اي بما بين لكم في التورية
من نعت محمد عم فالاستفهام للتقريع والتشنيع واللام في • ليحاجوكم به • متعلق باتحدثونهم
وهي لام كي على تجوز لان الناشي عن شي وان لم يقصد كالغاية والمعنى ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه
من الحجة واصله من حجه اذا قصده مغالبة خصمه • عند ربكم • جعلوا محاجتهم بكتاب الله تعالى وحكمه
محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد انه في كتابه وحكمه كذا وعلى هذا يكون عند ربكم بدلا
عن قوله به او ظرفا مستقرا بمعنى ليحاجوكم بما قلتم حال كونه في كتابكم وقيل المعنى عند ربكم يوم القيمة
لا يقال ان اليهود يعلمون انهم يوم القيمة محجوجون حدثوا او لم يحدثوا لان ذلك العلم لعلمائهم
لا لكلهم فلا ينافي تخويفهم للجهال منهم بذلك القول تبعا لهم على اليهودية ولان احترازهم عن كونهم
محجوجين من جهة الخصم فان ذلك لازم ان حدثوا ومندفع ان لم يحدثوا في زعمهم • افلا تعقلون • اي اليس
لكم عقل حتى تدركوا فساد ما فعلتم وهذا من تمام كلام اللائمين • اولا يعلمون • مقابلة لهم بذلك التجهيل
والتوبيخ والتعجب مع التقرير اي منكرون عليهم ولا تعلمون ان الفساد في قولكم مضاعف • ان الله يعلم

ما يسرون وما يعلنون • اى يعلمها على السواء والقصد الى معنى التسوية ذكر قوله وما يعلنون مع ان قوله
ما يسرون يغني عنه ونظير هذا في القصد الى المعنى التسوية المذكور قوله تع يكلم الناس في المهد وكهلا
وتعكيرما يسرون مع ان حقه في اسلوب الترقي التاخير التسوية بينهما في الاهتمام فان في الجمع بين العبارة
والدلالة اهتماما بالثاني وفي التقديم مع ان حقه التاخير اهتماما بالاول • ومنهم اميون • عاميون
الامي من لا يكتب ولا يقرا سمي به لانه على الخلقة التي ولدته الام عليها • لا يعلمون الكتاب • اي التورية
الا اماني • الاستثنا منقطع والاماني جمع امنية افعولة من التمني وهو التقدير ولها معان ثلاثة
المتمنيات لان المتمني يقدر في نفسه ما يشتهيه ويتخيله والاكاذيب اذ الكاذب يقدر في نفسه ويتخيل شيا لا
وجود له والمقروات لان القاري يقدر عند قراته في نفسه ان كلمة كذا بعد كذا ومنه قوله تمنى كتاب الله اول
ليلة فالمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم ان اباهم الانبيا يشفعون
لهم وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة او ما يقرون قراة عارية عن معرفة المعنى وتدبره والامي انما
يقدر على قراة ما بالاخذ من افواه الرجال • وان هم الا يظنون • ما هم الا قوم يظنون والظن هنا على
بابه ترجيح احد الطرفين ولا يلزم من الترجيح عندهم ان يكون راجحا في نفس الامر ويجوز ان يجعل الضمير
للفريقين فنفى العلم عن العلما في قوله او لا يعلمون على سبيل الانكار حيث لم يعملوا بموجبه وعن المقلدين بقوله
لا يعلمون الكتاب ثم حكم انهم في الظن المودي الى الضلال سوا فعلى هذا يكون في الايات جمع وتقسيم جمع
الفريقين في قوله افتطمعون ان يومنوا لكم ثم قسمهم الى فريقين علما معاندين وجهلا مقلدين ثم جمعهم في يظنون
فويل • تحسر او هلك وروى عثمان رض عن النبي عم الويل جبل في النار وفي رواية ابي سعيد الخدري
رض واد في جهنم وهو في الاصل مصدر لا فعل له لان فاءه وعينه معتلتان وتنكيره للتعظيم فلم يكن نكرة
محضة على ان الغرض من الكلام الافادة فاذا حصلت جاز الحكم سوا تخصص المحكوم عليه بشي او لا واما ان
النكرة اذا كانت دعا تقع مبتدا وان لم تتخصص فما قيل في بيانه لا يجري في ويل صرح به الرضي • للذين
يكتبون الكتاب • يعني ما كتبوه من التاويلات الزايغة ولذلك احتاجوا في ترويجه الى بيان نسبته الى
الله تع ولو كان المراد الكتاب المحرف لما احتاجوا اليه لان كون التورية من عند الله مسلم وما احدثوه
من التحريف غير معلوم لغيرهم • بايديهم • تاكيد للمجاز اي يتولونه بانفسهم فقد يقول الانسان كتبت
الى فلان اذا امر غيره بان يكتب عنه واذا قال كتبت بيدي فقد اخبر انه باشر بنفسه فهو من حيث انه
كناية عن انه من تلقاء دون ان ينزل عليهم ناظر الى قولهم هذا من عند الله من دعوى النزول هكذا مكتوبا
من السما كما هو الشان في التورية ويجوز ان يكون لدفع احتمال الانشا فان الكتابة تشابه فيه وفايدة
التنصيص معنى لا ملكا التغليظ في الجناية حيث انضم الى القول العمل • ثم يقولون هذا من عند الله •
كلمة ثم للاستبعاد بعد العاقبة في الاخبار عن تراخي القول المذكور عن العمل المزبور كفى قرينة صارفة

عن المعنى الحقيقي لها في الكلام البليغ • ليشتروا به ثمنا قليلا • متعلق بيقولون وقد مر بيان استعارة
الشرا للاستبدال ونكتة التعبير عن البيع بالثمن فتذكر وما حصلوا به وان جل قليل بالنسبة الى ما فات
عنهم من حظوظ الاخرة • فويل لهم مما كتبت ايديهم • جعل ما ههنا وفي قوله وويل لهم مما يكسبون •
مصدرية اولى من جعلها موصولة لعدم الحذف ولكون الويل على الفعل اولى والنسب لكونه على المفعول
واصل الكسب الفعل لجر نفع او دفع ضر ولهذا لا يوصف به الله تع وقيل هو اجتلاب الحظ بما هو من
الاسباب بعكس الويل حتى يتحقق ان الخسار والهلكة يترتب على كل واحد من المكتوب والمكسوب على
حدة • وقالوا لن تمسنا النار • المس ما قل تمكنه من الاصابة وهو اقل درجاتها ولذلك اوثر عليها
في قوله تعالى وما مسنا من لغوب وفي قوله تع ولم يمسسه بشر وقوله تع ان تمسسكم حسنة تسوءهم
وان تصبكم سيئة يفرحوا بها كالنص فيه • الا اياما معدودة • قلايل وهذا لانهم يكنون بالعدد
عن القلة بنا على انهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها روي انهم قالوا اربعة ايام
وعنهم اربعون يوما عدد عبادتهم العجل ولا وجه له لانهم قد تابوا عنها توبة مقبولة • قل
اتخذتم عند الله عهدا • الالف المجتلبة ذهبت بالادراج وهذه الالف المقطوع الف الاستفهام
للتوبيخ يعني ان مثل هذا الجزم لا يكون الا ممن وعد الله تعالى به وانما عبر عن الوعد بالعهد ايما
الى ان في الجزم المذكور لا بد من وعد قوي وانما قال عند الله دون من الله تعليما للسلوك مسلك
الكناية في امثال هذا فان التصريح باتخاذ العهد من الله تعالى لا يخ عن سوء ادب • فلن يخلف
الله عهده • جواب شرط مقدر اي كنتم اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده فالفا فصيحة
والجملة معترضة وانما قلنا ان المقدر ان كنتم اتخذتم لان المعنى ليس على الاستقبال ثم ان هذا من جملة
المواعيد فلا وجه للاستدلال على عدم الخلف في وعده وعلى تقدير صحته انما يدل على عدم وقوع الخلف
في وعده لا على استحالته • ام تقولون على الله ما لا تعلمون • ام اما معادلة للهمزة بمعنى اي الامرين
كاين على سبيل التقرير لوقوع العلم بكون احدهما او منقطعة بمعنى بل والهمزة التقريرية • بلى • اثبات
لما بعد النفي في لن تمسنا اي بلى تمسكم ابدا او تختص بجواب النفي • من كسب سيئة • السيئة تانيث السيء
وهو فيعل من السوء وهو العمل الفاسد ولذلك ذكره في مقابلة العمل الصالح والمكسوب لا يلزم ان يكون
نافعا في نفس الامر بل يكفي ان يكون ملايما لطبع الكاسب وهو ترا عند ناقصا في زعمه • واحاطت
به خطيئته • قال الفقها كل ذنب خطيئة لانه ليس بصواب وفي الاساس اخطأ في المسئلة وفي
الراي وخطئ خطا • اذا تعمد الذنب وضع قوله من كسب سيئة الخ مكان تمسكم النار ابدا للاثبات
على الطريق البرهاني اذ انما ثبت السيئة العامة اي سيئة من السيئات ثم خصصها بالكبيرة بقوله
احاطت به خطيئته اي استولت عليه ولم يتفصى عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته تعريضا بكثرة

خطاياهم من الشرك والنفاق والتحريف والافتراء على الله تعالى وشبهها بالعدو المحيط به من جميع الجهات
لذلك ولغلبتها على طاعته واشار بقوله فأولئك الى ان سبب استحقاق الخلود في النار ملازمة تلك الكبـ
المعلوم اصحاب النار ملازموها في الآخرة لانهم ملازموا اسبابها في الدنيا وذلك لان الصاحب مشتق
من الصحبة وهي وان كانت تعم القليل والكثير لكن العرف خصصها بالملازمات هم فيها خالدون او وقع
للتاكيد كانه قال اي كبيرة من الكبائر اسؤلت وتورطت بالغلبة على الطاعة استحق صاحبها الخلود
في النار وقد تقرر ان الشرك كبيرة لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وكذا التحريف والافتراء على الله
تعالى لقوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح الظالمون فثبت بالبرهان انه
تمسكم النار ابدا ومعنى الخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم لكن المراد به ههنا الدوام لما يشهد
له من الآيات والسنن ولكن ان تقول الاحاطة في الاصل الاحداق بالشيء من كل جانب وجوانب المكلف من حيث انه
مكلف ثلاثة اللسان كلف من جهته بالاقرار والاركان كلف من جهتها بالطاعات والجنان كلف من جهته
بالتصديق وهم لما اقروا بالسنتهم وصرفوا كتاب الله بايديهم واصروا على النفاق معتقدين الباطل
خلاف ما اظهروه فقد تحقق احاطة الخطيئات بهم وثبتنا سنبلاؤها عليها فالآية كما ترى لا حجة
فيها على خلود صاحب الكبيرة في النار والذين آمنوا وعملوا الصالحات جرى عادته تعالى على ان يشفع
وعده بوعيده تبشيرا للمطيع وانذارا للعاصي والايمان على معناه اللغوي فلا دلالة في عطف العمل عليه على
الخلافية المشهورة المذكورة في كتب الكلام نعم يفهم منه اشتراط العمل الصالح في دخول الجنة فلمن شرط
في الايمان المقبول الاقرار باللسان ان يجعل العمل الصالح عليه وللمخالف ان يقول ان لفظهم للتاكيد لا للحصر
بدلالة النصوص القاطعة على عدم اشتراط العمل في النجاة عن النار وعلى انه لا دار ثالثة للقرار اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون ذكر الفاء فيما تقدم وتركه ههنا للدلالة على ان الملازمة والخلود ثمة
بالاستحقاق من قبلهم بسبب ما بهم من احاطة الخطيئات وههنا بمحض فضل الله تعالى على ما دل عليه قوله تعالى الذي
احلنا دار المقامة من فضله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون اخبار في معنى النهي كما في لا تضار
والدة بولدها وفي لا تنكح المراة على عمتها وهو من ابواب البلاغة في الامر والنهي يظهر البليغ به شدة
اعتنائه بالامتثال والانتهاء وتحريض المخاطب على المسارعة والمبادرة فيهما كانه سارع الى الامتثال
والانتهاء فهو يخبر عنه الآمر والناهي ويؤيد قراءة لا تعبدوا ويدل عليه قوله وقولوا فيكون على ارادة
القول واما ايهام ان المنهي يسارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه فلا يناسب هذا المقام لان حال المنهي هنا
على خلاف ذلك وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما سقط ان رفع الفعل لزوال الناصب كقوله تعالى
قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون وقال طرفة الا ايها الزاجري احضر الوغى يروى احضر
بالرفع اي ان احضر الوغى ولذلك عطف عليه وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويدل عليه قراءة

ان لا تعبدوا فيحتمل ان تكون ان مفسرة بمعنى اي وان تكون ان مع الفعل بدلا من الميثاق اي اخذنا توحيدهم
او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال وحلّفناهم لا تعبدون وقيل انه رفع يتبسم اي
في موضع الحال في صيغة الفعل وهو منصوب نصبه في الاسم تقول دخل عليه متبسما والتقدير ههنا اخذنا ميثاقهم
غير عابدين وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب الا الله استثناء مفرغ وفيه التفات
من التكلم الى الغيبة لما في الاسم الظاهر من الفخامة وبالوالدين احسانا مصدر في معنى الامر اي واحسنوا
بالوالدين وتقديم المعمول للاهتمام واحسن كما يتعدى بالى يتعدى بالباء قال تعالى وقد احسن بي وذي القربى
عطف على الوالدين اراد به الجنس ولذلك افرد وذو اضافته الى المصدر تغني عن الجمع واليتامى جمع يتيم
كنديم وندامى واليتيم الذي مات ابوه فانفرد عنه واليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وحق هذا الاسم
ان لا يزول عن الكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال وعلى
وفق هذا ورد قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم وان كان المراد تعليم شريعة والمساكين جمع مسكين وهو
فعيل من السكون كان الفقر اسكنه عن التصرف وقولوا للناس حسنا قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة لما
اتبع عبادة الله تعالى بالاحسان وهو فعل اتبع ذلك بالقول ليكون الاحسان بالفعل والقول ولما كان الاحسان
القولي امرا هينا على ما افصح عنه من قال البر شيء هين وجه طليق ولسان لين كان متعلقه الناس عموما وقرئ
حسنا بفتحتين على انه صفة مصدر محذوف وحسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد
به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يريد بهما ما فرض عليهم في شريعتهم ومن ههنا ظهر انهما
منقولتان الى القدر المشترك بين صلاتنا وصلاتهم والقدر المشترك بين زكوتنا وزكوتهم ثم توليتم
على طريقة الالتفات للتعنيف في التوبيخ فانه عند الاستحضار اشد ويجوز ان يكون الخطاب مع الموجودين
منهم في عهد الرسول عم ومن قبلهم على التغليب اشعارا بان التولي الذي حصل منهم في عهده عم ليس ببدع
منهم لانه دابهم ودأب اسلافهم الا قليلا منكم اشخاصا قليلين وهم الذين اقاموا اليهودية على وجهها
قبل النسخ واما الذين اسلموا من الذين ما اقاموها فقد وجد منهم التولي والاعراض فلا وجه لاستثنائهم
وانتم معرضون التولي قد يكون لحاجة تدعو الى الانصراف مع ثبوت العقد والاعراض هو الانصراف
عن الشيء بالقلب فالجملة حال اي ثم توليتم مدبرين وفي تسمية هذه الجملة الدالة على انهم قوم
عادتهم الاعراض عن الطاعة والوفاء ترشيح لما تقدم من نكتة التغليب واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق في لا تعبدون والمعنى لا تفعلوا ما يؤدي الى
المحذورين او لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا ثم نسبا الى نفسه ملكا
منسوبا الى الغير على التجوز لادنى ملابسة والدار مبنى الاقامة وقال الخليل محلة القوم دارهم
ثم اقررتم اي قبلتم ثم سلفا ان هذا الميثاق اخذ عليكم والتزمتموه ويحتمل هنا ان يكون من الاقرار

الذي هو ضد الجحود ويتعدى بالباء وان يكون من الاقرار الذي هو ابقاء الامر على حاله اي اقررتم
هذا الميثاق ملتزما فقوله وانتم تشهدون تأسيس على هذا وتأكيد على الاول لقطع احتمال
ان يكون اقر بمعنى تكلم بما يلزم منه الاقرار ثم انتم هؤلاء استبعاد قوي لما نسب اليهم
بعد اداء الميثاق على الانتهاء منه واقرارهم وشهادتهم وفي هؤلاء توبيخ وتعيير بليغ وتحقير اي انتم
المشاهدون المشار اليهم بنقض العهد الذين لا يمكن ذمهم بما يزيد على ما يشاهد منهم ويشار اليهم
كقولهم في التحقير يا هذا او انتم المشاهدون اي قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير
الصفة منزلة تغير الذات كقولك خرجت بغير الوجه الذي دخلت به وعدهم باعتبار ما اسند
اليهم حضورا وباعتبار ما يحكى عنهم غيبا ثم فصل ما بهم في اسم الاشارة للتسجيل عليهم
وتشهيرهم بنقض العهد ومخالفة الاقرار والشهادة والافراط في ذلك بالتظاهر بالاثم والعدوان
فقال تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ويجوز ان يكون خبر انتم وهؤلاء منادى
او منصوب على الاختصاص للذم اعني هؤلاء الحاضرين او تأكيد والخبر هو الجملة او بمعنى الذين والجملة
صلته والمجموع هو الخبر ويجوز ان يكون حالا والعامل فيها معنى الاشارة تظاهرون عليهم بالاثم
والعدوان حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر هو التعاون واصله الظهر ويرجع
الاستناد والاعتماد وان يأتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير
حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا أسر
احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقرئ اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح واسارى جمعه كسكرى
وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير كما قالوا شيخ قديم وشيوخ قدامى وهو قليل وقال الواحدي نقلا
عن سيبويه قالوا كسلى شبهوه باسرى كما قالوا اسارى شبهوه بكسالى والاسير هو الماخوذ قهرا واصل
الاسر الشد فمن اخذ قهرا اشتد غالبا فسمي الماخوذ قهرا اسيرا وان لم يشد وقال ابو عمرو الاسارى
الذين هم في الوثاق والاسرى الذين هم في اليد وان لم يكونوا في الوثاق وقرئ تفدوهم اي تطلقوهم
بعد ان تأخذوا منهم شيئا قال الامام ابو علي فاديت نفسي اي اطلقتها بعد ان دفعت شيئا وقد يجي فاديت بمعنى
فديت اي دفعت عنه من مال النفس ومنه قول العباس رض للنبي فاديت نفسي وفاديت عقيلا وهما فعلان
يتعديان الى مفعولين الثاني منهما بحرف الجر تقول فديت زيدا بمال او فاديته بمال قال ابو علي كل واحد
من الفريقين فعل الاسر ودفع الاسير والماسور منه دفع ايضا اما اسيرا واما غيره والمفعول الثاني
محذوف وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما
اعتراض والضمير للشان ومحرم خبر واخراجهم مرفوع بمحرم ويجوز ان يكون اخراجهم مبتدأ ومحرم
خبر مقدم والجملة خبر هو او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى مصدر دل عليه تخرجون ويكون

محرم الخبر واخراجهم بدلا من الضمير في محرم او من هو او تأكيد بيان كيلا يذهب الوهم الى ان
يرجع ذلك الى قدا اسرى وانما اكد الاخراج بالنص على تحريمه وان كان ما سبق ايضا محرما لما فيه من
الجلاء والنفي الذي لا ينقطع شره بخلاف القتل فان شره ينقطع في الحال والمحرم الممنوع منه افتؤمنون
ببعض الكتاب يعني الفدية وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء والاستفهام بمعنى الانكار
والتوبيخ والتهديد يعود ذلك على التفريق بين احكام الله تعالى فكان مرجع الانكار لا الفدية المستفاد
من لفظ البعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا فاذا فعلتم ذلك تسببا لان يكون
جزاكم في الدنيا الاخزى وفي قوله منكم دلالة على ان التفريق المذكور فعل بعضهم والتوبيخ للكل لعدم منع
الباقين عنه والخزي الذل من الفضيحة وقد خزي خزيا فهو خزي والخزاية الاستحيا وقد خزي خزاية
قال المرزوقي واخزى يجوز ان يكون من الخزي الهوان ويجوز ان يكون من الخزاية الاستحيا والمراد
قتل قريظة فان قتل مقاتلتهم سبب لذراريهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم والدنيا
ماخوذة من دنا يدنو واصل الياء فيه واو ولكن ابدلت فرقا بين الاسماء والصفات وانما قدم ذكر الجزاء
هنا للاشارة الى بقائهم احياء على تلك الحال مدة مديدة واخر الجزاء في الاخرة لانه عندنا انتهاء يوم
القيمة ويوم القيمة يردون معنى الرد الارجاع ففيه اشارة الى انهم كانوا قبل ذلك مرة اخرى
في اشد العذاب وهو ما في القبر ثم ان فيه بيان ان ما كان في الحيوة الدنيا من الخزي غير مكفر لذنوبهم
الى اشد العذاب اي عذابا بلا روح فيه لانتفاء الاجزائه وذلك لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما
تعملون تأكيد للوعيد وقرئ يردون بالياء اعتبارا بقوله من يفعل وبالتاء اعتبارا بقوله منكم وقرئ
يعملون بالياء والتاء على الاعتبارين اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اي بحظوظها لا يحبونها
اذ هي لا تفوت عنهم والاشتراء مستعار لايثار العاجل الفاني على الاجل الباقي فلا يخفف عنهم
العذاب اي يبقى على شدته معطوف على الصلة من قبيل عطف الجمل فلا يشترط اتحاد الزمان ولا هم
ينصرون بدفعه عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل اي جئنا
من بعده بالرسل مقتفين اثره متبعين شريعته يقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب
وقفاه به اتبعه اياه ولولا اعتبار معنى جئنا على التضمين لضاع قوله من بعده واتينا عيسى ابن مريم
لما لم يكن عيسى عم من جملة المقتفين اثر عيسى عم المتبعين شريعته افرده بالذكر واضافه الى امه
تحقيقا لعدم نسبته الى الاب وفيه رد لقول اليهود حيث نسبوه الى الاب وعيسى بالعبرية ايشوع
ومريم بالسريانية الخادم وقد جعلتها امها محررة لخدمة المسجد وبالعبرية كالغوثة من الرجال وقال
ابو البقاء مريم علم عجمي ولو كان مشتقا من رام يريم كان مريما بفتح الميم وسكون الياء وقد جاء في الاعلام
بفتح الياء وهو مريد وهو خلاف القياس البينات الايات الظاهرات من قولك بان اي ظهر وما ثبت

به الدعوى من حيث افادته البيان يسمى بينة ومن حيث الغلبة به على الخصم حجة والمراد المعجزات
الواضحات كاحيا الموتى وابرا الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وايدناه فقويناه
بروح القدس جبرئيل ع م وذلك انه نزل بنفخه وانه عصمه من اول حاله الى كبره فلم يدن منه
الشيطان عند الولادة ورفعه الى السما حين قصد اليهود قتله والقدس الطهارة وكان الاصل الروح
المقدس لكن اضيف الروح الى القدس تنبيها على زيادة اختصاص الروح به لان من شان الصفة
ان يكون منسوبة الى الموصوف فاذا عكس واضافة اليها يزيد معنى الاختصاص افكلما جاكم رسول
بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوى بالكسر هوى اذا احب وهوى هويا بالفتح سقط
وانما اسند الهوى الى النفس لا الى ضمير الخطاب اشعارا بان حق السيئات ان تسند اليها وقوله
كلما جاكم مسبب عن قوله ولقد اتينا موسى الكتاب ولهذا دخلت الفا عليه على تقدير نحن انعمنا عليكم
ببعثة موسى ع م واتيناه الكتاب ثم اتبعناه الرسل واتينا عيسى ع م لتشكروا تلك النعم بالتلقي بالقبول
فعكستم بان كذبتم فريقا وقصدتم قتل اخرين ثم ادخل بين السبب والمسبب همزة التوبيخ والتعجيب
لتعكيسهم فيما يجب عليهم ويجوز ان يكون استينافا والفا للعطف على مقدر فعلى هذا ما عقبوا الانبيا
محذوف وهو قوله ففعلتم ما فعلتم وهو كناية عن التكذيب والقتل وغير ذلك من قبائحهم وعنادهم
ثم استانف الكلام موبخا عليهم مصدرا الجملة بهمزة الانكار على تقدير اكفرتم وخالفتم فكلما جاكم
رسول ويترجح هذا انه يثني التقريع عليهم والتوبيخ اجمالا وتفصيلا استكبرتم اى عن
قبول ما اتى به مما لا تحبه انفسكم على تضمين الاستكبار معنى الابا لا عن الايمان به لانهم كانوا
مصدقين ببعض من جا من بعد موسى ع م من الرسل كيوشع وداود وسليمان ع م ففريقا اى فريقا
منهم كذبتم يريد به التكذيب من غير قتل بقرينة تفريق هذا عن قرينة والا فمطلق التكذيب
ينتظمها والفا للسببية او التعقيب وفريقا اى فريقا اخر تقتلون حال ماضية اريد استحضارها
وتصويرها لشدة فظاعتها ونكرها فاخرجها مخرج الحال المشاهدة وقصد الدلالة على انهم بعد فيه
لانهم كانوا حول قتل محمد ع م لولا العصمة من الله تعالى ولهذا سحروه وسموه الشاة له ثم ان فيه محافظة
على الفاصلة وانما لم يذكر تكذيبهم هذا الفريق استغنا بذكر اقبح الفعلين عن الاخر وقالوا قلوبنا
غلف جمع اغلف وهو الذي لم يختن مستعار للقلوب المغشاة بالاغطية خلقة وجبلة اى مجبولة
على صفة لا يتوصل اليها ما جا به محمد ع م وقد افصح عن هذا في موضع اخر بقوله تعالى في قلوبنا اكنة
مما تدعونا اليه والقران يفسر بعضه بعضا وفي القراة الشاذة غلف بضم اللام جمع غلاف
وهو الغشا والوعا كالشهاب والشهب معناه قلوبنا اوعية للعلم تفهم وتعي ما يقال ويخاطب
به لكن لا نفهم ما تقول ولا نفقه ما تحدث فلو كان حقا وصدقا لفهمته فقهت بدعون به

43

ابطال ما يقول او نحن مستغنون بما فيها من غيره ويابى عن حمل القراة المتواترة على هذا التصريح ه
بالمعنى الاول في موضع اخر بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا اى ليست قلوبهم كذلك خلقة لانها
خلقت على الفطرة بل طردهم الله وابعدهم عن قبوله ذلك بسبب كفرهم واحتجابهم بالعقايد الفاسدة
فهم الذين غلفوا قلوبهم بما اسقطها عن الفطرة اثبت اللعن من نفسه والكفر منهم وهو مذهب اهل السنة
والجماعة والمعنى على القراة الشاذة بل انتم مبعدون عن حيز العلم مشوم كفركم لستم بعلما ولو كنتم كذلك
لتبلتم هذا وعلمتم به فقليلا ما يؤمنون اى فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وما
مزيدة للتاكيد لا نافية لان ما في حيزها لا يتقدمها وجوز وان تكون مصدرية على ان قليلا منصوب
بنزع الخافض ويجوز ان يكون المبالغة في القلة كناية عن العدم بنا على ان التقليل اذا بولغ فيه يستتبعه
العدم وح يجوز ان يكون انتصاب قليلا على الظرفية ولما جاهم كتاب اى القران من عند الله
زيادة عند لتعيين معنى النزول لان كل شي من الله تعالى مصدق لما معهم من كتابهم وفي مصحف ابي رض
مصدقا بالنصب على الحال من كتاب لتخصيص بالوصف وحذف جواب لما لدلالة جواب لما الثانية عليه
وقيل لما الثانية تكرار عليه للاولى والفا للاشعار بان مجيئه كان عقيب استفتاحهم به ولا بعد
فيه لان ما عرفوا حاصل الكتاب وكانوا من قبل اى من قبل مجي الكتاب يستفتحون اى يستنصرون
على الذين كفروا وهم المشركون الذين يقاتلونهم ويقولون اللهم انصرنا بنبي اخر الزمان المنعوت في
التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة كانهم يطلبون
الفتح من انفسهم كما في ما استعصم ونحوه وذلك لان الفعل مع الداعي والطلب يكون اقوى مجردا عنها او لانه
لما كان الفعل حاصلا يكون الطلب للزيادة فلما جاهم ما عرفوا من الكتاب او النبي كفروا به حسدا وخوفا
على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اى عليهم على ان التعريف للعهد كانهم الاصل فلا يعدل عنه الى الجنس
الا عند التعذر على ان الفا تابى عن الحمل على الجنس والاظهار في موضع الاضمار للدلالة على ان استحقاقهم اللعنة
لثباتهم على الكفر وكلمة على او قع من اللام لما فيها من الدلالة على انه تعالى جعل اللعنة متعلية عليهم جللهم بها
بئس ما اشتروا به انفسهم ما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن اى بئس شيئا اشتروا به انفسهم
اى باعوها او شروا بحسب ظنهم فانهم زعموا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا والمراد كفرهم في
الماضي الا انه عبر عنه بصيغة المضارع استحضارا لذلك الامر القبيح ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص
بالذم بغيا اى حسدا قال اللحياني بغيت على اخيك بغيا اى حسدته فالبغي اصله الحسد والباغي
هو الظالم الذي يفعل ذلك عن حسد واما بغى بمعنى طلب فمصدره بغا بضم البا وبغت بمعنى فجرت
مصدره بغا بالكسر وهو علة اشتروا لا ان يكفروا اذ المعنى على ذم الكفر الذي اوثر على الايمان
بغيا لا على ذم الكفر المعلل بالبغي واما الفصل فليس بما هو اجنبي الا ان يكون الموصوف والصفة

فى حكم الاتحاد وكذا التمييز والمميز فما لا يكون اجنبيا بالنسبة الى فاعل فعل الذم لا يكون اجنبيا بالنسبة
الى الفعل الذى وصف به تمييز ذلك الفاعل ثم انه لا ريبة فى ان ايثار الكفر على انفسهم بغيا وعنادا ادخل
فى الذم من ايثارهم الكفر الناشى عن البغى على انفسهم اذ لا يتعين ح كون الايثار عنادا او بغيا فيحتمل ان
يكون لوجه يخف به استحقاق الذم فالفرق واضح • ان ينزل الله • لان ينزل او حسدوه على ان ينزل
الله • من فضله • اى بعض فضله الذى هو الوحى او النبى الذى هو فضله • على من يشاء من عباده • على من
اختاره للرسالة • فباؤا بغضب على غضب • اى صاروا احقاء بغضب مترادف متراكم بعضه على بعض
لكفرهم بنبى الحق وبغيهم عليه او كفرهم بمحمد عليه السلام بعد كفرهم بعيسى عم وغير ذلك من انواع كفرهم
والاستحقاق معتبر فى مفهوم باؤا على ما تقدم بيانه ودلالة الفاء على سببية الاشترا المذكور
لذلك الاستحقاق لا على الاستحقاق وقوله بغضب حال او على غضب صفة • وللكافرين عذاب مهين •
يراد به اذلالهم وتقديم الجار والمجرور للتخصيص فان عذاب العاصى من المومنين طهرة لذنوبه • واذا   للتخصيص
قيل لهم امنوا بما انزل الله • اى بجميع الكتب الالهية • قالوا نومن بما انزل علينا • خصصوا ايمانهم بالتورية
ويكفرون • حال من الضمير فى قالوا على حذف المبتدا وتقديره وهم يكفرون او تجويز الواو فى المضارع
المثبت • بما وراءه • قال الازهرى انه وراء يصلح لما قبله ولما بعده لا لانه وضع لكل منهما على حدة بل
لان معناه ما توارى عنك اى استتر وهو موجود فيهما وهو فى الاصل مصدر جعل ظرفا يضاف الى الفاعل
والمفعول قيل يراد على الاول الخلف وعلى الثانى القدام وفيه نظر • وهو الحق • الضمير لما وراءه الشامل
للانجيل والقران وانما وحد لتوحد اللفظ • مصدقا لما معهم • حال مؤكدة تتضمن الرد لايمانهم بالتورية
لانهم لما كفروا بما يصدقها حيث نزل على حسب ما نعت فيها فقد كفروا بها والجملة حال بما وراءه وتعريف
الخبر لزيادة التوبيخ والتجهيل بمعنى انه خاصة هو الحق الذى يقارن تصديق كتابهم ولولا الحال عنى
مصدقا لم يستقم الحصر لانه فى مقابلة كتابهم وهو ايضا حق • قل فلم تقتلون انبياء الله ان كنتم
مؤمنين • الفاء جواب شرط مقدر دل عليه المعنى اى قل لهم ان كنتم امنتم بما انزل عليكم فلم تقتلون
انبياء الله فان ذلك لمنزل ينهى عنه وانما قال تقتلون حكاية للحال الماضية كانه قيل فلم كنتم تقتلون
وانما اسنده اليهم لانه فعل ابائهم وهم راضون به عازمون عليه وتجوزوا ان يكون المعنى على التضمين
فلم ترضون بقتل الانبيا وتعزمون عليه وح يتضح وجه الاعتراض ولم اصله لما وسقطت
الالف وهذا السقوط مختص بالاستفهامية لانها تامة والفها طرف والاطراف محل الحذف وغيره
من التغيير بخلاف الموصولة فانها ناقصة تحتاج الى ما توصل به وهى وما توصل به كاسم واحد فالفها
فى حكم المتوسطة • ولقد جاءكم موسى بالبينات • بالمعجزات الواضحة ويدخل فيها فلق وهو خارج عن
الايات التسع المذكورة فى قوله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات لان المراد منها ما جاء به موسى عم

اى ذوين

الى فرعون على ما تقف عليه فى موضعه باذن الله تعالى فلا وجه لحمل البينات المذكورة على الايات
التسع • ثم اتخذتم العجل • اى الها ولفظ ثم ابلغ من الواو فى التقريع لانها تدل على انهم فعلوا ذلك بعد مهلة
من النظر فى الايات وذلك اعظم ذنبا • من بعده • اى من بعد مجئ موسى عم لكم بالبينات لا من بعد مجيئه او
ذهابه الى الطور لعدم انفهامه من سياق الكلام • وانتم ظالمون • حال اى واضعون العبادة غير
موضعها او ظالمون بالاخلال بايات الله تعالى فيجوز ان يكون اتخذ من قبيل اتخذتها نما بمعنى صنعه
وعمله ففايدة الحال الظاهر لان الاتخاذ بهذا المعنى لا يكون ظلما الا حال كونه مقرونا بالعبادة وعلى
الاول فايدته زيادة التوبيخ والتقبيح او اعتراض بمعنى انتم قوم عادتكم الظلم ومساق هذا ايضا
لابطال قولهم نومن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول عم طريقة اسلافهم مع موسى عم
لا لتاكيد القصة بالتكرير وكذا ما بعده • واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما ا   تبيناكم
بقوة • فيجوز ان يكون تكريرا لما نيط به من زيادة ليست مع الاول • واسمعوا • اى اطيعوا فان الامر
بالسماع فى العرف يفيد الاجابة والقبول ومنه سمع الله لمن حمده اى قبل واجاب فقال دعونا الله حتى خشيت ان
لا يكون الله يسمع ما اقول اى يقبل وهم حملوه على المفهوم اللغوى تجاهلا وتعاميا عنادا منهم
وقالوا سمعنا • اى القول • وعصينا • اى الامر قال الامام القرطبى اختلف هل صدر منهم هذا القول
او فعلوا فعلا قام مقامه فيكون مجازا وقال الامام ابو منصور قولهم وعصينا لم يكن على اثر قولهم
سمعنا لكن بعده باوقات فانهم لما ابوا قبول التورية لما فيها من الشدايد رفع الله تعالى الجبل فوقهم
فقبلوها خوفا وقالوا سمعنا واطعنا فلما زال الجبل وامنوا قالوا عصينا وهو ما ذكر فى قوله تعالى
ثم توليتم وكان التولى بعد ذلك باوقات • واشربوا فى قلوبهم العجل • اى تداخلهم فيه ورسخ فى قلوبهم
صورته لفرط شغفهم به وهذا كما يقال اشرب الثوب الصبغ اجزائه تداخل الماء اعضاء الشارب كانه
جعل شاربا اياه وفى العدول عن الظاهر وهو اشرب قلوبهم حب العجل الى ما عليه المنزل لما لا يخفى من الفخامة
والابهام والتفسير من وجوه المبالغة فى الاسناد الى الكل والدلالة على التمكن المستفاد من الظرفية وان العجل
نفسه هو المشرب مبالغة فى اشراب الحب الى غير ذلك • بكفرهم • بسبب كفرهم حاصرا انهم كانوا مجسمة وحلولية
قل بئسما يامركم به ايمانكم • اى بالتورية اذ ليس فيها عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم وكذلك
اضافة الايمان اليهم اما الثانى فظاهر كما فى قوله ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون تحقيرا واسترذالا له ولدلالة
على ان مثل هذا لا يليق ان يسمى ايمانا الا بالاضافة اليكم وليس المراد انه استعارة تهكمية واما الاول فلان الايمان
انما يامر ويدعو الى عبادة من هو غاية فى العلم والحكمة فالاخبار بان ايمانهم يامر بعبادة من هو غاية فى البلادة
غاية التهكم والاستهزاء واجعل يامر به بمعنى يدعو اليه اولا وسوا قصد الاسناد الى السبب الباعث مجازا
كما قد يتوهم اولا كما هو الحق والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة

في الايات الثلثة الزاما عليهم ❊ ان كنتم مؤمنين ❊ ليس الشك من المتكلم لاستحالته لان المامور بهذا القول
مما يصح منه الشك بل لعدم مطابقته للواقع ولا للتشكيك اذ لم يعهد استعمال ان للتشكيك السامعين بل التقرير
القدح في دعواهم الايمان بالتورية وذلك ان القايل قد ياتي بالشرط وهو جازم بعدم وقوعه اقامة للحجة
بقياس بين كما في قوله ان كنت قلته فقد علمته وتقديره ان كنتم مؤمنين بها فبئسما يامركم به ايمانكم بها لان
المومن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يامر به فاذا لستم بمؤمنين ❊ قل ان كانت
لكم الدار الاخرة عند الله ❊ المراد من الدار الاخرة الجنة وانما قال عند الله تشريفا لها وتنبيها على انها
في غاية الغيب ❊ خالصة ❊ صافية عن شوب خطر التخلف لعدم احتمال الزوال لها وهو سبب الاستحقاق وهو
كونهم ابناء الله واحباؤه في زعمهم اصل الخلوص الصفوة والاخلاص تصفية السر والقول والعمل الا انه
ضمن معنى الاختصاص على ما ستقف عليه وهو نصب على الحال من الدار عند من جوز مجي الحال من اسم كان
واما عند من لم يجوزه فهو حال من الضمير المستتر في الخبر العايد الى الدار ومرجع الخلاف الى ان اسم كان هل
هو فاعل اولا ❊ من دون الناس ❊ متعلق بخالصة باعتبار تضمنه معنى الاختصاص ودون لفظ يستعمل للاختصاص
وقطع الشركة تقول هذا لي دون لك ومن دونك اي لاحق لك فيه ولا نصيب وفي هذا الاستعمال ياتي بمعنى
الانتقاص في المنزلة او في المكان والمقدار فان قلت اليس قد استفيد معنى الاختصاص من تقديم الظرف
قلت نعم الا انه يحتمل ان يراد به الاختصاص بجنس المخاطبين فلا قطع فيه بالمعنى المقصود فان قلت لا وجه
لدعوى الاختصاص مطلقا لانهم لا ينكرون ان من مات قبل حدوث اليهودية على شريعة ابراهيم عم يدخل
الجنة قلت ذلك اذا كان معنى الخلوص الاختصاص واما اذا كان معناه الصفاء عن شوب خطر التخلف فلا بعد
في ان يدعوا الاختصاص دخول الجنة مقيدا بتلك الحال لا بنفسهم مطلقا وايضا تفرع الامر بالتمني الاتي ذكره
انما يصح على اعتبار الخلوص بالمعنى المذكور والظاهر ان المراد من الناس ساير الامم لا ساير هم مطلقا حتى يتنظم
الانبياء عم اذ هم لا ينكرون الانبيا المتقدمين كنوح وابراهيم واسحاق ويعقوب ولا دلالة في قولهم لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى على ما ذكر لان المفهوم منه اختصاص الجنة بهم لا اختصاصهم بالجنة
وما يصلح منشأ للتمني المذكور انما هو الثاني دون الاول على ما نبهت عليه انفا ❊ فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين ❊ لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوايب ولا يذهب
عليك ان هذا الايقان على تقدير ان يكون معنى الخلوص ما ذكرناه لا ما ذكره القوم ❊ ولن يتمنوه ابدا
بما قدمت ايديهم ❊ بما اسلفوا من الكباير الموجبة لدخول النار وانما اسند التقديم الى اليد لانها
اعظم الاعضاء في التصرف وعن النبي عم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما
بقي على وجه الارض يهودي والمراد بالتمني قول القايل ليتني مت لا معناه في القلب دل عليه قوله
عليه السلام لغص بريقه وان التحدي لا يمكن بالاعمال القلبية لخفائها ولو كان المراد المعنى القلبي

45

لكان يمكنهم ان يقولوا تمنينا كاذبين ولو وقع ذلك لنقل الينا لتوفر دواعيهم على النقل
مع كثرتهم ولو نقل لاشتهر وكذا قول احدهم ليتني مت لم ينقل مع كثرة اليهود وغيرهم من الطاعنين
في الاسلام كما نقل ساير المطاعن فهذه الجملة اخبار بالغيب صادقا كقوله ولن تفعلوا ❊ والله عليم
بالظالمين ❊ تهديد لهم ❊ ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ❊ من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين
وهما هم واحرص وتنكير حيوة للدلالة على نوع من الحياة متطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع
من قراءة على الحيوة ❊ ومن الذين اشركوا ❊ اما ان يكون معطوفا على الناس محمولا على المعنى لان المعنى احرص
من الناس واما ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص عليه وعلى الوجه الاول
انما خص المشركون بالذكر لاختصاصهم من بين الناس بزيادة الحرص على الحيوة الدنيا لعدم اقرارهم
بالبعث فكانهم نوع اخر غير الناس ففي افرادهم بالذكر زيادة توبيخ وتقريع لاهل الكتاب لانه
لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صايرون الى النار وقيل
من الذين اشركوا كلام مبتدا على حذف الموصوف اي من الذين اشركوا اناس ❊ يود احدهم ❊ الى ان
المراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم هذا ارسال بذي اي عش الف سنة فالجملة
على هذا صفة محذوف وعلى الاولين استئناف لبيان زيادة حرصهم ❊ لو يعمر الف سنة ❊ حكاية لوداد
على طريقة الالتفات لان لو للتمني وكان القياس لو اعمر ليطابق لحكاية المحكي الا انه جرى على لفظ يود
بالغيبة كقولهم حلف بالله ليفعلن ومفعول يود محذوف كالتمني اجرا للفعل مجرى اللازم اي يحب
من احدهم الوداد المطلقة فيكون لو يعمر توضيحا بعد الابهام للايقاع في النفس ويجوز ان تكون
لو هذه مصدرية بمنزلة ان تاكيدا لمعنى الوداد فيكون مفعولا ليود والضمير في ❊ وما هو بمزحزحه
من العذاب ❊ لاحدهم و ❊ ان يعمر ❊ فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل
الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة
التبعيد والانجاء ❊ والله بصير بما تعملون ❊ قرئ بالتاء جريا على الغيبة وبالتاء على سبيل الالتفات
وكنى بالبصير عن العليم مبالغة في ادراك الخفيات وفيه تهديد ووعيد ❊ قل من كان عدوا لجبريل ❊
نزل في عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله عم وساله عمن ينزل عليه فقال جبريل
فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر
فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه
والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رض مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا
يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما
منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون

فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبرئيل قد
سبقه بالوحي فقال لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهورات جبرئيل
كسلسبيل وجبريل بحذف اليا وجَبريل وجبرئل بفتح البا وكسرها وحذف الهمزة واربع في الشواذ
جبرائيل وجبرائل بالمد فيهما وحذف اليا في الثانية وجبرال بحذف اليا وتشديد اللام وجبرين
قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله
ومن للشرط وقوله • فانه نزله • تعليل للجزاء قام مقامه والبارز الاول لجبريل عم اي فلا
وجه لعداوته فانه نزل اي القران واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه
وفرط شهرته يدل على نفسه ويستغنى بذكر شي من صفاته عن التصريح باسمه • على قلبك • لانه
القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وحرف الاستعلا للدلالة على ان المنزل ياخذ بمجامع قلبه
وكان الظاهر ان يقول على قلبي لكنه جا على حكاية كلام الله تعالى كانه قال قل ما تكلمت به • باذن
الله • بتيسيره حال من فاعل نزل • ومصدقا لما بين يديه • حال عن ضمير القران وكذا • وهدى وبشرى
للمؤمنين • اي فحقهم ان يحبوه ويشكروا له صنيعه لانزاله ما يصدق كتابهم وجميع الكتب المنزلة
قبله ويهديهم ويبشرهم ان كانوا مؤمنين به ويجوز ان يكون المعنى من عادى جبريل فالسبب
في عداوته انه نزل القران على قلبك مصدقا لما بين يديه موافقا اباه وهم يكرهون القران
خوفا من فوات رياستهم ولهذا يحرفون كتابهم وينكرون موافقته اياه • كقولك ان عاداك فلان
فقد اذيته او خوف افتضاحهم لانه يكشف عن اسرارهم من تحريف التورية وكتمان نعت الرسول
وعداوة المؤمنين • من كان عدوا لله • اراد بعداوة الله تعالى مخالفة امره او معاداة المقربين
من عباده وصدر الكلام بذكره على طريقة التمهيد تفخيما لشانهم كما في قوله تعالى والله ورسوله
احق ان يرضوه • وملائكته ورسله • من بني ادم والملائكة ولو لم يكن المراد من الرسل ما يعم
الرسول من جنس الملائكة لما حسن الفصل بها بينهم وبين ما خص منهم بالذكر • وجبريل وميكال •
خصهما بالذكر مع اندراجهما تحت عموم الملائكة والرسل لفضلهما وكان منهما كان كل واحد
منهما براسه تنزيلا لتغاير الوصف منزلة تغاير الذات وتنبيها على ان معاداة الواحد والكل
سوا في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وفي ميكائيل خمس لغات ميكائيل وميكائل بحذف
اليا وميكئيل وميكئل بحذف المد عنهما او اليا وميكال بحذف الهمزة واليا وانما ذكر ميكائيل
مع انهم كانوا يقولون لو كان ميكائيل صاحب محمد لاتبعناه لانه كان بالخصب والسلم تنبيها
على ان من ابغض جبريل فقد ابغض ميكائيل لانهما قرينان بغض احدهما يستلزم بغض الاخر
فان الله عدو للكافرين • مجرد المعاداة ظاهر معلوم فلابد من الحمل على الكناية لزيادة الفائدة

المقربين

اي من

46

اي من عاداهم عاقبه الله اشد العقاب ولما كان فيه تنزيل المقدر منزلة المحقق استحق التاكيد
بالجملة الاسمية وان الشدة المذكورة معتبرة في المكني عنه ولا تاثير فيها لتاكيد الخبر وكان الظاهر ان
يقول فانه عدو لهم والعدول عن الظاهر اولا للتهويل ولان فيه احتمال ان يذهب الوهم الى رجوع الضمير
الى مجموع ما تقدم وثانيا للدلالة على ان عداوة المذكورين كفر ولان الكفر سبب لعداوة الله تعالى
اياهم • ولقد انزلنا اليك ايات بينات • اي واضحات الدلالة لا التباس فيها فعدم الايمان بها ليس
لشبهة • وما يكفر بها • عطف على مقدر اي فلا يشتبه على احد ولا يكفر بها • الا الفاسقون • الا
المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن
ابن عباس رض قال ابن صوريا قال للرسول عم ما جئتنا بشي نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك لها فنزلت
واللام للجنس والمراد اهل الكتاب الخارجين عن دينهم لان الاية نزلت فيهم وطرفيها كلام في شانهم والوصف
بالتمرد اليق بحالهم ففيه دلالة على ان ذلك الخروج سبب لكفرهم فيكون فيه مبالغة وجعل كفر غيرهم
كالعدم ومن لم يتنبه لهذا زعم ان الاحسن ان تكون للعهد • اوكلما عاهدوا عهدا • الواو للعطف على محذوف
اذ لا مجال للعطف على الكلام السابق معناه واكفروا بالايات البينات وكلما عاهدوا والهمزة انكار للجمع بين
الكفر ونقض العهد وقرئ بسكون الواو على ان الفاسقين بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل الا الذين فسقوا
او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة لا على ان الواو العاطفة اسكنت اسكان الهاء في وهو لانه لم يثبت مثل ذلك
في الواو العاطفة واو في مثل هذه المواضع تفيد تساوي الامرين في الوقوع مع ان الثاني ابعد وابن ابان
لا يتبع فيحمل على انها بمعنى بل وقد اثبتها الثقات وشهد بها الاستعمال ودلت عليها ههنا القرينة وهي قوله بل
اكثرهم لا يؤمنون ترقيا الى الاغلظ فالاغلظ • نبذه فريق منهم • النبذ الرمي بالزمام ورفضه
ولم يغلب فيما ينسى فلذلك احتيج الى زيادة قوله • وراء ظهورهم • عند ارادة معنى النسيان وانما قال فريق
منهم لان بعضهم لم ينقض • بل اكثرهم لا يؤمنون • رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون وعلى تقدير ان
يكون من لم ينبذ جهارا يؤمنون اخفا • ولما جاءهم رسول • تنكير الرسول للتعظيم وفي قوله من عند الله
اشارة الى استحقاقه التعظيم من جهة اخرى • مصدق لما معهم • من الكتاب وتصديقه كونه ذكر على الوصف
الذي ذكر فيه فالمراد من الرسول محمد عم • نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله • يعني التوراة حيث
لم يعملوا بموجب ما فيها ومو الايمان بالرسول المصدق لها • وراء ظهورهم • النبذ وراء الظهر مثل لترك الشي
والاعراض عنه بالكلية مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقد يكون كناية عن نسيانه
فان نبذ الشي وراء الظهر يستتبع نسيانه غالبا ويجوز ان يستعار النسيان للاعراض راسا ثم يكون
ثم يكون النبذ وراء الظهر كناية عنه بالاستعارة وهذا ابلغ من الكناية ابتداء والاستعارة التمثيلية
• كانهم لا يعلمون • انه كتاب الله تعالى جملة حالية وكان فيه ايماء الى ما ذكر من الاستعارة المنوية ٥

واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، عطف على نبذ اى نبذوا كتاب الله تعالى واتبعوا كتب السحر والشعوذة
التى كانت الشياطين وهم المتمردون من الجن يقرؤنها على عهد سليمان عم وليست على صلة التلاوة بل من قولهم
كان هذا على عهد فلان اى فى وقته وزمانه وتتلو حكاية حال الماضية، وما كفر سليمان، تكذيب لمن زعم
ان سليمان عم تسخر الانس والجن والريح بالسحر وان ملكه تم بهذا العلم والكناية عن السحر بالكفر للدلالة على انه
كفر والاشارة الى ما يوجب تنزهه عم عنه كانه قال وما سحر سليمان لان السحر كفر والنبى معصوم عن الكفر
ولكن الشياطين كفروا، لما نفى الكفر عن سليمان وكان الشياطين قد سخرت لسليمان عم يستعملهم فيما يشا فقد
يتوهم انهم لا يكفرون ايضا اذ هم فى خدمة نبى فاستدرك بانهم كفروا باستعمالهم السحر وقرا الحسن
الشياطين قال السجاوندى خطاه الخارزنجى ولو سلم صحته فلا خفا فى عدم فصاحته، يعلمون الناس
السحر، اغوا واضلالا والجملة حال من الضمير والسحر مزاولة النفوس الخبيثة لافعال واقوال يترتب
عليها امور خارقة للعادة ولا يروى خلاف فى كون العمل به كفرا وعده نوعا من الكباير مغايرا للاشرا
لا ينافى ذلك لان الكفر اعم والاشراك نوع منه ومر فى اصل اللغة الصرف حكاه الازهرى عن الفرا ويونس
فاطلاقه على ما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية وما يريك صاحب خفة اليد باعتبار ما فيه
من صرف الشى عن جهته حقيقة لغوية، وما انزل على الملكين، عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف
لانه نوع اقوى منه كانه من جنس اخر وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلا من الله تعالى للناس وقيل رجلان
سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة ملكين بالكسر وقيل ما انزل نفى معطوف على ما كفر تكذيب لليهود فى
هذه القصة وهذا يكذبه قوله تعالى وما يعلمان من احد فانه اذا لم يكن هناك شى منزل فالتعليم والتعلم فى اى
شى يكون ببابل، ظرف او حال من الملكين او الضمير فى انزل قال ابن مسعود رض هى فى سواد الكوفة ومنع صرفها
للعلمية والتانيث، هاروت وماروت، عطف بيان او بدل للملكين ومنع صرفهما للعلمية والعجمة ولو كانا
من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرى هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت
وماروت او بدلا لما من الشياطين بدل البعض عن الكل فيصحح لما قيل انما انزل نفى ويرده تعلق قوله
وما كفر سليمان الاية لما قبله تعلقا خاصا بحيث لا ينتظم بدونه فان المبدل منه فى حكم الساقط بحيث
لو اقيم البدل مقامه لا ينتظم الكلام معه، وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة، تفريع بما قدمناه
من ان انزال السحر عليهما للابتلاء اى ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويبينا على انه سحر والعمل به كفر والفتنة
ما يتبين بها حال الانسان من الخير والشر يقال فتنت الذهب بالنار اذا جربته بها لتعلم انه خالص
او مشوب ومنه الفتانة وهى الحجر الذى يجرب به الذهب والفضة، فلا تكفر، بالعمل به او باعتقاد
جوازه انما نحن ابتلاء من الله واختبار قال على رض كانا يعلمان تعليم انذار لا تعليم دعاء اليه كانهما يقولان
لا تفعل كذا وكذا والصحيح من مذهب اصحابنا ان تعلمه حرام مطلقا لانه توسل الى محظور عنه غنى وتوقيه

بالتجنب اصلح واحوط، فيتعلمون منهما، عطف على يعلمان المقدر اى يعلمان فيتعلمون الناس على ان الضمير لما دل
عليه من احد، ما يفرقون به بين المرء وزوجه، اى ما يحدث الله عنده التفرقة بينهما، وما هم بضارين به
اى ما يفرقون من احد الا باذن الله استثنا مفرغ من الاحوال العامة حال من فاعل بضارين ومن احد فى محل النصب
بالمفعولية فى الموضعين وفى زيادة من تاكيد بليغ فيهما وقرى بضارى على حذف النون من اسم الفاعل
وان لم يكن فيه ال قال ابو حيان له نظير فى نثر العرب ونظمها واما حذفها على الاضافة الى احد وجعل الجار جزء
منه فمردود بان الجار موثر فيه وجزء الشى لا يوثر فى الشى، ويتعلمون ما يضرهم، لما عرفت انه افعال
واقوال يزاولها النفوس الخبيثة فحصوله لا يخلو عن نوع تاثير فى نفس المتكلم واما ما قيل لانهم يقصدون
به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا فانما يصلح وجها لضرر العلم لا لضرر المعلوم، ولا ينفعهم، نفى لاحتمال
ان يكون ضرره مشوبا بنفع فى الجملة وهذا كالرد على من توهم ان فى تعلمه ليتوقاه ولئلا يغتر به نفع ما له
واستشهد بقول ابى نواس عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لم يعرف الشر من الشر وقع فيه، ولقد
علموا، اى اليهود، لمن اشتراه، اى استبدله بكتاب الله تعالى والضمير لما تتلوا الشياطين واللام الاولى
للتاكيد القسمى والثانية لام الابتداء لتعلق فعل العلم، ما له فى الاخرة من خلاق، نصيب، ولبئس ما شروا
به انفسهم، عطف على جملة القسم والجواب او على الجواب وعطف الانشا على الاخبار كثير وقد تقدم الكلام
فيه، لو كانوا يعلمون، جواب لو محذوف اى لارتدعوا عن تعلم السحر وايثار كتبه او لكان خيرا لهم والمعنى لو
اعتادوا العمل بموجب العلم كنى عن عدم العمل بموجب المعلوم بعدم العلم تنبيها على قوة الملازمة بين العلم
والعمل بموجبه وان علم العمل لعدم الصحة فيما يوجبه من العلم، ولو انهم امنوا، برسول الله والقران
او التورية لان ايمانهم بها كلا ايمان، واتقوا، اجتنبوا ما هم عليه من اتباع السحر واستبدلوا بكتاب
الله، لمثوبة، لشى ما من الثواب، من عند الله، فيه تعظيم للثواب وتنبيه على بقائه بناء على ان ما عند الله
عبارة عما فى عالم الغيب اعنى عالم الاخرة ودفع لما عسى ان يتوهم ان التنكير التعليلى فى مثوبة للتحقير
خير، جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خير مما شروا به انفسهم حذف الفعل وركب الباقى
فى جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من
ان ينسب اليه ويجوز ان يكون لو انهم امنوا تمنيا على سبيل المجاز كانه قيل وليتهم امنوا واتقوا وترك
الجواب فى لو هذه كاللازم لكونه فى معنى ليت وتقديره لو امنوا واتقوا لكان حسنا او يراد بالجملة الابتدائية
بعد كالتعليل للتمنى، لو كانوا يعلمون، ان ثواب الله تعالى خير لهم مما هم فيه جهلهم لتركهم العمل
بعلمهم، يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا، راعنا امر من المراعاة يقتضى المشاركة
غالبا اى ليكن منك رعى لنا ومنا رعى لك والرعى حفظ الغير لمصلحته نهوا عن ان ينطقوا بلفظ يقتضى
المشاركة مع من يعظم وتضمن هذا النهى عن كل ما يكون فيه استوا مع النبى عليه السلام وروى ان المسلمين

كانوا يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم راعنا اى راقبنا وتأن بنا فيما يلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوا
وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التى كانوا يتسابون بها وهى راعينا فنهى
المومنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يحتمل التلبيس وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرى
وانظرنا من النظرة اى امهلنا حتى نحفظ وقرى راعونا على لفظ الجمع للتوقير وقرى راعنًا بالتنوين
اى قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا فتسبب للسب واسمعوا ما يكلمكم
به رسول الله سماع تيقظ حتى لا تحتاجوا الى المراجعة وطلب المراعاة او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا
الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم فى تركها وللكافرين اى الذين تهاونوا الرسول عم وسبوه عذاب اليم
بسبب كفرهم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين المودة محبة الشئ مع تمنيه ولذلك
يستعمل فى كل منهما ومن للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون ولا مزيدة للتاكيد
نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المومنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير ان ينزل عليكم
من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق بعد النفى والثانية للابتداء وفسر الخير
بالوحى والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شئ منه وبالعلم وبالنصرة والوجه تعميمه
للكل لانه نكرة فى سياق النفى بالواسطة والله يختص برحمته من يشاء على مقتضى حكمته وتفرد اسم
الله على الفعل للتاكيد والتخصيص ثم وضع المظهر موضع المضمر للتعظيم وتنبيه بمعنى الاضافة بالانفراد
والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة هى الفضل العظيم والله تو صاحبه دون غيره ما ننسخ
من اية او ننسها وقرى ما ننسخ من انسخ وننسيها بالتشديد وننسأها بالهمزة وتنسها وتنسها من
نسى وانسى على خطاب الرسول عليه السلام وقرى ما ننسك من اية او ننسها وما ننسخ من اية او ننسكها
والنسخ فى اللغة هو النقل والتحويل ومنه انتساخ الكتاب هو نقله من نسخة الى اخرى ونسخ الاية بيان
انتهاء التعبد بقراءتها او حكمها او بهما جميعا وانساخها الامر بنسخها ونسؤها تاخيرها واذهابها
لا الى بدل وانساؤها وتنسيتها ان يذهب بحفظها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به
على المفعولية وننسها مجزوم ايضا للعطف على المجزوم وجزمه بحذف الياء ومنه والاية على المعنى
اللغوى وهو ما عز من الكلام يقال خرج القوم بآيتهم اى بجماعتهم اذ الاختصاص للنسخ بتمامه
الاية المعطاة نات بخير منها مما هو انفع لكم فى الدنيا او فى الاخرة او مثلها فى النفع والثواب
منهما نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون ان محمدا يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر
بخلافه ففى الاية دلالة على جواز النسخ بل على وقوعه قيل وذلك لان الاحكام شرعت والايات
نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمته وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص
كاسباب المعاش فان النافع فى عصر قد يضر فى غيره وكان هذا القائل غافلا عن قوله تعالى فبظلم من

الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم او عن دلالته على ان النسخ قد يكون غضبا على قوم ثم ان قوله
وذلك يختلف باختلاف الاعصار مبناه الغفول على ان النسخ قد يكون قبل العمل بالمنسوخ الم تعلم الخطاب
لكل احد لان الامر عظيم شامل والتيقظ له ضرورى للكل فيصلح ان يخاطب به كل احد ان الله على كل شئ قدير
فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله فى الخير ويجوز ان يكون الخطاب لمحمد عم تعريضا للمشركين
او لليهود كما ان قوله تعالى انت قلت للناس اتخذونى فى خطاب لعيسى يوم القيمة تعريضا للنصارى الم تعلم
تاكيد للامر وجعله استفهاما محضا ومعادلة ام تريدون فغفلة عن دقيق فصاحة كلام العرب ان الله
له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويليها ويدبرها فيتعبدكم بما يشاء مما يرى فيه مصلحتكم
وما لكم من دون الله من ولى من يلى اموركم ولا نصير من ينصركم عليه وفى اظهار اسم الله فى من دون الله
مامر آنفا ثم لما قرر عليهم انه مالك امورهم ومدبرها بحسب مصالحهم وانه لا ينزل عليهم الا ما هو خير لهم
اراد ان يوصيهم بالثقة لهم به فيما ينزل عليهم ويدبر به امرهم ويتعبدهم وان لا يكونوا كقوم موسى عم
فى السؤال عن امور عادت عليهم وبالا فيسالوا رسولهم ما يضرهم ولا ينفعهم فقال ام تريدون ان تسالوا
رسولكم ام هى المنقطعة بمعنى بل والهمزة فمعنى بل الاعراض عن اعتراضهم على القران بالنسخ وطعنهم وغفلتهم
عن حكمة الله تعالى ومعنى الهمزة انكار لما يناسبه من اقتراحهم على النبى عم كاقتراحهم على موسى عم وفيه مبالغة
فى النهى حتى كانهم كانوا بصدد الارادة فنهوا عن الارادة فضلا عن السؤال يعنى من شان العاقل ان لا يقصد
ارادة ذلك ويجوز ان تكون متصلة بهمزة محذوفة اى تعترضون عليه بالنسخ وتطعنون فيه ام تريدون
ان تسالوا وقوله كما سئل موسى من قبل بلفظ المبنى للمفعول ترشيح لهذا المعنى يعنى ان من يسال مثل
هذا السؤال حقيق بان يصان عن ذكره المقال والا فالمناسب ان يشبه سؤالهم بسؤال قومه او سؤال نبينا
عليه السلام بسؤال موسى عم على المصدر المبنى للفاعل ثم ذيل الكلام بقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان
اى من ترك الثقة بالايات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل الطريق المستقيم
اضاف الوصف الى الموصوف ليفيد بعد الانحراف ويكون اولى بطريق سمعهم بعد الضلال لاستواء الا
فيتنبهوا على انهم اخطاوا والاستقامة فى طريقهم فيرجعوا وهو ابلغ من قولك فقد ضل الطريق
المستوى ود كثير من اهل الكتاب يعنى احبارهم لو يردونكم تمنوا ان يردوكم فان لو
تنوب عن ان فى المعنى دون العمل من بعد ايمانكم كفارا حال او مفعول ثان على ان يضمن يرد معنى
يصير حسدا مفعول له او حال اريد به نعت الجمع اى حاسدين لكم والحسد الاسف على
من له خير بخيره والتمنى ان يزول عنه اليه من عند انفسهم متعلق بحسدا اى حسدا ناشيا من
عند انفسهم ويجوز ان يتعلق بود اى تمنوا ارتدادكم من قبل انفسهم وشهوتهم لا من جهة التدين
والميل الى الحق لانهم تمنوا ذلك من بعد ما تحققوا انكم على الحق من بعد ما تبين لهم الحق

بالمعجزات والنعوت المذكورة في التورية ومعنى الغاية فاعفوا واصفحوا السببية يعني اذ علمتم
ان ودادتهم المؤكدة انما هي لحسدهم لا للدين فليس عليكم ازالتها فلا سبيل لكم الا العفو وهو الترك والصفح
وهو الاعراض حتى يأتي الله بامره من قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بالجزية ولا يخفى
ما في نسبة الاتيان اليه تعالى من التعظيم والتهويل ولذلك عدل عن الاصل وهو حتى يأذن الله ولما
كان مظنة ان يسبق الى الوهم ان ذلك التوقف لعدم القدرة على الانتقام على الغور تدارك دفعه
بقوله ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم اي وقت شاء وعن ابن عباس رض انه منسوخ
باية السيف والغاية التي يتعلق بها الامر اذ كانت لا تعلم الا شرعا لم يخرج ذلك الوارد من ان يكون
ناسخا دل على ذلك انتساخ حكم التورية والانجيل بظهور نبينا عم مع ما فيهما من بيان حكمها بظهور
النبي الامي واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر واللجا الى الله تع
بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير اي شيئا قليلا من جنس الخير تجدوه جا في الاحاديث
الصحاح ان الاعمال نفسها تتجسد يوم الجزاء ويوجد نفسها عند الله قد مر تفسيره ان الله بما تعملون
بصير وعد يتضمن الوعيد على عدم الاخلاص في العمل وقرئ بالياء فيحتمل وعيدا وقالوا عطف
على ود لاهل الكتاب من الفريقين لن يدخل الجنة الا من كان هودا جمع هائد كعائذ وعوذ وهو
جمع لاعتبار عليه في فاعل بتوحيد الاسم المضمر في كان وجمع الخبر باعتبار اللفظ والمعنى او نصارى
لف بين قولي الفريقين كما في قوله كونوا هودا او نصارى ايجازا اعتمادا على فهم السامع وامن الالباس
لتميزها بين الناس بالتعادي تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين
خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الاية غيرهم على حذف المضاف
اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض وقد مر ان الامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة
والاعجوبة والتمني تقدير الشيء في النفس وتصويره فيها ولما كان اكثره عن تخمين صار البطلان له
املك قل هاتوا برهانكم اي احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة والبرهان مشتق من
البره وهو القطع او من البرهنة وهي البيان ان كنتم صادقين في دعواكم فان قلت هل لا يجوز ان يكون
واحد منا صادقا في دعواه ومع ذلك يكون عاجزا عن اثباته قلت يجوز ذلك في العقليات واما
الذي مداره على السمع فلا يجوز بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه اخلص
نفسه لله لا يشرك به غيره عبر بالوجه عن الجملة اذ هو اشرف الاعضاء ومجمع الحواس وكان اثر الانقياد
والخضوع يظهر فيه وهو محسن في عمله حال فله اجره الذي وعد على عمله عند ربه لا
يضيع ولا ينقص ويجوز ان يكون بلى وحده ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدأ والجملة جواب من
ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط وان تكون من موصولة

فاعل فعل محذوف دل عليه بلى اي يدخلها من اسلم وجهه لله ويكون قوله فله اجره معطوفة على يدخلها
من اسلم ولا يخفى ما في الشرطية العامة من التعريض بانهم لا يدخلون الجنة لانتفا الاوصاف
الموجبة للاجر بحكم الوعد الصادق والترغيب في سلوك طريق الدخول ولم يجزم بان غيرهم موصوف
بذلك لانه على اسلوب الكلام المنصف واجدا لوجوه ان يقدر بلى يدخلها غيرهم ثم قيل من هو فقيل
من اسلم ويكون قوله فله اجره من التتميم على انه زيادة على دخول الجنة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
قد مر تفسيره وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء هو
في غاية المبالغة لان الشيء يتناول المعدوم والممكن والمحال فاذا سلب الشيئية لم يبق من المبالغة حد
وراءه ومن قيل بقوله يعتد به فقد اخل بها نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله عم واتاهم
احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى عم
والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى عم والتورية وهم يتلون الكتاب الواو
للحال واللام للجنس اي قالوا ذلك والحال انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من يتلو بعض كتاب الله الا
با الباقي لان بعضها مصدق للبعض كذلك اي مثل ذلك القول البعيد عن الصواب قال الذين لا يعلمون
اي الجهال من المعطلة والدهرية والمشركين الذين لا كتاب لهم مثل قولهم لم يقل مثل قولهما لان
المنظور هنا جهة اتحادهم وهي كونهم اهل الكتاب ويجوز ان يكون قوله كذلك لما فيه من الابهام او بدل منه ويجوز
ان يكون كذلك مفعولا به اي كلاما مثل ذلك الكلام الشنيع الذي سمعت به قال الجهلة قولا مثل قولهم
صادرا عن عناد وجهل بلا حجة فيكون مثل نصبا على المصدر وهو توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم
مع علمهم في سلك من لا يعلم فالله يحكم بينهم اي بين اهل الكتاب لا بين الفريقين والا لقيل بينهما او بينهم
وبين الجهلة ايضا يوم القيمة اي بين من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا فيظهر المحق
من المبطل والفاء فصيحة كانه قيل انهم لم يرضوا بحكم الكتاب في الدنيا فالله يحكم لا يئة فيما كانوا فيه
يختلفون من الدين والكتاب والنبي ومن اظلم ممن منع مساجد الله اي لا اظلم منه دلت على ذلك
صيغة التفضيل في سياق الاستفهام الانكاري وهذا الاينافي لكون المشرك اظلم لان ظلمه في
لنفسه وفضل هذا في الظلم للغير سبب نزولها ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى
ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وقيل منع المشركون رسول الله عم ان يدخل المسجد الحرام عام
الحديبية وكيف كان فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولذلك اي لقصد تعميم الحكم
قيل مساجد الله مع ان المنع والتخريب انما وقع على مسجد واحد هو مسجد بيت المقدس او المسجد
الحرام ان يذكر فيها اسمه مفعول ثان لمنع ويجوز ان يكون على تقدير من اي من ان يذكر وحذف حرف
الجر مع ان قياس ويمكن ان ينصب مفعولا له اي كراهة ان يذكر وسعى في خرابها بالهدم والتعطيل

وسعى كلمة يختلف معانيها باختلاف مصادرها يقال سعى يسعى سعيا اذا عمل واذا كسب واذا عدا وسعى به
سعاه اذا جاد وتكرم وجمع لسعاة المساعي وسعى سعاية اذا اخذ الصدقات وعمل عليها وكذا اذا سعى به
الى السلطان سعاية اذا وشى به وكذا اذا سعى المكاتب في عتق البعض في اداء ما عليه سعاية وساعى
الرجل الامة اى فجر بها مساعاة ولا يقال ذلك في الحرة وفايدة زيادة سعى فيها قطع احتمال التسبب
اولئك ما كان لهم ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا خائفين اى وجلين من عقابه تعالى
فكيف لهم الجراة على تخريبها قيل ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه فيكون وعدا للمومنين بالنصر واستخلاص
المساجد وفيه نظر لان تخريبهم ومنعهم دل على انه قد كان في علم الله تعالى وقضائه ان يدخلوها غير خائفين
وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد وفيه ايضا نظر لان النهي عن تمكينهم من الدخول مطلقا لا عن
تمكينهم منه غير خائفين لهم في الدنيا خزي اى قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة
عذاب عظيم بسبب ظلمهم العظيم وانما اعيد لهم تنصيصا على ان المعذبين في الاخرة هم المعذبون في
الدنيا وليس عذابهم في الدنيا مكفرا لذنوبهم حتى يكون لاحد العذابين لبعضهم والاخر للباقي ولله
المشرق والمغرب هما عبارتان عن ناحيتي المعمورة والمراد كلها فاينما تولوا ففي اى مكان فعلتم
التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا
وجوهكم شطره فثم وجه الله اى جهته التي امر بها الوجه والجهة كالوزن والزنة مصدران نقلا
الى الاسم والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا
فصلوا في اى بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها
بمسجد دون مسجد ولا بمكان دون مكان ان الله واسع بالرحمة يريد التوسعة على عباده عليم
بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وعن عطاء عميت
على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم فعذروا واي في النفل واما وجوب القضا
وعدمه فامر اخر والظاهر انه مستطرد عند ذكر المساجد وتمهيد لنفي ذكر الولد لان من له الجهات كلها فمتعال
عنها فيستحيل ان يماثله ذو جهة والولد جنس الوالد لا محالة وقالوا اتخذ الله ولدا اى الذين قالوا
عزير ابن الله والذين قالوا المسيح ابن الله والذين قالوا الملايكة بنات الله قالوا اتخذ الله ولدا ن
فالضمير لمن سبق ذكرهم من اليهود والنصارى والمشركين الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستيناف
كانه قيل هل انقطع حبل افترائهم على الله تعالى او امتد ولم ينقطع فقيل بل قالوا اعظم من ذلك
سبحانه تنزيه له عن ذلك اعتراض بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه وتنبيه على فساده
والمعنى انه خالق ما في العالم كله ومن جملته عزير والمسيح والملايكة كل له قانتون منقادون
لا يمتنعون على مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا

يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما للعموم وقانتون لتغليب العقلاء وهذا
التغليب ينافي قصد التحقير بايراد ما وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اى كل ما في السموات والارض والاية
تدل على فساد ما قالوه بوجهين مبنى تضمنه الاحتجاج بالوجه الاول على ثبوت التنافي بين ولدية احد الاخر
ومملوكيته له اذ لا تجتمع بهذا فيما ذكروا الاحتجاج به على ان من ملك ولده عتق عليه بناء على ذلك المبنى
لا يخلو من مصادرة بديع السموات والارض يقال بدع الشيء فهو بديع كقولهم ظرف فهو ظريف وبديع
السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اى بديع سمواته وارضه او بديع في السموات والارض كقولك
فلان ثبت الغدر اى ثابت فيه والمعنى انه تعالى عديم النظير والمثل فيهما وقيل البديع بمعنى المبدع فيكون
مضافا الى المفعول قال ابن مغنم يجوز ان يكون العين بدلا من الهمزة والبديع والمبدع كالبدي والمبدي
فانه جاء على فعل وافعل جميعا والابداع اختراع الشي لا عن شي دفعة وعلى هذا المعنى لا تكون الاشيا كلها مبتدعا
وهذا رد على الذين قالوا اتخذ الله ولدا بوجه اخر تقديره ان من قدر على خلق السموات والارض من غير شي
كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير اب وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح
واذا قضى امرا اى اراد شيئا لقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون واصل القضا اتمام الشي قولا
كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية لوجود الشي من حيث
انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اى احدث فيحدث اى لا يدخل تاخير عن وقته
ولا يمتنع عليه شي ولا يلحقه به تعب ولا يحتاج الى استعمال الة ومزاولة عمل استعارة تمثيلية شبهت الحالة
التي تتصور من تعلق ارادته تعالى بشي من المكونات وسهولة ايجاده اياه من غير امتناع ولا توقف بحالة
امر الآمر لنافذ تصرفه في المامور المطيع الذي لا يتوقف في الامتثال فاطلق على هذه الحالة ما كان يستعمل
في تلك من غير ان يكون هنا قول والامر وهذا اقرب ما يتراءى لنا به المعنى المقصود فلا يتجه المناقشة بان
وجه الشبه في المشبه اقوى فحق التشبيه عكس هذا وذهب بعضهم الى انه حقيقة وقد جرت السنة
الالهية بان يكون الاشيا بكلمة كن فيكون المامور هو الحاضر في العلم والمامور به الدخول في الوجود
وقرئ برفع فيكون اى فهو يكون وبالنصب على جواب الامر وفيه تقرير لمعنى الابداع وتاكيد لاستبعاد
الولادة المدلول عليه بقوله سبحانه ولما قيل من انه حجة اخرى وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار
ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك فيرد عليه ان ما يكون باطوار ومهلة هو تكون الولد على مجرى العادة
فللخصم ان يقول اتخاذ الولد على سبيل خرق العادة ثم ان فعله مع قد يقارن المهلة لحكمة وان كان مستغنيا
عنه كيف وقد كان خلقه السموات والارض في ستة ايام ومن هنا ظهر ان من اعتبر في التمثيل المذكور الحصول
بلا مهلة لم يصب وقال الذين لا يعلمون اى الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفي العلم عنهم
لانهم لم يعملوا به سوا تجاهلوا او لا بان لهم واعلمهم لولا هلا يكلمنا الله كما يكلم الملايكة

وموسى مويا من ناويتها هما بالذات وهذا استكبار منهم عن اتباع بشر مثلهم او تاتينا اية من الله نعلم بها
انك رسول الله وهذا استهانة منهم بالمعجزات الباهرة وانكار للايات الظاهرة كذلك قال الذين من قبلهم
يعني اليهود حيث قالوا ارنا الله جهرة واما قول الحواريين هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
فليس من هذا القبيل على ما نتفق عليه في موضعه مثل قولهم قد مر تفسيره والمماثلة بين القولين
في كونهما تحكما وعنادا تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد واعتراض وقرئ
بتشديد الشين وخطاه الفرا قائلا لان ذلك انما يجوز في المضارع بمعنى تتشابه فتدغم احدى التائين
في الشين قد بينا الايات لقوم ذوي بصائر يوقنون انها ايات تجب الاكتفاء بها عن غيرها
واصل البيان الذي يقع به الالزام يعم الكل لكن يختص الموقنين في حق النفع واليقين ابلغ علم واوكده
لا يكون معه مجال عناد واحتمال لزوال ولذلك قال في حق ابراهيم عم وليكون من الموقنين
ولو صح ان يتخلف عنه الاذعان لكان درجة فوق الايقان فكان من المذعنين ابلغ من الموقنين ح
واللام في الايات للاستغراق اي في كل الايات او الماهية اي ما يعرفه العقلاء انها ايات وتنكير قوم
للتعظيم اي قوم اي قوم صفتهم الايقان وفيه تعريض بانهم ارذال اهل الظن والتقليد وايذان بان الايمان
له شان انا ارسلناك بالحق مصحوبا به لا يفارقك بشيرا ونذيرا للمطيع والعاصي فلا عليك
الا البلاغ المبين ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما بالهم لم يؤمنوا اذ بلغت وبلغت في دعوتهم جهدك
وقرئ ولا تسال على النهي تعظيما لما فيه الكفرة من العذاب كما تسال عمن وقع في بلية فيقال لك لا تسال عنه
اي موقعا له لا يحتمل سماعها لفظاعتها او ايحاشها السامع او ارقا او اجزع ان اتكلم بها فلا تكلفني
او اعظم ان يكتنهها او يعبر بعضها بعبارة قيل لما امر بتبشير المؤمنين وانذار الكفار كان يذكر عقوبات
الكفار فقام رجل وقال يا رسول الله اين والدي فقال في النار فحزن الرجل فقال عم ان والدك ووالدي
ووالد ابراهيم في النار فنزل القول المذكور فلم يسالوه بعد شيئا من ذلك والجحيم النار الشديدة لانها
والجاحم المكان الشديد الحر ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم لف بعد النشر
على عكس ما في قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى حكى الله كلامهم ولا بد من الحمل
على هذا ليطابق قوله قل ان هدى الله فانه يقتضي سابقة قول بمن يدعوهم الى حجاجهم مبني على
تمادي لجاجهم والملة من امللت الكتاب وهي اسم لما شرعه الله لعباده على لسان نبيه ليتوصلوا
الى اجل ثوابه والدين مثلها لكن الملة يقال لها باعتبار الدعا اليه والدين باعتبار الطاعة والانقياد
له ثم يقال الملة والدين لما لم يكن من قبل الله تعالى على التقييد كقولك ملة مزدك ودينه قيل
كان يجتهد في طلب ما يرضيهم ليقبلوا الى الاسلام فقال له دع طلب ما يرضيهم الى ما امرتك به
من مجاهدتهم فليس فيه اقناط من اسلامهم قل ان هدى الله هو الهدى بالغ في تعظيم دين الاسلام

بتسميته الهدى واضافته الى نفسه وحصر الهدى فيه بان بالضمير واللام اي ان دين الاسلام الذي هو
نفس الهدى المخصوص باسمه والذي تبيناه اهل ان يسمى هدى وهو الهدى كله لا غير فيلزم ان ما عداه
ليس بهدى بل هوى اول كل قول لا حجة معه ولا عن علم فهو هوى فلهذا قال على سبيل الفرض ولئن
مو
اتبعت اهواءهم اراهم الزايغة فان الهوى راي عن الشهوة داع الى الضلالة وانما سمي بذلك
لانه يهدي بصاحبه في الدنيا الى كل داهية وفي الاخرة الى الهاوية بعد الذي جاءك من العلم
ابهمه ثم بينه للتعظيم اي من الدين المعلوم صحته بالبرهان ما لك من الله جواب للقسم قد
سد مسد جواب الشرط من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه الذين اتيناهم الكتاب
هم مؤمنوا اهل الكتاب يتلونه حال مقدرة من هم او من الكتاب لانهم لم يكونوا وقت ايتائه
تالين له او خبر حق تلاوته نصب على المصدر اي تلاوة كما يجب انشئ لا يحرفونه ولا
يكتمون شيئا منه كنعت الرسول عم وغيره اولئك اي التالون على ما يجب يؤمنون
بكتابهم دون غيرهم من المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك
هم الخاسرون المحصورون في الخسران باشترائهم الضلالة بالهدى يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا
يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما ذكرهم النعمة اولا وخصهم بالخطاب
من بين بني ادم وحضهم على اتباع من هو رحمة للعالمين فانقسموا الى مقبل ومن ابى فضللهم اخرا ثم
خاطبهم على سبيل الالتفات بمثل الاول خطابا شاملا للفريقين عودا على بدء تخصوا لمن سبا
وتحسيرا لمن كبا وعلم من ذلك ان التكرير ليس لمجرد التقرير وفيه حسن التخلص الى حديث
ابراهيم عم على وجه يوكد ما بدئوا اليه واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات باوامر ونواه
واعلم ان الابتلاء والبلاء يتضمن امرين تعرف ما يجهل من حاله وظهور جودته ورداءته بعد
فربما قصد الامران معا وربما قصد احدهما فاذا نسب احدهما الى الله تعالى فهو للامر الثاني
وليس هذا من ابتلاه الله بكذا اذا اصابه بما يكرهه ويشق عليه لان حمل الاوامر والنواهي
على المكاره وعدها من البلاء يابيه تمنا سبه ابراهيم تفسيره بالسرياني اب راحم وذلك
لرحمته بالاطفال قبل حصل موز وجنه سارة كافلين لاولاد المؤمنين الذين يموتون صغارا
الى يوم القيمة فاتمهن اي قام بهن حق القيام واطاعه فيهن احسن الطاعة كقوله تعالى وابراهيم
عليم
الذي وفى قال استيناف فالعامل في اذ محذوف او هو العامل في اذ والواو داخلة عليه
عطفا على ما قبله عطف القصة على القصة المشار اليها اجمالا بقوله يا بني اسرائيل اني جاعلك
من الجعل بمعنى التصيير فيتعدى الى اثنين للناس اماما الامام اسم لما يؤتم به كالازار

لما يوتر ربه وامامته عليه السلام موبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان مامورا باتباعه واما عمومها
فينا في قوله عم اعطيت خمسا الحديث قال ومن ذريتي اي واجعل بعض ذريتي واستعمال صيغة
الامر في موضع الالتماس سايغ شايع وهذا اولى من المصير الى عطف التلقين لانه لا يخلو عن سوء
ادب وذرية الشخص نسله قال لا ينال عهدي الظالمين اي من كان ظالما من ذريتك لا ينال عهدي الى
بالامامة وانما ينال من كان عادلا والنيل اللحوق واختلف في المراد بالعهد والاظهر انه النبوة فلا
دلالة في الاية على ان الفاسق لا يصلح الامامة واذ جعلنا البيت البيت اسم غالب للكعبة كالنجم
للثريا مثابة للناس كالباءة صيغة ومعنى اي مرجعا يثوبون اليه بعد التفرق عنه وامنا
اي موضعا في غاية الامن لا يتعرض لاهله لقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولها قيل يامن
حاجه من عذاب الاخرة وفيه نظر لان الحج لا يجب ما قبله من المظالم وقيل لا يواخذ الجاني الملتجي
اليه حتى يخرج وفيه ايضا نظر لانه يلجي الى الخروج فلا يبقى امنا واتخذوا على ارادة القول
او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراضا تقديره ثوبوا اليه واتخذوا وعلى هذا الواو فصيحة
من مقام ابراهيم مصلى موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه الاستحباب دون الايجاب وهو الحجر
الذي فيه موضع قدميه او الموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بنا البيت
وهو موضعه اليوم روي انه عم اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه
مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى
جابر رض انه عم لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وقرئ واتخذوا من مقام ابراهيم بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه
الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها ويحتمل ان يكون امرا على صيغة الخبر للتاكيد فيتوافق القراتان
وعلى هذا يتعين كون الامر للايجاب وعهدنا اي امرنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا اي بان طهرا بيتي
من الاوثان والانجاس ويجوز ان يكون ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول والمعنى دوما على تطهيره فهو امر
ان يبقيا على الطهارة لا ان يكون فيه نجاسة فيزيلاها وهو كقوله تعالى لهم فيها ازواج مطهرة
اي مبقاة على الطهارة الاصلية للطائفين اي الدايرين حوله والعاكفين العاكف من لزم الشي
واقام عليه والركع السجود جمع الراكع والساجد اي المصلين والصلاة تشتمل على افعال اقربها الى
الخشوع هذان وترك العاطف بينهما لكمال الاتصال واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا اي هذا البلد و
المكان بلدا امنا اي ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا من فيه غريبا كان او من اهله كقولك ليل نايم
والبلد الاثر في الجلد وغيره وانما سمي البلد بلدا لما فيه من الاثار وارزق اهله من الثمرات الثمرة
هي جميع ما يخرج من الارض والاشجار فيتناول الطعام والفواكه وذلك لانه اسكن اهله بواد

غير ذي زرع ولا ضرع وانما قال اهله دون اهلي تعميما للدعا كما هو اللايق بشان الانبياء عم من
امن منهم بالله واليوم الاخر بدل من اهله اي وارزق المومنين من اهله خاصة قاس ابراهيم عم الرزق
على الامامة فخص الرزق المطلوب بالمومنين وهذا القياس لا يليق بشانه عم لظهور الفرق بينهما عند من له
ادنى تمييز فالوجه ان يقال انه عم ابى عن تعميم الدعا للكفار لان الكافر لا يدعى له بل يدعى عليه قال عم
اللهم اشدد وطاتك على مضر وقال موسى عم ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم وخشي ان يخرج ذلك
مخرج المعونة لهم على العصيان او اراد ان يجعل ذلك اية ترغيب الكفار في الاسلام قال ومن كفر مبتدا
تضمن معنى الشرط وجوابه وخبره مقدر تقديره فلا اهلكه والفا في قوله فامتعه فصيحة وجملة جزا
وخبرا باه الفا فان الكفر لا يصلح سببا للتمتع لا كثيرا ولا قليلا نعم يصلح للتعليل له لكن صرف النظم اليه
لا يخلو عن تعسف واما عطف على كفر فلا يناسبه السباق واللحاق ومن ههنا ظهر ما في قراة الخبرين على لفظ الامر
على انه من دعا ابراهيم من القصور كيف والمناسب له طلب الهداية الى الاسلام لمن كفر لا طلب ختمهم على الضلالة
قليلا فصب على المصدر اي تمتيعا قليلا او على الظرف اي زمانا قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه
اليه لز المضطر لكفره وقرئ فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع نقل عن سيبويه عن بعض العرب
مطجعا في مضطجع وقال هو مضطجع اكثر فدل على ان مطجعا كثير فلا يكون لغة مرذولة وبئس المصير مصيرهم
فحذف المخصوص بالذم واذ يرفع ابراهيم يرفع حكاية حال ماضية اوردها مع اذ استحضارا لها
لعظم شانها في النفوس ولعله ابهم القواعد بالاطلاق ثم بينها بالتقييد بقوله من البيت تفخيما لشان
المبين والقاعدة هي الاساس والاصل لما فوقه وهي من الصفات الغالبة من القعود بمعنى الثابتة ورفع القواعد
هو البنا عليها لانها بالبنا عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع واسمعيل عطف على ابراهيم
فهما مشتركان في الرفع ربنا اي يقولان ربنا والجملة حال منهما تقبل منا اي هذا العمل الذي قصدنا به
رضاك انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا عطف على الدعوة السابقة وتكرار
ربنا للالتذاذ بذكره والخضوع بالربوبية مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او منقادين من اسلم
بمعنى استسلم والمراد طلب الزيادة على ما كان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان التثنية من مراتب الجمع
وقيل اراد انفسهما وهاجر ومن ذريتنا خصا الذرية بالدعا لانهم احق بالشفقة واتيا باداة التبعيض
لانه تعالى كان اعلمهما ان في ذريتهما من لا ينال العهد لكونه ظالما واما ما قيل من ان الحكمة الالهية لا تقتضي
الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش فلا يصلح وجها لما ذكر كما لا يخفى
امة مسلمة لك الاسلام هو الانقياد بالخضوع وارنا من الروية بمعنى الابصار او المعرفة فدل على ذلك
الاقتصار على مفعولين والاختيار ان يقرا بكسر الرا وهي قراة الجمهور لانها كسرة الهمزة سقطت جعلت الى الرا
الهمزة فلا ينبغي ان يسكن قياسا على فخذ وفخذ كما فعله ابن كثير لئلا يجحف بالكلمة ويبطل الدلالة

على الهمزة. مناسككا متعبداتنا في الحج قال الزجاج كل متعبد منسك والنسك في الاصل غاية العبادة
وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة او مذبحنا فان النسك خص بالذبيحة وتعورف
فيه حتى قيل نسك فلان اذا ذبح. وتب علينا. التوبة هنا رجوع الى الطاعة عن العصيان ومن
الله تعالى رجع بالاحسان ولهذا يتعدى بعلى وذكر ان تاب بمعنى رجع فكما ان رجع لازم ومتعد
كذلك تاب لازم ومتعد وانما قالا ذلك هضما لانفسهما او استتابة عما فرط منهما سهوا
وارشادا لذريتهما. انك انت التواب الرحيم. لمن تاب. ربنا تكرير لما مر. وابعث فيهم اي في
ذريتهما لا في الامة المسلمة لعدم الدلالة على انهم امة ذلك الرسول. رسولا منهم. البعث فيهم
لا يستلزم ان يكون منهم كالعكس ولهذا جمع بينهما. يتلو. يقرأ عليهم اياتك. المراد بالاية
المعجزة الواضحة الدلالة وفي عبارة التلاوة اشارة الى انه اراد ان يكون للرسول المسؤول
معجزات من جنس الكلام. ويعلمهم اي يلطفهم في التفهيم شيئا فشيئا. الكتاب كلام الله المنزل
وهو اعم من القران لاشتماله على منسوخ التلاوة الخارج عن القران. والحكمة السنة ذكره قتادة
ووجه المناسبة بينهما ان الحكمة تنتظم العلم والعمل كما ان السنة تنتظم القول والفعل ويزكيهم
يطهرهم اي يحليهم بالفضايل ويخليهم عن الرذايل وانما قدم الاول لان علم القبايح يكون سببا لتركها
والجامع لما ذكر انما هو محمد عم وقد روي انه عم قال انا دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا
امي امنة. انك انت العزيز. الغالب الذي يقهر ولا يقهر. الحكيم. المحكم له. ومن يرغب عن ملة ابرهيم
الرغبة سعة الارادة وهو متعد بطن ورغب اي نهم ومتى عدي بعن اقتضى صرف الارادة عن ذلك الشي
وذلك بالتزهد فيه ومن للاستفهام على وجه الاستبعاد والمراد الجحد على وجه ابلغ اي لا يزهد في ملة
ابراهيم. الا من. الا الذي. سفه نفسه. اذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب ان سفه بكسر الفاء
يتعدى كسفه المشدد ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس والمستثنى في محل
الرفع بالبدل من الضمير الذي في يرغب وهو اجود من النصب على الاستثناء. ولقد اصطفيناه في الدنيا
اي جعلناه صافيا من جميع ما لا يليق بخلة الحق والاصطفاء في الاصل تناول صفوة الشي كما ان الاختيار
تناول خيره والاجتباء تناول جابيه اي وسطه وهو المختار. وانه في الاخرة لمن الصالحين.
اي من الباقين على الصلاح في الدنيا حتى يكون كذلك في العقبى فكم من صالح في الاولى والحال انه ذو ضلال
في ماله فهو في مقام التعليل لاصطفائه في الدنيا كما انه في مقام التعليل لما سبق من انه حقيق
بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه ومتسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر. اذ قال له ربه
اسلم قال اسلمت. العامل في اذ قال اسلمت حين امره الله بالاسلام فقال اسلمت استينافا وتعليلا
لما تقدم من الصلاح في الدارين وانما زاد قوله. لرب العالمين. ليبان ان المراد من الاسلام هو

والحكمة

الانقياد عن عرفان بما يوجب الاذعان لا مجرد الاقرار باللسان. ووصى بها. اي بكلمة الاسلام
المذكورة. ابراهيم بنيه. التوصية التقدم بفعل فيه صلاح ديني او دنيوي وقرئ واوصى والاول
ابلغ واشتقاقهما من وصاه اي وصله ويضاده فصاه اي فصله. ويعقوب عطف على ابراهيم
اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم وانما منع عن الصرف للعجمة والعلمية
يا بني. على اضمار القول او متعلق بوصى لانه نوع منه وباعتبار ذي الفعل والقول يجوز اثباتها
وحذفها كما في الرسالة والابلاغ والانذار والوعد. ان الله اصطفى لكم الدين. دين الاسلام الذي
هو صفوة الاديان لقوله. فلا تموتن الا وانتم مسلمون. كناية عن الثبات على الاسلام وفي العبارة
المذكورة اشارة الى ان العبرة للخاتمة. ام كنتم شهداء. ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما
كنتم حاضرين. اذ حضر يعقوب الموت. وقال لبنيه ما قالوا فلم تدعون اليهودية عليه روي
ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات
فنزلت والشهود حضور بالذات او بالعناية او بالمقال والحضور اكثر ما يقال بالذات كما قال الكر
وتقديم المفعول وهو يعقوب لشدة الاهتمام به لانهم يدعون عليه اليهودية. اذ قال لبنيه
بدل من اذ حضر. ما تعبدون من بعدي. لم يعن به العبادة المشروعة بل عنى جميع الاعمال فكانه عم
ان لا يتخذوا في اعمالهم غير وجه الله تعالى ولم يخف عليهم الاشتغال بعبادة الاصنام وانما خاف
ان يشغلهم دنياهم ولهذا زادوا في الجواب قولهم ونحن له مسلمون اي منقادون لنفي جميع الافعال
والاحوال قالوا. نعبد الهك واله اباءك. اي نقتدي بك كما اقتدينا بابائك والاشعار بهذا
الاعتبار المناسب للمقام زادوا في الكلام على قدر الحاجة في الجواب وقرئ واله ابيك على انه جمع
اب على السلامة او مفرد وابراهيم عطف بيان. ابراهيم واسمعيل واسحاق. بدل من قوله اباءك
وابراهيم كان جدا له والجد اب قال الله تعالى كما اخرج ابويكم من الجنة واسمعيل كان عما له
والعم عند العرب يسمى ابا قال النبي عم في حق العباس رض ردوا علي ابي وانما قدمه على ابيه اسحق
لانه كان اكبر منه سنا. الها واحدا. بدل من اله اباءك ويجوز ان يكون واحدا حالا والها توطية
والفايدة التنصيص على ان معبودهم واحد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف واما النصب
على الاختصاص فيرده نص النحاة على ان المنصوب على الاختصاص لا يكون نكرة ولا مبهما. ونحن
له مسلمون. حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد
او اعتراضية. تلك. اشارة الى ابراهيم ويعقوب وما بينهما والامة اهل الملة الواحدة
وهي في الاصل المقصود من امه كالعمدة من عمده وسمي بها الجماعة لان الفرق تأمها. قد خلت
اي مضت وصارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها ويلزمه الانفراد ومنه خلا الرجل بنفسه

انفرد وخلا المكان من اهله اي انفرد منهم • لها ما كسبت ولكم ما كسبتم • الكسب اجتلاب النفع بعلاج ومراس ولذلك لا يجوز في صفة الله تعالى واذا قيل في المضرة فعلى طريق الاستعارة وتقديم لها ولكم للتخصيص والجملة استيناف لبيان ان الانتفاع بالاكتساب لا بالانتساب ولا تسئلون عما كانوا يعملون • تتميم لما تقدم اي لا يثاب ولا يعاقب احد بما كان من الاخر على ان المراد سوال المواخذة • وقالوا • اي رؤساء اليهود ونصارى نجران • كونوا • المامورون من امن برسول الله عم • هودا او نصارى • كان الظاهر ايراد اداة الجمع لان كلا من المجموع مجموع الكلامين الا انه اراد ان يضمن الكلام بيان انقسام المقال على الانفصال الحقيقي فاتى باداة المنع • تهتدوا جواب الامر • قل بل ملة ابراهيم • قل يا محمد جوابا عن قبلهم بل يكون اهل ملة ابراهيم على حذف المضاف وقرى ملة بالرفع على معنى بل المهتدون ملة ابراهيم عم • حنيفا • حال من المضاف او من المضاف اليه والحنيف المايل والمراد الميل عن الاديان كلها الى دين الحق كان يقال في الجاهلية لمن كان على دين ابراهيم عم حنيف لميلهم عن طريقتهم الى طريقة غيرها • وما كان من المشركين • تعريض الى ان طرق الطايفتين فيه الشرك • قولوا • خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين على ان المراد بقوله بل ملة ابراهيم بل كونوا اهل ملته لتكونوا مهتدين فيكون قولوا بيانا لذلك امنا بالله • بالوهيته ووحدانيته وساير صفاته وجعلها كلامه فكان الايمان به مشتملا للايمان بجميع ما انزل من عنده فلهذا لم يفصل بينهما باداة التعدية الدالة على الاستقلال • وما انزل الينا • القران قدمه لان التصديق به اهم واتم • وما انزل على ابراهيم • من الصحف واسمعيل واسحاق ويعقوب عطفوا على ابراهيم لانهم لما كلفوا العمل بشريعته صارت الصحف المنزلة عليه كانها منزلة اليهم • والاسباط • اولاد يعقوب عم جمع سبط وهو في الاصل كالطايفة والفرقة والاسباط في اولاد اسحاق عم كالقبايل في اولاد اسمعيل عم وهم جماعة من اثنى عشر ماخوذ من السبط وهو شجرة واحدة لها اغصان كثيرة • وما اوتي موسى وعيسى • التورية والانجيل والايات البينات وهما اتى ههنا بعبارة اوتي ولم يكرر ما اوتي لان شريعة عيسى عم هي شريعة موسى عم الا في البعض وافرادهما بالذكر لوقوع النزاع فيهما • وما اوتي النبيون • تعميم بعد التخصيص • من ربهم • اي منزل من ربهم • لا نفرق بين احد منهم • اي لا نكون كالذين امنوا ببعض وكفروا ببعض من اليهود والنصارى واحد عام فساغ ان يضاف اليه بين لعمومه ليس من حصر نكرة في سياق النفي كما هو السابق الى الوهم لانه موضوع لمن يستوي فيه المذكر والمؤنث والاحد وما فوقه ولو قال بينهم لكان وجه لا ان لما كان المقصود ان يبين ان لا نفرق بين احد وواحد ذكر لفظ احد • ونحن له مسلمون • مخلصون • فان امنوا • الفاء للترتيب الكلام على ما تقدم

54

اي اليهود والنصارى • بمثل ما امنتم به • اي بمثل ايمانكم فالمثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي فاصله رتبة وبه بدل من مثل يفيد التوكيد وكذا الباء المزيدة ويجوز ان يكون للالة والمعنى ان تحروا بطريق يهدي الى الحق مثل طريقتكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق والمثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراة بما امنتم به وبالذي امنتم به • فقد اهتدوا • اي اصابوا الصراط السوي • وان تولوا • يقال تولاه اي اتخذه وليا قال تعالى لا تتولوا قوما غضب الله عليهم واذا وصل بالى يكون بمعنى الاقبال عليه قال الله تعالى ثم تولى الى الظل واذا وصل بعن يكون بمعنى الاعراض هنا اي ان اعرضوا عن الايمان بما امنتم به او لما تقولون لهم • فانما هم في شقاق • اي فما هم الا في شقاق عظيم وهو المناواة والمخالفة لاهل الحق فان كل احد من المخالفين في شق غير شق الاخر • فسيكفيكهم الله • تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر والسين اشارة الى كون الوعد محقق الوقوع قريبه • وهو السميع العليم • حذف المفعول للتعميم او ترك تنزيلا للمتعدي منزلة اللازم لايهام المبالغة وعد للمؤمنين ووعيد للكفار صبغة الله • انتصب انتصاب المصدر المؤكد لمضمون الجملة من قوله قولوا امنا اي صبغة الله تعالى بالايمان الفطري صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا الله هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الثوب وقيل انه كلام وارد في رد ... وذلك انه كان للنصارى صبغ يسمونه المعمودية وهو ماء اصفر كانوا يغمسون اولادهم فيه يزعمون انه تطهير لهم ويقولون للغموس الان صار نصرانيا حقا • ومن احسن من الله صبغة • اي لا احد احسن صبغة من الله • ونحن له عابدون • عطف على امنا بالله او على قوله ونحن له مسلمون وهو حال من امنا بالله وفيه تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم • قل اتحاجوننا • المحاجة المقاومة في اظهار الحجة المبينة للحجة اي للمقصد • في الله • في شانه واصطفائه نبيا من قريش روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت • وهو ربنا وربكم • لا اختصاص لربوبيته بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده • ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم • فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى فكذلك لنا اعمال • ونحن له مخلصون • اي في الاعتقاد والعمل لا انتم فكيف تكونون افضل منا واولى كانه الزام لهم على مذهب ينتحلونه الحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على ما شاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص • ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى • على القراة بالتاء الفوقانية يحتمل ان تكون ام متصلة معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة في الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء عليهم السلام وان تكون منقطعة وعلى القراة بالياء التحتانية

لا تكونا لا منقطعة لان المتصلة تقتضي المساواة بين ما يلي الهمزة وام ولا مساواة ح ومعنى
الاستفهام الانكار وعلى تقدير اتصال ام انكار الامرين جميعا وكذا على تقدير انقطاعها وفي
القراءة الثانية اعراض عن الخطاب بهم استجهالا لهم بما كان منهم و قل انتم اعلم ام الله انكار
للقسم الاول وتقرير للثاني اي ان الله تعالى شهد لهم بملة الاسلام في قوله تعالى ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وهولاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين اتفاقا ومن اظلم
ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله اي شهادة الله تعالى في حق ابراهيم التي ثبتت عنده
في كتابه الذي يتلوه والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا الشهادة او منا لو كتمنا هذه
الشهادة وفيه تعريض لهم بكتمانهم شهادة الله تعالى لمحمد عم بالنبوة في كتبهم وغيرها وقد مر
في تفسير قوله ومن اظلم ممن منع مساجد الله ما يتعلق بهذا المقام من بيان وجه هذه الطريقة
من الكلام وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار
بالاباء والاتكال عليهم سيقول السفهاء من الناس قد مر معنى السفه والمراد المنكرون لتغيير القبلة
من المنافقين والمشركين واليهود وفائدة تقديم الاخبار به مع انه نوع من الاعجاز توطين النفس واعداد
الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة وان كانت في
الاصل اسما للحالة عليها الانسان من الاستقبال كالجلسة والقعدة فقد صارت في التعارف اسما
المتوجه نحوه للصلاة قل لله المشرق والمغرب كناية عن الجهات كلها اي نسبة جميع الجهات اليه تعالى على
السوا فلا يختص بامره مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام
امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هو ما علم الله تعالى صلاحهم واستقامة
امرهم فيه من توجيههم الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى وكذلك ومثل ذلك الجعل العجيب
والاشارة الى الجعل المدلول عليه بجعلناكم لا الى الجعل المفهوم من الاية المتقدمة وانما جيء بما يدل على
البعد تفخيما والكاف مقحم للمبالغة جعلناكم امة وسطا خيارا لكونهم عدولا مزكين بالعلم والعمل
وهو في الاصل اسم للمكان الذي يستوي اليه المساحة من الجوانب في المدور ومن الطرفين في المطول
كالنقطة من الدائرة ولسان الميزان من العمود فجعل عبارة عن العدل وشبهه كل ما وقع بين
افراط وتفريط كالجود بين السرف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم جعل عبارة عن المختار
من كل شيء حتى قيل فلان من اوسطهم نسبا فاستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر
الاسماء التي يوصف بها لتكونوا شهداء يعني لانبياءكم يوم القيمة على الناس على الكفار ويكون
الرسول هو محمد عليكم خاصة شهيدا معدلا مزكيا لهم والشهيد كالرقيب والمهيمن في تعدية بعلى

لاستيلابه

لاستيلابه المشهود له روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله تعالى الانبياء بالبينة على انهم
بلغوا وهو اعلم فيؤتون محمدا فيلتمس كل رسول طائفة من امته يشهد له فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم
فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عم فيسال عن
حال امته فيزكيهم ويشهد لهم بعدالتهم وذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك
على هولاء شهيدا واستدل بالاية المذكورة على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل
لانثلمت به عدالتهم ولا يخفى ضعفه اذ غاية ما لزم خطاهم في الاجتهاد ولا ينثلم به العدالة
كيف وفي الاجتهاد مما يثاب عليه وما يثاب عليه لا يكون قادحا في العدالة وما جعلنا القبلة التي
كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة كان عم السلام يصلي اليها بمكة ثم امر بعد الهجرة
بالصلاة الى صخرة بيت المقدس تالفا لليهود لانه مردود بالحصر المستفاد من الكلام الاتي
ذكره فانه صريح في ان جعل الكعبة قبلة ليس تالفا لقريش على هذا الوجه وان جعل الصخرة قبلة
ليس تالفا لليهود على الوجه الاخر ثم حول الى الكعبة فالمعنى ما رددناك الى الكعبة وذلك لا يقتضي
ان يكون القبلة المفعول الاول والتي كنت عليها المفعول الثاني كما توهم بل يجوز ان يكون على العكس
اي صيرنا الجهة التي كنت عليها اولا ثم صرفت عنها الى بيت المقدس قبلتك او الصخرة فالمخبر به
على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس
[illegible] امتحانا وابتلاء للناس وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته عليه السلام بمكة بيت المقدس
الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه ولا دلالة في هذا على احد المعنيين المذكورين بخصوصه الا
لنعلم من يتبع الرسول ليظهر علمنا على مظاهر الرسول عم والمومنين ويتميز عندهم الثابت على الاسلام
الصادق فيه وانما عبر عن الظهور المذكور بالعلم المسند الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى
منه تعظيما لهم ولهذا اندفع ما قيل كيف يكون علمه تعالى غاية للجعل وهو لم يزل عالما واما
التاويل [illegible] باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق به علمنا موجودا فليس بشيء
لان علمه تعالى به موجود في وقت وجوده لم يزل ايضا فانه تعالى كان عالما في الازل بهم وبكل حال
من احوالهم التي تقع في زمان من ازمنة وجودهم مقارنة للزمان الذي تقع فيه تلك الحالة ممن
ينقلب على عقبيه من يرتد والذي يرتد بادنى سبب لقلقه تصوير لسوء حالهم في الارتداد باقبح الوجوه
فان الانقلاب على عقبيه اسوء احوال الراجع في مشيه في تثنية العقب تقوية لمساويه
والعقب على ما قاله الاصمعي ما اصاب الارض من مؤخر الرجل الى موضع الشراك والذي ذكر من جنس
الحكم والغايات التي يترتب عليها المصالح لا من قبيل الاغراض وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول
ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت

اذ يبقى الدار ام عمر • وان كانت لكبيرة • شاقة لان من الفه شيئا ثم فارقه شق عليه ان هي المخففة من الثقيلة

واللام هي الفاصلة نحو وقيل ان هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة اى الجعلة

او التحويل او الردة ويجوز ان يكون للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زايدة كما في قوله وجيران لنا كانوا

كرام • الا على الذين • استثناء من محذوف اى لكبيرة على الناس الا على الذين • هدى الله • الى حكمة الاحكام

الثابتين على الاسلام والاتباع • وما كان الله ليضيع ايمانكم • ثباتكم على الايمان في الاتباع بل شكر صنيعكم واعد

لكم الاجر العظيم وقيد الاستمرار المستفاد من لفظ كان متقدم في الاعتبار على النفي او صلاتكم الى بيت

المقدس اى ايمانكم بسبب الصلاة اليه فانها قبل التحويل ما صحت الا باستقبالها له قال ابن عباس رض

لما وجه رسول الله عم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت • ان الله

فيه معنى التعليل والاظهار في مقام الاضمار للتعظيم • بالناس • على الاطلاق فكيف بالمومنين منهم • لرؤف رحيم

فلا يضيع اعمالهم ولا يخل بما يصلح اخراهم وانما قدم الرؤف على الرحيم لان الرافة انما تكون باعتبار الحفظ

والصيانة عن الافات والنقايص التي يستحق بها العقاب والرحمة باعتبار افاضة الكمالات والسعادات

التي بها يستحق الثواب فالاولى من باب التزكية والثانية من باب التحلية ولا يكون التحلية الا بعد التزكية • قد

نرى • قد للتقليل وقد استعمل هنا في مقام التكثير كما في قوله قد اترك القرن مصفرا انامله يعني انك

تقلل كثيرا على ما دل عليه عبارة تقلب • وهو قليل بالنسبة الى ما تهم به وتريد وفي البيت يدعى قلة

الترك بالنسبة الى ما في نفسه وما يريد وهو كثير في حد ذاته تقلب • وجهك تقلب او جانب تقلب

العين على ان الوجه يريد به التوجه كقولك وجوهي الى فلان • في السماء • اى في جهتها تطلعا للوحي كان رسول

الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم عم واقدم القبلتين وادعى

للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه عم حيث انتظر

ولم يسأل كما فعل ابوه ابراهيم عم حيث قال حسبي من سوالي علمه بحالي • فلنولينك • فلنجعلنك واليا

قبلة • من وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها من الولي • ترضاها • تحبها وتميل اليها

لمصلحة دينية هذا القيد للدلالة على ان التولية كانت رعاية لرضاه عم فلا دلالة فيه على كراهة

القبلة الاخرى • فول وجهك • فاجعل وجهك • شطر المسجد • نحوه وجانبه الشطر في الاصل لما انفصل

عن الشيء من شطر اذا انفصل عن الشيء ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل وزيادته ليست لانه عم

بالمدينة والبعيد يكفيه رعاية الجهة لان التعميم المستفاد من قوله وحيثما كنتم فولوا وجوهكم

شطره يأباه بل للدلالة على ان القبلة هي الهوا ولا دخل فيها للبناء • الحرام • المحرم اى المحرم فيه القتال

ام ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وهذا الوصف هو الباعث لايثار المسجد على الكعبة فان الحكم المذكور

لاختصاص له بها لا لان في استقبال عينها حرجا لانه قد انذرهم بزيادة عبارة الشطر روى انه

عم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة • وحيثما كنتم فولوا وجوه • هكم

شطره • خص الرسول عم بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر

القبلة وتخصيصا للامة على المتابعة • وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم • اجمالا

لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص اهل كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه عم يصلي الى القبلتين

والضمير للتحويل او التوجه • وما الله بغافل عما يعملون • وعد ووعيد للفريقين وفي قوله ولئن

اتيت الذين اوتوا الكتاب اللام موطئة للقسم • بكل آية • اى برهان قاطع على ان التوجه الى

الكعبة هو الحق بعد قوله ليعلموا انه الحق دلالة على ان امتناعهم عن التوجه اليها ليس عن شبهة بل عناد

ومكابرة فلا ينجع البرهان قطعا • ما تبعوا • اى كلهم فلا ينافي اتباع بعضهم • قبلتك • جواب القسم المضمر

وهو مع جوابه ساد مسد جواب الشرط • وما انت بتابع قبلتهم • قطع لاطماعهم فانهم قالوا نعن برا

له عم واطماعا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان نكون صاحبنا وقبلة المخاطبين وان تعددت لكنها متحدة

من جهة البطلان ومخالفة الحق • وما بعضهم بتابع قبلة بعض • لان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى

مطلع الشمس فلا يرجى توافقهم فلا وجه للتوجه الى احدى تينك القبلتين ارضاء لاحد الفريقين مع ما

فيه من سخط الاخر • ولئن اتبعت اهواءهم • اى ولئن اتبعتهم تحولهم في موافقة الهوى فرضا في العدول

عن الظاهر المنبه على ان قبلتهم لما انتسخت لم يبق فيها الا جهة الهوى والميل الى مقتضى النفس البطلان

[illegible] من بعد ما جاءك من العلم • اى سببه وهو الوحي • انك اذا لمن الظالمين • في اللامات الثلاث

المجيبة والموطيتين للقسم في الجمل الثلاث والتكرار في قوله فولوا وجوهكم مع التعميم في حيثما والتاكيد

بان واللام والوعيد في قوله وما الله بغافل وايراد الجملتين المنفيتين وهما وما انت بتابع وما

بعضهم بتابع اسميتين وتاكيد النفي بالباء فيهما وايراد كلمة الشك في قوله ولئن اتبعت بعد القطع في قوله

انت بتابع ليدل على الفرض والتقدير كالمحالات وتقوية ذلك المعنى بقوله من بعد ما جاءك من العلم

وكذا [illegible] والتاكيد بانا لاربعة في جوابه مبالغة في ان كل واحد من المحق والمبطل في غاية التصلب • التصلب

والتشدد في دينه وامتناع رجوعه عنه اما المحق فلقوة يقينه ووضوح برهانه وكونه على بينة من

ربه واما المبطل فلشدة شكيمته في عناده ومكابرته وتعظيم الحق المعلوم وتحريض على اقتفائه وتحذير

[illegible] متابعة الهوى واستفظاع لصدور الذنب عن الانبياء عم • الذين آتيناهم الكتاب • اى علماءهم

ودراسيهم الاحبار • يعرفونه • الضمير للرسول عم وقد سبق ذكره في قوله انك اذا لمن الظالمين

وهذا الكلام غير منقطع عنه الا انه التفت من الخطاب الى الغيبة ثم منها الى الخطاب في قوله وهم يعلمون الحق

من ربك • كما يعرفون ابناءهم • اى يعرفونه عم معرفة لا شبهة فيها بالوصف الذي يعينه كما يعرفون

البنين على التعيين لا اشتباه في معرفة اياهم بغيرهم وانما خص الابناء بالذكر لان اختلاطهم بالآباء اكثر فعدم

الاشتباه فيهم اظهر روي عن عمر رض انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله عم فقال انا اعلم به مني بابني
قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رض راسه • وان
فريقا منهم • التنوين للتحقير والاشارة الى قلة قدرهم بالنسبة الى المظهرين منهم • ليكتمون الحق
اي كونه النبي الموعود كان الظاهر ان يقال ليكتمونه والعدول عنه للتنبيه على ان المراد معرفته عليه
السلام بذلك الوجه لا معرفة ذاته • وهم يعلمون • تخصيص لمن عاند واستثناء لمن جهل • الحق من ربك
كلام مستانف والحق مبتدا خبره من ربك او خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر او حال
واللام اما للعهد والاشارة الى ما يكتمونه اي الحق الذي يكتمونه هو ما جاء من ربك او الى الحق الذي عليه
رسول الله عم واما للجنس اي الحق من ربك لا من غيره اي ماهية الحق ما ثبت انه من ربك يعني الذي
انت عليه وما لم يثبت انه من ربك كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل كما تقول الرجل زيد اي ما عداه
ليس بالرجل وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون • فلا تكونن من الممترين • النهي عن الكون على
صفة ابلغ من النهي عن تلك الصفة ولذلك كثر في القران النهي عن الكون على الصفة التي يطلب اجتنابها
والامتراء من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها واستعير للتردد في الامر ولما لا يكون بقصد واختيار فالنهي
المذكور للحث على محافظة الاسباب المزيلة له والتحذير عن الغفلة عنها والرسول عم احق بها من امته
ولقد احسن من قال ان الله تعالى تحذير نبيه من اتباع الهوى اكثر مما تحذير غيره لان ذا المنزلة الرفيعة
الى تحذيرها لانذار احوج حفظا لمنزلته وصيانة لمكانته وقد قيل حق المراة المجلوة ان [illegible]
اكثر اذ كان القليل من الصدا عليها اظهر ومن ذهب عليه هذا قال ليس المراد به نهي الرسول عم عن الشك
فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار وكانه غافل عن انه لا صحة للكلام على ظاهره وبعد الصرف
عنه لا مانع عن كون الخطاب له عم ثم انه لا اختصاص للنهي بالمتوقع الا ترى ان الجهل غير متوقع من
نوح عم وقد وقع التحذير عنه في قوله تعالى اني اعظك ان تكون من الجاهلين وفايدة تمهيد عم من
المنهي عنه غير متوقع منه المبالغة في حق من يتوقع منه ذلك • ولكل وجهة • اي ولكل قوم من المسلمين
وجهة وجانب من الكعبة وقيل المعنى ولكل امة من اهل الاديان المختلفة جهة وقبلة ولا ينتظم به
وجه التفريع الاتي ذكره وفي قراءة ابي قبلة والتنوين عوض عن الاضافة • هو موليها • هو اما راجع
الى كل اي هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين او الى الله تعالى اي انه موليها وجهه وقرئ ولكل وجهة
بالاضافة اي وكل وجه الله تعالى اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبرا لضعف العامل وقرئ مولاها
اي مولي تلك الجهة ولما كان في التوسعة المستفادة من الكلام السابق ازاحة العذر في التوقف والتاخر
رتب عليه الامر بالمبادرة بقوله • فاستبقوا الخيرات • اي سارعوا الى اداء الصلوات في اوايل اوقاتها
والسبق التقدم والاستباق من الاثنين ومن الجمع التسابق وكذا التبادر والابتدار والتقابل والاقتتال

وفي تعبير الخير عن الصلوة دلالة على تفوقها في الخيرية على ساير الاعمال الصالحة فان النوع الخاص اذا
عبر عنه باسم الجنس يدل على فضله على ساير الانواع • اينما تكونوا يات بكم الله • اي في اي موضع تكونوا
احضركم الله للحشر للثواب والعقاب ايتينا فتعليل للامر المذكور وانما قال • جميعا • لان نكال العاصي
على رؤس الاشهاد يكون اشد فظاعة والاحسان للمطيع في تلك الحال يكون اقوى تاثيرا في تحسير العاصي
ففيه تاكيد التحذير وقيل المعنى اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلوتكم كانها الى
جهة واحدة وياباه قوله • ان الله على كل شيء قدير • اذ لا دخل لشمول القدرة وكمالها في المعنى المذكور فانه
مبني على الرخصة والتوسعة في امر التكليف لا على القدرة في امر التكوين • ومن حيث • ومن اي مكان • خرجت •
سواء كان للسفر او لامر اخر • فول وجهك شطر المسجد الحرام • اذا صليت • وانه • وان هذا المامور به • للحق من
ربك • تاكيد على ابلغ الوجوه • وما الله بغافل عما تعملون • وقرئ بالياء • ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره • كرر هذا الحكم لتعدد حكمته فانه تعالى ذكر لتحويل القبلة ثلث
فوايد تعظيم الرسول عم بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي اهل كل ملة وصاحب دعوة
وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما سياتي بيانه وقرن بكل حكم حكمة تقريبا وتقريرا على
ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الشبه والفتن ومحال التسويل الشيطاني فيحتاج الى التاكيد والتشديد
ليتحققوا انه ليس بالبداء • لئلا يكون للناس عليكم حجة • تعليل لقوله فولوا يعني ان في التولية عن الصخرة
الى الكعبة [illegible] احتجاج اليهود بان المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وان محمدا عم يجحد ديننا ويتبعنا
في قبلتنا واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابراهيم عم ويخالف قبلته • الا الذين ظلموا منهم • الظالمون منهم
المستثنون من الناس هم المعاندون من اليهود القايلون ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا
لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء عم واهل مكة من العرب الذين قالوا بدا له فرجع الى قبلة ابايه ويوشك
ان يرجع الى دينهم • فلا تخشوهم • ولا تبالوا بهم فان قولهم عنادا وطعنهم ليس بحجة فلا يضركم وان ساقوه
مساق الحجة ولذلك استثناهم من الحجة بناء على زعمهم وقراءة زيد بن علي رض الا الذين ظلموا واقفا على حجة
مستانفا الجملة مصدرة بالا للتنبيه دالة على كونه ليس بحجة • واخشوني • ولا تخالفوا امري ولكون الموصول
متضمنا معنى الشرط وكون الخبر جملة انشائية دخل الفاء في الخبر اي فلا يسوغ ان تخشوهم وتخشوني
[illegible] الجملة الانشائية لا تقع خبرا الا عن تاويل الخبرية • ولاتم نعمتي عليكم • معطوف على علة محذوفة
اي واخشوني لاعصمكم منهم في الدنيا ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بان ادخلكم الجنة • ولعلكم تهتدون • لما
اسوف في الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رض تمام النعمة الموت على الاسلام او على لئلا يكون او
حال محذوف اي ولاتم نعمتي عليكم واردت اهتداكم امرتكم بذلك • كما ارسلنا فيكم رسولا منكم • متعلق بما
قبله مصدرا اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما

اى كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكرونى بالطاعة وانما جمع بين فيكم ومنكم لان كلا منهما واقع نافع ولا يغنى احد مما
عن الاخر يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكيا قدمه هنا باعتبار القصد واخره فى
قصة ابراهيم عم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة قد مر تفسيرهما ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحى وتكرير الفعل للدلالة على انه جنس اخر فاذكرونى الذكر
حضور الشئ للقلب كنى به عما يتلوه من الطاعة وفيه تنبيه على ان العصيان للنسيان حقيقة او حكما اذكركم
كنى به عن الاحسان وذلك مشهور فى كل لسان واشكروا لى يقال شكرته وشكرت له والثانى افصح ولا
تكفرون حذفت اليا من اخره ليستوى الفواصل والشكر اظهار النعمة بالاعتراف بها او بما هو كالاعتراف
من القيام بحقها والكفران ستر نعمة المنعم بالجحود او بما هو فى حكمه من العمل يا ايها الذين امنوا استعينوا
بالصبر والصلاة قد تقدم الكلام حث الله تع على الصبر لانه ذريعة الى كل خير واوكل الافضل على الصلوة
التى هى ام العبادات القلبية والقالبية ان الله مع الصابرين يعنى ان النصر مع الصبر ومن لازمه فقد
فاز بالنصر ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اى فى الجهاد لانه طريق الى ثواب الله تعالى ورحمته اموات اى
هم اموات بل احياء اى بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حيوتهم وكيف حالهم فى حياتهم اى ليس ذلك
مما يدرك بالمشاعر اى الحواس وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل
اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية
نزلت فى شهداء بدر وفيهما ما روى عنه عم انه لما قتل من صناديد قريش يوم بدر من [illegible] قليب
ثم اقبل يخاطبهم بقوله هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فانى وجدت ما وعدنى ربى حقا فقيل له عم ما
اتخاطب جيفا فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب دلالة على ان الارواح مطلقا جو
قايمة بانفسها دراكة مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه الجمهور الصحابة رض والتابعين
وبه نطقت الايات والاثار وعلى هذا فتخصيص الشهدا بالذكر لاختصاصهم بمزيد الزلفى ولنبلونكم
مجازا اذا البلا معيار كالمحك يظهر به جوهر النفس هل تصبر وتثبت اى نصيبكم بمكروه [illegible] تشبيه
فعل المختبر بشئ اى بادنى شئ وتنكيره تقليل لما ابتلانا به ليوذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل
ففوقه ما يقل هو بالنسبة اليه ويخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم فى كل حال لا تزايلهم حتى فى حال
البلاء فلو عرفوا ذلك لشكروا فى موضع الشكر الصبر ولهذا شكر العرفا وحمدوا الله تع على البلاء كما
شكر غيرهم على النعما وقدمر فى تفسير الفاتحة ان نعمة الدفع ينتظم الفريقين فى الدار الاخرة
كما انتظمهما نعمة النفع فى هذه الدار وانما وعدهم ذلك ليعلموا ثواب الصبر ويوطنوا عليه نفوسهم
من الخوف والجوع اى خوف الاعداء والقحط ونقص تحقير وتقليل من الاموال بالهلاك والخسران
والانفس بالقتل والموت والثمرات بالجوائح وقلة النبات وانقطاع البركات وبشر من الخطاب

المتوجه الى كل واحد ممن ياتى منه البشارة عند البلغا لتعظيم الصبر وتفخيمه لانه فضيلة عظيمة الثواب
يستحق صاحبها بشره كل احد الصابرين الحابسين لانفسهم على مكروه الذين اذا اصابتهم
مصيبة المصيبة ما يصيب الانسان من مكروه روى انه طفى سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا
لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هى قال نعم كل شئ يوذى المومن فهو له مصيبة قالوا انا لله اى
اقرارنا له على انفسنا بالملك وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك وليس الصبر بالاسترجاع
باللسان فقط بل لا بد معه من الاذعان بالجنان والمبشر به محذوف دل عليه قوله تع اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة الصلاة فى الاصل الدعاء ومن الله تعالى افاضة الكمالات والسعادات فهى من باب التحلية كما ان السلام
وهو التطهير والتجريد من باب التزكية والتخلية وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف
والاحسان واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا واستسلموا لقضا الله تعالى عظم
الله تع الصبر بوجوه بالبشارة العامة وبقوله اولئك بعد وصفهم بما وصفهم اشعارا بان ذلك الوصف
بوجب هذه الكرامة المذكورة بعده وبتكرير اولئك وبتقديم عليهم اى عليهم خاصة وتكبير صلوات وجمعه
اى امداد زلفات متصلة متتالية وتنوبرات لا يعرف كنهها ولا يقدر قدرها وتقييدها بقوله من ربهم
ورحمة اى رحمة وبتوسيط هم وتعريف المهتدون بلام الماهية ان الصفا والمروة الصفا الحجر
الصلب الاملس الذى لا يخالطه طين ولا تراب ولا رمل ماخوذ من الصفوة وهى الخلوص والمروة هى الحجر
اللين وقيل الحجر الابيض الذى يبرق ثم جعلا علمين للجبلين بمكة من شعائر الله الشعاير جمع شعيرة
وهى العلامة اى من اعلام مناسكه ومتعبداته من موقف ومسعى ومنحر لما اراد ازالة الكراهة عن انفس
الساعين بين الصفا والمروة على ما سياتى بيانه مهد لذلك كونهما من شعاير الله تع موكدا بان لنفى
التردد الذى فيهم اى من اعلام دينه تع ومعالم تعبده فتسبب عنه رفع الجناح عن الساعين بينهما فلذلك
ورد الاية السببية فى قوله فمن حج البيت او اعتمر الحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت
وزيارته للنسكين المعروفين وهما فى المعانى كالنجم والبيت فى الاعيان فلا جناح عليه الجناح الميل
[illegible] ثم اصله من الجناح ونفيه ابلغ من نفى الاثم ان يطوف بهما الطوف الدور والتطوف التكلف
واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف روى ان اسافا كان على الصفا ونائلة على المروة
وهما صنمان وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون
ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت واخبار الجناح لا يدفع بالوجوب فان اليمين على المعصية يجب نقضه
وفيه جناح ولهذا يلزمه الكفارة ومن هنا اتضح وجه الحاجة الى الاخبار عن عدم الجناح فى الطواف
المذكور بعدما تبين انه من معالم الدين واعلم انه لا خلاف فى انه مشروع فى الحج والعمرة وانما الخلاف فى
مشروعيته فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله تع فلا جناح فان الظاهر المتبادر منه التخيير

المنافي للوجوب وقد مر وجه دفعه ولا نصرة في قراءة ابن مسعود رض فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما لانه
ذكر لان موجب تفريعه على ما تقدم ان تكون لا زايدة لعدم تسبب نفي الجناح عن عدم الطواف بهما عما تقدم
من كونهما من شعاير الله وعند ابي حنيفة واصحابه انه واجب يجبر بالدم وبه قال سفيان الثوري وعامة
اهل العلم وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عم اسعوا فان الله قد كتب عليكم السعي ويرد عليه ان
دلالته على الوجوب بدون التركية ومن تطوع اي فعل طاعة فرضا كان او واجبا او نفلا او زاد على الزكية
ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف خيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بتعدية الفعل لتضمنه
معنى اتى او فعل لا بحذف الجار وايصال الفعل اليه لانه ليس بقياسي فلا يصار اليه بلا ضرورة وقرئ يطوع
واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر مثيب على الطاعة عليم لا يخفى عليه شيء ان الذين
يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التورية من البينات الدالة على امر محمد عم والهدى اي ما يهدي الى اتباعه
والايمان به من بعد ما بيناه وشرحناه للناس في الكتاب في التورية من نعته عم ووصفه بما لا ابهام فيه
ولا اشكال ولا اشتباه على احد فكتموه ولبسوا على الناس ففي قوله من البينات والهدى توبيخ لهم والزام
ببيان استحقاقهم للعن مفخما لما عندهم من السبب بالابهام والتبيين لانهم اعتقدوا انها ابانته بينات
وهدى ثم كتموها ولذلك يلعنهم الله تعو ويلعنهم اللاعنون احياء واذا ماتوا على الكفر والكتمان ولم
يتوبوا خص بهم اللعنة بسبب ذلك ابدا سرمدا اولئك يلعنهم الله اللعن الابعاد على وجه الطرد
وصار في التعارف دعا عليه ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن ويعتد بلعنهم من الملايكة
والمؤمنين من الثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وساير ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوه من
احوالهم وبينوا ما كتموه من نعته عم كابن عبد الله بن سلام واضرابه فاولئك اتوب عليهم بالقبول
والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
اي الذين ماتوا على الكفر من هولاء الكاتمين اولئك الموصوفون بالكفر الثابتون عليه حتى الموت عليهم ا
والملايكة المخصوصون باللعنة الابدية احياء وامواتا اورد في الاولى الجملة الفعلية الدالة على
الحدوث المتسبب عن الكتمان لامكان التوبة والفعل المضارع الدال على التجدد المترتب عليه وفيما بعد
وقت ثبتا بها في الازمنة المتتالية وفي الثانية الجملة الفعلية الاسمية مع تقديم الخبر المفيد للاختصاص
على الدوام واللام في والناس اما للماهية والتاكيد بقوله اجمعين لله والملايكة والناس واما للاستغراق
والتاكيد لهم وللكل لما انه يحتمل العموم لان الكفار يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا والخصوص بمن يعتد
بلعنه وهم المؤمنون كان من عداهم ليسوا بالناس اذ لا اعتداد بهم عند الله تعو وقرئ والملايكة والناس
اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو اي من ان ضرب
اضمر ٢ زيد عمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملايكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار واضمرت

59

بلا ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ولكن لا انظار اي لا يمهلون ولا
يوجلون او لا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد اي المستحق للعبادة منكم واحد
لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها والخطاب عام لا اله الا هو تقرير للوحدانية ودفع لتوهم ان
يكون في الوجود اله ولكن لا يستحق العبادة منهم الرحمن الرحيم اي المنعم على خلقه بادرار رزقه واسباغ فضله فهو
مفزع كل مضطر وغيات كل قانع ومعتر ودلالة فيه على ان ما سواه اما نعمة او منعم عليه حتى يكون
كالحجة على الوحدانية وهما خبران اخران لقوله او لمبتدأ محذوف او صفة لقوله والهكم او فصل بالخبر
ولا الاخير ثان او اعتراض ان في خلق السموات والارض انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة
بالذات بخلاف الارض واختلاف الليل والنهار باقبال احدهما وادبار الاخر وبالنور والظلمة والطول
والقصر والتساوي وقدم الليل لسبقه في الخلق والفلك السفينة المدورة يقال للواحد والجمع
وقرئ بضمتين على الاصل التي تجري في البحر وهو تقيل كثيف والماء خفيف لطيف وبدين نح واحد
بما ينفع الناس ما موصولة اي بالذي ينفع الناس مما يحمل فيها او مصدرية اي بنفع الناس وما انزل الله من السماء
من ماء بيان للموصول ويحتمل الفلك والسحاب وجهه فاحيى به الارض بعد موتها الاحياء والموت استعا رتان
لطيفتان لتزيين الارض بالنبات واخضرارها ونموها وكونها صعيدا جرزا فلغاقا للجدب خوتها دون
اما تنبيها على انه يقتضي طبعها وتنفيها النبات لاظهار ما كان خفيا عن الحاسة حديثا كان او كثيرا او غيرهما
من كل دابة اصله حكاية صوت حركة الشي ثم قيل دب اذا مشي ويقال لكل ما يمشي دابة وانما عطف
تنبيها على احياء الارض لانه لا يكون الا بالحياة بالنبات وتصريف الرياح اي صرفها الله تعو وصرفها السحاب
من جهة الى اخرى والسحاب بالسحب جرم الثوب والسحاب بما تجره الريح المسخر يعني للرياح تقلبه في الجو بمشيئة
الله تعو يمطر حيث يشاء يرشدك الى هذا ذكره عقيب تصريف الرياح ولولا ذلك لكان حقه ان يذكر قبل قوله
[illegible] نزل الله واما ما قيل لا ينزل ولا ينقطع مع ان الطبع يقتضي احدهما منظور فيه لان بعض المركبات لا تنزل ط
والماء لا يخرج منه ولا يتغير حاله فلم لا يجوز ان يكون بعض كاينات الجو شانه كذلك لايات والتسخير القهر
الى الفعل وهو ابلغ من الاكراه فانه حمل الغير على الفعل بلا ارادة منه كحمل الرحي على الطحن لايات لقوم
يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على الرسول
عم [illegible] في صدق قوله والهكم اله واحد لو عقلوا لكفاهم هذه التصاريف ومن الناس
لا يخفى عليهم ما في هذا التعبير من التحقير من يتخذ من دون الله من لابتداء الغاية متعلق بيتخذ او حال
من اندادا او ثاني مفعولي يتخذ اندادا امثالا من الرؤسا الذين يتبعونهم ويطيعونهم في اوامرهم ونوا هيهم
وقيل من الاصنام ولا يلايمه قوله اذ تبرأ الذين اتبعوا الخ يحبونهم حال من فاعل يتخذ او من حب الله
في محل النصب على المصدر من الفعل المبني للمفعول اي محبة كحب الله والمبني للفاعل اي كحبهم الله

اي يسوون بينهم وبين الله تعالى في الحب لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه والذين امنوا اشد حبا لله
في موضع الحال وانما قيل حبهم اشد لانهم لا يعدلون عنه تعالى الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن ربهم
الى الله تعالى عند الشدائد وكذا يعدلون عنهم الى غيرهم والمحبة ميل القلب من الحب استعير
لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه
ومحبة الله تعالى للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي ولو يرى الذين
ظلموا او لو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه عند الموت او بعد الحشر
ولو واذ في المستقبل استعارتان لتحقق الوقوع كانه قد وقع واخبر عنه كقوله تعالى ونادى اصحاب
الجنة وحذف جواب لو ايماء الى انه لا يمكن التعبير عنه اما لكونه ازيد على العبارة او كونه ممتنع الاكتناه
او لا يحتمل المعبر لغاية الضجر والجزع والتفجع عليه او المستمع وقرئ ولو ترى بالتاء على خطاب الرسول
عم او كل مخاطب على ما ذكر من التفخيم ومعناه لرايت امرا عظيما لا يمكن وصفه وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول
ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى اي ولو يعلمون حين يعاينون العذاب يوم القيمة ان القدرة
المطلقة على كل شيء من الثواب والعقاب كلها لله تعالى دون من سواه من الانداد وغيرهم وان الله شديد
العقاب للظالمين لكان ما لا يدخل تحت الوصف من الحسرة والندامة على ظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما
في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وقرئ ان في الموضعين بالكسر على الاستيناف او على اضمار القول
اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون العذاب اي اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ
بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء والواو في وراوا العذاب للحال وقد مضمرة اي تبرؤا في حال رؤيتهم
العذاب وقيل عطف على تبرؤا وتقطعت بهم عطف على تبرؤا الاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق
على دين واحد والانساب والمحاب وساير انواع الاتباع والاستتباع واصل السبب الحبل الذي يرتقى
به الى الشجر وقال الذين اتبعوا على من قرا فيما سبق بالعكس قراءة ان يقرا هنا على البناء للمفعول لو ان لنا كرة
الرجوع عن الشيء فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا نصب فنتبرأ الجواب لما في لو من معنى التمني اي ليت لنا كرة فنتبرأ منهم
واستعيرت لامتناع التمني والتبرؤ الانفصال منه برئ من مرضه اذا انفصل منه بالعافية كذلك
نصب على المصدر من يريهم اي مثل ذلك الاراءة الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم يقال حسر يحسر
حسرة وحسرا اذا كمد على الشيء الفايت وتلهف عليه وهي غير الندم واشد منه حال لان رؤية اعمال
التي عملوها من الحسنات بزعمهم يرونها حسرات عليهم حيث احبطوها وهم في وما هم بخارجين من النار
لجعل الجملة اسمية تقييدا للدوام بحسب العرف لما مر في قوله وما هم بمؤمنين اي وما هم بخارجين من النار
دايما ما داموا هم هم لتخصيص السلب بهم اي بالمشركين من بين المخلصين لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اي هم خاصة ليسوا بخارجين من النار كقوله تعالى هم القوم كل القوم

يا ام خالد لا لسلب التخصيص فان اداة السلب متاخرة عن اداة التخصيص معنى وان تقدمت عليها لفظا
والباء في الخبر لتاكيد النفي يا ايها الناس كلوا الاكل هو البلع عن مضغ ومن في قوله تعالى مما في الارض ان كانت
لابتداء الغاية فقوله حلالا وان كانت للتبعيض فمفعوله وهو حال او صفة مصدر محذوف وهو
اوجه الاوجه لان حل الاكل يستلزم حل الماكول بدون العكس فان الحلال قد يؤكل على وجه محرم او
يكره كالاكل فوق الشبع او صايما او في مجلس الفسق طيبا طاهرا عن كل شبهة والى هذا اشار من قال
الحلال ما ليس بمحظور والطيب ما ليس بمحذور والاية نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة
والملابس والامر في الماكول امر في الملبوس دلالة ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتفوا اثاره
اعتقادا او قولا وعملا وقد اجتمع هذه الثلاثة في سبب النزول ومن فسره بالنهي عن مطلق الاتباع فقد ضيع
ما في عبارة الجمع من الاشارة اللطيفة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن
بسنته وقرئ خطوات بضمتين وضمة وسكون الطاء وبفتحتين وفتحة وسكونها والخطوة بالفتح المرة من الخطو
وهو نقل قدم الماشي والخطوة بالضم اسم ما بين قدمي الخاطي وهما كالقبضة والقبضة انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة وعداوته لهم لا ينافي ولايته اياهم المفهومة من قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت حتى يحتاج
الى التكلف في التوفيق بان يقال سمي وليا لاظهاره الموالاة لمن يغويه انما يامركم استيناف لبيان وجوب
الانتهاء واتباع عدو ظهور عداوته اي ما يامر الا بالشر استعير الامر لوسوسة الشيطان وتزيينه تشبيها
في تسلطه عليهم بامر مطاع وشبهوا في قبولهم لها وطاعتهم له بالطبع بمامور مطيع
بالسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام
العاقل به وفحشاء باستقباح الشرع اياه وقيل الفحشاء ما يظهر قبحه من المعاصي او ما يتجاوز الحد في
القبح من العظايم ويرده قوله تعالى كباير الاثم والفواحش الا اللمم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب
فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون القول اذا تعدى بعلى يكون بمعنى الافتراء اي وان تفتروا عليه
تعالى بلا تعرض في الاية لاتباع الظن ما لا تعلمون كاتخاذ الولد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات والافتراء
عن جهل محض اقبح من الافتراء عن ظن فاسد واذا قيل لهم الضمير للناس على طريقة الالتفات لسر فيه انهم وقعوا
في حد البعد والغيبة في طاعة الشيطان وانهم في غاية الحمق والضلال الى حد لا يستاهلون للخطاب فلا
ضلال اضل من المقلد للباطل كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون الداعي اتبعوا ما انزل
الله في عبارة ما انزل الاشارة الى وجه وجوب الاتباع قالوا بل نتبع ما الفينا ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا
خيرا منا نزلت في المشركين امروا باتباع القران وساير ما انزل الله تعالى من الحجج والايات فجنحوا الى التقليد
والهمزة في اولو كان اباؤهم للرد والتعجب والواو للحال اي ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا
جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لو في مثل هذا التركيب يجيء تنبيها على ان ما بعدها غير مناف

لما قبلها كما في قوله اعطوا السائل ولو جاء على فرس والمعنى على كل حال وذلك انها تجيء لاستقصاء الاحوال
التي يقع عليها الفعل ويدل على ان المراد بذلك وجود الفعل في كل حال حتى في هذه الحال التي لا يناسب الفعل
واذا قصد التوبيخ والتعجب كما في هذه الاية فلا يكون ايرادها لاستقصاء الاحوال ولما كانت الواو للحال
لم يحتج الى جواب لان الشرط انما يقع حالا اذا انسلخ عنه معنى الشرط ودلالة الاية على المنع من التقليد
لمن قدر على النظر ظاهر منها انه انما ينكر اذا كان المقلد ضالا ومثل الذين كفروا قد مر معنى المثل وفيه
اضمار تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق ومثلهم كمثل البهائم الذي والاضمار في الكلام من الاختصارات
المعتبرة في البلاغة لتنبيه الذكي عند الحكم المعنوي في الحمل على الظاهر على المضمر ثم على خصوصيته
بالقرائن اللفظية او المعنوية فيتنبه في التدبير ويتفهم في التفكر فيتحقق المعنى هذا ما يحسب جليل
النظر والذي يحسب دقيق النظر ما مر في تفسير او كصيب من السماء من ان التشبيه التمثيلي لا يلزم ان يكون
ما يلي اداة التشبيه هو المشبه به فلا حاجة الى تقدير شيء ينعق بما لا يسمع قال صاحب العين نعق الراعي
بالغنم اذا صاح بها زجرا الا دعاء ونداء الدعاء للقريب والنداء للبعيد ولذلك قال الاعرابي اقريب ربنا فنناجيه
ام بعيد فنناديه صم رفع على الذم بكم عمي اي ومثل داعيهم الى الايمان كمثل الناعق بالبهائم في انهم لا يسمعون
الا دعاء الداعي وتصويته من غير فهم المعنى وتعقله او بالاصم الذي لا يسمع من دعاء الا فيه صوته
بكلامه الا التصويت والنداء من غير تمييز الحروف وادراكها وقيل مثلهم في تقليدهم اباهم واتباعهم
كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم معناه فكذلك يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون
ما هم عليه اخي هوام بالحال فهم لا يعقلون بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما
رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المومنين منهم ان يتحروا
طيبات ما رزقوا وقد مر ان الطيب اخص من الحلال وان يقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم
واحل لكم ولما تضمن الامر الاول الامتنان ناسبه الخطاب وما في الامر الثاني من التنبيه على ان استحقاقه
ليس لكونه رازقا لهم ومبيحا للطيبات الرزق فقط بل لكونه خالق العالم ويندرج فيه جميع ما يجب
الشكر اقتضى العدول عن الخطاب الى الغيبة ومن التفريع بالفاء الى العطف بالواو وان كنتم اياه تعبدون
فان عبادته لا تتم الا بالشكر وتقديم المفعول للمحافظة الفاصلة كما في قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون واذا دخل
لمعنى التخصيص في التعليل وكان ان تقول لكان الظاهر ان يقال ان كنتم تعرفون انه مولى النعم كلها الا انه كنى عنه
بملازمه وهو تخصيص العبادة اياه انما حرم عليكم الميتة قرئ حرم وحرّم وحرم بالتخفيف والتشديد كلمة
انما قيل لا تكون للقصر كما في قوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش فلا حاجة الى ان يقال ان ما بين من حتى في
الحديث وان المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا وانما لم يستثن السمك والجراد من الميتة والكبد
والطحال من قوله والدم لما احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالسمك والجراد

واما الدمان فالكبد والطحال بناء على ما يتعارفه الناس ويتفاهمه في العادة ولما كان المتبادر من الحرمة المضافة
الى العين حرمة التناول فيه مطلقا زاد عبارة اللحم في قوله ولحم الخنزير قرينة صارفة عنه دالة على
ان المحرم اكل العين المذكور لا الانتفاع به مطلقا حتى يلزم انتساخ النص بالحديث في جلد الميتة وانما
خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يوكل من الحيوان وساير اجزايه كالتابع له وهو الوجه ايضا لا يساعد
تقرير الانتفاع العام للاكل وغيره وما اهل لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه لغير الله نحو
سما كان او نارا او غير ذلك وما ذكر معناه الاصلي على ما نص عليه الجوهري والاهلال غرة القمر انما سمي
لرفع الناس اصواتهم عند رؤيته بالتكبير فمن اضطر غير باغ على مضطر اخر بالاستيثار عليه ولا عاد
سد الجوعة فلا اثم عليه في تناوله دل بمفهومه على ثبوت الاثم في تناوله غير مضطر ولهذا الاعتبار صح تفريعه
على ما تقدم ففيه دلالة على اعتبار المفهوم كما هو مذهب الامام الشافعي لانه لولا اعتباره لما صح تصدير الكلام
المذكور باداة التفريع ان الله غفور يغفر المعاصي فاولى ان لا يواخذ بالرخص فيها وغفور للعاصي ان يفرط عند
العمل بالرخصة رحيم بالرخصة فيه فهو مقرر للاول ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قد
مر تفسيره وبيان ما في عبارة الثمن من المزية على عبارة الشيء والعوض وغير ذلك قليلا ليس المراد به انهم اذا اشتروا
به ثمنا كثيرا كان جائزا بل المعنى ان كل ما ياخذونه في مقابلته من حطام الدنيا فهو قليل اولئك ما ياكلون في بطونهم
اي ملأ بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه قال الشاعر كلوا في بعض بطنكم تعفوا فرادهم من الا
في بعض البطن ذكره جميع البطن والظاهر ان التعدية بفي لتضمين معنى الاستقرار المناسب للمقام فان الاكل قد
يعقبه الدفع خصوصا اذا كان الماكول غير ملائم للطبع وذكر الاكل لكونه المقصود الاول من تحصيل
المال وذكر في بطونهم تنبيها على شرههم وتقبيحا لتضييع اعظم النعم لاكل المطعم الذي هو اخس مطالب من
الدنيا الا النار مجاز من باب اطلاق المسبب على السبب او الغاية على الشيء لتلبسه بها فانهم اذا اكلوا السحت
وهو الرشى على الكتمان لزمهم عقوبته التي هي النار فكانهم اكلوا النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل
الدية التي هي بدل منه ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم عبارة عن غضبه تعالى عليهم لان من غضب على
صاحبه حرمه وقطع كلامه وقيل تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله تعالى اياهم بكلامه وتزكيتهم
بالثناء ولهم عذاب اليم مولم وتقديم الجار والمجرور للمحافظة الفاصلة اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة والحاجة الى المغفرة اشد من الثواب فالخسران فقدانها اقوى وهذا
اثرها عليه جاء انه انسب لان يذكر مع العذاب لفظا ومعنى فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في ارتكاب
موجبات النار والتباسهم بها من غير مبالاة منهم كما تقول لمن تعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك
على القيد والسجن يريد انه لا يتعرض بذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وما تامة مرفوعة بالا
وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها

للخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك اى ذلك العذاب بان الله بسبب ان الله نزل
الكتاب بالحق اى نزل ما نزل من الكتب ملتبسا بالحق وان الذين اختلفوا فى الكتاب الظاهر ان المراد هو القران واللام
اشارة الى انه الجنس المسمى كتابا اى الكامل فى كونه كتابا كان ما عداه من الكتب لا يستاهل معه ان يسمى كتابا
والاظهار فى موضع الاضمار للتعظيم وتربيته فايدة اللام وبيان ان الاختلاف فيه عظيمة من العظايم ولهذا
قيده فى الاول بالحق واختلافهم فيه قول بعضهم سحر وقول بعضهم شعر وقول بعضهم اساطير الاولين لفى
شقاق بعيد عن الحق والشقاق انحياز كل من المتخالفين عن شق صاحبه للخلاف وطلب كل منهما ما يشق
على الاخر ليس البر اسم جامع للطاعات واعمال الخير ان تولوا وجوهكم الخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا ا
الخوض فى امر القبلة حين حولت قبل المشرق اى مقابله كفعل النصارى والمغرب اى قبل المغرب كفعل اليهود
وذلك منسوخ فهو ثم لاهر وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرئ بان تولوا بالباء لتاكيد النفى ولكن
البر من امن بالله واليوم الاخر اى المبدا والمعاد والملايكة والكتاب والنبيين اى بالشرايع المتحدة فى اصول الدين
المنزلة على الانبيا عليهم السلام بواسطة الملك وللتنبيه على حصر الاتحاد قال والكتاب دون الكتب انما
قال والملايكة دون والملك لان سفير الوحى وان كان واحدا الا انه قد انزل بعض الكتب بل بعض سور القران
بجم غفير من الملايكة تعظيما لشان المنزل هو المعنى والله اعلم ولكن البر هذه العقايد الصحيحة والاعمال الصالحة
والوصف كما يذكر فى مقام الموصوف بلا حذف ولا تجوز بحسب اللفظ كما فى قولك رجل عدل فان التجوز فيه
فى الاسناد دون المسند كذلك يذكر الموصوف فى مقام الوصف بلا حذف ولا تجوز بحسب اللفظ كالذى نحن
فيه تنزيلا للموصوف منزلته ولا يخفى ما فيه من المبالغة فيه فى شان الموصوف ولذا فرق بين الاعتبارين
ذهب على كثير من الحذاق وفى المصير الى التقدير فى مثل هذا المقام تنزيل الكلام عن منزلته الرفيعة وتغيير
لصورته البديعة على انه اذا قيل ولكن البر بر من امن الخ يخرج الكلام عن سنن الانتظام وايضا لو قصد
هذا لكان المناسب ان يقال ولكن البر بفتح الباء واتى المال على حبه اى على حب المال والشح به كما قال عليه
السلام لما سئل اى الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقال لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون والجار والمجرور فى موضع الحال ذوى القربى واليتامى الايتا اعم من الصدقة
فلا يشترط فيهما الفقر وقد قفاه بالزكوة فانصرف الى المندوب بان عن الصلاة وقدم ذوى القربى لانهم
احق بالاحسان قال عم صدقتك على المسكين صدقة وعلى رحمك اثنتان صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين
وهو الدايم السكون الى الناس لشدة فقره او الدايم السكون فى البيت لعدم اللباس او لعدم القوة كالمسكير
الدايم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع به وجعل ابنا للسبيل لملازمته له والسايلين المستطعمين
وفى الرقاب اى فى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل فى فك
الاسارى وفى العطف بعبارة الجمع اشارة الفضل التفريق الى [illegible] الانواع واقام الصلاة مفروضة

62

كانسا او واجبة واتى الزكوة المقدرة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من امن والصابرين
نصب على المدح لبيان فضيلة الصبر فى الشدايد ومواطن القتال واظهار الفضل الصبر على ساير الاخلاق
والاعمال فى الباسا فى الفقر والشدة والضرا المرض والزمانة وحين الباس وقت مجاهدة العدو اولئك
الذين صدقوا كانوا صادقين فى الدين جادين فيه واولئك هم المتقون اى هم الموفون حق الصدق قولا وفعلا
وعقدا وحق التقوى حظرا وكراهة وندبا والصدق فيما يفعل والتقوى فيما يترك فالاية جامعة
للكمالات الانسانية باسرها واليه اشار النبى عم فى قوله من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان
يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص تخصيص الخطاب بالمومنين لا لاختصاص الحكم المذكور بهم بل
للتنبيه بخطابهم بوصف الايمان على ايجاب القصاص عليهم بقتل العمد الذى هو من الكباير التى ورد
ب فيها اشد وعيد وتهديد على ان الكبيرة لا تزيل الايمان واصل الكتابة الخط وكنى بها عن الالزام والحكم
على الناس كافة فمنهم من يلزمه استيفاؤه وهو السلطان اذا طلبه الولى ومنهم من يلزمه تسليم النفس
وهو القاتل ومنهم من يلزمه المعاونة ان لا يتعدى بل يقتص او ياخذ الدية او يعفو والقص قطع الشى
على سبيل الاخذ ومنه قص شعره وقص اثره وقص الحديث اقتطع كلاما حاذيا حذو غيره والقصة
اسم منه وحقيقة القصاص ان يفعل بالقاتل او الجارح مثل ما فعل ففيه اشارة الى ان القصد بالاية منع
التعدى فان اهل الجاهلية كانوا يتعدون فى القتل وكلمة فى فى القتلى للسببية كما فى قوله نبوا لمتنى
فيه والقتلى جمع قتيل والاتيان بصيغة الجمع للاهتمام فى المنع عن التعدى فانه اذا كان ممنوعا فى قتل
جماعة فالمنع عنه فى قتل واحد بطريق الاولى الحر بالحر اى يقتص الحر القاتل بالحر المقتول ولا يتعدى من
الحر الى العبد لخساسته ولى المقتول لكلا من واحد الى اثنين لشرفه والعبد بالعبد ولا يتعدى من العبد
الى الحر لشرف ولى المقتول وقبيلته والانثى بالانثى ولا يتعدى من الانثى الى الذكر لشرف المقتول كما ذهبوا النضير
يقولون لبنى قريظة اذا قتلتم منا عبدا قتلنا منكم حرا واذا قتلتم منا امراة قتلنا منكم رجلا واذا قتلتم منا
حرا قتلنا منكم حرين وكانوا على ذلك قبل ظهور النبى عم فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله عم فنزلت
وامرهم ان يتباوءوا فلا دلالة فيه على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا دلالة على عكسه فان المفهوم
انما يعتبر حيث لا يظهر للتخصيص وجه سوى اختصاص الحكم وقد ظهر ههنا وجه فلا متمسك للقايلين
بحجية المفهوم فى هذه الاية لاثبات ما قالوا من عدم قتل الحر بالعبد فمن عفى تفريع على ما فى عبارة القصاص
من الاشارة الى ان المكتوب بحق العبد سقط باسقاطه له مفعول به لكن لكونه بواسطة حرف الجر كان
مساويا للمصدر وغيره فى جواز الاسناد اليه من اخيه اى من جهة اخيه يجوز ان يتعلق بالفعل وان يكون
حالا من شى يعنى ولى الدم وانما ذكره بهذا تذكيرا لما بينهما من الاخوة الدينية والجنسية ليرق له ويعطف
عليه فيتباهلوا شى اى شى من العفو [illegible] كان للقتيل اولياء فعفى بعضهم فصار نصيب الباقين مالا وهو حصتهم

على زنة يتعالوا

من الدية فهو في موضع المفعول المطلق المفيد الموصوف مثل ضرب ضربا شديدا فان في تنكير شي من الدلالة على
ذلك وفايدة الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص ولا يصح ان يكون شي مفعولا به لان
عفا لا يتعدي بنفسه الى المفعول به لكن يعدى الى الجاني والى الذنب واذا تعدى الى الذنب يعدى الى الجاني
باللام وكان اصله في الاية فمن عفي له عن جناية من اخيه فاستغنى بذكر القصاص في القتل عن ذكر الجناية واما عفي
بمعنى ترك المتعدى بنفسه الى المفعول فلم يثبت ولهذا ثبت اعفي ولما انقلب حق باقي الورثة في الصورة المذكورة
من القصاص الى الدية قال فاتباع بمعروف واداء اليه باحسان اى فعلى الولي اتباع بالمعروف بان لا يتجاوز عن الحد
المعهود في الدية بالحمل الى زيادة عن حصته منها ومن هنا ظهر وجه التعريف في المعروف وعلى الجاني اداء اليه باحسان
بان لا يمطله ولا يبخسه على ان كلا منهما مبتدا او فاعل للظرف او فليكن اتباع من الولي واداء من الجاني على الغائبة
فيهما او فامر الولي اتباع وامر الجاني اداء على الخبرية فيهما وفي هذا التوصية لهما تنبيه لغاية الاخوة
ذلك اشارة الى المذكور صريحا وهو العفو المستلزم للدية وضمنا وهو العفو العاري عنها وذلك ان عفو بعض
القصاص لما كان مشروعا لكونه حق العبد علم منه بطريق الدلالة ان عفو كله ايضا مشروع تخفيف تسهيل
بدفع القصاص عن الجاني من ربكم ورحمة بنفع الولي حيث لم يضع حقه والفصل بينهما بقوله من ربكم للايذان
بتعلقه بهما كما في قوله تعالى لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قال ابن عباس رضي الله عنه والحسن البصري
كان في شريعة موسى عم القتل لا غير وفي شريعة عيسى العفو لا غير وفي شريعتنا القصاص ثابت والعفو حسن
والصلح جائز على حسب ما يراه العبد انفع له واشفى لقلبه واوفق لمراده ومن قال ان وجوب هذه الامة بين
القصاص والدية والعفو لم يصب اذ ليس الثاني منها باختيار الولي لانه بدل الصلح لا يكون الا برضا الجاني نعم
يمنا في قولهما كان في شريعة موسى عم القتل لا غير محل بحث فان ما ياتي في تفسير قوله تعالى في سورة
الاعراف يا خذوا باحسنها ان الحسن هو الاقتصاص والاحسن العفو صريح في ان ذلك في التورية اذ ضمير احسنها
للالواح فمن اعتدى بعد ذلك الحكم او التخفيف فتجاوز بقتل غير القاتل او القتل بعد العفو او اخذ الدية
فله عذاب اليم بنوع من العذاب اليم شديدا لا لم ولكم في القصاص حيوة كلام كامل في الفصاحة وعالي الطبقة في
البلاغة لم يوجد اقل مسموعا واجل مفهوما منه مع اشتماله على الغرابة التي هي من نكت التي هي من نكت
البلاغة وذلك ان القصاص من قتل وتفويت للحيوة فجعل محل الحيوة وعرف القصاص ونكر حيوة وقدم
الخبر وخصص الخطاب باولي الالباب بقوله يا اولي الالباب اشعارا بانه لا يفهم معناه الا ذووا القلب
اى لكم خاصة ايها العقلاء في هذا الجنس من الحكم نوع من الحيوة او حيوة عظيمة لا يقدر قدرها اذ لو لم يشرع
وكان كما كان في الجاهلية من قتل غير القاتل وقتل الجماعة بواحد لوقع الهرج والمرج بين الناس وهاجت الفتن
والحروب وارتفع الامن من الناس فانطفت تلك النايرة بشرع القصاص وارتدع كل من هم بالقتل لعلمه بذلك
فسلم المقتول من القتل والقاتل من القود ولم يهيج احد من اولي الالباب على القتل فامن الناس فتلك حيوة للخلق
كثير فاي من سلامته وسعة فصاحته التعبير فلهذا قال لعلكم تتقون القتل بطريق الحق عادة تكم ما فيه

من الحيوة لكي تتقوا ويجوز ان تختص الخطاب بالايمة وهم اولوا الالباب اى لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص
والحكم به كتب عليكم اى الوصية لابد في اقامته من جماعة فلهذا اثر صيغة الجمع بمعنى اذا حضر احدكم الموت
اى قرب منه بظهور اماراته ان ترك خيرا اى مالا طيبا وكان هذا القيد لا بد منه لان المال الخبيث لا يجوز الوصية
به لما فيها من الاثم والتنوين للتكثير لما روى عن عايشة رض ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلاثة
الاف درهم فقالت كم عيالك فقال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا لشي يسير فاتركه لعيالك
الوصية للوالدين والاقربين الوصية فاعل كتب وتانيثها ليست بحقيقية فيجوز تذكيرها ولا حاجة الى ما قيل
وتذكير الفعل للفاصل اولانها بمعنى ان يوصي ولهذا ذكر ضميرها في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول
كتب لا الوصية لتقدمه عليها بالمعروف بالعدل المعهود وهو ان يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث
حقا مصدر موكد اى حق ذلك حقا على المتقين كان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ بعد نزول اية المواريث
فانه وان كان من الاحاد الا ان الامة تلقته بالقبول حتى لحق بالمتواتر لعلمنا بانهم لا يتلقون بالقبول الا الثابت
الذي صحت روايته فمن بدله اى قول الموصي بقرينة قوله بعد ما سمعه اي غيره عن وجهه من الاوصياء والشهود
والحكام ولا حاجة الى ابقائه لانه كان موافقا للشرع لان الذي لا يوافقه مردود لا مبدل فانما اثمه اي اثم
التبديل او الايصاء المبدل على الذين يبدلونه لا على الموصي والموصى له والتفاتي هنا بصيغة لان التبديل
انما يتقرر بالاتفاق فان الوصي مثلا انما يقدر على التبديل بمساعدة الشهود ولو بالسكوت وكذا الحال
في غيره ان الله سميع بقول الموصي عليم بفعل الموصي وغيره من الذين يبدلون الوصية ظاهرة الاخبار وباطنه
الوعيد للمبدل ومن يساعده فيه فمن خاف يراد بالخوف في مثل هذا ما يلزمه من التوقع والظن الغالب لانه لا اخفا
في انه لا معنى للخوف من الميل والاثم بعد الوقوع من موص جنفا ميلا عن الحق او اثما تعمدا للجنف قال الربيع الجنف
في الخطاء والاثم في العمد فاصلح بينهم اى بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون او بين الموصى لهم والورثة
برده الى الحق وجاز اضمارهم لانفهامهم من سياق الكلام بمعونة المقام قال الراغب ولا فرق بين ان يخاف
ذلك قبل موت الموصي فيرشده او بعد موته فيصلحه وليس الاصلاح مقصورا على ايقاع الصلح دون استعمال
الصلاح بل يعمهما فلا اثم عليه اى على المصلح لانه تبديل باطل بحق وانما قال هذا لانه لما خوف في الاية
الاولى من تغيير الوصية بين ان النهي عن تغييره فيما لا جنف ولا اثم فيه فاما اذا كان فيه شي من ذلك
فلا شي في تغييره ولما كان ربما تضمنه الكلام السابق من الوعيد باعتبار احاطته بالظواهر والسراير
علما تاسب ان يرتب عليه ما في هذا الكلام من الوعد لمن قصد بتغيير الوصية الصلاح فصدره باداة التر بيب
وبين بقوله ان الله غفور انه يتجاوز عما عسى ان يسقط من المصلح حالا يجوز رحيم بالرخصة فيما ذكر يا ايها
الذين امنوا كتب عليكم تخصيص للخطاب بالمومنين لا لاختصاص الكتاب المذكور بهم بل لاشتراط صحته
المكتوب بالايمان فلا متمسك فيه لمن قال ان الكفار غير مخاطبين بالعبادات الصيام الصوم قال الخليل

الصوم قيام بلا عمل والصوم الامساك عن الطعم وفي الشرع الامساك بالنية في النهار الشرعي عن المفطرات
كما كتب نصب على المصدر اي كتبا كالكتب على الذين من قبلكم من الانبياء عم والامم من لدن آدم عم يعني انه
عبادة قديمة ما اخلى الله تعالى امة من افتراضها عليهم ففيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس
والتشبيه في اصل الوجوب فقط وقيل في الاصل والقدر والوقت جميعا لعلكم تتقون الله بالمحافظة
عليها لقدمها واصالتها فانها ما فرضت عليكم وحدكم او تتقون المعاصي لان الصايم اروع لنفسه
فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبداها على ما اشار اليه النبي عم بقوله فان الصوم له وجا او لعلكم
تنتظمون في زمرة المتقين فان الصوم شعارهم اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلايل كقوله
تعالى دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد والكثير يحثى حثيا نصبه على الظرفية للصيام
وقد جوز عمل المصدر في الظرف مع تخلل الفاصل وان لم يجز في غيره والمراد بها ما وجب صومه قبل فرضية
رمضان ونسخ وهو عاشورا او ثلثة ايام من كل شهر ويجوز ان يراد به رمضان والاول اولى اذ الانسب على
الثاني ان يقال شهرا معلوما كما يقال الحج اشهر معلومات وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام كما روي
ان رمضان كتب على النصارى فوقع في حر او برد شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه كفارة لتحويله وقيل
زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا ذهب بعضهم الى ان كل مرض مبيح للافطار اخذا باطلاق النص
وبعضهم الى ان المراد المرض الذي يضره الصوم ويعسر معه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر او على سفر
لم يقل مسافرا لينبئ ان من خرج بلدة ومكث فيها اياما لا ينبغيه الا فانه مما ذكر يطلق عليه دون
ترك فعدة من ايام اي فعليه صوم عدد ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف
والمضاف والمضاف اليه للعلم بها كذا قالوا وفيه ان وجه التعليل المذكور ظاهر في حذف المضافين
لانه بحكم قانون العربية واما في حذف فلا لانه بحكم الشرع ولم يعلم بعد انه حتم ام معلق على شرط
ولذلك قال بعضهم مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر ولعله حذف فيما ساغ اللاداء
فيه وقرئ فعدة بالنصب اي فليصم عدة وعلى الذين يطيقونه اي المطيقين للصيام ولا عذر لهم ان
افطروا وقرئ يطوقونه بالبنا للمفعول تفعيل من الطوق بمعنى الطاقة اي يكلفونه او القلادة
اي يقلدونه ونقال لهم صوموا وقرئ يتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام
التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل
وتفيعل من الطوق فقلبت الواو يا وادغمت فيها اليا لكنهم تدبر المكان دوما بها ديار وهو اما بمعنى
يطيقونه او يقلدونه ويتقلدونه واما بمعنى يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ
والعجايز وحكمهم الافطار والفدية وعلى هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون معنى يطيقونه
ايضا هذا اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فدية طعام مسكين نصف صاع من بر

اوصاع من غيره عند فقها العراق ومد عند فقها الحجاز قيل رخص لهم ذلك في اول الامر لما امروا بالصوم
فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقد بينت فيما تقدم على انه لا حاجة الى المصير الى النسخ وقرئ
فدية منونا وطعام مرفوعا بدلا من فدية ومسكين مفردا او جمعا وقرئ بالاضافة والجمع وتبيين
بقراة الافراد ان الحكم لكل يوم يفطر فيه طعام مسكين فمن تطوع خيرا بان زاد في الطعام للمسكين او في عدد
من يلزمه اطعامه وانتصاب خيرا على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا لا على اسقاط الحرف اي
بخير لانه غير قياس وفي قراة من جعل تطوع ماضيا يحتمل الموصولية والشرطية وفي قراة من قراها
مجزوما شرطية فهو اي التطوع خيرا اي اكثر خيرا له من الاقتصار على القدر المفروض وان تصوموا
ايها المطيقون او المطوقون خير لكم من الفدية على اي وجه كان ان كنتم تعلمون جوابه محذوف دل عليه ما قبله
اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك شهر رمضان مبتدا وخبره الذي انزل فيه القران
او فمن شهد والفا لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب
الصوم فيه او بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام والذي انزل صفته او خبر مبتدا محذوف اي هو
او بدل من الايام المعدودات وقرئ بالنصب بدلا منها او على صوموا شهر رمضان ولا يجوز ان يكون مفعول ان تصوموا
اذ يلزم الفصل بين الموصول وعامله بالخبر والرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضا فاضيف اليه الشهر
وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع والظما او لوقوعه
ايام رمض الحر حيثما نقلوا اسما الشهور عن اللغة القديمة وقد يحذف المضاف لامن الالباس على ما جا في الحديث
من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه الذي انزل فيه القران اي ابتدا فيه انزاله
وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سما الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه القران
وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام هدى للناس الى الحق حال وبينات اي وايات واضحات عطف عليه من الهدى
من جملة ما يهدي الله به الناس والفرقان وما يفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية
الهادية الفارقة بينهما فمن شهد منكم الشهر اي فمن شهد هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به
كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها وعلى هذا ينتظم امر المريض والمسافر ولا بد منه لان اصل الوجوب
ثابت في حقهما او الساقط بالرخصة المستفادة من قوله ومن كان مريضا او على سفر انما هو وجوب الادا
فلا وجه لان يكون شهد بمعنى حضر لاستلزامه اختصاص الامر بالمقيم ولا صحة لما ذكره يلزم ان يكون
الحكم المذكور في حق المسافر عزيمة على تقدير حمل الوجوب المستفاد من الامر على وجوب الادا لا وجه
لتخصيص المقيم بالذكر دون الصحيح ثم ان اختصاص وجوب الادا بما عدا المريض والمسافر قد علم من قوله فعدة
من ايام اخر فالوجه ان يحمل ما قبله على اصل الوجوب لان الافادة خير من الاعادة فعدة من ايام اخر اطلاقه يقتضي
التخيير بين الجمع والتفريق ولا يجوز تقييده بالتتابع بخبر الواحد لان التقييد نسخ ولا يجوز نسخ الكتاب

بلجبار الاحاد يريد الله بكم اليسر رخصة الافطار لعذر المرض والسفر ولا يريد بكم العسر بايجاب القضاء
متواليا وبلا تاخير عند زوال العذر وفي عبارة يريد اشارة الى ان الاحب عنده تعالى الافطار عند احد هذين
العذرين لما في مقابلة عدم قبول الاحسان والامتنان بنعمه وقد نبه النبي عم على هذا بقوله ليس من البر الصيام
في السفر وما في الاداء في رمضان من الفضيلة لا يعارض هذا الاستحباب والله اعلم بالصواب ولتكملوا العدة يجوز
ان يعطف على علة محذوفة اي لتعلموا ما شرع لكم ولتكملوا العدة او على اليسر اي يريد الله بكم اليسر ويريد
لتكملوا العدة كقوله تعالى يريد الله ليذهب عنكم الرجس ولتكبروا الله قيل هو تكبير يوم الفطر وقيل التكبير
عند الاهلال من قولهم التكبير معنى الحمد عدي بعلى فكان المعنى حامدين على ما هداكم على هدايتكم ولعلكم تشكرون
اي ارادة ان تشكروا مجاز الاشتراك المرجو والمراد في الترجي للافصاح بحصول ولتكملوا العدة الخ علل الفعل
معلل محذوف مدلول عليه بما ذكر من قوله فمن شهد منكم الشهر الخ اي ولهذه الامور شرع ذلك فقوله
ولتكملوا العدة علة للامر في قوله فعدة ولتكبروا الله على ما هداكم علة للامر بصوم الشاهد في الشهر
وافطار المسافر والمريض وما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر اي ولتعظموا الله وتثنوا
عليه ولعلكم تشكرون علة على الترخيص وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يطلع عليه الا الحذاق من
علماء البيان واذا سالك عبادي عني مرتبط لما تقدم من جهة انه لما حث على تكبيره وشكره بين انه الذي يذكرونه
ويشكرونه قريب منهم ولهذا فصل به بين حكمي رمضان عبادي شرفهم بالاضافة الى نفسه عني اعني
ومعاملتي معهم اذا دعوني فاني قريب ثم بين بقوله فقل اني قريب كما في سائر سؤالاتهم لانه تعالى تولى جوابهم حين كان
عند سؤالهم فتقدير الكلام فاقول اني قريب روي ان اعرابيا قال لرسول الله عم اقريب ربنا فنناجيه ام
بعيد فنناديه فنزلت تمثيل لحاله في اجابة الداعي بحال من قرب مكانه من مكانه فهي تنبيه اذا دعاه لانه تعالى متنزه
عن المكان فانه كان ولا مكان وهو الان على ما كان اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي
بالاخلاص مقرونا بشرائطه بالاجابة والاجابة من الجوب وهو القطع فاجابة السائل القطع بما سال لان
سواله على الوقف يكون ام لا يكون فليستجيبوا لي اي انا اجيبهم فيما دعوني فعليهم ان يجيبوني فيما دعوتهم
اليه بالايتمار فيما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه قال ابو عبيدة الاستجابة والاجابة واحد كالانابة
والاستنابة وانشد لكعب بن سعد الغنوي وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب
اعلم بعد هذا ما بحسب جليل النظر والذي بحسب دقيقه وهو انه تعالى قال فليستجيبوا لي ولم يقل
فليجيبوا للطيفة وهي ان حقيقة الاستجابة طلب الاجابة وان كان قد يستعمل في معنى الاجابة فبين ان العباد
متى تحروا اجابته تعالى بقلوبهم ونياتهم فانه يرضى به عنهم هذا فيما يتولاه الجوارح من الاعمال اما الذي يتعلق
بالاذعان القلبي من الايمان فلا بد فيه من حقيقة الاجابة ولهذا افرده بالذكر بقوله وليؤمنوا بي مع
انتظامه فيما تقدم بحسب جليل النظر لعلهم يرشدون راجين الرشد وهو اصابة الخير ونقيضه الغي

وقرئ بفتح الشين وضمها اما الاول فمن الرشد بالفتح يقال رشد يرشد رشدا من حد علم واما الثاني فمن
الرشد بالضم يقال رشد يرشد رشدا من حد دخل وقرئ بالكسر احل لكم ليلة الصيام نصب على الظرف وانما
لم يقل ليالي الصيام اعتمادا على دلالة الكلام ولا يخفى لطفه على ذوي الافهام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا
اذا صلوا العشاء او ناموا حرم عليهم الفطر الى القابلة وانه لم يفطر ثم ان عمر رض باشر بعد العشاء فندم واتى النبي
عم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت والرفث في الاصل هو قول الفحش
ثم جعل اسما للافصاح بما يجب ان يكنى عنه عند النساء من معاني الافضاء اليه اي يرشدك الى هذا قول
ابن عباس رض حين انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان يصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت انما
الرفث ما كان عند النساء وانما عدي بالى لما في مفهومه من معنى الافضاء ثم انه كني بمجموع قوله الرفث الى نسائكم
عن الجماع فقد كني عن الجماع في جميع القران بلفظ مستحسن لا يدل على معنى القبح مراعاة للادب ولا ادب كادب التنزيل
كقوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فاتوا حرثكم من قبل
ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن لا ههنا فانه كني عنه بما دل على معنى القبح استهجانا لما استقبحوا
لما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة هن لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر
عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة وفي تقديم هن لباس لكم نوع تاييد له فانه
حينئذ كان ذلك لزيادة الشغف من جانبه شبه هو والمراة في تعانقهما واشتمال كل منهما على صاحبه في عناقه
باللباس المشتمل عليه قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفه تثنت فكانت عليه لباسا وافرد اللباس
لانه كالمصدر علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب
والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب لتضمنه القصد والزيادة والخيانة ضد الامانة وقد ائتمن
الله تعالى عباده على ما امرهم به ونهاهم عنه فاذا عصوه في السر فقد خانوه وفي زيادة كنتم
دلالة على انهم مجبولون على ذلك ففيه نوع اشارة الى وجه العفو لتوبتهم ولهذا اتى باداة التفريع في
قوله فتاب عليكم اي لما تبتم مما اقترفتموه من المحظور وقد مر تفسير التوبة وعفا عنكم ومحا اثر ذلك عنكم
بالتجاوز فالآن ان اصله فعل بمعنى حان ثم جعل اسما للزمان الحاضر وعرف بالالف واللام وبني على الفتحة
والمراد ليلة الصيام باشروهن لما نسخ عنكم حكم التحريم ولا دلالة فيه على انتساخ السنة بالقران لاحتمال
ان يكون المنسوخ حكمه من كلام الله تعالى المنسوخ تلاوته واصل المباشرة الصاق البشرة بالبشرة وهي ظاهر
الجلد كني بها عن الجماع والامر للاباحة وابتغوا الابتغاء الطلب للبغية ما كتب الله لكم ما قدره الله تعالى
لكم من الولد اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله تعالى له النكاح من التناسل لبقاء
النوع الى غاية وهذا يتضمن النهي عن العزل واتيان المحل المحرم وكفى في الابتغاء المذكور كون الولد مقصودا
بالجملة ولا يلزم ان يكون مقصودا لكل واحد منهم وكلوا الظاهر انه كلام مستانف لا عطف على باشروهن واما

زيد قوله واشربوا إهمالا للدلالة فانه على تقدير اعمالها لم يبق حاجة الى تلك الزيادة وانما اهملت لانها
تنتظم الوقاع ولولاه يجوز ان يفعل الطلوع الفجر اذ لا ينقطع اثره المفسد للصوم في الحال نحو الاكل والشرب
حتى يتبين لكم اي يتبين تميز الشيء الذي يظهر للنفس على التحقيق الخيط الابيض من الخيط الاسود شبه اول ما يبدوا
من نور الفجر المعترض في الافق بالخيط الابيض وما يمتد معه من غلس الليل بالخيط الاسود واختلف مشايخ
اصحابنا في ان العبرة لاول طلوعه ام لاستطالته وانتشاره وقال شمس الائمة الحلواني الاول احوط
والثاني اوسع ونحن نقول ان التشبيه بالخيط للتنبيه على ان العبرة لاول طلوعه فلا مساغ للاختلاف المذكور
من الفجر بيان لهما اما كونه بيانا للاول فظاهر واما كونه بيانا للثاني فلانه باعتبار انتهائه بدا ليه واتصاله
به يعد منه ومثل هذا التوسع في البيان ليس بعزيز ولهذا قدم الخيط الابيض على قرينه كانه على
تقدير اختصاص البيان له حقه التاخير عنه ومن هنا اتضح انه لا وجه لان تكون من المذكورة للتبعيض
وبالبيان المذكور خرج الكلام من احتمال الاستعارة وانما زيد مع ان الاستعارة ابلغ من التشبيه لفقد
شرطها وهو تعذر الحقيقة قال سهل بن سعد الساعدي نزلت هذه الاية حتى يتبين لكم الخيط الابيض
والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبين له منهما فانزل الله تعالى بعد ذلك قوله من الفجر فعلموا انه
انما يعني بذلك الليل والنهار وهذا حديث صحيح عند ائمة الحديث كالبخاري ومسلم الا انه غير مقبول
عند ائمة البلاغة لان الكلام المذكور بدون البيان المزبور ساقط عن درجة البلاغة على ما نبهت
عليه اتفاقا وعند عامة الاصوليين لما فيه تاخير البيان عن وقت الحاجة ولا خلاف في امتناعه عند من لا يجوز
تكليف المحال وانما الخلاف في التاخير عن وقت الخطاب قيل في تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على تاخير
الغسل عنه ويلزمه صحة صوم المصبح جنبا ومثله المنقول عما قدمناه من اهمال الدلالة ثم ان تمام الاستدلال
المذكور على تحقق المنافاة بين اباحة المباشرة الى اخر الليل ووجوب الاغتسال فيه وذلك غير مسلم فان وجوب
الصلاة مع كونها مشروطة بالطهارة قد اجتمع مع اباحة تاخيرها في اخر جزء من اجزاء وقت صلوة المغرب
ثم اتموا الصيام تمسك اصحابنا بهذا في جواز النية بالنهار في صوم رمضان ولا وجه له بل هو ظاهر من
فيما ذكره المخالف حيث قال الله تعالى ثم اتموا الصيام ولم يقل ثم صوموا ولولا ما فيه من محذور الدلالة
على تراخي الشروع في الصوم عن طلوع الفجر لما عدل عن الاختصار لا ظهر الى الليل بيان اخر وقت الفرض واخراج
الليل عن حكم لا يستلزم اخراجه عن محلية الصوم مطلقا فلا دلالة فيه على نفي صوم الوصال ولا تباشروهن
المراد بالمباشرة الوطي والنهي عنه لا لعينه بل لانه سبب الجنابة المنافية لصحة الاعتكاف فانه في الشرع
لبث المسلم العاقل الطاهر في المسجد بنية القربة فينتظم النهي ما في معناه من الملامسة بالشهوة
مع الانزال وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها او العكوف في اللغة الاقامة تبين ان المباشرة تحل
في ليالي رمضان لكن لغير المعتكف فانها تفسد الاعتكاف عن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها

ثم يرجع فنهوا عن ذلك وانما زاد قوله في المساجد للاشارة الى ان الاعتكاف انما يكون في المسجد
وصيغة الجمع لدفع وهم التخصيص فيفهم منه عدم اختصاصه بمسجد دون مسجد تلك اشارة الى
التقريرات الواقعة في الاوامر والنواهي المذكورة المانعة عن التجاوز عنها حدود الله اصل الحد
المنع ومنه الحداد للبواب وحدود الشرع موانعه عن الجنايات وحدود الدار موانع عن اختلاطها
فلا تقربوها نهي اشفاق يتضمن نهي التحريم عن التجاوز عنها على وجه المبالغة كما في قوله تعالى ولا تقربا
هذه الشجرة قال النبي عم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن يرتع حول الحمى اوشك ان يقع
فيه ومن هنا ظهر وجه النهي المذكور كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله اياته الدالة على سائر
مشروعاته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم نصب الظرف
او على الحال من الاموال تشنيع بليغ لما كانوا يتعاطونه من المنكر في ذلك مع اطلاع بعضهم على حال بعض
بالباطل بالجهة التي ليست مشروعة كما في العقود الفاسدة والاكساب الخبيثة ونحو اموال الغنيمة
قبل القسمة هذا هو الظاهر من قوله اموالكم قيل ولا ياكل بعضكم مال البعض ولا يخفى ما فيه من الصرف
عن الظاهر بلا داع اليه وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي اي ولا تدلوا او منصوب باضمار ان اذ
يكون المعنى مجموع الاكل بالباطل والادلاء الى الحكام والنهي عن الجمع بينهما لا يستلزم النهي عن كل
منهما وكل منهما حرام فحقه ان ينهى عنه منفردا عن الاخر فيفهم منه النهي عن الجمع بينهما بطريق
الدلالة على اكد وجه وابلغه والادلاء ارسال الدلو في البير واستعير للتوصل الى الشيء لتاكلوا
بالتحاكم فريقا من اموال الناس طائفة القطعة المعزولة من الشيء بالاثم بما يوجب الاثم كشهادة الزور
واليمين الكاذبة او متلبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون وانما قيد به لان حصول الاثم مشروط
بالعلم المذكور وقيل ارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اعظم وصاحبها بالتوبيخ احق والاول اولى كما
لا يخفى روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرء القيس الكندي ارضا غصبا في يده واختصما الى النبي عم
فقال لعبدان الك بينة قال لا قال لك يمينه فقال اذن يذهب بارضي فقال النبي عم ليس لك الا
ذلك فحلف كاذبا باسم الله قبله حتى نزلت الاية فاقر عبدان ورد ارضه اليه واعطاه ارضا اخرى
ايضا مكان ما اخذ من غلتها يسئلونك عن الاهلة الاهلة جمع هلال وهو لليلة او لليلتين سمي به
لان الناس يرفعون اصواتهم عند رؤيته روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري سالا فقالا
ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا ومن
هنا ظهر وجه الاتيان بصيغة الجمع فانهما انما سالا عما في اول الشهر وعما في اخره كان المناسب
ان يعبر عن المسؤل بصيغة الجمع قل هي مواقيت جمع ميقات وهو مفعال من الوقت معناه ما وقت به الشيء
اي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة محرما والوقت والمدة

والزمان متقاربان لكن المدة المطلقة او سرها فانها امتداد حركة الفلك اي انفصالها من مبدئها الى غايتها
والزمان مدة مقسومة من مطلق المدة والوقت الزمان المفروض للعمل للناس والحج اي لما يتعلق به من امور
المعاملات ومصالحهم ونبه بذكر الحج على ما يتعلق به من العبادات ولكن ذكر اعظمها اثرا فان الحج يراعى في ادائه
وقضائه الوقت المعلوم بخلاف ساير العبادات التي لا يصير في قضائها وقت معين كان السوال عن السبب
العادي لاختلاف القمر في زيادة النور ونقصانه واجيب على اسلوب الحكيم ببيان الحكمة في هذا الاختلاف
للتنبيه على ان المناسب لحال السائل ان يسال عن ذلك لا عن السبب لانه ليس مما يطلع به بسهولة لا متنا
على معرفة مسائل من دقائق علم الهيئة وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى اي
بر من اتقى لما بين انهم عكسوا الحال في السوال عن حال الاهلة مثل حالهم في السوال عما لا ينبغي بحالهم
في الاحرام بالحج جريهم على خلاف ما يجب ان يكونوا عليه وهو ان ناسا من الانصار كانوا اذا احرموا لم
يدخلوا بيتا من البيوت من بابه فان كانوا من اهل المدر نقبوا نقبا في ظهر بيوتهم منه يدخلون ويخرجون
او اتخذوا سلما يصعدون فيه وينزلون وان كانوا من اهل الوبر دخلوا وخرجوا من خلف الخباء فقيل
لهم ليس البر تحرجكم من دخول الباب ولكن البر البر من اتقى محارم الله تعالى وهذا مع كونه نهيا عن عادتهم
الردية في باب الحج على سبيل الاستطراد لذكر الحج وبيان مواقيته بيان لتعكيسهم في السوال وهو
ان يسكتوا عن ما يهمهم ويسالوا عما لا يعنيهم اي ما انتم في سوالكم عن سبب نقصان الاهلة وكمالها
وتركتم ما يهمكم من فوايد الا كونكم متحرجين عن دخول البيوت من ابوابها واتيانكم من ظهورها حاسبين
ذلك برا وما هو من البر في شيء وتركتم التحرج عما يجب عليكم اتقاؤه واجتنابه وهو البر وأتوا
البيوت من ابوابها اي باشروا الامور من وجوهها والمراد توطين النفس على ترك الفضول من السوال
والفعال واجتناب ما يجب اجتنابه ولزام ما اوجبه الشرع من غير شك وشبهة فان في السوال
امارة الشك واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالبر
وقاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه والقتال المحاولة لقتل ممن يحاول القتل
تفضي نبذ الحياة الذين يقاتلونكم عن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف فقاتلوا الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين فعلى
هذا يكون منسوخا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة او الذين يناصبونكم القتال دون غيرهم كالشيوخ
والنساء والصبيان والرهبان والكفرة كلهم لانهم اعداء المومنين قاصدين لقتالهم فهم في حكم المقاتلة
قاتلوا او لم يقاتلوا فيكون غير منسوخ وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي
عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون
الا يفي لهم قريش ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت اطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم

67

فيهما ولا تعتدوا بابتداء القتال على الاول والرابع او بقتال غير المناصبين كالشيوخ والصبيان والنساء
والرهبان او الذين بينكم وبينهم عهد على الثاني او بالمثلة او المفاجاة من غير دعوة على الثالث ان الله
لا يحب المعتدين عدم الحب كناية عن الكراهة فهو في معرض المواخذة بسبب الاعتداء واقتلوهم حيث ثقفتموهم
في حل او حرم تقول ثقفته اثقفه ثقفا اذا ظفرت به ومنه قوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم
وقول الشاعر فاما تثقفوني فاقتلوني فان اثقف فسوف ترون بالي واما الحذاقة في الاخذ فغير معتبر في مفهومه
واخرجوهم من حيث اخرجوكم من مكة وقد فعل رسول الله صلعم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل
من باب التعميم لا اندراج الخاص فيه اي المحنة والبلاء الذي يتعذب به الانسان اشد عليه من القتل قيل لبعض الحكماء
ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن الذي يتمنى عندها الموت
ومنه قول القائل القتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
اي لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام والمسجد الحرام الحرم كله لقوله تعالى وصدوكم عن المسجد الحرام
وانما صدوهم عن الحرم كله حتى يقاتلوكم فيه اي هنا بعبارة في دون عند للدلالة على انه لا رخصة للقتال
بمقاتلتهم عند المسجد الحرام بل لا بد في اول الامر من الالتجاء اليه بالدخول فيه فان انتهوا عن القتال والا
فلهم ان يقاتلوهم بعد ذلك وهذا لرعاية حرمته مهما امكن وفيما تقدم الى بعند دون فيه لان النهي
من القتال عند المسجد الحرام يستلزم النهي عن القتال فيه بدون العكس فكل من العبارتين اصاب محزها
فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم الذين هتكوا حرمته وهذا تصريح بمفهوم الغاية
وبشارة بالغلبة حيث قال فاقتلوهم دون فقاتلوهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل
وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلنا بنو فلان كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل
بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن الكفر والقتال فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف ويرحمهم في المؤتنف
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة عدوان وتفسيرها بالشرك يأباه العطف بالواو في قوله ويكون الدين لله خالصا
ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا اي عن العدوان والفاء للتعقيب فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا عدوان
عليهم فاراد ان ينبه على قبح العدوان وانه ظلم ولان مقاتلة المنتهين عدوان فحصر العدوان في اضدادهم
ويدل على ان العدوان ظلم ووضع الظالمين موضع ضمير العادين فدل بالتحريات المنتهين هم العادون
الذين لا عدوان عليهم وسمى القتل عدوانا مجازا من حيث كان عقوبة على العدوان كما قال وجزاء سيئة سيئة
مثلها وحسن ذلك لازدواج الكلام ومزاوجته هنا على اعتبار المقدر لما عرفت ان تقديره فان انتهوا
عن العدوان فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية
في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال الشهر الحرام
بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب

ان يحافظ عليه يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة
واقتلوهم ان قاتلوكم واكد معنى القصاص بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
الاعتدا مجاوزة حد ما وذلك فعلا يكون مذموما بخلاف الظلم فانه وضع الشيء في غير الموضع الذي يختص
ان يوضع فيه وهذا في كل حال مذموم فلا يقال لمن ظلمك فاظلمه الا بطريق المشاكلة بخلاف ما في الاية المذكو
واتقوا الله في حال كونكم منتصرين منهم فلا تتعدوا على المثل فتعتدوا الى ما لا يحل لكم واعلموا ان الله مع
المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
بالاسراف وتضييع اسباب المعاش فان المال وقاية فتضييعه يفضي الى تضييعها او بالكف عن الغزو
والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطه عليكم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه
اعلم بهذه الاية انها نزلت فينا حين جنحنا الى اصلاح الاموال وتركنا القتال بعدما فشا الاسلام وكثر
اهله والهلاك انتهاء الشيء في الفساد ولذا سمي الموت هلاكا وعن ابي عبيدة التهلكة الهلاك والمهلكة محل
والالقاء اطلاق الشيء الى جهة السفل وتضمينه الامساك وتعديته بالى لما فيه من معنى الانتهاء والمراد
بالايدي الانفس فان اليد يعبر بها عن النفس كما في قوله تعالى تبت يدا ابي لهب والباء مزيدة واحسنوا
اعمالكم واخلاقكم وتفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين يريد بهم واتموا الحج والعمرة انما قال
فيهما اتموا كما في الصوم دون اقيموا كما في الصلوة تنبيها على انهما يجبان بالشروع كالصوم فيلزم
اتمامهما بعدها بل يجوز ان يتركه ومن هنا اتضح وجه تخصيص هذه الثلاثة من بين العبادات
بالامر بالاتمام ومن لم يتنبه لهذه الدقيقة الانيقة قال في تفسيره ايتوا بهما تامين مستجمعي المناسك
فدلالته على ان من شرع فيهما لزمه اتمامهما من جهة الاركان والشرائط ومن يقول ان العمرة تجب
بالشروع وكذا الحج مطلقا انما يجب به فلا متمسك فيه لمن قال بوجوب العمرة وقراءة واقيموا الحج
والعمرة شاذة فلا تصلح وما روي عن جابر رضي الله عنه انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال
لا ولكن ان تعتمر واخير لكم نص في هذا الباب ولا يعارضه ما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه اني وجدت
الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك لان الاثر لا يعارض الخبر على
انه ليس في كلامه ترتيب الاركان على الوجدان بل الظاهر ترتيب بيان الوجدان على سبيل الاستيناف
لله كوجه الله عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل ان تفرد
لكل منهما سفرا وقيل ان تخلصوها للعبادة ولا تشوبوها بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية
وقرئ والعمرة لله على الابتداء فان احصرتم اي منعتم يقال احصره فلان اذا منعه امر من خوف او مرض
او عجز قال الله تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن عبادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت
عليك ولا ان احصرتك شغول وحصر اذا حبسه عدو عن المضي هذا هو الاكثر في كلامهم

وقد

وقد نص عليه الخليل حيث قال الحصر الحبس والاحصار ان يحصر الحاج عن بلوغ المناسك بمرض
او غيره وبه اخذ قول الكسائي وابو عبيدة وقال الفراء وابو عمرو الشيباني هما بمعنى المنع في كل
شيء مثل صده واصده عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم من كسر او عرج فقد احصر وهو مذهب اصحابنا
وقال الشافعي لا يكون الاحصار الا عن عدو فان احصار النبي عم واصحابه له كان بالعدو ولانه
تعالى قال فاذا امنتم وذلك زوال الخوف العدو قلنا العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب واللفظ
لما قلنا لغة والامن يكون عن العلل ايضا قال النبي عم الزكام امان من الجذام فما استيسر من الهدي
في محل الرفع بالابتدا اي فعليه ما استيسر او النصب على فاهدوا ما استيسر واستيسر بمعنى تيسر
كاستيقن وتيقن واستعلى وتعلى كذا قالوا والظاهر ان زيادة السين لزيادة اليسر فالمراد الشاة
لان الهدي من الثلث الابل والبقر والغنم وايسرها الشاة والهدي جمع هدية كجدي وجدية
وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل
بذبح هدي تيسر عليه حيث احصر عند الشافعي فان النبي عم احصر بالحديبية وذبح هناك وتحلل
وعند ابي حنيفة لا يذبح الا بالحرم يبعثه ولا يتحلل حتى يبلغ محله ويعين المبعوث على يده يوم
امارة ويدل عليه قوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فان بلوغ المحل يدل على مسافة بين
موضع الحصر وبين المحل وكذا قوله والهدي معكوفا ان يبلغ محله والخطاب في لا تحلقوا للمحصرين اي ولا
للواجب حتى تعلموا بلوغ الهدي محله ومحله مكانه الذي يجب فيه نحره او ذبحه كمحل الدين وهو الوقت
الذي يجب فيه قضاؤه وانما نحر الرسول عم في موضع الاحصار لان محصره كان طرف الحديبية الذي
الى اسفل مكة وهو من الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة وعن الزهري
ان رسول الله صلعم نحر هديه في الحرم فمن كان منكم مريضا الفاء للتعقيب وفائدتها رفع ذهاب الوهم
الى العطف على ان حصرتم على تقدير التصدير بالواو فانه يلزم اخراج المريض عن حد المحصر
ولا وجه والخطاب في منكم للذين بعثوا الهدي من المحصرين فالمعنى من كان بعد البعث مريضا يحوجه
الى الحلق والتنكير للتقليل فينتظم المرض المرخص ما في الرأس من الجراحة والقرحة او به اذى هو ما يؤذيه به
اي يتعبه ويشق عليه من يخاف في الرأس وقرء وللتفهيم الثاني قال من رأسه اي من جهتها دون رأسه ففدية به
فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عم
قال لكعب بن عجرة اذ مر عليه والقمل تتهافت في وجهه لعلك اذاك هوامك فقال نعم يا رسول الله
فقال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك بشاة والفرق ثلاثة اصوع
واو للعطف على وجه التفريق وبيان عدم خلو الواجب عن احد الانواع الثلث المذكورة للفدية
والتخيير يلزم هذا البيان ضرورة لا لانه معناه الوضعي والنسك جمع نسيكة وهي الذبيحة

واختير الجمع هنا لتعدد انواعها وقرئ او نسك بالتخفيف كان مقتضى الظاهر البداية بالاشق وهو
النسك وانما عدل عنه بالبداية بالصيام تطييبا لقلوب الفقراء العاجزين عن النسك باظهار العناية بالاهتمام
في شان الصيام لتعدد بعده على الباقين والتقديم لا يخرج عن التعظيم فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن
وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي استمتع بها الى وقت الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتحلل
من عمرته باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج وقيل اذا تقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه
اليه بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة
لا يذبحه الا يوم النحر ويأكل منه وجبران عند الشافعي يجوز ذبحه اذا احرم بحجه لان السبب هو التمتع
ولا يتحقق الا به ولا يأكل منه لانه دم جناية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلاثة ايام اي فعليه
ثلاثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام عند الشافعي وعند ابي حنيفة في وقت الحج اي في اشهره
ما بين الاحرامين والافضلة ان يصوم يوم السابع ويوم التروية وعرفة ولا يجوز في ايام النحر وايام التشريق عند
الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من افعال الحج وهو قوله الثاني
ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام اذ تقديره فصيام ثلاثة ايام تلك عشرة
كاملة الكاف بعد ما بينهما امران احدهما ان يعلم جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب
قال الفرزدق ثلاث واثنتان فهن خمس والثاني دفع توهم الاباحة فان الواو قد تجيء لها كما في قولك
جالس الحسن وابن سيرين ويرد على الاول انه لا يناسب بلاغة القران لان المراعى فيها مقتضى المقام نظرا
الى الخواص دون العوام وعلى الثاني ان الاباحة موجب صيغة الامر والواو للتشريك في الحكم فقط
واما ارادة الكثرة من السبعة دون العدد فلا يذهب اليه وهم عند ذكرها مع الثلاثة فلا حاجة الى دفعها
وعندي ان صيام ثلاثة ايام لما كان قبل تحلل الاصل ودخول وقته احتمل ان يذهب الوهم الى عدم اعتباره
في اصل البدل لغاية البعد فكمل المذكورة دفعا لذلك الوهم كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة
العدد او مبينة كمال العشرة فانها اول عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال
بدليتها من الهدي كذا قيل والاوجه انها مقيدة تفيد كمالها في الثواب والاجر ودفع ذهاب الوهم
الى ان صوم السبعة ليس كصوم الثلاثة في الاجر للتفاوت في زمانهما ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة
واكثر الائمة لانه مختص بالآفاقي عندهم فلا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام فمن فعل ذلك منهم
فعليه دم جناية او الى الحكم المذكور عند الشافعي لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام اي للذي لا يسكن ثمة
وانما ذكر الاهل لان الظاهر ان الانسان يسكن حيث سكن اهله فعبر بسكون الاهل عن سكون نفسه وقد مر ان
المسجد الحرام هو الحرم كله وحاضرو المسجد عند ابي حنيفة هم اهل مكة ومن كان منزله داخل الميقات وعند
الشافعي اهل مكة ومن كان من الحرم على مسافة القصر عنده وعند مالك اهل مكة واهل ذي طوى واتقوا الله

لما تقدم من امر ونهي وواجب ومسنون بين ذلك بالامر بالتقوى في ان لا يتعدى ما احل ثم اعلم بقوله واعلموا
ان الله شديد العقاب بشدة عقابه على المخالفة الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران لما امر باتمام الحج
والعمرة ثم اقتصر على بيان وقت الحج علم منه بطريق البيان بالسكوت وقت الحاجة ان العمرة غير موقتة وهذا
من جملة وجوه الايجاز الذي ارتقى به القران الى ذروة الاعجاز ولم يتنبه الناظرون عليه معلومات
هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة خلافا للشافعي في يوم النحر وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف
ان المراد من وقته وقت افعاله او وقت احرامه او ما يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا وانما لم يبينها باعيانها
لانها كانت معروفة عندهم على ما توارثوه الا انهم كانوا يدخلون فيها النسيء فنبهوا على انها هي اوقاته دون
غيرها والاشهر على الحقيقة وانما التجوز في جعل بعض الشهر شهرا واما اطلاق الجمع على ما فوق الواحد فلا
يناسب المقام لما فيه من اخراج بعض الشهر الثالث من حد المرام ثم ان الاستدلال على ان الاطلاق المذكور بقوله
تعالى فقد صغت قلوبكما فليس بشيء لانهم صرحوا بان مثل هذا ليس من المتنازع فيه فمن فرض فيهن الحج الزمه نفسه
بالاحرام ولا نظر فيه انما الخلاف بيننا وبين الشافعي في ان الاحرام يتم بالنية او لا يتم بل لا بد من التلبية
معها او من سوق الهدي ولا دلالة فيه على خروج يوم النحر من وقت الحج لان معنى من فرضه فيهن من فرضه
فيهن من فرضه في كل من الاشهر المذكورة لا من فرضه في كل يوم من ايامها نعم فيه دلالة على كراهة تقديم
الاحرام عليها فانه لو جاز ذلك لضاع قوله فيهن واما ان من احرم بالحج لزمه الاتمام فقد دل عليه قوله
تعالى اتموا الحج والعمرة لله ظاهره فلا رفث فلا جماع فانه مفسد الحج وقيل لا فحش في الكلام ولا فسوق ولا خروج
عن حدود الشريعة بالسباب والتنابز بالالقاب لقوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق ولا جدال
ولا مراء ولا شقاق مع الرفقاء والخدم وغيرهم وانما نهي عنه في الحج مع كونه منهيا عنه لكونه في الحج اقبح كلبس
الحرير في الصلاة في الحج في اثناء اقامة مناسكه بعد الاحرام وانما نفى الحقيقة في الثلاثة المذكورة للمبالغة
في النهي فلا تكون هذه اخبارا واذا وجب انتفاؤها لو كانت حقيقة بان لا تكون لزم الانتهاء عنها ضرورة
وقرئ الاولان بالرفع على معنى النهي اي فلا يكون رفث ولا فسوق والاخير بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الجدال
اي الخلاف وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب في الحج فتقف في المشعر الحرام وسائر العرب بعرفة
وكانوا يؤخرون الحج سنة ويقدمونه سنة وهو النسيء فرد الوقوف الى عرفة والى وقته اي في الحج واخبر الله تعالى
انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج
ولم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه فانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير التنكير للتقليل
يعلمه الله حث على الخير بعد النهي عن الشر ومبناه على الكناية بعلمه تعالى بفعل من افعال العباد عن ترتب الجزاء
عليه ولا يخفى ما في ضمن هذا الوعد من الوعيد وبه يتم حق المقام والمراد من الخير بقرينة سياق الكلام ان يتحققوا
بالكلام الحسن مكان الفحش وبالبر والتقوى مكان الفسوق وبالتآلف والمدح مكان السباب والتنابز وبالوفاق

ف

النسيء

ومحاسن الاخلاق مكان الجدال ويجوز بقرينة الحال فان يراد بفعل الخير ضبط انفسهم عما نهوا عنه وتزودوا
فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم في الاخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها والزاد ما
يتخذ للسفر وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون نحن نحج بيت الله تعالى افلا يطعمنا ويكونون
كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير
الزاد الاجتناب من ذلك واتقون وخافوا عقابي يا اولي الالباب ايها الذين منت عليهم بالعقول التي هي
افضل ما جعل في الخلق فان لب الشيء هو خالصه ما فيه اي جعلت لكم العقول التي هي الالة للتمييز والتدبير
فيسهل معها التقوى والتفكر ليس عليكم جناح حرج ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم
زيادة عطاء وهو الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج
وكانت معايشهم منها فنزلت لرفع عنهم الجناح في ذلك وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة الواجبة فاذا
افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء اي صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم وترك ذكر المفعول كما ترك
في دفعوا من موضع كذا وصبوا والفا للتعقيب لما بين وقت الحج وذكر ما نهي عنه في الاحرام وما ندب اليه
وما ابيح فيه عقبه ببيان ما يجب ان يفعل بعد الفراغ عن اقامة ركنه وهو الوقوف من عرفات علم للموقف
منقول عن الجمع كاذرعات والظاهر انه جمع عرفة جمع عارف والا فهو من الاسما المرتجلة اذ لا يعرف
النقل في اسما الاجناس منصرف لان تاءه مع الالف علامة جمع المؤنث لا التاء التي هي علامة التانيث
واما التانيث المعنوي فتقديرها باعتبار المعنى والموقف ليس بمؤنث فليس فيه الا العلمية فلا تمنعه الصرف
وحدها وانما سمي الموقف بها لان ادم عم وحوا التقيا فيه فتعارفا والناس يتعارفون فيه وكان جبريل
عم يدور بابراهيم عم في المشاعر اراه اياه فقال عرفت وقيل وصف له عم فلما راه عرفه وليس هنا دليل
على وجوب الوقوف فيه فاذكروا الله عند المشعر الحرام بالتلبية والتهليل والتكبير والثنا والدعا وقيل
بصلاة المغرب والعشا فانهما يجمعان بالمشعر الحرام وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل
ما بين مصلى المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر والصحيح انه الجبل
لما روى جابر رضي الله عنه ان النبي عم لما صلى الفجر يعني بمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام
فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته
ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة
كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر واذكروه
ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه وما مصدرية
او كافة وان كنتم من قبله اي من قبل الهدى لمن الضالين اي الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا من حيث افاض الناس من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش

يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم فليس فيه
ابطال الافاضة حتى يدل على وجوب الوقوف بعرفة بنا على ان الافاضة لا تكون الا بعده بل بيان اختصاص
مشروعيتها بالوجه المذكور وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير
كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي
يريد ادم عم من قوله فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من مخالفتكم
في الوقوف وغيرها من افعال الجاهلية وعاداتهم ان الله غفور يغفر الذنوب رحيم بالمذنبين يدعوهم بجميل
احسانه الى بابه ويرغبهم في جزيل ثوابه ولهذا اي ولتضمنه الترغيب المذكور اتى باداة السببية
في قوله فاذا قضيتم مناسككم اي فاذا تممتم امور حجكم فاذكروا الله كذكركم اباءكم اي فاذكروا الله تعالى
ذكرا كثيرا وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكركم اباءكم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى
والجبل ويذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم فنزلت اي اكثروا ذكر الله تعالى ودعاءه ولا تطلبوا بالذكر اغراض
الدنيا كالذاكرين اباءهم او اشد ذكرا في موضع الجر عطف على الضمير المضاف اليه للذكر في قوله كذكركم اي
او قوم اشد ذكرا من ذكركم اباءكم او في موضع النصب عطف على اباءكم اي او اشد ذكرا من ابائكم على انه من الفعل
المبني للمفعول اي مذكورية ويجوز ان يكون معطوفا على الكاف في كذكركم اي ذكرا مثل ذكركم او ذكرا اشد
ذكرا من ذكركم اباءكم على ان الذكر ذاكرا اشد من ذكرهم كقولهم جد جده وشعر شاعر واو هنا ليست للتخيير
بل للنقل عن الاول الى النقل الى مجاز اللغة في مثل هذا معروف يقول الرجل الاخر افعل كذا الى شهر ثم
يقول او اسرع منه وانما يريد به النقل عن الاول الى ما هو اقرب وقتا منه فمن الناس من يقول الفا مسبب
من تقسيم يتضمنه الكلام السابق فانه يشتمل على ذكر المفيضين من عرفات الذاكرين الله والمفيضين من المزدلفة
الذاكرين لابائهم فعقب القسم الثاني بانهم المطالبون لحظوظ الدنيا واما القسم الاول الجامعون
بين الاثرتين فاولئكم اهل الفلاح والفوز ربنا اتنا في الدنيا اي اجعل ايتانا في الدنيا خاصة وما له
في الاخرة من خلاق الخلاق نصيب الانسان من افعاله المحمودة التي تكون خلقا له وقد يراد به النصيب
من الخير على وجه الاستحقاق وهو المراد ههنا ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة من الصحة والكفاف
والتوفيق للخير وفي الاخرة حسنة من الثواب والكرامة والقربة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة
اولئك اشارة الى الفريق الثاني او لهما لهم نصيب النصيبة في الاصل المنصوب وجعل السهم المفرد
نصيبا مما كسبوا اي من جنسه من الاعمال الحسنة وهو الثواب الحسن في الاخرة والمنافع الحسنة في الدنيا
او من اجل ما كسبوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه في الدنيا والاخرة لان الدعا
من الاعمال الحسنة والاعمال توصف بالكسب فسمي كسبا او من جنس ما كسبوا هي ما تقتضيه مشية الله
تعالى وحكمته والله سريع الحساب وعبدائه سريع حسابه للخلايق مع كثرة اعدادهم واعمالهم لكمال علمه

وقدرته فيجب الحذر منه او حث على العبادة اي سريع وقوع حسابه يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد
فبادروا باكثار الذكر وطلب الآخرة واذكروا الله في ايام معدودات الايام المعدودات ايام التشريق
وذكر الله فيها التكبير ادبار الصلوات وعند الجمار وعند ذبح القرابين وغيرها فمن تعجل اي فمن استعجل النفر القر
في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق قبل طلوع الفجر عندنا وبعد رمي الجمار
عند الشافعي فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال فلا اثم
عليه قال ابو حنيفة رح يجوز تقديم رميه قبل الزوال وهو مخير بين النفرين فلذلك سوى بينهما بنفي الاثم
عن صاحبهما وفيه رد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المستعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي ذكر
من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحذر المتحرز عن كل ما يريبه او لانه هو الحاج عند الله بالحقيقة واتقوا
الله في المحافظة على هذه الاحكام ليعبا بكم واعلموا انكم اليه تحشرون وعيد شديد اي البعث الى غيره
حشركم ويجازيكم على حسب تقواكم واصل الحشر ضم المتفرق وسوقه من جهات مختلفة ومن الناس من يعجبك
يروقك ويعظم في نفسك قوله والتعجب حيرة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء ومعنى اعجبني كذا
ظهر لي ظهورا لم اعرف سببه في الحيوة الدنيا يتعلق بقوله اي ما يقوله في باب الدنيا او بشانه اذ مراده
به احراز حظوظ الدنيا لا ثواب الآخرة كما يراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة وقيل بيعجبك اي يعجبك
في الحيوة الدنيا لفصاحته وحلاوته لا في الآخرة لما يرهقه هناك من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن اللكنة
له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من المحبة والاسلام وهو الد
الخصام شديد الجدال والعداوة للمسلمين واضافة الالد بمعنى في على ان الخصام بمعنى المخاصمة كقولهم ثبت
الغدر وانما وصف بكونه الد للمبالغة واجعل خصامه لشدته كانه في نفسه خصم الد او قيل جمع
خصم كصعب وصعاب اي هو اشد الخصوم خصومة روي انه نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن
المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلعم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى سعى التولي الانحراف
عن الشيء الى خلاف جهته والسعي الاسراع في الشيء اي اذا انصرف عنك ذهب مسرعا في الارض ليفسد فيها
كما فعله الاخنس بثقيف وقيل اذا صار واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الافساد والظلم ويهلك
الحرث والنسل حقيقة او حكما بان يمنع الله تعالى القطر بشوم ظلمه وفساده فيهلك الحرث والنسل والحرث
هو الزرع واصله الشق والنسل ما خرج من كل انثى من اجناس الحيوان والله لا يحب الفساد عدم الحب كناية
عن البغض فيفيد وعيدا بليغا ويتضمن التعليل لما سبق على المعنى الثاني والافساد في الحقيقة اخراج الشيء عن
حالة محمودة لا لغرض صحيح وذلك غير موجود في فعل الله تعالى ولا هو آمر به وما نراه في فعله فسادا
فهو بالاضافة الينا والاعتبار بنا فاما بالنظر اليه فكله صلاح واذا قيل له اتق الله اخذته العزة
بالاثم اي حملته العزة على ذلك من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه وفيه مبالغة شديدة

كان العزة التي فيه اي حمية الجاهلية والترفع حاكم مسلط عليه يلزمه ارتكاب الاثم الذي نهي عنه لجاجا
وضرارا او تولى رغم الواعظ ورد قوله فحسبه جهنم اي كافيه جزاء جهنم وهو استعظام لما حل به وجهنم
اسم علم للنار وهي ماخوذة من قولهم ركية جهنام اذا كانت بعيدة القعر وامتنعت من الصرف للتانيث
والعلمية بين ان جهنم نصيبه الكافي وجزاؤه الوافي ثم دل على حال جهنم بقوله ولبئس المهاد جواب القسم
محذوف وحذف المخصوص بالذم للعلم به والمهاد ما يوطى للجنب ويهيى للنوم ومن الناس من يشري نفسه
يبيعها يبذلها بالجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه والله
رؤوف بالعباد اي هو في غاية الرحمة لهم ولهذا عوضهم النعيم المقيم على عمل منقطع عقب ذكر المذموم من
اعدائه بذكر المحمود من اوليائه ترهيبا وترغيبا يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر
والفتح الاستسلام والطاعة وكافة اسم للجملة من الكف كانهم كفوا باجتماعهم عن ان يخرج منهم احد حال
من فاعل ادخلوا او من السلم وتانيثها بعد النقل لم يبق للتانيث والمعنى استسلموا لله واطيعوه جميعا
ظاهرا وباطنا على ان الخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره على ان الخطاب
لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرايع الله تعالى كلها
بالايمان بالانبياء عم والكتب جميعا على ان الخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا
تخلوا بشيء منها على ان الخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفريق والتفرق وقد مر ما يتعلق به
وبقوله انه لكم عدو مبين فتذبر فان زللتم عن الدخول في السلم اصل الزلل في القدم يقال زل يزل
زلا وزللا اذا دحضت قدمه ثم استعمل في الاعتقاد والراي بطريق الاستعارة من بعد ما جاءتكم
البينات الحجج والشواهد على ان ما امرتم بالدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه
الانتقام منكم حكيم لا يهمل وان كان يمهل على ما تقتضيه الحكمة هل ينظرون ما ينتظرون الا ان ياتيهم
الله اي ياتيهم امره لقوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الملائكة او ياتي امر ربك وانما اسند الاتيان
اليه تعالى تعظيما او تهويلا تنبيها على انه باتي الامر الذي لا بد فيه كان امره هو لوجوبه واكد التهويل
وشدة الخطاب ببيان اتيانه من الغمام الذي هو مظنة الرحمة لكونه افظع فان الشر اذا جاء من حيث
لا يحتسب كان اغم [illegible] ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير
ولهذا كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل
وهي ما يستظل به وقرئ ظلال جمعها كقلة وقلال او جمع ظل من الغمام قال الثعالبي في سر الادب اول
ما ينشا هو النشء فاذا انسحب في الهوا فهو السحاب فاذا تغيرت له السما فهو الغمام انتهى فالغمام اقوى
من السحاب ظلمة فكان انسب لعبارة الظلل من السحاب والملائكة وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام
وقضي الامر اي قضي امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه عبر بالماضي عن المستقبل لدنوه او تيقن وقوعه

وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرئ على البنا للمفعول على انه من الرجع وعلى
البنا للفاعل على انه من الرجوع سل بنى اسرائيل بحذف الهمزة فى الكلام المبتدا وبتبع العطف مثل
قوله واسئل القرية والسوال للتقريع والخطاب لكل احد او للرسول عم كم اتيناهم من اية بينة
على ايدى انبيائهم وهى معجزاتهم او من اية فى الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام وحقيقته وكم خبرية
او استفهامية للتقرير ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتدا على حذف العائد من الخبر
واية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اى اياته اذ هى اجل نعمة من الله تع بان يجعلها اسباب
الضلالة وهى اسباب الهدى والنجاة عنها كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم او يحرفونها
كما حرفوا الايات الدالة على دين محمد عم من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها
وفيه تعريض بانهم بدلوها بعدما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد
العقاب يعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اعظم جريمة والعقاب ماخوذ من العقب كان المعاقب يمشى
بالمجازاة فى اثار عقبه زين للذين كفروا الحيوة الدنيا التزيين هو التحسين المدرك بالحس دون
المدرك بالعقل ولهذا جاء فى اوصاف الدنيا دون اوصاف الاخرة والمزين فى الحقيقة هو الشيطان
فانه حسن الدنيا فى اعينهم وحببها اليهم وقراءة زين على البناء للفاعل والحيوة بالنصب على الاسناد المجازي
فانه تع امهل المزين فجعل امهاله تزيينا او زينها حتى استحسنوها واحبوها ومرقها لا المزين فى الحقيقة
هو الله تعالى اذ ما من شىء الا وهو فاعله اخطأ فى المدعى وما اصاب فى الدليل اما الاول فلان التزيين صفة
تقوم بالشيطان والفاعل الحقيقى لصفة ما يقوم به تلك الصفة وليت شعرى ما يقول هذا القائل فى
الكفر والضلال فان فاعل القيام حقيقة هو القائم الذى يتصف به لا خالقه واما الثانى فلان
مبناه عدم الفرق بين الفاعل النحوى الذى كلامنا فيه والفاعل الكلامى الذى بمعزل عن هذا المقام
ويسخرون من الذين امنوا اى يهزؤون من فقراء المؤمنين الذين لا حظ لهم فى الدنيا كابن مسعود وعمار
وصهيب وغيرهم رض على رفضهم الدنيا واقبالهم على الاخرة قال القرطبى يقال سخرت منه وسخرت
به وضحكت منه وضحكت به وهزئت منه وهزئت به كل ذلك يقال حكاه الاخفش والاسم السخرية
والذين اتقوا اى الذين اتقوا الدنيا واختاروا الاخرة الفقراء من المؤمنين هم اهل الزلفى والكرامة
عند الله تعالى وضعوا موضع الذين امنوا لانهم يسخرون منهم دون الاغنياء وتنبيها على انهم اهل السعادة
الكبرى عند الله تع وتحريضا للمؤمنين على ... فوقهم يوم القيمة لانهم كانوا فى درجات الجنة وهم
فى دركات النار رفيعا دونهم ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله والله يرزق من يشاء بغير حساب
يعنى فى الدنيا لان مساق الكلام فيه اى بغير حساب بغير تقدير او بتوسع بحسب الحكمة والمشيئة الناشئة
على عباده فمنهم من يقول التوسعة عليه استدراجا كهؤلاء الكفرة وقارون ومنهم من يقول التوسعة

عليه

عليه كرامة كهؤلاء الفقراء كاغنياء المؤمنين سليمان وداود عم وامثالهم كان الناس امة واحدة على الفطرة
متفقة على دين ... ادم فيما بين ادم ونوح عم قيل فيما بين ادم وادريس قال القرطبى وفيه نظر لان ادريس
عم بعد نوح عم على الصحيح وقيل هم نوح ومن معه فى السفينة فبعث الله النبيين اى فاختلفوا
فبعث الله فحذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفى قراءة عبد الله فاختلفوا فبعث
الله ولقوله تع وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولما كان سبب البعثة الاختلاف لم يبق خفاء
لان يكون المراد من الامة المذكورة المتفقين على الجهالة والكفر مبشرين من اطاع ومنذرين من عصى
وانزل معهم الكتاب اى الكتب واسم الجنس يصلح للجمع ومعهم حال مقدم من الكتاب فيتعلق بمحذوف
وليس منصوبا بانزل ولا يريد به انه انزل مع كل واحد منهم كتابا يخصه لا لان اكثرهم لم يكن لهم كتاب
يخصهم بل كانوا ياخذون بكتب من قبلهم لان المعوج مع كل واحد من الذين لهم كتاب وعموم النبيين
لا ينافى خصوص الضمير العائد اليه بمعونة القرينة بل لان بعض الكتاب المخصوص لمن معه لا يشمل
الاحكام كالزبور فلا يصلح ما ذكر بقوله ليحكم بين الناس غاية له بالحق حال من الكتاب اى ملتبسا
بالحق ليحكم بين الناس اى النبى الذى معه الكتاب فيما اختلفوا فيه من امر الدين وما اختلف فيه الا الذين
اوتوه اى الكتاب المنزل لازالة الاختلاف ومعناه زاد اختلافهم بسبب الكتاب حتى كان الاختلاف الاول
بالنسبة اليه لا اختلافا وما كان الاختلاف الا الذى حدث بعد كان الاختلاف الموجب لنزول الكتاب اتفاق
فى جنبه لشدة عنادهم من بعد ما جاءتهم البينات الدلائل الشاهدة على حقيقة الدين المتفق عليه بغيا
بينهم حسدا وقلة انصاف منهم لحرصهم على الدنيا وتمالكهم فهدى الله بسبب تلك البينات الذين امنوا
منهم لما اختلفوا فيه من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بتيسيره وتوفيقه اياهم والله يهدى دون
غيره من يشاء من اهل العناية بمقتضى الحكمة الى صراط مستقيم صراط لا يعرف كنهه وهو طريق التوحيد
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والحسبان كالظن يستعمل فى المرجح
لما ذكر حال الامم الخالية واختلافهم على النبيين بعد مجىء البينات وانكارهم لاياته وعداوتهم له
خاطبهم على طريقة الالتفات التى هى ابلغ ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التى هى مثل فى الشدة
ولما للتوقع فان نفى بها فى الاثبات معناها ان اتيان ذلك متوقع منتظر ولم يقع بعد مستهم بيان
للمثل على الاستيناف البأساء الشدة من الخوف والجوع والفاقة والضراء الالام والامراض وزلزلوا
اى ازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة مما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول لتناهى الشدة وتعاظمها
فى العظم بحيث تقطعت حبال الصبر الرسول مع كونه فى كمال الثبات والصبر وضبط النفس والوقار الى غاية
لا يقدر قدرها والذين امنوا معه الصابرين فى البأساء والضراء وقرئ يقول بالرفع على معنى الحال وهى حكاية
حال ماضية وبالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال متى نصر الله معناه استبطاء النصر وطلبه وتمنيه

واستطالة زمان الشدة الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول اى فقيل لهم اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر واعطاء لسؤالهم يسالونك ماذا ينفقون لما انزل الله قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا جاء عمرو ابن الجموح الانصاري وسال رسول الله عم وقال كم ننفق وعلى من ننفق فنزل جوابا لسواليين في اثنين من هذه السورة جواب قوله كم ننفق في قوله قل العفو وجواب قوله على من ننفق في قوله قل ما انفقتم من خير اي شي انفقتم من مال والمال يسمى خيرا قال تعالى لا يسام الانسان من دعاء الخير وقال وانه لحب الخير لشديد وانما سماه خيرا هنا لانه مذكور في موضع الصرف الى الخير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل بدا في المصرف بالاقرب ثم بالاحوج فالاحوج وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه ان تفعلوا خيرا فالله تعالى يعلم كنهه ويوفي ثوابه والفعل اعم من الانفاق وغيره سالوا عن خاص واجيب بعام ثم اتى بالعموم في افعال الخير قيل كان هذا قبل ايجاب الزكوة ونسخها الامر بالزكوة وقيل كان بالاستحباب وهو باق كتب عليكم القتال اى فرض عليكم الجهاد وهو كره لكم من الكراهة لقوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف للمبالغة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرى بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لفرط كراهتهم له وكراهة الطبع لا توجب الذم بل تحقق العبودية اذا فعل ذلك اتباعا للشرع مع نفرة الطبع واما كراهة الاعتقاد فهو من صفات المنافقين ونبه بقوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم بالطف وجه على ان ما كتب عليهم من القتال خير لهم واوضح دلالة وهو انه اذا جاز ان يكون منكم كراهية لامر وفيه الخيرية فيجوز ان يكون كراهتكم لما كتب عليكم من القتال كذلك وانه اذا جاز ان تحبوا شيئا وهو شر لكم فيجوز ان تكون محبتكم لما احببتموه شرا ثم نبه على ان هذا الحا[illegible] بركوزه عندكم واجب كونه في نفسه بقوله والله يعلم وانتم لا تعلمون وقد قضى بان ذلك خير واذا كان خيرا فيجب ان تحبوه ولا تكرهوه فالخير يجب ارادته والشر يجب كراهته والمحبة ميل النفس الى ما تراه وتظنه خيرا والارادة لا يلزم مناطها الخير ولهذا قيل ان تحبوا دون ان تريدوا ولم يراع حق المقابلة مع قوله ان تكرهوا وعسى كلمة تجري مجرى لعل وهي من العباد للترجي ومن الله للتحقيق قيل جميع ما كلفوا به من قبيل الاول وجميع ما نهوا عنه من قبيل الثاني وفيه نظر يسالونك عن الشهر الحرام نزلت في اول سرية في الاسلام اغاروا على عير لقريش قافلة من الطايف وقتلوا عمرو بن عبد الله الحضرمي اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فعيرهم اهل مكة باستحلاله قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفايدة الابدال في ذكر الشهر اولا تنبيها على ان السوال عن القتال لاجل الشهر لا لغيره قل قتال فيه كبير ذنب كبير والاكثر انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء ولا وجه لمنع دلالة الاية على حرمة القتال في الشهر الحرام للقتال بنا على ان النكرة في حيز الاثبات لا تعم لانها اذا لم

تكن

73

تكن موصوفة وقد مر ما يؤيد هذا وصد الصد ناحية الشعب والوادي المانع للسالك وصد عن كذا كانه تما جعل بينه وبينه صدا يمنعه والصديد ما حال بين الجلد واللحم من الدم والقيح كذا قال الراغب عن سبيل الله اي ما يوصل به العبد الى الله من الطاعات وكفر به اي بالله تعالى عطف على صد وقد عطف عليه قبل تمام المعطوف عليه لشدة الاعتنا عند ذكر الله تعالى بان الكفر به اكبر الكباير وامها والذي اندرج فيه جميع الكباير والا كان حقه ان يؤخر عن قوله والمسجد الحرام لما اشرنا اليه من انه من تمام قوله وصد عن سبيل الله واخراج اهله منه اكبر عند الله خبر عن الاشيا المعدودة يعني وكبار قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله عم والمومنون منه اكبر عند الله مما فعلته السرية على سبيل الخطا والبنا على الظن والفتنة اكبر من القتل وما ارتكبوه من الصد والاخراج والكفر اكبر من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم اى يداومون على عداوتكم ولا ينفكون عن مقاتلتكم حتى يردوكم عن دينكم حتى للتعليل كما في قولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق على مع وثوقه بانه لا يظفر به وايراد ان في موضع اليقين للتهكم او البنا على ظنهم الفاسد ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر ومن يرجع منكم عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على ردهم اياه ما اليه ولم يتب فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم اى حسناتهم لانها هي الاعمال في الحقيقة اذ السيئات مما ينبغي ان لا تعمل ويقال لمن عمل ما لا ينتفع به لم يعمل شيا في الدنيا لفوات ما لهم من المسلمين من ثمرات الاسلام باحداث الردة وفي الاخرة لفوات ما لهم من الثواب بلوغهم يرتدوا بالموت عليها والحبط فساد يلحق الماشية في بطونها من اكل الكلا واستعير لفساد العمل واولئك اصحاب النار ملازموها يقال فلان صاحب فلان اذا كان ملازما له هم فيها خالدون اى دايمون فيها لا يموتون ولا يخرجون عنها ثم الطاعة تحبط بنفس الردة عندنا لقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله والموت عليها ليس بشرط وقال الشافعي ليس بشرط وتمسك بهذه الاية قلنا انما جعل الموت على الكفر شرط جميع ما ذكر في هذه الاية من حبوط العمل والخلود في النار وبه نقول كذا قيل ويأباه تكرار اولئك علا فيه من الدلالة على اعتبار الشرط المذكور في كل واحد من الحكمين المذكورين فالصواب في الجواب ان يقال انما اعتبر الشرط المذكور في حبوط عمل الدنيا فانه ما لم يستمر على الردة الى اخر الحيوة لا يحرم عن ثمرا[illegible]هم ان الذين امنوا نزلت ايضا في السرية المذكورة لما قال بعض الناس فيهم ان لم يكن عليهم وزر فليس لهم اجر والذين هاجروا اى من مكة الى المدينة وقيل فارقوا اعمال السوء واصحابها والاول كان فرضا فنسخت فرضيتها والثاني فرضيته باقية وجاهدوا في سبيل الله اى قاتلوا الكفار وقيل استفرغوا المجهود في طاعة الله وتكرير الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق الرجا اولئك يرجون رحمة الله في الدنيا نفعا ورفعا ودفعا وفي عبارة الرجا مدح لهم باستقصارهم اعمالهم واستشعارهم امالهم خايفين برده راجين فضله قال الله تعالى والذين يوتون

ما اتوا وقلوبهم وجلة والله غفور لما فعلوا خطأ او قلة احتياط رحيم باجزال الثواب و لايصال الى احسن المآل
يسيلونك عن الخمر والميسر روى انه نزل بمكة شرفها الله تعالى قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي حلال لهم ثم ان عمر ومعاذ او نفرا من الصحابة رض قالوا يا رسول الله افتنا
في الخمر والميسر فانهما مذهبة بالعقل ومسلبة للمال فنزل فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها
اخرون والخمر ما خمر العقل اي ستره كانها سميت بالمصدر للمبالغة ومنه الخمار لما يستر الراس وقال ابن الاعرابي
سميت خمرا لانها تخامر العقل اي تخالطه قال عمر رض في خطبته ايها الناس فانه نزل تحريم الخمر وهي من
خمسة من العنب والعسل والتمر والحنطة والشعير والميسر القمار وقال الازهري الميسر الجزور الذي كانوا
يتقامرون عليه سمي ميسرا لانه مجزى اجزاء فكانه موضع التجزية وكل شي جزأته فقد يسرته والياسر
الجازر لانه يجزئ لحم الجزور وقل فيهما لما كانا منشأ للاثم وسببا للمنافع جعلهما منبعا له ومعدنا لها
تنبيها على قوتهما في المنشائية والسببية فلا حاجة الى تقدير المضاف بل لا وجه له عند البلغا فلا دلالة في هذا
على ان السؤال عن تعاطيهما اثم الاثم ما يستحق فاعله العقاب فيختص بما يكون عمدا يرشدك اليه ذكره
في قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما في مقابلة الخطيئة كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المامور
وارتكاب المحظور ومنافع من الطرب والالتذاذ وكسب المال ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان
وتوفير المروة وتقوية الطبيعة للناس في عبارة اسم الجنس اشارة الى عموم المنافع لما تحته من الاصناف
والافراد وفيه وفي جميع المنفعة تمهيد لتعظيم الاثم فيهما ضرورة ان تعظيم المفضل عليه يستلزم تعظيم
المفضل واثمهما اكبر من نفعهما يعني ان الاثم المترتب على المفاسد التي تنشا من كل منهما اعظم من المنافع
المتوقعة منه فقال الحسن هذه الاية تدل على تحريم الخمر لانه ذكر ان فيهما اثما وقد حرم الله تعالى الاثم
بقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم على انه قد وصف ما فيهما من الاثم بالكبير
والكبير منه حرام بلا خلاف وقوله حسن وان كان مخالفا لما روي فيما سبق ويسيلونك ماذا ينفقون قد
مر ان سائله ايضا عمرو بن الجموح قل العفو نقيض الجهد وهو القصد في الانفاق بحيث لا يبلغ الجهد واستفراغ
الوسع كذلك يبين الله لكم الايات اي مثل ما يبين من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف
وتوحيد العلامة على تاويل القبيل لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة يتعلق بتتفكرون لعلكم تتفكرون
في امر الدارين وما هو اصلح لكم فيهما فتختارونه وتتنحون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر ويسيلونك عن
اليتامى الحال اشتهر بان السؤال ليس عن اعيانهم بل عن كفالتهم ومخالطتهم والافصاح بامثال هذه تجاف عن طريق
البلاغة لانه لا يخلو عن غباوة للمتكلم او تغبية للمخاطب وسوء ادب مع كلام الله مبرأ عن كل هجنة روي انه
لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما تجافوا عن اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام بمصالحهم واموالهم
والاهتمام باحوالهم فشق ذلك عليهم وكادوا يوقعهم في الحرج فذكروا لرسول الله عم فنزلت وعلى هذا السؤال

في سبب النزول فالوجه ما قاله مقاتل من ان المسلمين لما امتنعوا من مخالطة اليتامى فعزلوا بيت اليتيم وطعامه
فشق عليهم فسال ثابت بن رفاعة للنبي عم فقال انزل الله في اليتيم ما انزل فعزلنا والذي لهم واعتزلنا والذي
لنا فشق علينا وعليهم وليس كلنا نجد سعة فهل يصلح لنا مخالطتهم فيكون البيت والطعام واحدا لا نرزؤهم
شيئا الا ان يعود عليهم بافضل منه فنزل قوله تعالى قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح
لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق
الاخ ان يخالطه والخلط الجمع بين اجزاء شيئين سواء كانا مائعين او غير مائعين فهو اخص من المزج والله يعلم
المفسد من المصلح والله يميز المخالط بالافساد من المخالط بالاصلاح ولا يخفى عليه فيجازي بحسبه فلا تقصدوا
في مخالطتكم الا الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة ومنعكم عن المخالطة فوقعتم
في الحرج ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم لا يكلف الا ما يسع طاقتهم ويصلح حالهم لكم ولا تنكحوا المشر
كات حتى يومن اي ولا تزوجوهن وقرى بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين المشركات تعم الكتابية لقوله
تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكن خصت
عنها الكتابيات الذميات بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وبقيت الحربيات في عموم هذه الاية
روي انه عم بعث مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية
فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استامر رسول
الله فاستامره فنزلت ولامة مومنة خير من مشركة يعني ان المومن ولو كانت رقيقة خسيسة الرق خير
من الكافر ولو كان معه شرف الحرية فان شرفها لا يجدي نفعا مع الكفر ودنائة الرق لا تضر مع شرف
الايمان ولو اعجبتكم جملة اعتراضية وجواب لو محذوف لدلالة ما قبلها عليه ولو اعجبتكم اي ولو
اجبتموها واعجبتكم حسنها فان المومنة مع ذلك خير لكم ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا ولا تزوجوهم
المومنات وهو على عمومه ولعبد مومن خير من مشرك ولو اعجبكم وضع اللازم مقام الملزوم في الموضعين
للتنفير والترغيب فقال اولئك اي المشركون والمشركات يدعون الى النار اي الشرك المستلزم لدخول النار
فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا والله يدعو الى الجنة والمغفرة اي الايمان الملزوم لدخول الجنة واورد الله
مكان المومنين [illegible] لهم به وتعظيما لهم على مصاهرتهم وموالاتهم وايثارهم على غيرهم باذنه بتيسيره
وتوفيقه لما يستحق به الجنة والمغفرة من الايمان والعمل الصالح ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون
لكي يتذكروا او يكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول السليمة من الميل الى نيل الخير والاجتناب
عن مظان المضار ويسيلونك عن المحيض المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كما يقال جاء مجيئا روي
ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال
ابو الدحداح في نفر من الصحابة رض عن ذلك فنزلت ولعله سبحانه انما ذكر يسيلونك في المواضع الثلاثة

لعله ما يحمل

مه

الرزة النقص

كات

بتيروا او في المواضع الثلثة بعدها مع الواو ولان الاول ليس مظنة للواو وكانت الاسئلة عن الحوادث
الاول في احوال متفرقة كل واحد منها سوال مبتدا والاسئلة عن الحوادث الاخر مع ... لان السوال كانت في
واحد وليس مبني هنا على الواو حرف الجمع لان الجمع الذي هو مدلول الواو اعم من المعية بل على ان في ترك الواو
دلالة على الاستقلال وفي ذكرها دلالة على خلافه قل هو اذى لما كان الموضع موضع الكناية والمجاز لكون
التصريح بالحقيقة لا يخلو عن سوء ادب سلك عن طريقة التعريض والتشبيه باحسن الوجوه فكنى عن الحيض
المستقذر الذي ينفر منه الطبع بالاذى ومواسم لما يتاذى منه النفس عن اجتناب المجامعة بقوله فاعتزلوا
النساء في المحيض ولا تقربوهن واصل الاعتزال العدول عن الشيء ولما كان الانسان قد يتحمل الاذى ولا
يراه محرما صرح بالحكم ولم يكتف بذكر العلة وانما اكد بصيغتي نهي وامر مبالغة في المنع لما ان الزوجين
يجتمعان غالبا ومهما داعيان اليه ظاهرا والدليل على ان المراد الاجتناب عن مجامعتهن قوله عم
انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الا
بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض حتى يطهرن بيان لغايته
اي يخرجن من الحيض بانقطاع الدم واذا كان ايامها عشرة فكما انقطع حل وطيها واذا كانت دون ذلك
وانقطع واغتسلت فكذلك واذا لم تغتسل ومضى عليها وقت صلوة فكذلك خلافا لزفر والشافعي
فانهما قالا لا يحل عند الغسل الا غسلا واحتجا بقراءة التشديد فان التطهر الاغتسال ونحن نعمل بالقرائتين
في حالتين وفيه نظر لان شرط العمل بالمفهوم ان لا يكون مخالفا للمنطوق ومفهوم قراءة التخفيف مخالف
لمنطوق قراءة التشديد بل نحن نقول ليس العمل بقراءة التخفيف بطريق المفهوم بل بطريق المنطوق فان
الدلالة على انتهاء الحكم عند الغاية بحسب الوضع لتوان قوله فاذا تطهرن فاتوهن ظاهر في تلخص جواز
الاتيان عن الغسل من حيث امركم الله اي المكان الذي امركم به وحلله لكم وهو القبل انما زيد هذا وكان
الكلام تاما بدونه للنهي بطريق المفهوم عن اتيانهن في الدبر فان الله تعالى حرم الاتيان في ايام الحيض للاذى
فيحرم اتيان الدبر في الاحوال كلها لما فيه من الاذى ومن هنا ظهر وجه تصدير الكلام المذكور بالفاء
ان الله يحب التوابين مما عسى ان يبتلى منهم من ارتكاب ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب ويحب المتطهرين
المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتي نساؤكم ... اشارة الى
ان الغرض الاصلي من الاتيان المامور به طلب النسل لا مجرد قضاء الشهوة والى وجه النهي الذي
بطريق المفهوم فشبههن بالحارث تشبيها لالقاء النطف في الارحام للنسل بالقاء البذر في الارض
للزرع ولما كان التشبيه المذكور مترتبا على هذا التمثيل المتروك ترتب اللازم على الملزوم لم يبعد
ان يسمى تمثيلا على سبيل الكناية والقوم قد غفلوا عن هذا النوع من التمثيل فأتوا حرثكم انى شئتم
كما يأتي الحراثون محارثهم من اية جهة شاؤوا بعد مراعاة موضع الحرث عبر به عن وجوه الاتيان

المختلفة مع اتحاد المأتي تمثيل لحالهم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجنبة من دبرها
في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله عم فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم الخير
والذخر بطاعة الله تعالى فيما امر به ونهى عنه في هذه الاية وقيل النية الخالصة اي لا تقتصروا
على قضاء الشهوة ولكن اقصدوا التعفف والولد واتقوا الله بالاجتناب عن المعاصي واعلموا انكم ملاقوه
فلا تجترؤوا عليه بمخالفته وتزودوا بما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والكرامة
بترك القبائح والفواحش ولا تجعلوا الله عرضة العرضة فعلة بمعنى المفعول كالغرفة يطلق لما يعرض
دون الشيء لايمانكم متعلق بعرضة اي حاجزا لايمانكم او في العرضة معنى الاعتراض والمنع او بالفعل اي
لا تجعلوا الله لايمانكم حاجزا ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم اي للامور المقسم عليها
التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس ويجوز ان تكون اللام للتعليل وان تبروا وما عطف عليه
متعلقا بالفعل اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا او لاجل ايمانكم به او معرضة اي ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم
فتبتذلوه بكثرة الحلف ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي انهيكم
عند ارادة بركم وتقويكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ عليه لا يكون برا
متقيا ولا موثوقا عليه به في اصلاح البين نزلت في الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه
على عائشة رض وقيل في عبد الله بن رواحة حين حلف لا يكلم ختنه بشر بن النعمان ولا يصلح بينه وبين
اخته والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم فيجازيكم بحسبها وهو وعيد على كثرة الحلف وعلى جعله مانعا
لشيء من انواع البر والتقوى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الشيء الساقط الذي لا يعتد به من كلام
وغيره فاللغو من اليمين هو الذي لا عقد له كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب وغيرهم
في اثناء الكلام للتاكيد لا والله وبلى والله ولا يخطر ببالهم الحلف بدليل قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وهو قصد القلب لعقد اليمين والمعنى لا يؤاخذكم بعقوبة ولا
كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بواحد منهما بما قصدتم من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم
فيها ولا يساعده ظاهر قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم
حيث لم يعجل ... على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن
والايلاء الحلف وتعديته بعلى الا انه ضمن في هذا القسم معنى الامتناع فعدي بمن اي يمتنعون من
مقسمين ويجوز ان يكون المقسم عليه محذوفا والمراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لك مني كذا
والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي التلبث في هذه المدة فلا يلزمهم
شيء فيها وهذا الابتناء في وقوع الطلاق البائن عند مضيها كما قال ابو حنيفة رض ولا يقتضي ان يكون مدة
الايلاء اكثر مما ذكر كما قاله الشافعي ولا دلالة في الفاء في قوله فان فاؤوا على ذلك لانها للتعقيب في الذكر

التفصيل بالفيئة وان كانت قبل مضي المدة او وقوع الطلاق يعقب المفصل والفيء الرجوع اي ان
رجعوا اي ان رجعوا عن هذا الاضرار بترك القربان بان تقربوا في المدة فان الله غفور رحيم فيغفر للمولين ما ارادوا
به اضرار النسا لاجل الفيئة التي بمثابة التوبة رحيم حيث اجاز لهم الحنث وقبل منهم الكفارة ورفع
عنهم الذنب وان عزموا الطلاق العزم هو العقد على الامضا فان الله سميع بما جرى بينكم عليم بما قصد تموه العقد
والمطلقات يعني اللاتي من ذوات الاقرا بقرينة الخبر عام مخصص بالمدخول بهن من الحراير بالنصوص
الدالة على اختصاص الحكم الاتي ذكره بهن يتربصن اخبار في معنى الامر وانما عدل عن الظاهر للتاكيد ولظهار
الاعتنا بالمبادرة الى الامتثال والمسارعة كانهن امتثلنه واخبر عنه موجودا كما يقال في الدعا
رحمك الله ثقة بالاجابة وثقة بها كان الرحمة وقعت فاخبر عنها وبناؤها على المبتدا زاده فضل تاكيد
لم يكن لو قيل وتربص المطلقات وفي قوله بانفسهن زيادة تحريض وبعث وتهييج لهن على التربص وقمع الانفس
وذلك ان نفس النسا طوامح الى الرجال فاذا امرن ان يقمعنها ويغلبنها على الطموح يستنكفن فيحملهن حيتهن
على التربص بها ثلاثة قروء انتصب على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلا اي يتربصن ثلاثة
قروء او على انه ظرف اي يتربصن مدة ثلاثة قروء والقروء جمع القرء بالضم والفتح وهو لفظ مشترك
بين الحيض والطهر باجماع اهل اللغة وقد ورد الشرع في كل واحد منهما قال عم لامراة دعي الصلوة
يوم قرئك اي حيضك وقال لعبد الله بن عمر ان من السنة ان يطلقها في كل قرء اي في كل طهر وقال ابو حنيفة
ان المراد من القرء هنا الحيض وقال الشافعي المراد الطهر وقوله عم طلاق الامة تطليقتان وعدتها
حيضتان يصرح في الاول وانما جا المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقرا اعتبارا لما في المطلقات
من معنى العموم فان المعنى ليتربص كل واحدة من المطلقات ثلاثة قروء فلما اسند الى جماعتهن والواجب
على كل واحدة منهن ثلثة اتى بلفظ القروء ليدل على الكثرة المرادة واما الانفس فكان النكتة في تقليلها
الايما الى ان التطليق ينبغي ان يكون قليل الوقوع من الرجال ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن
من الولد اي ان يكتمن حملهن استعجالا للطلاق مخافة ان ينتظر الزوج لطلاقها ان تضع او يشفق على الولد
فلا يطلق وقيل من الحيض بان تقول طاهر وهي حايض استعجالا للفراق ويجوز ان يكون الكتمان كناية عن
ارادتهن اسقاط ما في ارحامهن من الاجنة فلا يعترض بهن وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن
يؤمن بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن واثمهن اي لا يفعل ذلك من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ولا يجترئ على
مثل هذه العظايم وبعولتهن اي ازواج المطلقات والبعول جمع بعل والتا لاحقة لتانيث الجمع
وانما سمي زوج المراة بعلا لانه سيدها ومالكها ذكره الازهري ومن هنا تبين وجه التعبير عنه بالبعل
فان الحكم الاتي ذكره مخصوص بصورة الطلاق الرجعي الذي لا يزول به ملك النكاح وفي عبارة البعل اشارة
اليه احق بردهن اي برجعتهن ومعنى احق ان الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المراة فهو احق بقبول قوله

لان لها حقا في الرجعة في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا اي بالرجعة اصلاحا بينهم وبينهن لا ضرارا
والمراد التحريض عليه والمنع من قصد الاضرار لا لبيان اشتراط صحة الرجعة بقصد الاصلاح ولهن
من الحقوق على الرجال مثل الذي للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع والعادة الجميلة
اي لا يكلف احد الزوجين صاحبه ما يستحسن في الشرع ولا يعنف به ولكن بما يحمد ويسهل والمراد بالمماثلة
مماثلة الواجب بالواجب والمستحب بالمستحب لا الاتحاد في الجنس وللرجال عليهن درجة الدرجة نحو المنزلة لكن
يقال لها اذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على البسيط كدرجة السلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة اي زيادة
فضيلة بقيامهم عليهن وانفاقهم في مصالحهن بعد ما تساويا في نيل اللذة والله عزيز على الانتقام ممن خالف
الاحكام حكيم شرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم يعني التطليق
الشرعي كرتان على التفريق تطليقة بعد تطليقة يعقبها رجعة لا تطليقتان على التثنية والارسال دفعة واحدة ولا التطليق الثاني صح
واحدا كان او اثنين لقوله فامساك اي فامر الزوج بعدهما امسال او فعليه امساك ولا يخفى ما في عبارة الامساك
من الدلالة على استدامة الملك وهي لا تبقى بعد البائن بمعروف بحسن عشرة وما يعرف شرعا من القيام بمواجبها
او تسريح بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة باحسان بان لا يراجعها مراجعة يريد الضرار وتطويل العدة عليها
وقيل التسريح ان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سايلا سال رسول الله صلعم اين الثالثة فقال عم
او تسريح باحسان وظاهر الاية حجة على الشافعي في قوله لا باس بارسال الثلاث ولا يتمسك له في حديث العجلاني في
الذي لاعن امراته فطلقها ثلثا بين يدي رسول الله عم ولم ينكر عليه لعدم الدليل بتاخره عن نزول الاية
ولا يحل لكم ايها الازواج ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا قليلا من الصداق صح الا ان يخافا الا ان يخاف الزوجان استثنا مفرغ
وان يخافا نصب على الظرف او مفعول له التفات كانهم اذا رضوا بالخلع وهموا بالاخذ وقعوا في حال البعد
ولم يستاهلوا للخطاب لعدم انصافهم وعدلهم واحتياجهم الى الايمة والحكام فخوطبوا بما ياتي ويجوز ان يكون
الخطاب الاول ايضا للحكام وان لم يكن الاخذ والايتا منهم لانهم الامرون بالاخذ والايتا عند الترافع اليهم فكانهم
الاخذون والمؤتون وقرئ الا ان يخافا على البنا للمفعول وابدال ان بصلته عن الضمير بدل الاشتمال وقرئ
يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية
لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله بتركهما اقامة الحدود
المذكورة فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي لا جناح على الزوج فيما اخذ وعلى المراة فيما بذلت وافتدت به
نفسها واختلعت به من الصداق والزيادة عليه على كره روي ان جميلة اخت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس
وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شي
والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام وما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخبا فرايته
اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه

بها وهو اول خلع كان في الاسلام تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها ومن يتعد حدود
الله عدل عن الضمير الى الظاهر للتفخيم فاولئك هم الظالمون تعقيب النهي بالوعيد مبالغة في التهديد فان طلقها
متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق
يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق حتى تنكح
اي تتزوج زوجا غيره والنكاح يستند الى كل منهما كالتزوج يقال فلانة نكحت في بني فلان وتمسك ابن المسيب
بدلالة على ان تنتهي الحرمة بتزوجها زوجا اخر في الاقتصار على العقد في التحليل فان قلت اليست الحرمة
باقية الى ان يطلقها وتنقضي عدتها قلت تنتهي تلك الحرمة بالعقد وتحدث حرمة اخرى هي اثره
والجمهور على انه لا بد من الاصابة لحديث العسيلة قد يجوز به انتساخ حكم الغاية لو كان ثبوته
منطوقا لا مفهوما لانه حديث مشهور تلقته الامة بالقبول ومنهم من دقق وقال ان شرط الدخول
ثابت بنص الكتاب لان المراد من التزوج الاصابة على انها كناية عن حظها من الشرط المذكور والكلام على
القلب كقوله ادخلت الخاتم الاصبع والمعنى حتى ينكحها زوج اخر ولا بد من المصير الى احد هذين الوجهين
كيلا يضيع قوله زوجا والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق فان طلقها اي الزوج الثاني
وانقضت العدة وهذا القيد معلوم من موضع اخر ولهذا لم يذكر والفاء التفريع صحة المراجعة بعد تطليقة
اباها على ما تقدم من ثبوت التحليل بالتزويج به فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من الزوجين
الاول والمراة الى صاحبه بالنكاح ان ظنا ان يقيما حدود الله حقوق المعاشرة وما يجب عليهما من حسن
المصاحبة وتفسير الظن بالعلم فقد وهم من جهة اللفظ والمعنى لانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان
الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وان المستقبل غيب لا يعلمه الا الله وهذا الظن ليس بشرط في صحة النكاح
بل في اباحته ورفع الاثم لان العقد صحيح وان ظنا ان لا يقيما حدود الله وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة
يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بموجب العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اريد بالاجل اخر المدة
وبالبلوغ مشارفته والغرض منه على الاتساع لقوله فامسكوهن بمعروف اذ لا امساك بعد البلوغ حقيقة
او سرحوهن بمعروف لما اعيد ذكر الرخصة علق التسريح بالمعروف تنبيها على انه ان لم تراعوا في تسريحها
الاحسان فراعوا فيه المعروف كما قال بعض الناس ان لم تحسن فعدلا وهذه الاية [illegible] اعادة حكم
ما تقدم لان الاول لبيان جواز الرجعة بعد التطليقة والتطليقتين وهذه لبيان جوازها
ما دامت في العدة وانما خص المشارفة بالذكر لانهم كانوا يطلقون المراة فيتركونها حتى تشارف انقضا
العدة ثم يراجعونها اضرارا بها فنهوا عنه بقوله ولا تمسكوهن ضرارا بعد الامر بضده مبالغة ونصب
ضرارا على انه مفعول له اي للمضارة او حال اي مضارين لتعتدوا لتظلموهن بتطويل العدة او الالجاء الى الافتدا
واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا

ايات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه
نهي عن الهزء عن الامر بالجد قيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنزلت وعن
النبي صلعم ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمت الله عليكم التي من جملتها
الهداية الى الاسلام وبعثة محمد عم والمراد من ذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها وفي الكناية
بالذكر عن الشكر تنبيه على انها نعمة جليلة يجب ان تذكر كافية في ايجاب شكرها والقيام بحقها والمانع عنه
ليس الا الغفلة عنها وما انزل عليكم انزل على النبي عم الا انه لما كان لمصلحتهم نزل منزلة النازل عليهم
من الكتاب والحكمة الكتاب والسنة وقد مر وجه مناسبة الحكمة بالسنة وانما افردهما بالذكر تشريفا يعظكم
به بما انزل عليكم واتقوا الله اي لا تخالفوا امره ونهيه واعلموا ان الله بكل شيء عليم وعد ووعيد تاكيد
وتهديد والعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر للتفخيم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن
لقوله تعالى فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن العضل المنع مع تضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها والمراة
بولدها والخطاب لا يجوز ان يكون للازواج بدلالة ما روى البخاري والترمذي وابو داود ان الاية نزلت
في معقل بن يسار وكانت اخته تحت ابن عم له فطلقها طلقة فلما انقضت عدتها خطبها وهي تريد ان ترجع اليه
فقال معقل لا ازوجها ابدا فانزل الله تعالى هذه الاية فدعاه النبي عم فتلاها عليه فقال سمعا لربي وطاعة
والحكم الوارد في سبب لا يصح ان يكون السبب خارجا عنه وان اريد معه غيره ولا ان يكون للاولياء لما فيه من
تنافر الخطاب بين الازواج قبل تمام الكلام الى الاولياء فان خطاب اذا طلقتم لا يصلح للاولياء قطعا فالوجه ان
يكون للناس ليتناول عضل الازواج والاولياء جميعا بجامع السلامة عن المحذور المذكور والمعنى لا يوجد بينكم عضل
ايها الناس ولا يخفى ما فيه من تهويل امر العضل بان من حق الاولياء ان لا يحوموا حوله ومن الناس كافة ان ينصروا
المظلوم اذ ذاك ولا متمسك للشافعي في الاية على ان النكاح لا ينعقد بعبارة النساء اذ لا يلزم من قدرة الاولياء
على منعهن ان يكون النكاح بعبارتهم وقوله ان ينكحن صريح في انه ينعقد بعبارتهن اذا تراضوا بينهم اذا
تراضوا الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بالوجه الجميل في الدين والمروة
حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف ذلك الاشارة الى ما مضى ذكره
والخطاب للكل او للرسول للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد ويجوز ان يكون
الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين يوعظ به من كان يومن بالله واليوم
الاخر لانه المتعظ والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع لكم واطهر من دنس الاثام والله يعلم
ما فيه النفع والفلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن خبر في معنى الامر للمبالغة
في الحث على الارضاع فان الامر لما كان للاستحباب بعد ان لانجاب على ما دل عليه التعليق بالارادة احتيج
الى المبالغة فيه والحمل على الوجوب والتخصيص بما اذا لم ترتضع الصبي الا من امه او لم يوجد ظئر او عجز

الوالد عن الاستيجار بابه تعيين المدة والتعليق حولين كاملين صفة موكدة لحولين كما في قوله تلك
عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه كما في قوله الحج اشهر لمن اراد ان يتم الرضاعة اي ذلك لمن اراد اتمام
الرضاعة قيل متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وفيه ما مر من ان
التعليق بالارادة لا يناسب الوجوب وقد نبه على هذا من قال ودل على هذا ان النقصان عن ذلك والزيادة
عليه عند وقوع الكفاية بما دونهما والحاجة الى الزيادة جائز ان حيث علق ذلك بالارادة وعلى
المولود له اي الذي حكم له الولد شرعا بموجب قوله عم الولد للفراش وان لم يكن والدا له حقيقة و
في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في غير المغضوب عليهم ومن الفرق بين المولود والوالد بالاختصاص
الاول بالصغير على ما ذكره المطرزي تبين لطف موقعه ثم ان في العبارة المذكورة اشارة الى علة بناء الحكم
كما في قوله وراودته التي هو في بيتها لان الذي ولد له موجب عليه الرزق والكسوة اذا ارضعت ولده
كالظئر بناء على ما تقرر من ان المغنم بالمغرم وعلى هذا يكون مونتها على المولى اذا ولدا الولد من جارية
التي تحت نكاح الغير لان المولود له حقيقة في هذه الصورة ومن هنا اتضح ان المولود له اعم من الوالد لانتظامه
ما لا يكون والدا من صاحب الفراش والمولى رزقهن وكسوتهن اراد بالرزق الماكول والمشروب ولهذا ذكر الكسوة
بعده بالمعروف اي من غير اسراف ولا تقتير نظرا الى الجانبين لا تكلف نفس الا وسعها الوسع ما اتسعت له الطاقة اي
لا يحمل احد الا ما يطيقه فلا يكلف المولود له ما لا يطيق من الاجر ولا الوالدة ما لا تستطيع من الحمل ولا الرضاع
بما لا يكفيها من الاجر وهذه الاية كالتي في سورة الطلاق فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن الى قوله لا يكلف الله نفسا
الا ما اتاها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما تقدم وتقرير له اي لا يضار واحد منهما الاخر
بسبب الولد واضافته الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على
استصلاحه والاشفاق عليه فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار ويحتمل البناء
للفاعل والمفعول على ان الاصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح على النهي وعلى الوجه الاول
يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرطا في تعهده ويقصرا فيما ينبغي له وقرئ
لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره وعلى الوارث مثل
ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما معترض والمراد بالوارث وارث المولود له
على العموم والصبي نفسه او وارث الصبي على العموم او بقيد ان يكون ذا رحم محرم من الصبي بحيث لا يجوز
بينهما النكاح على تقدير ان يكون احدهما ذكرا والاخر انثى او بقيد ان يكون احد اصوله من الاباء والامهات
والاجداد والجدات او بقيد ان يكون من عصبته واما حمل الوارث بمعنى الباقي وان كان صحيحا لغة فلا يليق
في هذا المقام اذ ليس لقولنا فالنفقة على الاب على من بقي من الاب والام معنى يعتد به وذلك اشارة الى
ما وجب على المولود له من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا تفريع على ما تقدم من تعليق اتمام الحولين

ص على الارادة وتصريح بالتوسعة بعدما تحدد بدء الفصال الفطام سمي به لانه فصل بين الغذاء والصبي عن تراض
منهما وتشاور اي صادرا عنهما والتراضي اجتماعهما على الرضى والتشاور اجتماعهما في المشورة وهي استخراج
صواب الراي باشارة المستشار من شور العسل وهو اجتناؤه وانما اطلقه ليندرج تشاور احدهما الاخر وتشاور
الثالث ممن له خبرة في تربية الاطفال وتدبيرهم وانما اعتبرهما لان الفطام قبل تمام الحولين مظنة لحوق الضرر
فلا بد من اتفاقهما اما المولود له فلانه حقه واما الام فلانها اعلم بحاله وتربيته والدليل على ان المراد الفطام
قبل التمام قوله فلا جناح عليهما اذ لا يتصور الجناح قبل تمام مدة الرضاع وان اردتم ان تسترضعوا اي المراضع
اولادكم يقال ارضعت المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول
الاول استغناء عنه لعدم القصد الى خصوص المرضعة فلا جناح عليكم فيه وفيه دلالة على ان للاب
ان يسترضع الولد ويمنع الام عن الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما التزمتم ايتاءه وقرئ ما اتيتم
من اتى اليه احسانه اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اي ما اتاكم الله واقدركم عليه بالمعروف متعلق بسلمتم اي
سلمتم على الوجه الجميل بالطلاقة والبشاشة من اطيب ما يكون من اموالكم على احسن ما يكون من وجوه الاعطاء
لتكون طيبة النفس مشفقة على الرضيع وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس عليه التسليم شرطا
لجواز الاسترضاع بل هو مندوب اليه لتطيب نفس المرضعة ولهذا قيد بالمعروف واتقوا الله مبالغة في المحافظة
على ما شرع في الاسترضاع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم اي يقبض
ارواحهم بالموت واصل التوفي تمام القبض وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون اعمارهم وهو كناية
عن الموت ويذرون ازواجا اي يتركون زوجات ويذر مستقبل اميت ماضيه ومصدره وكذلك يدع
يتربصن ينتظرن بانفسهن تقديره يتربصن بعد وفاتهم دل عليه يتوفون وبه يحصل الربط بين المبتدا والخبر
اربعة اشهر وعشرا اي يتعددن هذه المدة فلا حاجة الى التاويل في عشرا لما نقل عن ائمة النحو انه اذا
كان المعدود مذكرا وحذفته فلك فيه وجهان احدهما وهو الاصل ان يبقى العدد على ما كان عليه لو لم تحذف
ن المعدود فتقول صمت خمسة تريد خمسة ايام والثاني ان تحذف منه كلمة التانيث فقوله عشرا على احد الجائزين
وحسنه هنا انه مقطع كلام يشبه بالفواصل واطلاق اللفظ يقتضي عدم الفرق بين المسلمة والكتابية
والحرة والامة والحامل وغيرها الا ان القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل لقوله
تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن تفريع على التحديد المذكور
فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعريض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي
لا ينكره شرعا وهذا دليل بالفحوى على انهن لو فعلن ما ينكره الشرع كان عليهم ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح
والله بما تعملون خبير وعيد لهن في ارتكاب المنكر وللائمة في التقصير عن المنع ولا جناح عليكم فيما عرضتم
به التعريض ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض

من خطبة النسا الخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد
بالنسا المعتدات وتعريض خطبتها ان يقال لها انك جميلة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم
في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه صريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن اي ستظهرون رغبتكم
فيهن لقلة صبركم على النطق بعو وفيه نوع طرف من التوبيخ على التحرز ابتدا عما ابيح لحكمة ولكن لا تواعدوهن
سرا استدراك عن محذوف دل ستذكرونهن عليه اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا او السر كناية عن النكاح
بمعنى الوطي لانه مما يسر ثم عبر به عن النكاح بمعنى العقد لانه سببه فيه الا ان تقولوا قولا معروفا استثنا
مفرغ وان تقولوا نصب على المصدر اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة وهي بالتعريض ولا تواعدوهن
بوجه الا ان تقولوا قولا معروفا غير منكر في الشرع ولا يجوز ان يكون استثنا منقطعا لفساد المعنى وهو
واعدوهن التعريض وقيل المراد مواعدة التعريض بل مواعدة النكاح بالتعريض وقيل لا تواعدوهن في السر لان
مسارتهن في الغالب انما هي بما يستحيى من المجاهرة به لاستهجانه الا وقت ان تقولوا قولا جميلا غير منكر في الشرع
فعلى هذا ان تقولوا في محل النصب بالظرفية ويكون المفعول محذوفا اي لا تواعدوهن النكاح في السر ولا تعزموا
عقدة النكاح اي لا تقصدوا عقد عقدة النكاح قصدا جازما لا تردد معه نهي عن العزم ليكون ابلغ في منع
الفعل وتقدير المضاف لان العزم انما يكون على الفعل كالعقد على نفس العقدة وقيل العزم القطع والمعنى
لا تقطعوا عقدها اي لا تبرموه ولا تلزموه ولا تعقدوا عليه فيكون النهي عن نفس الفعل لا عن قصده حتى
يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يحل شرعا
فاحذروه اي فاحذروا مواخذته المناهي الصادرة عن عزيمة ولما كان لسابق الفهم مما تقدم المواخذة
بالعزايم على المناهي دفعه بقوله واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله تعالى حليم لا يعاجل
بالعقوبة فلا تغتروا بعدم المواخذة بالعذاب عاجلا لا جناح عليكم ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن المس كناية
عن الوطي او خلوته لا توجب المهر اذا لم توجد خلوة صحيحة او تفرضوا لهن فريضة اما جزم عطف على تمسوهن
او ولم تفرضوا لهن فريضة او نصب بمعنى الا ان او الى ان تفرضوا وفرض الفريضة تعيين المهر وهي بمعنى المفروض
وفريضة نصب على المفعول بفعيلة بمعنى مفعول والتا للنقل من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر وانما
اعتبر القيدان المذكوران لانه يجب مهر المثل في المس وان لم يفرض لها شيئا ويجب نصف المسمى اذا طلقها ولم
يمسها ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن اي ملكوهن ما يتمتعن به وسمي ذلك متعة واصل
المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعا قليلا غير باق بل ينقضي عن قريب وضمير النصب عايد الى المطلقات
قبل المسيس وقيل الفرض والحكمة في امر المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده
قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره يقال اوسع الرجل اتسع حاله فصار ذا سعة وغنى والمقتر
المقل من اقتر اذا افتقر وقرئ قدره بفتح الدال وهما لغتان بتسكينها وهما المقدار اي على كل من الذي له سعة

لا نفقة عليكم من الكتاب مهر
والزوجة صح

ومن المقتر الضيق الحال الفقير بيسار وافتقار اي ما يطيقه ويليق بحال الحال الذي يطيقه هو الذي يختص به
ويدل عليه قوله عم للانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها ولو بقلنسوتك اما انها لا تساوي شيئا
ولكن احببت ان يحيي السنة متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة
لمتاعا اي تمتيعا واجبا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين اي على الموصوفين بالاحسان من اصحاب
المروات او الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا والمنافي بعبارة
ظاهرة في الوجوب تاكيدا في الحث واهتماما في الترغيب ودفع ذهاب الوهم الى معنى لا ايجاب بحقيقة ما
بعبارة المحسنين بما فيها من الاشارة الى انه بطريق الاحسان لا بطريق الالزام ومبنى هذه الاشارة على ما
في قوله تعالى ما على المحسنين من سبيل من التنصيص على عدم الايجاب فيما يكون احسانا وان طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها فنصف ما فرضتم فيه دلالة على
ان الجناح المنفي ثمة تبعة المهر وان لا متعة مع التنصيف لانه قسيمها الا ان يعفون الاستثنا مفرغ وان يعفون
نصب على الظرف اي فعليكم او فالواجب نصف ما فرضتم لا يحل لكم منعه ابدا الا وقت ان يعفون والنون
ضمير المطلقات في طلقتموهن من محلها الرفع بالفاعلية والواو لام الفعل وقد يشتبه بما في اللفظ بجمع
الذكور يقال الرجال يعفون والفرق ان الواو ضمير الرجال والنون علامة الرفع والفعل على الاول
مبني ولذا لم تؤثر فيه ان ونصب المعطوف عليه او يعفوا الذي بيده عقدة النكاح وهو الزوج لان
الطلاق بيده فكان ابقا العقد بيده والمراد ان يعطيها المهر كله واطلاق العفو عليه بطريق المشاكلة
وقيل هو ولي الصغيرة والبكر والعفو على حقيقته وهذا لا يصح لانه لا يملك التبرع بحق الصغيرة ولا
بحق الكبيرة بغير رضاها وان تعفوا اقرب للتقوى خطاب للازواج وكذا قوله تعالى ولا تنسوا
الفضل بينكم اي فضل الرجال على النسا تذهب الزوج الى الكمال المهر اظهارا للمروة واعتبارا بالفتوة ان
الله بما تعملون بصير اي لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالادا لوقتها والمداومة عليها
والامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلاة الوسطى
اي المتوسطة بين الصلوات الخمس ثنتان يوميان وثنتان ليليان وهي صلاة العصر لما روي انه عم قال
يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا وانما افردت وعطفت على
الصلوات لانفرادها بالفضيل لكونها اشق لاشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم وقيل معنى الوسطى الفضلى
من قولهم للافضل الاوسط وقرئ والصلاة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقوموا لله
في الصلوة قانتين ذاكرين له تعالى في قيامكم والقنوت الذكر في القيام وقال زيد بن ارقم كنا على عهد
النبي عم يكلم احدنا صاحبه في الصلاة بحاجته حتى نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين اي ساكتين فان خفتم
من عدو او غيره فرجالا اي فحافظوا عليها في حال الخوف ايضا ولا تؤخروها وصلوا رجالا وهو

جمع راجل وهو القائم على الرجل ورجل بمعناه ويجوز ان يراد انها بالجماعة او ركبانا جمع راكب ولهم
ان يصلوها وحدانا بالايماء ويسقط عنهم التوجه الى القبلة ولا يجوز ان يصلوها جماعة عندنا ولا في حال
المشي والمسابقة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال اخذا بما في هذه الاية من الاطلاق فاذا
امنتم اي زال خوفكم فاذكروا الله فصلوا صلوة الامن والذكر اسم للصلوة كما علمكم اي صلوا طايفة واحدة
من غير انصراف في حالة الخوف يصلون طايفتين وينصرف كل طايفة الى العدو وعند تمام ركعة على ما يأتي في
بيانه في سورة النسا باذن الله تعالى ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا مر تفسيره وصية لازواجهم قرئ وصية بالنصب على تقدير حق الذين يتوفون عن
ازواجهن ان يوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيده قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع
على تقدير وصية الذين يتوفون او حكم الذين يتوفون وصية او والذين يتوفون منكم اهل وصية او
كتب عليهم وصية متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأ
متاع لازواجهم لانه بمعنى التمتيع غير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من
متاعا او حال من الازواج او غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان
يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركتهم ولا يخرجن من مساكنهن
وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا ونسخت النفقة بالارث الذي
هو الربع او الثمن والناسخة وان كانت متقدمة في التلاوة لكنها متاخرة في النزول والسكنى لها بعد
ثابتة عند الشافعي خلافا للحنفية فان خرجن من البيت من غير اخراج الورثة او من العدة بانقضاء الحول
فلا جناح عليكم ايها الايمة فيما فعلن في انفسهن من معروف من التزين لطلب الزوج على وفق الشرع وهذه
الاية متقدمة في النزول وان تاخرت في الترتيب ولهذا جا المعروف منكرا هنا ومعرفا فيما سبق وفيها
دلالة على انها لا يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه بل هي مخيرة بينها واخذ النفقة وبين الخروج
وتركها وهذا من تمام ما كان في بدو الاسلام والله عزيز اي منتقم ممن عصاه حكيم مصيب فيما حكم وللمطلقات
عصاه
متاع بالمعروف حقا على المتقين عمم المطلقات باستحباب المتعة لهن بعدما خص واحدة منهن به وهي غير
المدخول بها كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم اياته وعد بانه تعالى يبين لعباده
ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا من الاحكام ودلايلها لعلكم تعقلون لتعقلوا اي لتستعملوا عقولكم في
فهمها والتفكر فيها للاستنباط غير المنصوص من المنصوص الم تر كلمة تجري مجرى المثل في التعجيب والخطاب
لمن لم ير ولم يسمع ما بعدها وهي تقدير لمن سمع بالقصة من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شانهم
والخطاب لكل احد الى الذين خرجوا من ديارهم روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم
الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله تعالى ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله تعالى وقضائه وقيل

هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف
كثيرة واختلف في عددها بما لا يجدي وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة بان الموت اذا لم يندفع
بشيء ولم يكن منه بد فاولى ان يكون في سبيل الله والدليل عليه الامر بالقتال بعده وهم الوف الواو للحال حذر الموت
مفعول له فقال لهم الله موتوا اي اماتهم الله تعالى بالامر التكويني دفعة واحدة على خلاف العادة ثم احياهم
او اماتهم موت عقوبة او تنبيه لا موت انقضاء الاجل ثم اعادهم احياء ليستوفوا بقية اعمارهم ان الله لذو
فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون من اقتصاص خبرهم كما بصر اولئك بالاماتة
ليعتبروا والاحيا او حيث احياهم ليعتبروا بحالهم ويتيقنوا بالبعث ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي
ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وكان مقتضى الظاهر الاضمار وانما اعيد اسم الظاهر لما فيه من الايماء
بسبب الغفلة عن النعمة وقاتلوا في سبيل الله عطف في المعنى على الم تر لانه في معنى انظروا وتفكروا وقيل لما بين
ان الفرار عن الموت غير نافع ولا ان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر
والثواب ويرد عليه انه تعالى نهى عن القاء النفس بالتهلكة ولو لم يكن في الاخر اذ نفع لما نهى عنه واعلموا ان الله سميع
ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرون فيجازيهم بحسبه من ذا الذي يقرض الله من استفهامية
مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدل له واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل الذي يطلب
به ثوابه قرضا حسنا اقراضا حسنا بخلوص النية وطيب النفس بلا من ولا اذى او مقروضا حسنا بكونه
حلالا طيبا وقيل المراد من القرض الانفاق في سبيل الله تعالى ويؤيده انها نزلت في ابي الدحداح حين تصدق
بحديقة له فيضاعفه فيضاعف جزاءه له اخرج على صورة المقابلة المغالبة للمبالغة وقرئ بالنصب
على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرئ فيضعفه
بالرفع وبالنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني على تضمين يضاعف
معنى يصير او المصدر على ان الضعف اسم للمصدر وجمعه للتنويع كثيرة لا يقدرها الا الله تعالى والله يقبض
للشخص في حاله ويبسط لاخر او يقبض ويبسط في اخرى حسبما اقتضته حكمته يقبض اذا قبض حتى اطاقه ويبسط
اذا بسط حتى لا فاقة اي لا تخافوا الاقلال بالانفاق ولا تظنوا بقاء السعة بالامساك فان الله تعالى هو الموسع
والمضيق لا الامساك ولا الانفاق سهل بهذا عليهم الاقراض واليه ترجعون وفيه تنبيه على ان الغني يفارق
ماله بالموت فيبادر الفوت الم تر الى الملا من بني اسرائيل الملأ الجماعة الاشراف يجتمعون للتشاور وقيل
لمومن الملاة التي هي المشاورة فهم قوم لا حاجة الى الزيادة عليهم فيما اجتمعوا له لعظم تهم عليه لا واحد له
كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي بعد وفاته وهو من للابتداء اذ قالوا لنبي لهم اختلفوا فيه والاكثر الاظهر
والاشهر
انه اشمويل من نسل هارون عم ابعث لنا ملكا انهض لنا اميرا نقاتل في سبيل الله نقاتل بالنون والجزم
جواب للامر وقرئ بالرفع حالا اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استينافا كانه قيل كيف تصنعون

نقاتل في سبيل الله وقرئ بالياء والجزم جوابا وبالرفع صفة لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال
ان لا تقاتلوا معنى الاستفهام في هل التقرير وتثبيت ان المتوقع كاين وانه صايب في ظنه وتوقعه كما في قو
له هل اتى على الانسان وخبر عسيتم الا تقاتلوا والشرط اعتراض بينهما وجوابه محذوف دل عليه
بقوله عسيتم ان لا تقاتلوا اى اتوقع منكم الجبن عن القتال ادخل هل للتقرير لسابق ذكره قالوا وما لنا
ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا اى داع لنا الى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه من الاخراج
عن الديار وابنائنا اى منفردين عنهم على تضمين الاخراج معنى الانفراد والديار ابلغ من الاوطان لما في الاخراج
منها من الدلالة على استيلاء العدو على املاكهم واما ذكر الابناء دون الاولاد المنتظمة للبنات فلعدم والديار
استيناس العرب بهن فلا يشق الانفراد عنهن بل لهم يانفون عن انتسابهن اليهم فلا يرضون لاظهار التعلق
بهن ومن لم يتنبه لما ذكر اورد في تفسيره الاوطان بدل الديار والاولاد بدل الابناء ولم يدر ما فيه من سوء
الادب بجنابه اوهم فضل البدل على المبدل لكن احسن من اسقطه وليس للكلام المعجز بديل هم بسبب اختلاف بد
لا بد من التنبيه له ايضا وهو انهم عللوا القتال بما يرجع الى حظوظهم فخذلوا ولو انهم اكتفوا لا نقاتل وقد
عصوا الله وخربوا بلاده وقهروا عباده لوفقوا روى ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون
ساحل البحر بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم فلما
كتب عليهم القتال تولوا لما قالوا ذلك دعا نبيهم الله تعالى وسال لهم ملكا فاجابه الله تعالى الى ذلك وبعث لهم
طالوت ملكا وفرض عليهم القتال وكان فيهم طايفة لهم الذي دعاهم الى ذلك فتابعوه وكانوا يرجون ان
يملك عليهم فلما ملك الله تعالى غيره نكصوا على اعقابهم وكرهوا فالفا في قوله فلما كتب عليهم القتال فصيحة
والقول الذي ذكره مقدم وقوعا وان كان موخرا ذكرا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل
بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم وتسجيل عليهم بالظلم في القعود عن القتال ولذلك وضع الظاهر موضع المضمر
وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث صرح بنسبة البعث الى الله تعالى تعظيما لشان المبعوث ودفعا للذهاب لوهم
الى ان يكون بتعيينه عن ميل ونسبة اليه طالوت علم اعجمي كجالوت ولذا امتنع عن الصرف للعلمية والعجمة وقيل انه
من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم وامتناعه عن الصرف يأباه عن ذلك الا ان يقال الاسم عبراني وافق
عربيا كما وافق حنطا حنطة وبسم الاها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو على هذا فعلوت من الطول
اصله طولوت كما لو كان عربيا ملكا روي ان نبيهم دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكا فاتى بعصا يقاس
بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا انى بمعنى كيف كما في قوله انى يؤفكون
استبعدوا تملكه عليهم وقالوا ونحن احق بالملك منه واو الحال وفي ولم يؤت سعة من المال عاطفة
فانتظمت الجملتان في حكم الحال اى والحال انا احق بالملك منه وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له حتى يتشرف
به اذ فاته نسب الملوك وانما قالوا ذلك لان الملك كان في اولاد يهوذا وكان فيهم من سبطه خلق كثير اغنياء

وطالوت كان فقيرا من سبط ابن يامين ولم يكن فيهم الملك ولا النبوة فانهما كانت في اولاد لاوي ذكروا البعد عن
استحقاق الملك عليهم وجهين احدهما الخارج والاخر في نفسه وقدموا ما في الخارج اخذا بطريقة الترقي قال
ان الله اصطفاه عليكم اصل الاصطفاء اخذ صفوة الشيء والفاء ما سواه اى انه لم يكن له اصل ولا نسب فله فضيلة
ذاتية على ما نبه عليه بقوله وزاده بسطة في العلم قدمه لكونه اقدم في الاعتبار والجسم طولا وعرضا
لما انكروا تملكه عليهم اجابهم بالجملة التاكيدية المصدرة بان وقدم المسند اليه وهو الله على الفعل
للتخصيص وتاكيد النسبة اى ان الله تعالى هو الذي اصطفاه عليكم دون غيره وهو اعلم بمصالح الحكم منكم ولا اعتراض
على حكمه ثم ذكر خصلتين كالبرهان وبيان حكمته في اختياره بما اقوى في باب الملك واولى بالتجائه من النسب والمال
وهما العلم والجسامة ليتمكن من معرفة امور السياسة ويكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو
ومكابدة الحروب اطلق العلم ووصفه بالبسطة فيه وفي الجسم ليندرج تحته العلم الذي طلبوه لاجله وهو
المعرفة بامر الحرب والله يؤتي ملكه من يشاء قدم المسند اليه لافادة الاختصاص اى الملك له خاصة غير منازع
فيه فهو يؤتي ملكه من يشاء دون غيره بسبب يستقل احد لذلك والله واسع اى واسع الفضل والعطا يوسع
على من ليس له سعة من المال ويغنيه من الفقر عليم بمن يصطفيه لتملكه وان لم يكن من نسل الملوك فقوله واسع رد لقولهم
ولم يؤت سعة من المال كما ان قوله ان الله اصطفاه رد لقولهم ونحن احق منه بالملك يعني انه مصطفى مثل من ينسبون
اليه ليس المالك كالمستعير وقوله عليم تكميل حسن يدل على ان اصطفاءه وايتاءه عن علم وحكمة لا عن جهل وسفه
وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت التابوت
صندوق التورية فعلوت من التوب بمعنى الرجوع لانه ظرف يوضع فيه الاشيا فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه
وليس بفاعول لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يترك المعروف اليه ومن قراه بالهاء فلعله ابدله
منه كما ابدله من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة فيه سكينة ما به تسكنون اليه من ربكم اي من فضله
والضمير للتابوت لا للاتيان لقوله وبقية فانها تاتي عنه والبقية مثل في الجودة والفضل يقال فلان من
بقية القوم اى من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا وذلك لان الرجل يستبقي مما يخرجه
اجوده وافضله مما ترك ال موسى وال هارون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هارون وال الرجل
مقحم لتفخيم شانهما كما في قوله عم يا ابا موسى لقد اوتيت مزمارا من مزامير ال داود تحمله الملائكة حال من التابوت
قيل رفعه الله تعالى بعد موسى عم فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه ان في ذلك اي في اتيان التابوت والملائكة
تحمله لاية عظيمة لكم ان كنتم مؤمنين من تمام كلام النبي عم او لان المقام لا يحتمل الخطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود
قيل هنا جمل محذوفة اى فجاءهم التابوت فاقروا لطالوت بالملك وتاهبوا للخروج فالفاء فصيحة والباء في
في بالجنود للملابسة اي ملتبسا بالجنود سواء كان فصل لازما بمعنى انفصل عن بلده او متعديا بمعنى فصل
نفسه عنه فان الفصل في المتعدي والفصول في اللازم لو كان مثل وقفه وقفا ووقف وقوفا والجنود

جمع الكثرة الجند والاجناد جمع القلة له والجند الجيش الجند الاشد مأخوذ من الجند وهو الارض الغليظة
الشديدة روي انهم لما فارقوا بلدهم سلكوا مفازة وكان الوقت قيظا فسألوا ان يجري الله نهرا
قال طالوت ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة مختبر بما اقترحتموه كان في جند طالوت المخلص
والمنافق فجمع بينهما بالماء كالذهب والفضة فيهما الخبث فيميز الخالص من غيره بالنار والنهر بفتح
الهاء وتسكينها المجرى الواسع للماء وكل ثلاثي حشوه حرف حلق فتسكينه وفتحه لغة كالشعر والنحر
والذي لم يشرب منه فليس مني فليس بمتصل بي ولا متحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لا اختلاطهما
واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه فانه مني الطعم الذوق ويقع على
الاكل والشرب الا من اغترف غرفة بيده الغرف اخذ الماء باليد كالكف والغرفة بالفتح المرة من هذا
الفعل والغرفة بالضم قدر ما يغرف بالكف من الماء واصل الغرف القطع ومنه الغرفة التي هي العلية
قطعة من البناء استثنى من الشرب الممنوع هذا النوع وانما قدمت عليه الجملة الثانية لان مدلولها مفهوم
منه بطريق الدلالة وانما ذكرت تتميما للجملة الاولى بما فيها من التي عجب الى انتهائها بالنهي المذكور
فحقها ان تذكر عقيبها قبل الاستثناء المزبور وطالوت ان نبيا فله ان يوقف ذلك بالوحي والا فبالالهام او
بالخبار من النبي عم فشربوا منه اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بواسطة وتعميم الاول ليتصل
الاستثناء وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء وبالرفع على انه تابع للمرفوع قبله لان الكلام اذا كان
موجبا جاز فيما بعد الا النصب وهو الافصح والاتباع لما قبله ان رفعا فرفع او نصبا فنصب او جرا
فجر وليس هذا من مواضع الميل الى المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا والقليل على ما قيل كانوا ثلثمائة
وثلاثة عشر رجلا فلما جاوزه هو اي قطع طالوت النهر والذين امنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه
وفي التعبير عنهم بما ذكر دلالة على ان المخالفين لم يكونوا مخلصين في دعوى الايمان وانما زاد قوله معه لافادة
معنى المتابعة اياه والموافقة له ولما افترقوا فرقتين قال كل فرقة ما يليق بشانه وعدم العطف
القولين لعدم جمعهما مقام واحد ومساق كلام واحد قالوا اي الذين تخلفوا على ما نص عليه ابن عباس
ثم كانهم قالوا ما قالوا اعتذارا في التخلف وتخذيلا للمقدمين على القتال لا طاقة لنا اليوم بجالوت
اي بقتال جالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم وفي عبارة الجنود دلالة على هذا على ما بيناه فيما سبق
قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله الظن على حقيقته ومعنى ملاقوا الله انهم يستشهدون في ذلك
اليوم لعزمهم على صدق وصدقهم في عزمه او بمعنى الايقان اي يوقنون بالبعث ان معنى ملاقوا
الله انهم راجعون اليه مجزيون باعمالهم يومئذ وعلى هذا المعنى من الملاقاة يجوز ان يكون الظن
على اصله ويكون القصد الى انه يكفي في هذا العمل فكيف باليقين كم من فئة قليلة كم كلمة تكثير ومن
مبينة او مزيدة للتاكيد والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اي شققته او من فاء اذا رجع

غلبت فئة كثيرة كم مبتدأ وخبره غلبت باذن الله بتيسيره وهذا تحريض على القتال واستشعار
بالنصر والله مع الصابرين بالنصر والاثابة تحريض على الصبر في القتال ولما برزوا لطالوت وجنوده
المبارزة في الحرب ان يظهر المحارب لقرنه بحيث يراه قالوا ربنا افرغ علينا صبرا الافراغ صب السيال
استعير للكثرة لا للاكثار وثبت اقدامنا اي في المعركة لئلا نزل وانصرنا على القوم الكافرين
اي اعنا عليهم وامنعهم منا التجاوا الى الله تعالى بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر
في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو
والمرتب عليهما غالبا ثم اشاروا بتوصيف القوم بالكافرين الى انهم يطلبون النصر للانتقام منهم
بفعلهم بهم بل لانهم كفار واعداء له تعالى فهزموهم الفاء فصيحة وقبله مضمر اي فاستجاب الله دعاءهم
ونصرهم والهزيمة دفع الشيء بقوة يدخل بعضه في بعض والمهزام خشبة يحرك بها الجمر ودفع
بعضه على بعض باذن الله بعونه وتيسيره وقتل داود جالوت لم يبين الله تعالى كيفية القتل الا انه اشار
في سياقه الى انه كان بسهولة واتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود عم على
ملك والحكمة النبوة اذ بها وضع الامور مواضعها فانه اه ملك طالوت ونبوة نبيهم وجمع له كليهما وكان
قبله الملك في سبط والنبوة في سبط وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير
ذلك ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ولولا ان الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويمنع فسادهم بذلك
لفسدت الارض لعم فسادهم الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولكن الله يبسط الفضل على العالمين
بنصر المصلحين على المفسدين تلك ايات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان
التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود عليه السلام جالوت نتلوها عليك بالحق بالصدق واليقين الذي
لا ريب فيه لاهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير قراءة كتاب ولا سماع
اخبار تلك الرسل اي المذكورة في السورة كلها او المعلومة لك بالوحي فضلنا بعضهم على بعض بحسب
درجاتهم في الزلفى وتفاوت مراتبهم في الاصطفاء منهم من كلم الله تفصيل للتفضيل اي خاطب الله تعالى بكلامه
الازلي بلا واسطة وهو موسى عم لقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره
من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد عم المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤت احد من الانبياء
تفخيم لشأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وتنكير درجات لتعظيم
شأنه واتينا عيسى ابن مريم البينات خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه
وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها ايات ظاهرة وبينات باهرة لم يستجمعها غيره وايدناه بروح
القدس قد مر تفسيره ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم اي من بعد هؤلاء الرسل من بعد
ما جاءتهم البينات اي المعجزات الواضحات لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتضليل بعضهم

بعضا ولكن اختلفوا اي بما شاء مما اقتضاه حكمته فمنهم من امن لالتزامه دين الانبياء عم بتوفيقه ومنهم
من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر للتاكيد لكون الامور بمشية الله تع ولكن الله
يفعل ما يريد من تخصيص بعضهم بالسعادة والايمان وبعضهم بالشقاوة والكفر فان قلت الاستدراك
بعد استعمال كلمة لو على قاعدة العربية ان يذكر انتفا الشرط ليثبت انتفا الجزا اي لكن لم يشا عدم
الاقتتال فاقتتلوا وعلى قاعدة الاستدلال ان يذكر انتفا الجزا ليعلم انتفا الشرط اي لكنهم اقتتلوا
فعلم انه لم يشا عدم الاقتتال فما وجه قوله ولكن يفعل ما يريد قلت معناه لكنه لم يشا عدم الاقتتال
بل ثبوته فثبت لانه يثبت ما يريد ايا ما كان وقيل يوفق من يشا فضلا ويخذل من يشا عدلا ويرد
عليه ح يكون الخذلان عن باعث فيتقيد ارادته المتعلقة به ويابا التعميم المستفاد مما ذكر والاية
دليل على ان الانبياء عم ولو كانوا اولى العزم من المرسلين متفاوتة الاقدار واما انه يجوز تفضيل بعضهم
على بعض على التعيين فلا دلالة للتعليق في الاية نعم يجوز ذلك اذا وجد دليل قاطع لانه مما يتعلق بالاعتقاد
دون العمل حتى يكتفى فيه بالظن وان ما تعلق به ارادة الله تع فعله كان او تركا خيرا كان او شرا يقع واما
ان كل ما يقع انما يقع بارادته تع فلا دلالة للتعليق فيها انما علم ذلك من موضع اخر يا ايها الذين امنوا انفقوا
مما رزقناكم اراد به الواجب من الزكوة لظاهر الامر وايضا للوعيد به من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا كسب
لانه يوم جزا لا يوم عمل وعبر عن كل المكاسب بجلها ولا خلة لان الاخلا بعضهم لبعض يومئذ عدو الا ان
قلت اليس زمرة المتقين مستثناة منهم قلت بلى ولكن الوعيد في حق من ترك الانفاق الواجب فالاستثنا
المذكور لا يجديه ولا شفاعة يعني ان تدارك ما فاتكم من الانفاق اما بالاداء بعد الحصول بطريق المعاملة
او المجاملة واما بالابراء ولا سبيل الى شي من ذلك اذ لا كسب ولا خلة ولا شفاعة خصوصا في اسقاط
حقوق العباد واما ان الشفاعة فلا تكون الا في زيادة الفضل فطريقة الاعتزال موضع بيانه وما خذ
عنا نه علم الكلام وانما رفعت ثلثتها مع قصد التعميم لان في التقدير جوابا بهل فيه بيع او خلة
او شفاعة وقد فتحها من فتحها على الاصل والكافرون اي التاركون للزكوة وانما عبر عنهم بالكافرين
تغليظا عليهم وزجرا لهم كما في اخر اية الحج حيث شبه فعلهم الذي هو ترك الزكوة بالكفر او جعل مشا
على الكفر وتعبيرا باللازم عن الملزوم حيث جعل ترك الزكوة في موضع اخر من صفات الكفار ولوازمهم
فهو على الاول استعارة تبعية او مجاز مشارفة وعلى الثاني كناية او مجاز للزومهم هم الظالمون هم
الذين ظلموا انفسهم بترك الانفاق الواجب وصرف المال على غير وجهه ووضعه في غير موضعه الله لا اله
الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وقيل خبره الحي القيوم ولا اله الا هو معترض
بينهما والمراد من الحيوة في حقه تع البقا الذي لا سبيل اليه للفنا مجازا وذلك ان الحيوة بحسب اللغة
عبارة عن قوة مزاجية تقتضي الحس والحركة لا صحة لها في حقه تع فلا بد من المصير الى المعنى المجازي

المناسب له ولو ابقيا وانما وصف اه بما ذكر لانه مستند الى ذاته تع فلا يمكن زواله واما الذي ذكره المتكلمون
بقولهم الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر فمعناه الاصطلاحي الحادث فلا يساغ حمل ما في الكلام القديم عليه حيث
لا يعرفها اهل اللسان وقت نزول القران وقد صرح صاحب الكشاف في مثل هذا في تفسير قوله تع يجعلون اصابعهم في اذانهم
وجوزه هنا والقيوم القايم بذاته المقوم لغيره وقيل الدايم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام
بالامر اذا حفظه لا تاخذه اي لا تاخذه النعاس ومنه اخذ الشارب قصه وقطع شي من شعره سنة السنة ثقلة
من النعاس وفتور يعتري المزاج قبل النوم وليست بداخلة في حد النوم على ما دل عليه قول عدي بن الرقاع وسنان
اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنايم ولا دلالة فيه على ان السنة هي النعاس كما توهم ولا نوم
النوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس
الظاهرة عن الاحساس راسا اي لا يعتريه ما يعتري المخلوقين من الغفلة والملال والفتور في حفظها
قايم بحفظه ولا يعرض له عوارض التعب المحوجة الى الاستراحة فيستريح بالنوم والسنة فالجملة بيان
للقيوم بانه مهيمن على من يقوم به غير غافل عنه او تاكيد لكونه حيا فان من اخذه سنة او نوم كان موف
الحيوة ولذلك ترك العاطف فيه وتقديم السنة على النوم على قياس المبالغة والترقي فان سلب السنة
وان كان ابلغ من سلب النوم لكن سلب اخذها ليس بابلغ من سلب اخذه لما فيه من القوة فمن نقله على دفعه الى وهم ان قياس
المبالغة عكسه تقدم وهم حينئذ يفرق بين سلبهما وسلب اخذهما وايضا السنة من طلايع النوم ومقتضيات
سببه السابقة عليه فنفي النوم بعد نفيها باعتبار انه يستلزم نفي سببه يكون ابلغ واما نفي التشبيه
فقد حصل بالحي القيوم على المعنى المراد منهما له ما في السموات وما في الارض بيان وتقرير لنفي السنة
والنوم لان الذي يملكهما وما فيهما يحفظهما وما فيهما بتدبيره فلا يمكن ان ينام والا لزم التداعي عن النظام
ولهذا ترتب على ما قبله من غير حرف عطف ولو كان تقريرا للقيومية كما قيل لاحتيج مع ما قبله في هذه
الجهة فكان حقه ان يترتب عليه بحرف عطف والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا
عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات والارض وما فيهن ولما ذكر ما يكتنفه للكل بين ذلك
بقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اي بلغ من مالكيته وكبريائه ان لا يتمالك احد ان يتكلم يوم
القيمة الا من اذن له لقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ثم بين ذلك بقوله يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم اي ما كان قبلهم وما يكون بعدهم فكيف يخاطبه من احاط علمه باحوال الخلق كلها بعلم المستوجب
للشفاعة وغيره والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلا او لما دل عليه من ذا من الانبياء
والملايكة عم ولا يحيطون بشي من علمه اي معلومه فان اسم المصدر يقع على المفعول يقال في الدعا
اللهم اغفر علمك فينا اي معلومك وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بعلم من يستحق
الشفاعة وغيره وانما فصل المعطوف عليه عما قبله لما اشرنا اليه من انه مبين لما قبله واما على

ما قيل ان مجموعها يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته فلا يظهر وجه الفصل
المذكور كما لا يخفى الا بما ثبت ان يعلم بدمن المعلومات وسع كرسيه السموات والارض بيان لشمول علمه
واحاطته وسعته وبسطته وانه لا يعزب عنه من السموات والارض على سبيل التمثيل والتخييل وتصوير الامر
المعنوي بالصورة الحسية فلا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين فيقال تصوير لعظمته وتمثيل وعلى هذا لا يظهر
وجه الفصل عما قبله وعلى ما ذكرنا قد ترتبت الجمل الخمس متآخية متعانقة كل منها يبين ما تقدم ثبت
عليها مقررة لمعناها فلا سبيل للعاطف بينها لكمال الاتصال بين معانيها وعن الحسن الكرسي هو العرش وقيل
الله تعالى خلق كرسيا بين يدي عرشه دون السموات والارض وهو بالنسبة الى العرش كاصغر شيء وعرش الخلق
للجلوس عليه والكرسي لوضع القدمين عليه وتعالى الله علوا كبيرا كما ان بيت الخلق للسكنى والله تعالى جعل الكعبة
بيته وتعالى ان يسكنها وانما المراد بيانه ان ما في السموات والارض لا يغيب عنه كما لا يغيب عن جلس على السرير
ما تحت قدميه واصل الكرسي في اللغة هو التراكيب والكراسة سميت بها لتراكيب بعض اوراقها على بعض
والكرسي لبعر والبول اذا تلبد بعضه على بعض ولا يؤوده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات
والارض وانما ثني مع ان السموات جمع ردا الى الجنس والاود الاعوجاج الذي يعرض من الاعتماد عليه
بالثقل وهو العلي العظيم اسمان جامعان لكمال التوحيد فالعلي هو المتعالي عن الصفات التي لا تليق به والعظيم
هو الموصوف بكل الصفات التي تليق به قيل تذاكر الصحابة رض افضل ما في القرآن فقال لهم علي رض اين انتم
عن اية الكرسي ثم قال قال رسول الله صلعم يا علي سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان
وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن
وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وفيه نظر لان قوله وسيد البشر ادم وسيد العرب محمد يفصح عن
تفضيل ادم على محمد عم وهو خلاف ما انعقد عليه الاجماع وما ورد في الحديث الصحيح من قوله عم انا اكرم
الاولين والاخرين على الله ولا فخر ويمكن ان يقال ان ادم عم سيد البشر في الدنيا ومحمد عم سيد البشر
في الاخرة على ما افصح عنه بقوله انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر
وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي اخرجه صاحب المصابيح عن ابي سعيد الخدري رض ولا
خفاء في ان السيادة في الاخرة راجحة على السيادة في الدنيا فالفضل لنبينا عليه وعلى سائر الانبياء
عم وانما فضلت اية الكرسي لاشتمالها على توحيد الله تعالى وصفاته كما فضلت سورة الاخلاص
لافصاحها عن التوحيد الذاتي وان شرف العلم بشرف المعلوم والموضوع ولا معلوم اجل واعلى من الله تعالى
ولا مذكور اعظم ولا اكمل منه فلا ذكر اشرف ولا افضل منه لا اكراه في الدين اي لا الزام على الدين الحق
وهو الاسلام بما يضطره الى قبوله اذ الاكراه في الحقيقة انما يكون بحمل الغير على ما لا يرى فيه خيرا

قوله

فعله كان او تركا قد تبين الرشد من الغي استئناف تعليلي فلا وجه لتقديره ولكن اي تميز الايمان من
الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلايل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر
غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز
بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام
منسوخ بقوله تعالى جاهدوا الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لانهم حصنوا انفسهم
واموالهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلعم ثم قدما
المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلعم فقال
الانصاري ايدخل بعضي النار وانا انظر اليه فنزلت فخلاهما والغي ضد الرشد تقول غوى يغوى
غيا وغواية اذا سلك خلاف طريق الرشد فمن يكفر بالطاغوت بكل معبود سوى الله تعالى ولا يلزم
اطلاق الطاغوت على عزير وعيسى والملائكة عليهم السلام لان عبادهم ما عبدوهم في الحقيقة بل
عبدوا الشيطان على ما ياتي تفصيله في تفسير قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وبهذا
التفصيل اتضح فساد ما قيل والطاغوت كل ما عبد من دون الله مما هو مذموم في نفسه ولا يرد عليه عيسى
عم لانا قيدنا بالذم لعدم الحاجة الى زيادة القيد المذكور بل لا وجه له كما لا يخفى وتبين الخلل فيما قيل انه
الشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله والطاغوت من الطغيان وهو مجاوزة
الحد في الشر واصله طغووت وهو مقلوب من طغووت على وزن فعلوت فلبث ثم جعلت الواو الفا لتحرك
ما قبلها ويؤمن بالله عدي فعل الايمان بالباء والمقصود التصديق وهو متعد بنفسه لانه نقيض الكفر المتعدي
بالباء ومن دابهم حمل النقيض على النقيض فقد استمسك اي تمسك عن قصد وطلب والفعل الاختياري اذا كان
مسبوقا بذلك يكون حصوله على اوكد وجه ولهذا يؤثر هذه الصيغة في مقام المبالغة ومن لم يتنبه لهذا
قال في تفسيره طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى بما هو اوثق من التمسكات المحكمة المامون انفصامها
والظاهر ان الاستمساك بالعروة الوثقى كالاعتصام بالحبل المتين مثل في كل اعتقاد مطابق لا يحتمل
النقيض فهو تشبيه للمعقول المعلوم بالبرهان بالمحسوس المشاهد ولا مجاز ولا استعارة في مفرداتها
والقول بالاستعارة في العروة تنزيل للكلام عن الدرجة العليا الى الدرجة العالية كما لا يخفى على من له كعب
عال في صنعة البلاغة لا انفصام لها العصم بالفاء القطع بلا ابانة والقصم بالقاف القطع مع الابانة
ونفي الاول ابلغ من نفي الثاني كما ان اثبات الثاني ابلغ من اثبات الاول فافهم والله سميع بالاقوال عليم بالعزائم
والعقائد وهو ابلغ وعد ووعيد في عامة الناس ويندرج تحتهما التهديد في حق المنافق الله ولي الذين
امنوا ناصرهم ومتولي امورهم يخرجهم بالتوفيق والتاييد من الظلمات من ظلمات الشبه والشكوك والضلال
الى النور الى نور اليقين والمعرفة والهداية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت الشياطين يخرجونهم ۵

بالاهوا والوسوسة من النور الى الظلمات من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبه اوليا الذين ارادوا
الايمان يخرجهم بالهدايته والتوفيق من ظلمات الكفر الى نور الايمان والذين ارادوا الكفر تخليهم مع شياطينهم
الذين يوالونهم يخرجونهم من نور البينات والدلايل الواضحة الى ظلمات الكفر والشبه جمع الظلمات ووحد
النور لان الباطل متعدد والحق واحد اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير وفيه دلالة على
ما في مقابلة من الوعد والتبشير ولهذا اكتفى به عنه ولنا لم يعكس مما فطن على الفاصلة الم تر الى الذي
حاج ابراهيم في ربه يجوز ان يعود الضمير على ابراهيم عم الا ان الراجح ان يعود على الذي حاج لان تعجب من محاجة نمرود
مساق الكلام فيه على وجه التعجب عن حاله يقتضي ذلك ان اتاه الله الملك مفعول له اي لان اتاه الملك
يعني ابطرته النعمة وحمله الملك على العتو والكفر فحاج لذلك ووضع المحاجة مكان ما وجب عليه من الشكر
نعكس لامر والتعجب على هذا الوجه اقوى او ظرف اي وقت ان اتاه الله الملك وهو حجة على منع ايتاء الله الملك
الكافر من المعتزلة والجواب بان المراد ايتاء الاسباب لا يسلم كما لا يخفى على ذوي الالباب وكذا ما قيل
ملكه امتحانا ولاما قبيح الا وعكن ان يكون فيه غرض صحيح مثل الامتحان اذ قال ابراهيم نصب على الظرف
لحاج على الاول او بدل من ان اتاه الله على الثاني ربي الذي يحيي ويميت اي يحيي الاموات ويميت الاحيا قال
انا احيي واميت اي اعفو عن القتل واقتل فاعرض ابراهيم عم عنه وان كان تيسر عليه ان يقول له ليس
هذا احياو لا اماتة لكن كان هذا عند ملاء من الناس وفيهم الضعفة فاراد ابراهيم عم ان يفضحه
فضيحة ظاهرة فلا تخفى على احد فجا بما لا يمكنه المعارضة بالتلبيس وهذا التفصيل اندفع ما قيل ما كان ينبغي
للنبي ان ينتقل بل كان عليه ازاحة الشبهة دفعا لوهم الافهام وا لجواب ان ذلك انما يكون اذا كانت للشبهة
قوة والتباس على السامعين واما في الشبهة الواهية فيحسن الاعراض عنها وعدم الالتفات سيما مع المجادل
الاحمق على انه عم ما اعرض عن الاعتراض اعتراضا كليا بل تعرض له اجمالا اذ قال ابراهيم فان الله
ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب حيث اتى بالفا الفصيحة على كلام مقدر يناسب المقام كانه قال
لا يجديك هذا التلبيس في المادة المذكورة فان الله تع ينفرد بفعل لا مجال للتلبيس في معارضته فيرد لا مجال
له لان يقول ليس من فعل ربك ايضا كما انه ليس من فعلي لانه ليس من الدهرية بل معترف بالحاجة في العالم
الى الرب ولهذا يدعي الربوبية فبهت الذي كفر يقال فبهته اي حيره والبهتان على انسان هو الافترا
الذي يحير اي انقطع في هذا الالزام الظاهر متحيرا قيل كان انقطاعه في الالزام بين جميعا في الاول عند
العقلا وفي الثاني عند الكل فان قيل هلا قال نمرود لابراهيم عم فليات بها ربك من المغرب قلنا لانه
خاف انه لو سال ذلك يفعل الله لما راى منه بعض الخوارق فان هذه المحاجة كانت بعد خلاصه من
النار فعلم الملعون ان من قدر على ذلك تغلبه عليها الحرق الله تع وعز يجد جلاله لا يتنبهها من المغرب
تصديقا لقول خليله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع من قبول الهدى قيل

85

لا يهديهم محجة الاحتجاج وفيه انه يوهم ان يكون لنمرود طريق الى المعارضة في الثاني الا انه لم يهتد
اليه كما زعمه من قال ان الله انساه ذلك نصرة لنبيه او كالذي مر على قرية اصله او ارايت مثل الذي
مر فحذف لدلالة الم تر عليه لان كليتهما كلمة تعجب ويجوز ان يكون من الكلام المحمول على المعنى دون اللفظ
كانه قيل ارايت الذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية وانما زيد ههنا حرف التشبيه لانه سلك طريقة الترقي
في التعجب ولا يخفى ان قولك هل رايت مثل هذا ابلغ من قولك هل رايت هذا ومن لم يتنبه لهذا التزم زيادة
الكاف واما قصد التكثير بها فلا يناسب المقام انما المناسب لها ما ذكرناه والقرية هي مجتمع الناس
من قولك قريت الماء في الحوض اي جمعته والمراد ايليا بيت المقدس وكان بخت نصر البابلي خربها وهي خاوية
ساقطة يقال خوي البيت بكسر الواو ويخوى خوى مقصورا اذا سقط وخوى البيت بالفتح خواء
ممدودا اذا خلا فلا يجوز الجمع بينهما والاول متعين للارادة لقوله تع على عروشها سقوفها
واحدها عرش اي سقطت السقوف ثم وقعت الحيطان عليها كما هو الغالب في خراب البيوت قال قيل ظاهر
الخطاب الكلام ان المار القايل كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمرود في سلك واحد ولكلمة الاستبعاد
وانتظامه مع ابراهيم عم في مثل حال وهو طلب معرفة احياء الموتى يرجح انه كان مومنا وقوله انى يحيي
على هذا استعظام لقدرة المحيي واعتراف بالعجز عن معرفة طريق الاحياء ولهذا اشتهر انه كان عزير او قيل
الخضر اراد ان يعاين احيا الموتى ليزداد بصيرة كما اراد ابراهيم عم ويويد هذا ذكر الله واضافة الاحياء
اليه في قوله هذه الله بعد موتها فانه لو كان الغرض انكار البعث لكان حقه ان يقول انى يحيى هذه
الله بعد موتها وانى في محل النصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف والاشارة الى اهل القرية
قال القايل هذا القول ثم ربط حماره فنام فنزع الله تع الروح منه مائة سنة فالفا في قوله تع
فاماته الله سببية لا تعقيبية وحماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله تع العيون عن رويته
ماية عام اي فالبثه ميتا ماية عام او فلبث ميتا ماية عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت روي انه
ناداه مناد من السماء وقيل القايل هو الله تع وياباه الفصل فان حق النظم الوصل بالفاء او ثم قال
لبثت يوما او بعض يوم انما تردد لان نومه كان اول النهار وبعثه قبل المغرب ولم يدر انه ذلك
اليوم او ما بعده وحمل او على الاضراب تكلف مستغنى عنه قال المنادي بل لبثت مكثت ماية عام
فانظر الان يا الامر للتنبيه على خارق العادة وكان ذلك مبنيا على ما تقدم صدره باداة الترتيب والتفريع
الى طعامك كان طعامه عنبا او تينا وشرابك يعني العصير لم يتسنه لم يتغير مع انه في صدد الانحبار عن
الشيئين رد الضمير الى اقربهما ذكرا لانه اسرع تغيرا فاكتفى بذكره له عن ذكر حال الغير ينبو المعنى
لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والها اصلية ان قدم لام السنة ها وها السكت ان قدر
واوا وانظر الى حمارك الامر بالنظر الى الحمار ظاهر في انه بمرئى منه على هيئته الحمار غير متغير كالطعام

والشراب ولما كان بقاؤه حيا بلا مادة ولا علف ابعد واغرب اعاد فيه الامر بالنظر واخره على طريقة الترقي وقيل
واللام للحال او لا وفق لما بعده ان يكون المعنى كيف تفرقت عظامه ويرد عليه انه لا دلالة فيه على اللبث
مائة سنة فالى الزيادة في الدلالة وما بعده ذو الوجهين فلا ترجيح من تلك الجهة وفي نظم الامر بالنظر
الى الحمار مع الامر بالنظر الى الطعام والشراب دون الامر بالنظر الى العظام حيث فرق بينهما بقوله تعالى
ولنجعلك اية للناس اي فعلنا ذلك لنبين لك الحال ولنجعلك عبرة للناس ودلالة لهم على البعث اشارة ظاهرة
الى ان الحمار من جملة الباقين لما كان لم يمت مع صاحبه على ما نقل عن السدي وبه اخذ كثير من المفسرين وانما
قلنا ان الواو للعطف على المقدر لان المقام مقام الفصل للتباين بين الجملتين انشاء واخبارا ومن لم ينتبه له
قال وفعلنا ذلك لنجعلك اية فان قلت لا بد للحذف من قرينة قلت نعم وكفى قوله فلما تبين له قرينة له
روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله ه
فعرفوه بذلك وقالوا هذا ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخ فاذا حدثهم بحديث
قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الموتى الذين تعجبت من احيائهم كيف ننشزها
بالزاء المعجمة اي نرفعها من الارض ونردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض وقرئ بغير المعجمة
من الانشار وهو الاحياء واحياء العظم جعلها عماد الاحياء ولما كان اللحم فضلة لا تتوقف عليه بنية
الحيوة نبه عليه بكلمة التراخي في قوله ثم نكسوها نلبسها لحما وهو مجاز عن سترها به وانما وحد اللحم
مع جمع العظام لان العظام متفرقة متعددة صورة واللحم متصل متحد مشاهدة وكيف منصوب
بننشرها والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة كذا قيل والاوجه ان يكون في موضع البدل من
العظام والتقدير وانظر الى العظام كيفية انشازها على نمط قول الشاعر الى الله اشكو بالمدينة
حاجة وبالشام اخرى كيف يلتقيان اي اشكوهما بين الحاجتين كيفية التقائهما فلما تبين اي الحال على
ما دل عليه سياق المقال له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير من احياء الموتى وغيره وعلم من قوله اعلم دون
علمت انه تعجب دون منكر وقرئ اعلم على الامر والآمر مخاطبه واذ قال ابراهيم رب استعطاف بين يدي
السؤال ارني كيف تحيي الموتى كان موقنا به ايقان غيب فاحب ان يوقن به ايقان عيان قال اولم تؤمن
الواو للعطف على مقدر اي اتقول ذلك ولم تؤمن بانه قادر على احياء الموتى باعادة التركيب والحيوة قال
بلى امنت ولكن سالت ليطمئن قلبي ليزيد سكونا بانضمام الادلة ومضامة علم الضرورة علم الاستدلال فانه — بتظاهر
لا مجال للتشكيك في الضروريات بخلاف الاستدلال والطمانينة السكون والمطمئن من الارض ما انخفض منها
وحكمة خطاب الله تعالى اياه قطع اوهام الجهال بجوابه كيلا يظنوا به عدم شكاية فيه ولقد اجاد فيما افاد
من قال انما اراد انه عم سال عن كيفية الاحياء لا عن ابنيته وهي غير معلومة لا استدلالا ولا ضرورة
ثم العلم الاجمالي كاف فيما يجب ان يعتقد ويؤمن به في هذا الباب فعلم انه عم في الجواب ولكن ليطمئن قلبي اشارة

الى ان العلم التفصيلي اقوى وفيه خطوه خاصة للعارفين ان العبادة انما يدل عليها البرهان ومن هذا التقرير
يلوح تفاوت ما بين كلمتي الخليل وعزير عم قال فخذ اربعة من الطير قال في المغرب الطير اسم جمع مؤنث وقد يقال
للواحد عن قطرب وكذا حكاه ثعلب عن ابي عبيدة وجمعه طيور وعليه قول محمد في المحرم يذبح الطير المسرول
وانما خص الطير من بين سائر الحيوانات لان للطائر ما للسائر وله زيادة الطيران لانه اتى وما في والارضى
فكانت الاعجوبة في اجابته اكثر ولهذا قال العيسى عم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فصرهن اليك
اي املهن اليك واضممهن اليك لتتاملها وتعرف شانها لئلا يلتبس اليك بعد الاحياء وقرا ابن عباس رضي بضم من فصر من
بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره اذا جمعه ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق
اجزاءهن على الجبال وعبارة كل في مثل هذا للمبالغة كما في قوله تعالى واوتينا من كل شيء فلا حاجة الى تقييد
الجبال بالتي بحضرتك ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله تعالى يأتينك سعيا اسراعا في مشيهن على ارجلهن
او في طيرانهن والتجوز في سعيا عقلي للمبالغة كما في عدل في رجل عدل روي انه عم امر بان يذبحها وينتف
ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل كذلك فجعل
كل جزء الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه دلالة على من الضراعة في الدعاء
وحسن الادب في السؤال وعلى فضل ابراهيم على عزير عم حيث اراه في الحال على ايسر الوجوه ما اراد ان يراه
واراه عزيرا عم بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله على كل شيء عزيز لا يعجز عن شيء بل يتصرف في كل شيء بالقدرة
الغالبة حكيم ذو حكمة بالغة في افعاله فلا يصدر عنه خوارق العادات الا لما يقتضيه الحكمة البالغة
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله اي على وجه يتوسل به الى رضا به تعالى كمثل حبة اي مثل نفقة الذين
كمثل حبة او مثل الذين كمثل باذر حبة واعتبار حذف المضاف وتقديره في جانب المشبه والمشبه به
يحصل ملائمة المثل للممثل وان كان التشبيه من المركب الذي لا عبرة فيه بتشبيه المفردات انبتت
الانبات فعل الله تعالى وانما اسند الى الحبة مجازا لكونها من الاسباب سبع سنابل ابدا جمع الكثرة في موضع
تمييز السبع مكان جمع القلة وهو سنبلات فقد مر توجيهه في ثلاثة قروء في كل سنبلة مائة
حبة يعني يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا
يقتضي وقوعه على انه قد يكون في الذرة والدخن وغيرهما في الارض المغلة والله يضاعف تلك
المضاعفة لمن يشاء من المنفقين لا لكل منفق لتفاوت احوالهم ونياتهم في اعمالهم ومن اجل ذلك
تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم
بنية المنفق وقدر المنفق الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله نزلت في عثمان رضي الله عنه جهز جيش
العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي باربعة الاف درهم
صدقة ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى المن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى

ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه والتنكير في الموضعين للتقليل وثم للتراخي في المعطوف باعتبار الانتها وفايدتة
الدلالة على لزوم الاستمرار على عدم اتباعهم ما انفقوا بالمن والاذى في استحقاق الاجر المذكور ومن لم يتنبه لهذه
الدقيقة لا تنبعه قال انها للتفاوت بين المعطوفين لهم اجرهم قيل لعله لم يدخل الفا فيه وقد تضمن ما اسند
اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا ومبناه الغفلة عن الفرق بين
مطلق الثواب والذي يعطى اجرا فان الثاني لا يتصور بدون العمل عند ربهم اي مهيئا محفوظا لا يحتمل الضياع
ولا الم الانتظار لتحصيله وقت الحاجة ولا خوف عليهم من العذاب والتنكير للتقليل ولا هم يحزنون لنقصان
في الثواب قول معروف اي كلام جميل في رد من التمس منك صدقة ومغفرة اي تجاوز عنه اذا اسا السوال او ستر
عليه حاله فلا تعيره بفقره ولا تهتك ستره عند الناس سال اعرابي قوما بكلام فصيح فقال له قايل ممن
الرجل فقال اللهم غفرا سوال الاكتساب يمنع من الانتساب خير من صدقة يتبعها اذى خبر عن مجموع القول
الموصوف والمغفرة والتوصيف مما يصحح الابتدا بالنكرة والعطف على المخصص مخصص والله غني عن كل شي
من صدقة وغيرها وانما دعاكم اليها لينفعكم بها حليم لا يعاجلكم بالعقوبة على سوء صنيعكم في معاملتكم
مع الغير خصوصا مع الفقرا والسايلين وعيد شديد وسخط بليغ لما ورد في الحديث القديم نعوذ بالله
من غضب الحليم يايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم لا تحبطوا اجرها وتخصيص الخطاب بالمومنين لعدم
الاحتمال للابطال في صدقات غيرهم لانه فرع الاستحقاق للاجر وهو مفقود فيها بالمن والاذى
راي لا بناكونه ولا بهذا كالذي اي بما ثل الذي ينفق ماله ريا الناس تشبيه من جهة المعنى فانما تقدم في
معنى لا تضيعوا اموالكم بصدقات بالمن مشوبة وبالاذى مصحوبة وهذا في معنى كالذي ضيع ما له
بالانفاق ريا او المشبه به اقوى لانه ضيع ماله ابتدا فمن وهم ان فيه ابطالا فقد وهم او الريا مصدر
راي من الروية وهو ان يرى الناس ما يفعله من جنس البر حتى يثنوا عليه ويعظموه ويظنوا انه من اهل الخير
وممن ينفق لوجه الله تعالى وانتصب ريا على انه مفعول له او الحال بمعنى مرائيا او مصدر انفاقا ريا
ولا يومن بالله ولا باليوم الاخر اي لا يعتقد لا بالمبدا ولا بالمعاد فلا حاجة في زعمه الى الزاد فاقيد
بجميع تمام الغرض من التشبيه بما تقدم فانه لا ثواب للانفاق ريا وان كان المنفق مومنا تغليظا في
الزجر للمنفق المودي الماري ريا الى ان ذلك الحال لا يليق بمن يعتقد بالمعاد والاحتياج الى الزاد واما
تخصيص المراد من المشبه به بالمنافق فلا يقتضيه المقام ولا قرينة له في الكلام فمثله اي ماكان حال
المنفق ريا كذلك فمثله كمثل صفوان حجر املس عليه تراب تقديم الجار والمجرور لان بيان مدلوله اهم
فاصابه وابل اي مطر شديد الوقع كبير القطع فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شي
مما كسبوا استيناف كانه قيل ما بال المنفقين ريا مثلوا بالصفوان المذكور فقيل لا يقدرون اي لا ينتفعون
بشي منه وعلى هذا لا حاجة الى التاويل بان الذي ينفق في معنى الجمع او بان من كالذي بتعا قبا

87

انما الحاجة اليه على تقدير ان يكون لا يقدرون حالا من الذي ينفق والله لا يهدي القوم الكافرين اي
اي لا يوفقهم بعد الهداية حتى يهتدوا فالهداية في حقهم في حكم المعدوم وعلى هذا قوله تعالى هدى للمتقين
والا فالهداية الى الخير والرشاد تعم الفريقين لقوله تعالى وهديناه النجدين وقوله تعالى انا هديناه السبيل
السبيل اما شاكرا واما كفورا وفيه تعريض بان الريا والمن والاذى على الانفاق من خلق اهل الكفر والنفاق
فلا بد للمومن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغا مرضاة الله اي لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم
كلمة من اما للتبعيض كما في قولهم هز من عطفه اي ليثبتوا بعض انفسهم فان من بذل ماله وروحه معا فقد ثبت
كلها واما لابتدا الغاية كما في قوله حسدا من عند انفسهم اي تثبيتا للايمان صادرا من انفسهم لان الانفاق
امارة ان الايمان من اصل النفس ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم وهذا يتمشى على التبعيض والابتدا وفيه
تنبيه على ان حكمة الانفاق تزكية المنفق نفسه عن البخل وحب المال فانه راس كل خطيئة كمثل جنة بربوة
بموضع مرتفع من الارض والربو الزيادة ومنه الربا واصابة ربو اذا زاد نفسه في جوفه على عادته اي ومثل
نفقة هولاء في الزكوة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرى كمثل حبة
بربوة بالحركات الثلاث فيها اصابها وابل قد مر تفسيره فاتت اي اعطت وحذف المفعول لان المقصود ذكر
ما يثمره لا لمن يثمر اكلها الاكل بالضم الطعام الذي يوكل والمراد الثمرة ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل
وانتصابه على الحال اي مضاعفا والضعف يراد به الواحد كما يراد بالزوج قال الله تعالى من كل زوجين
اثنين وقيل اربعة امثال ونسبة الايتا اليها مجازية والفاسبية فان لم يصبها وابل فطل اي فمطر
صغير القطر يكفيها لكرم منبتها ولطافة هوايها والمعنى نفقات هولاء زاكية عند الله تعالى لا يضيع بحال
وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم
الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة
كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى ويبذل فيه الوسع زاكية عند الله تعالى زايدة في زلفاهم
وحسن حالهم والله بما تعملون بصير ترهيب عن الريا وترغيب في الاخلاص وانما قال بصير دون خبير تنزيلا
للسراير منزلة الظواهر لعدم التفاوت بالنظر الى الله تعالى ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون
له جنة من نخيل واعناب النخيل جمع نخل كالعبيد جمع عبد والنخل يكون واحدا فيذكر قال الله تعالى
اعجاز نخل منقعر ويكون جمعا لنخلة كالنمل جمع نملة فيونث قال الله تعالى اعجاز نخل خاوية والاعناب
جمع عنب تجري من تحتها اي من تحت تلك الاشجار الانهار الجاري في الحقيقة مياهها فلا بد من التجوز
في المسند اليه او في الاسناد والمراد نماوها وبهاوها له فيها اي في تلك الاشجار من كل الثمرات
كلمة كل للمبالغة في التكثير لا للتحديد والمراد من الثمرات المنافع وقيل ضمير فيها للجنة جعلها من النخيل
والاعناب مع ما فيها من ساير الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات

ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار وعلى هذا يكون له فيها الخ صفة اخرى للجنة من قبيل الصفة
الاولى ولا يناسبه الفصل بينهما بقوله تجري من تحتها الانهار اذا كان الضمير للاشجار فقط مرواما
اذا كان للجنة فلانه صفة من جنس اخر واصابه الكبر اي كبر السن واصابته كناية عن العجز عن الكسب فان
الفاقة والحاجة في زمان العجز عن الكسب اشد والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم
لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار عطف
على اصابه او على يكون على اعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء ملتفة في الهوا
حاملة للتراب مستديرة كالعمود فيه نار فاحترقت اي الجنة بالنار فصارت نعمتها الى الكرب والالتهاب
واصلها الى الخراب فحاله يبقى هو وذريته في الحسرات لتقطع الاسباب فكذا الكافر والمنافق والمرائي والمؤذي
يتحسرون على صدقاتهم يوم يقوم الحساب بحين فاتهم الثواب وحق عليهم العذاب كذلك يبين الله لكم الايات
بضرب الامثال لانه اوضح بيانا وافصح تبيانا لما فيه من تصوير المعقول بصورة المحسوس المشاهد عيانا لعلكم
تتفكرون اي تتفكرون فيها فان التفكر فيها كناية عن الاعتبار بها يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما
كسبتم الطيب من الحلال لان الحل يجامع الكراهة والطيب ما لا خطر فيه لا بسبب الحرمة ولا بسبب الكراهة وما
كسبتم ينتظم انواع ما ملكه باسباب الكسب من التجارة والزراعة وغيرهما ومما اخرجنا لكم من الارض يعني بلا
مؤنة كسب منكم دل على ذلك اضافة الاخراج الى نفسه تعالى دون المنفقين فهذا اضعف قرينة السابق اليهم
والمراد منه المباحات التي ملكوها بالاحراز ولا حاجة فيه الى قيد الطيب لعدم الخطر فيه بوجه من الوجوه وهنا
قال ومما عطفا له على الطيبات دون وما عطفا له على مدخولها ومن لم يتنبه لهذا قال اي ومن طيبات ما
اخرجنا لكم من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولم يدر انه خطأ عدم زيادة من [illegible]
يحتاج الى التقدير ولا يخفى انه من قبيل التطويل المخل بالبلاغة لا من قبيل الاطناب المفيد ولا تيمموا الخبيث
اي لا تقصدوه وهو ابلغ من ولا تنفقوا الخبيث ومعناه الرديء وخبث الفضة والحديد ما نفاه الكير لانه
ينفي الرديء وهو ينتظم الحرام والمكروه منه تنفقون في محل النصب على الحال والضمير البارز للخبيث وتقديم
الجار والمجرور للتخصيص اي تخصون بعضا منه بالانفاق لان شح النفس وحب المال يقتضي تخصيص شيء من الرديء
وما يشبهه حاله بالانفاق وهو مناف لفضيلة البر قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وفيه
توبيخ وتعيير وتعريض بما كانوا يفعلون ويجوز ان يكون الضمير المذكر للمجموع المكسوب والمخرج كما في قوله
كانه في الجلد توليع البهق وتنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ولستم باخذيه الاخذ كناية عن [illegible]
ضرورة انه ماخوذ حقيقة فلما عرفت انه مكسوب او مخرج اي وحالكم انكم لا تختارونه لانفسكم
لرداءته الا ان تغمضوا فيه في محل النصب على الظرف لانه وقت ان تغمضوا فيه اي لا تتسامحوا في اخذه
مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين [illegible]

انهم

88

انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به
لانتفاعكم حميد مستحق للحمد على الامر بذلك مع استغنائه عنه لينفعكم ذلك في الدارين الشيطان يعدكم
الفقر في الانفاق والوعد على الاطلاق يستعمل في الخير كالوعيد في الشر ويستعمل في الشر ايضا انما قيد اي بالشر
ويامركم بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمامور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم
في الانفاق مغفرة لذنوبكم والضمير في منه لله تعالى وفضلا اي يخلف عليكم افضل مما انفقتم في الدنيا او ثوابا
في الاخرة والله واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به من يشاء مفعول اول
اخر للاهتمام بالثاني ومن يؤت الحكمة بناه للمفعول لانه المقصود وقرئ بالكسر اي ومن يؤته الله تعالى
فقد اوتي خيرا كثيرا التنكير للتعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر اي وما يتعظ بما ذكر
من الايات الا اولوا الالباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى الهوى والمراد
به الحث على العمل بما تضمنت به الاية في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا
او علانية في حق او باطل او لوجه الله تعالى او رياء او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية
فان الله يعلمه وعد ووعيد على ابلغ وجه لان العلم في مثل هذا المقام كناية عن العمل بموجبه يعني
فلانه لا يعلم الاحسان اي لا يعمل بمقتضاه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم
رياء او مع المن والاذى او لا لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته او يخصون الانفاق بالخبيث الرديء او ينفقون
في المعاصي او لا يوفون بالنذور او ينذرون في المعاصي فان الظلم وهو في الاصل وضع الشيء في غير موضعه المستحق
له عبارة جامعة لهذه الاحوال كلها من انصار ينصرهم من الله تعالى ويمنعهم من عقابه جمع العدول عن نفي المفرد وهو ابلغ
من نفي الجمع بحسب جليل النظر رعاية لمقابلة الجمع بالجمع والتوزيع اي لا ناصر لظالم قط وهذا ابلغ بحسب
دقيق النظر ان تبدوا الصدقات فنعما هي ما نكرة غير موصولة ولا موصوفة اي فنعم شيئا ابداؤها فوضع هي
وضع ابداؤها اي الصدقات المبداة وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اعتبر هذا القيد هنا ولم يعتبره فيما
سبق اذ لا تاثير له ثمة فان الصدقة نعما هي سواء كانت للفقير او للغني ثم انما تاثيره في كون اخفائها خيرا من
ابدائها وذلك عند كونها للفقير لما فيه من ستر حاله وصونها عن شوب الرياء فانه لا بد منه اذا كانت لوجه
الله تعالى وذلك اذا كانت للفقير واما اذا كانت للغني فلا يكون لوجه الله تعالى فلا حاجة الى الصورة المذكورة
ولا الى الستر المزبور فهو اي فالاخفاء مع اصابة موضع الاستحقاق خير لكم هذا في المندوبات واما في الواجبات
فالاظهار احسن عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة
الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كان اظهار الفرائض افضل لنفي التهمة
حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤها افضل والمتطوع اذا اراد ان يقتدى به كان اظهاره
افضل والاعمال بالنيات ويكفر عنكم قرئ بالنون مرفوعا عطفا على ما بعد الفاء فتكون جملة فعلية في حكم الجزاء

او محله الخبر مبتدا محذوف اى نحن نكفره او على انه جملة فعلية مبتداة او مجزوما على محل الفاء وما بعده لانه
جواب الشرط وقرئ بالياء والنصب باضمار ان ومعناه وان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم من سيئاتكم من
للتبعيض اى يكفر بعض سيئاتكم وذلك لان ما هو من حقوق العباد لا يتعلق به المغفرة بدون ارضاء الخصم
قال الامام المطرزى في المغرب الكفر في الاصل الستر يقال كفره وكفّره اذا ستره ومنه الحديث في ذكر الجهاد
هل ذلك مكفر عنه خطاياه يعنى هل يكفر القتل في سبيل الله تعالى ذنوبه فقال نعم الا الدين اى الا ذنب الدين
فانه لا بد من قضائه والله بما تعملون خبير فلا يتفاوت الاظهار والاسرار وفيه ترغيب في الاسرار ليس
عليك هداهم اى لا يجب عليك ان تجعلهم مهتدين الى امتثال ما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه وما عليك الا
ان تبلغهم ولكن الله يهدى من يشاء استدراك عما يقتضيه الكلام السابق وينتظم به من تعليله كانه قيل
لانك لا تقدر عليه ولكن الله قادر على الهداية المنجية عن الضلالة فيخص بها من يشاء وفيه دلالة على ان الهداية
الموصلة الى البغية من الله تعالى بمشيئته واما انها مخصوصة بقوم دون قوم فهو اظهر من ان يخفى والحاجة الى
الدلالة فيما يشتبه فيه الحال وما تنفقوا من خير فلانفسكم اى فانتم تنتفعون به وانما قال من خير دون من مال
لانه اذا لم يكن طيبا لا ينتفع به المنفق بل يتضرر فالعبارة المذكورة ضمنها الاشارة الى النهى عن انفاق
المال الخبيث وعن المن على الفقير والاذى له على ابلغ وجه واما انه لا ينتفع به غيركم فلا يقتضيه المقام ولا
هو المناسب لان يقصد بالكلام المذكور وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال كانه قال وما تنفقوا من خير
فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا
مضاعفة فلا تتركوا ان تنفقوا من احسن الاموال على احسن الوجوه فهو تاكيد للشرطية السابقة وما خلف
المنفق استجابة لدعوة الملك القائل اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روى ان ناسا من المسلمين كانت
لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت واختلف في
الواجب فجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وابى غيره وانتم لا تظلمون جملة حالية
اى لا تنقصون شيئا مما وعد الثواب بجزاء اعمالكم فان نقص الاجر الموعود ظلم وان لم يكن نقص الثواب مطلقا
ظلما للفقراء الجار متعلق بمحذوف تقديره اعمدوا للفقراء او اجعلوا انفاقكم للفقراء كقوله في تسع ايات
اى اذهب في ايات او خبر مبتدا اى صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد والاحصار
منع النفس عن التصرف لا يستطيعون ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب يقال ضربت في الارض ضربا
اذا سرت فيها اى يكرهون المسير لاجل انه يفوتهم صحبة رسول الله صلعم والخروج في سراياه وهذا
كقوله لا يستطيعون سمعا اى يكرهون سماعه ولهم الاقتدار على السماع ولا يخفى ان هذا المعنى ابلغ في وصفهم
مما قيل لا يستطيعون لاشتغالهم بالجهاد وقيل هم اهل الصفة وكانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين
يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وفاتهم من فضل الاغنياء وكانوا يخرجون

في كل سرية بعثها رسول الله صلعم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء وانما قال من التعفف اى من اجل تعففهم
عن السؤال دفعا لاحتمال ان يكون حسبانهم من الاغنياء لكونه من الاغنياء وفي اطلاق اسم الجاهل عليه على الاطلاق ق
ما لا يخفى من الذم وذلك لان استحقاق لان الغافل عن حالهم لا يكون من اهل الصحبة والوفاق والتعفف تفعل من العفة
يقال عف عن الشئ اذا امسك عنه وتنزه عن طلبه تعرفهم بسيماهم الخطاب لمن يستحق التوصيف بعرفانهم من الاصحاب
ومن حذى حذوهم في سلوك الصواب بسيماهم بعلاماتهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال لا خفاء في ان لسان
الحال انطق من لسان القال وبيان الدلالة اصدق من بيان العبارة فالعارف يحس من رثاثة الحال والجاهل
يستدل بعدم السؤال ومعنى لا يسألون الناس الحافا نفى السؤال والالحاف جميعا كقولهم لا ترى الضب
بها ينجحر اى لا ضب بها ولا انجحار ولا يخفى ان هذا المعنى ادخل في التعفف وفي ان يحسبوا اغنياء فيكون
انسب للمقام واجلب لمزيد حسن في الكلام كيف وفي هذا النوع من التركيب دقيقة انيقة وهي انه لما جعل
نفى الاول تمهيدا لنفي الثاني جعل الاول مسلما لا نزاع فيه اذ من حق الدليل ان يكون اوضح من المدلول هذا
قال ابن عباس رضه في تفسيره لا يسألون الناس الحافا ولا غير الحاف وقيل ترك نفيا لالحاف ذكرا للايماء الى ان
اخلاق السؤال عند الحاجة ورفع الاثم عن فعله مضطرا والالحاف لازم وما [illegible] من الالحاف الذي يلازم
الملحف بعد الجمل الاربع بعد الصلة مرتبة عليها بمنزلة البيان لها فلا سبيل للعاطف بينها لشدة
اتصال كل منها بالاخرى وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق لان علم الله تعالى به كناية عن
انه لا يضيع ولهذا ازاد قوله من خير فاذا اريد علمه تعالى به على حقيقته تكون تلك الزيادة خلوا عن الافادة
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم عليها
فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروها ولم يتعللوا بوقت ولا حال نزلت في ابى بكر
الصديق رضه وقيل في على كرم الله وجهه وقيل نزلت في علف الخيل وربطها في سبيل الله تعالى فلهم اجرهم
عند ربهم اى مامورين من الضياع خبر الذين واذا اريد كون الصلة سببا لحصول الخبر للموصول ضمنت
معنى الشرط وادخل الفاء في الجزاء وان لم يقصد ذلك فلا كقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم وقيل للعطف والخبر محذوف اى ومنهم
الذين ولهذا جوز الوقف على قوله وعلانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قد مر تفسيره الذين ياكلون
الربوا اى يتنفعون به فان التعبير بالاكل عن مطلق التمتع على طريقة العبارة عن كل وجوه الشئ بمحلها
شايع في الالسنة كلها كتب الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها
تشبيها بواو الجمع لزيادة التفخيم ومعناه لغة الزيادة المطلقة وشرعا الزيادة في العقد او في الاجل
على الوجه المذكور في كتب الفقه لا يقومون يوم القيامة الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا كما

كقيام الذي يتخبطه المتشيطن من الجن والخبط الضرب باليد كيف يقع والرمح بالرجل والرفس بالركبة والتخبط
تكلف الخبط والمراد الزيادة فيه من المس يتعلق بيقوم او يتخبط من الجنون يقال مس على ما لم يسم فاعله
فهو ممسوس كما يقال جن فهو مجنون والجنون قد يحصل بكونه بضرب الشياطين من الجن ولذلك سمي
مجنونا وهو تسليط الله اياهم على الناس كما يسلط عليهم بعض الدواب والسباع ولله ان يفعل في ملكه ما
يشاء اي لا يقوم اكل الربوا من قبره يوم القيمة الا كالذي صرعه الجن فخبله فصار كالمصروع فهو يقوم ه
ويسقط ليس كسائر الناس لانهم يخرجون من الاجداث سراعا وهذه علامة لهم بها يعرفون يومئذ
وقد ثقل بطونهم ما اكلوه من الربوا ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم
نظموا الربوا والبيع في سلك واحد وقاسوا احدهما على الاخر يعني ان البيع يكون مثل الربوا في اشتماله
الفضل ولو كان ذلك سببا للحرمة لحرم البيع لكنه حلال فثبت انه ليس بسبب الحرمة فالربوا ليس بحرام
وشبهتهم بيع السلم وغيره قد يكون المشتري فيه بدرهم يساوي درهمين فيكون ازكى من الربوا
ومن لم يتنبه لما قررناه زعم انهم بالغوا في وصف اعتقادهم حل الربوا حتى جعلوه اصلا في القياس وشبهوا
البيع به مع ان الكلام في الربوا والبيع اصل في الحل على طريقة قول الشاعر وبلدة مغبرة ارجاؤها كان لون
ارضها سماؤها بالغ في وصف السما بالاغبرار حتى شبه الارض بها وفي التعبير عن اعتقادهم هنا بالقول
ما لا يخفى من المبالغة في انه لا حقيقة له اصلا ثم انكر تسويتهم بقوله واحل الله البيع وحرم الربوا وفيه
دلالة على ان القياس يهدم بالنص حيث نقل قياسهم وابطله بمجرد القول المذكور من غير تعرض لفساد
القياس من حيث ان الفضل في الربوا محقق وفي البيع متوهم واما ما قيل لم ابطل القياس لمعارضة النص
فيرد عليه انهم قاسوا قبل ورود النص الفارق بينهما فلا معارضة وقتئذ فمن جاءه موعظة من ربه
فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا وفي عبارة الرب ايماء الى انه تربى عبده بفضله بلا توقف
عن كسبه كيف وقد رباه ولم يوصيه فتحدد ان لا يتجاوز في طلب الكسب عن حد الرخصة فانتهى فاتعظ بدون
فله ما سلف اي فلا يؤاخذ بما مضى منه وله ما اخذه لانه قبل نزول التحريم وما في موضع الرفع بالظرف
ان جعل من موصولة او بالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وانما
ذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي مع ان فيه فاصلا فلا حاجة الى التاويل بانها في معنى الوعظ
وامره في ذلك الى الله يحكم في شانه بما شاء يوم القيمة لا اليكم فلا تطالبوه بشيء ومن عاد الى الربوا بعد
النهي عنه فاولئك اصحاب النار لاصرارهم عليه هم فيها خالدون اذا اعتقد حله لانه كفر والكفر
يوجب الخلود في النار يمحق الله الربوا المحق نقصان الشيء حالا بعد حال حتى يذهب كله كما في محاق الشهر
وهو حال اكل الربوا فان الله يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات اي

يمحقها ويزيدها بان يضاعف عليها الثواب ويزيد المال الذي يخرج منه ويبقى الصدقات اخرجت
منه ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط لا يقال الكلام في ربا ما يتصدق به وهذا ليس
منه لانا نقول في وقوع زيادة المال او البركة فيه بسببه فضيلة تزيد واربا له كتضاعف الثواب
والله لا يحب عدم المحبة كناية شايعة عن البغض كل كفار مستحلا للربوا اثيم يأكله بدون المبالاة يحمل
على التعميم بعد السلب حتى يكون سالبة كلية دون العكس اذ يكون رفع الايجاب الكلي ومولانا سعد
المقام ولا بعد فيما ذكرنا لان القيد المقدم قد يعتبر موخرا معنى وفي صيغة المبالغة تغليظ بليغ في شان
المستحل للربوا لما فيه من الايذان بتجدد كفره في كل آن ان الذين امنوا بالله ورسله والايمان بنزول
لا يتم الا بالايمان بجميع ما جاء به منه تعالى وعملوا الصالحات من الفرائض والواجبات والمندوبات
واقاموا الصلاة واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لفضلهما على سائر الاعمال الصالحة لكونهما امي
العبادات البدنية والمالية لهم اجرهم عند ربهم قدر تقسيره ولا خوف عليهم من آت ولا هم ه
يحزنون على ما فات يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا واتركوا ما بقي من الربوا بقايا ما شرطتم
على الناس منه وقرأ الحسن ما بقى بقلب الياء الفا على لغة طي وعنه ما بقي بياء ساكنة ان كنتم مومنين بعملكم
فان دليله امتثال ما امرتم به وفي اطلاق مومنين في الذكر عن القيد المذكور دلالة على ان المومن
حقيقة من امن بقلبه روي انه كان لثقيف مال على قوم من قريش فطالبوهم عند المحل بالمال
والربوا فنزلت فان لم تفعلوا لم يرد مطلق الترك بل اريد الترك في ضمن الابراء فلهذا قيل لم تفعلوا دون
لم تتركوا فاذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا اي فاعلموا غيركم من الاذن
وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة وتنوين التنكير في حرب للتعظيم
من الله ورسوله الحرب يكون من الرسول عم بامر من الله تعالى فذكره تعالى للتمهيد وحرب منه ابلغ من حربه
لما في التنكير من التهويل اي بنوع من الحرب لا يقدر التعريف لعظم شانه وذلك يقتضي ان يقاتل المربي
بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله تعالى كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف
لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء ومن زاد على هذا قوله واعتقاد حله فكانه
غفل عن قوله بان سياق الكلام لا يقتضي كفرهم وعن انها لما نزلت فان قلت اليس يفهم من قوله
فلكم رؤس اموالكم اصولها واما الارباح فطوارئ عليها لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون
بالنقصان والمطل انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رؤس اموالهم قلت نعم ولكن وهم سبق اليه فهم من قال
انه يكون مالهم فيئا للمسلمين ونتيجة القائل وهو يشيد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد
والحق ان الظاهر منه بطريق المفهوم هو انه ان لم يتوبوا لا يصل بايديهم الى رؤس اموالهم
وذلك لانهم يقتلون كما يقتل الباغي وان كان ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم

ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فليكن نظرة او فعليكم نظرة وهي الانظار وقرئ فناظرة على الخبر
اى فصاحب الحق ناظرة بمعنى منتظرة او صاحب نظرة على طريقة النسب وعلى الامر اى فسامحه بالنظرة
الى ميسرة وقرئ بضم السين وفتحها وهما لغتان بمعنى يسار وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة
وان تصدقوا بالابراء خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه
وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة
حث لعمر على التصدق بالدين كله او بعضه على من اعسر من غرمائهم وعلى الامهال الى وقت اليسار ان كنتم
تعلمون كنى بالعلم عن العمل لانه اذا كان نافعا فلما يتخلف عن علم فهذه الكناية باعتبار مبناها تاكيد لما
تقدم من الخيرية على ابلغ وجه ومن لم يتنبه لهذا قال في تفسيره ما فيه من الذكر الجميل والاجر
الجزيل ثم انه لم يبين ان الذكر الجميل لا يصلح وجها للحث على الصدقة اذا كان الحث من الله تعالى لان الصدقة
المرضية عنده تعالى ما لا يشوبها غرض دنيوي واتقوا يوما يوم القيمة والتنكير للتعظيم وللاشارة
الى انه لا يقبل التعريف ترجعون من الرجوع وقرئ بفتح التاء وكسر الجيم من الرجوع وقرئ بالياء
على الالتفات فيه الى الله للحساب والجزاء والامر بالاتقاء كناية عن الامر بموجبه وبمولنا للمصير
اليه ثم توفى التوفية والايفاء الاكمال كل نفس كاسبة ما كسبت اى جزاء تلك من جزاء الاعمال الموعود
فان الكناية بالكسب عن الاحراز شايع في الالسنة كلها وانما وصفنا الجزاء بالموعود لان الظلم بنقص
الثواب انما يكون بذلك الاعتبار وهم لا يظلمون لا ينقص ثوابه ولا يزاد عذابه عن ابن عباس رض انها
اخر اية نزل بها جبرئيل عم وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعدها احدى وعشرين يوما وقيل اقل وقيل اكثر يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم اذا
داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا كما تقول بايعته او بايعك واما
كونه نسيئة فغير معتبر في المداينة وارادتها في المقام لذلك الاجل وانما قال بدين مع انه
مستفاد من الكتاب للتعميم اى اى دين كان قليلا او كثيرا ولقطع احتمال معنى اخر فان المداينة قد يراد بها
المجازاة واما تنوعه الى المؤجل والحال فيعلم من قوله الى اجل ومرجع الضمير في فاكتبوه لا يلزم ان
يكون مذكورا بل يكفي ان يكون مفهوما في ضمن الكلام السابق هذا كله بحسب جليل النظر والذي بحسب
دقيقه انه لا بد من ذكر الدين ليتعلق الجار به فانه لو لم يذكر يتوهم تعلقه بتداينتم ولا وجه له فان
المبايعة الى اجل غير مشروع مسمى معلوم موقتا بالسنة والشهور والايام المعينة لا بالحصاد والدياس
وقدوم الحاج ونحو ذلك لعدم التعيين فاكتبوه تنبيه على انقسام الدين الى حال ومؤجل وامر بكتابة المؤجل
على سبيل الندب والارشاد لانه اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود وعن ابن عباس ان المراد به السلم
وقال ان الله حرم الربوا اباح السلم وسياتي ما يتعلق بهذا المقام وليكتب قيد بقوله بينكم ليكون

ابعد

ابعد عن الاشتباه والتهمة واسكبوا في كاتب التنبيه على ان المعتبر كون الكتابة على الوجه المعهود لا كون الكاتب
معهودا ولهذا قيدها بقوله بالعدل متعلق بالكاتب او ليكتب بالتسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ولا ينقص
عنه وهذا يدل على اقتضاء على ان الكاتب يجب ان يكون فقيها عالما بالشروط حتى يكون مكتوبه معدلا بالشرع
فيحصل ما هو المقصود من الكلام واما على تقدير تعلق القيد المذكور بالكاتب واما الذي ذكر فيفوت ح
فالراجح تعلقه بالفعل والامر في الحقيقة للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به
معدلا بالشرع ولا يأب ولا يمتنع كاتب احد من الكتاب ان يكتب فان تنكير كاتب بعد النهي يفيد العموم كما علمه
الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كما قال تع
واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا وههنا لان
الفاء تدل على التي تنبيء على السابق ولان ورود الامر عقيبه لكن النهي تاكيدا له يشعر بذلك كل الاشعار
ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وهذا الوجه احسن
من جهة الاول تمهيدا لما فيه من تدرج وتفخيم لشان الكتابة على النهج المذكور وفي تقديم كما علمه الله
حسنة والاول اظهر واقرب تناولا وليملل الذي عليه الحق الاملال والاملاء الالقاء على الكاتب للكتابة
والذي عليه الحق هو الذي عليه الدين وانما كان الاملاء اليه لانه المقر المشهود عليه وليتق الله ربه اى الكاتب
او المملي على ما ستعرفه جمع بين اسم الذات والوصف تذكيرا لكونه مربيا له مصلحا لحاله ولا يبخس منه
شيئا اى ولا ينقص مما املى عليه قليلا ولما كان الامر بالاتقاء تمهيدا للنهي عن النقص المذكور لم يات بينهما باداة
الترتيب فان كان الذي عليه الحق دل هذا على توجه الامر والنهي الى الكاتب انهما لو توجها الى المملي لكان حق الكلام
في هذا المقام الاكتفاء بالضمير وتصديره بالفاء للترتيب على ما تقدم سفيها محجورا عليه لجهله بالتصرف
او التبذير او ضعيفا لصغره او كبره هو المراد ضعف القوي لا ضعف الراي لانه من اسباب الحجر فيندرج تحته
السفه او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع بنفسه لعي وخرس فليملل وليه اى الذي يلي امره وصيا
كان او وليا او وكيلا او ترجمانا بالعدل لعبده دلالة على جواز النيابة في الاقرار بالدين واستشهدوا شهيدين
اى واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان من رجالكم اى من المومنين البالغين اما البلوغ فلا بد منه قطعا واما
الاسلام فلا بد منه ايضا ان كان المديون مسلما وان كان كافرا فاعتباره احتياطا لانه يحتمل ان يسلم فلا دلالة
في الاية على انه لا يسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض ثم المقصود بيان النصاب لا بيان الشرائط فلهذا
لم يتعرض لقيد الحرية والعقل فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل
وامرأتان من قال هذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة وكانه دل على
ان الكلام في الاشهاد على الدين فان قلت ليس كل منهما نصاب الشهادة بلا تفاوت بينهما ولا توقف لصحة الثاني
على عدم الاول قلت نعم لا توقف لصحة الثاني على عدم الاول ولهذا لم يقل فان لم يوجد فرجل وامرأتان وانما

عدم التفاوت بينهما فممنوع فان الاصل هو الاول وهو الراجح وهذا اصل الشرطية المذكورة باداة الترتيب
ممن ترضون من الشهداء اي من العدول المرضيين من الشهود ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى علة
لاقامة شهادة امراتين مقام شهادة رجل واحد والضلال بمعنى النسيان مجاز لانه سببه كما في قوله تو فعلتها
اذا وانا من الضالين فان قيل كيف يكون ان تضل والاقامة المذكورة للاذكار لا للضلال قلنا اجاب عنه سيبويه
بان الضلال سبب الاذكار فقدم عليه لانه سبب العلة لا لانه العلة كما يقال اعددت هذا الحابط ان يميل فادعمه
وانما اعددته للدعم لا للميل لكن قدم عليه الميل لانه سببه والعدول عن الظاهر للاعتناء بشان التذكير
فان افضاء الفعل اليه وكونه مقصودا من الفعل بلغ مبلغا صار المهم وجعله مطلوبا لاجله من حيث كونه
مفضيا اليه واجاب عنه الفراء بانه بمعنى الجزاء وتقديره ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت الا انه لما قدم
ان تضل بما قبله من العامل فانفتح ويؤيده قراءة ان تضل بكسر الالف على الشرط فتذكر بالرفع وقرئ ان
تضل على البناء للمفعول اي ان توجد ضالة من الاضلال الذي بمعنى الوجدان نحو احمدته بمعنى وجدته محمودا
ولا يخفى ما في التعليل المذكور من الدلالة على ضعف حفظهن وقلة ضبطهن وليس ذلك الا لنقصان عقلهن
ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا اي لا يمتنع المدعوون لتحمل الشهادة عن الحضور ليتحملوا الشهادة وكان تسميتهم
شهداء قبل التحمل تنزيلا للمشارف منزلة الكاين او لا يمتنع المتحملون اذا دعوا الى اداء الشهادة ليؤدوها
والنهي على الاول تنزيه وعلى الثاني تحريم ولا تسأموا اي لا تضجروا والملل من كثرة المداينات ان تكتبوه اي لا تملوا
ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب كذا قالوا وبرد عليه ان الضجر والملل انما يكون بعد الشروع فيه والاكثار
منه والمراد هنا النهي عن السأمة من ان يكتب ابتداء فالوجه ان يكون السامة كناية عن الكسل والمصير الى
الكناية لانه من صفة المنافق اذ لا يجلو تغيير التعبير لان تلك العبارة كانت دايرة على السنة المنافقين
فصارت من شعارهم ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا قدم اهتماما به وانتقالا من الادنى
الى الاعلى او كبيرا حال اي لا تسأموا كتابة الحق او الدين على اي حال كان من صغر او كبر او لا تسأموا ان تكتبوه
مختصرا او مشبعا على ان الضمير للكتاب الى اجله الى وقته الذي عينه المتداينان ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه
في معنى المصدر اقسط اكثر قسطا عند الله اي في حكمه واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وافعل
مبني من فاقسط بمعنى النسب اي ذي قسط واقوم من قويم ويجوز عند سيبويه ان يبنى افعل التفضيل
من غير الثلاثي فيكونان مبنيين من اقسط واقام وادنى ان لا ترتابوا واقرب الى انتفاء الريبة في جنس الدين
وقدره واجله والشهود ونحو ذلك والمفضل عليه محذوف وحسن حذفه وقوع افعل خبرا للمبتدا الا ان
تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها استثناء مفرغ اي لا تتركوا الكتابة و
تملوا او لعلة ما الا وقت كونها تجارة ناجزة تتعاطونها بينكم يدا بيد ولان تكون تجارة ناجزة على ان ما
بعدها لا ينصب على الظرف او المفعول له وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على ان تكون التامة او الناقصة واسمها

تجارة

تجارة وخبرها تديرونها او بالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة | يمة
بدين او عين والمفهوم من تصريح نفي الجناح هو الاثم على الشرط المذكور في المستثنى ثبوتا للاثم في عدم الكتابة
على تقدير فقد ذلك الشرط وموجبه ان يكون الامر بالكتابة فيما تقدم للوجوب فالقايلون بحجية المفهوم
لا بد لهم من القول بوجوب الكتابة ثمة واشهدوا اذا تبايعتم في العاجل والاجل جميعا والامر للندب ولا
يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناء للفاعل والمفعول جميعا والدليل عليه قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار
والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمراد نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة
الى ما يطلب منهما وعن التغيير بالزيادة والنقصان او نهي المستكتب والمستشهد عن الضرر بهما بان يعجلا
عن مهم او لا يعطي الكاتب حقه من الجعل او يكلف الشهيد مؤنة النقل من مسافة بعيدة وامثال ذلك وقرا الحسن
ولا يضار بالكسر وان تفعلوا اي وان تضاروا او ان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن
الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل
شيء عليم كرر لفظة الله ثلث مرات متوالية وكان الثاني والثالث موضع كناية ولهذا الباب قانون يعرف به
المستحسن من المستقبح وهو ان كل تكرير على طريق تعظيم الامر او تحقيره اذا كان في جمل متواليات كل جملة منها
مستقلة بنفسها فذلك غير مستقبح واذا كان ذلك في جملة واحدة او في جمل في معنى واحد ولم يكن فيه
التعظيم او التحقير فذلك مستقبح وهذا ظاهر في الاية فان الجملة الاولى منها حث على التقوى والثانية
تذكير بنعمته والثالثة تعظيم له متضمن لوعد ووعيد شديد بدون قصد تعظيم كل واحد من هذه الاحكام فاعيد
لفظة الله فيها وان كنتم على سفر لم يقل مسافرين لما بينهما من الفرق الظاهر فان من دخل مدينة فعلى نية الاقامة
مسافر ولكنه ليس على سفر والمناسب ان يذكر تمهيدا لقوله ولم تجدوا كاتبا هو الثاني دون الاول فرهان
خبر مبتدا محذوف اي فالذي يستوثق به رهان وهو جمع رهن وهو العين المقبوض للدين توثيقا له وقرئ
فرهن وهو جمع الجمع قال الجوهري كانه تجمع رهن على رهان ثم تجمع على رهن مثل فراش وفرش ولا يجمع فعل
على فعل الا قليلا شاذا مقبوضة نعت للرهان ودل ذلك على ان حكمه دوام الحبس فانه لا يصير رهنا الا بالقبض
القبض فذكر الرهن ذكر لذلك القبض ثم وصفها بالمقبوضة بعد ذلك اشتراط لدوام القبض فيها
وليس الغرض تخصيص الرهن بالسفر شرطا في جوازه لكن لما كان السفر مظنة اعواز الكاتب والشهيد
ارشد المسافر الى حفظ المال بان يقيم التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد
والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية وليس بشيء لان رسول الله صلعم رهن درعه
في حضر واما القبض فلا بد من اعتباره على ما نصت عليه اتفاقا وعليه الجمهور وقال مالك يصح الرهن
بمجرد الايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض المتداينين بعض المديونين | بين
لحسن ظنه به فليؤد الذي اؤتمن امانته اي فليعط المديون اداء امانته الذي ائتمنه عليها بان لم

برتهن منه شيئاً لحفله على ان يكون عنده رهن به وفي تسمية الدين امانة ايضاً حث للمديون على ادائه واداء كان ن
مضمونا بخلاف الامانة وقرئ فان امن اي امنه الناس بان وصفوه بالامانة والديانة والاستغناء عن الارتهان
من مثله وليتق الله ربه نهي عن الخيانة وانكار الحق على ابلغ وجه وقد من وجه الجمع بين اسم الذات والوصف
ولا تكتموا الشهادة خطاب للشهود ومن يكتمها فانه اثم قلبه اثم خبران وقلبه فاعل اثم اي فانه يأثم قلبه
او قلبه مبتدا واثم خبره والجملة خبران وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرئ اثم قلبه اي جعله
اثما اسند الاثم الى القلب لكونه ابلغ من وجوه احدها ان يعلم انه الذي اضمرها ولم يؤدها باللسان ليظهرها
فالقلب هو المعترف فيكون صاحبه قاصداً للذنب لا اللسان فيكون كالبوادر والثاني ان الفعل اذا اسند
الى الجارح التي عمل بها كان ابلغ واكد كما اذا اردت التاكيد قلت هذا مما ابصرته عيني وسمعته اذني وعرفه قلبي الثالث
ان القلب هو الرئيس والاصل في البنية فاسناده اليه افادة تمكن في اصل نفسه وملكه اشرف محل فيه ورسخ
في ذاته الرابع ان الاثام المتعلقة بالاعضاء الظاهرة اسهل واخف واسرع زوالا ما دام القلب سليما واما
القلبيا فتكون اشد واغلظ وابعد عن العفو الخامس الايذان بان الكتمان من الكبائر المتعلقة بالعقائد
كالكفر والنفاق والشرك وامثالها ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم
الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة السادس القلب هو الاصل الذي يقوم به سائر الاعضاء
وافعالها هي الاصول التي يتشعب عنها افعال الجوارح الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر
وهو الذي اذا صلح صلح الكل واذا فسد فسد الكل فاذا اثم القلب اثم الكل والله بما تعملون عليم وعيد وتهديد
لله ما في السموات وما في الارض ناسب ختم ما في هذه السورة من الكلام المشتمل للاحكام العديدة والتكاليف
الشديدة بذكره انه تعالى له ما في عالمي الملك والملكوت فهو يكلف من يشاء بما يشاء ولما كانت التكاليف محل اعتقادها
الانفس قال وان تبدوا ما في انفسكم من السوء او تخفوه ولا يدخل فيه الوساوس وحديث النفس اذ ليس في وسعه
الخلو منه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ولكن ما اعتقده او عزم عليه يحاسبكم به الله يحاسبكم الله
تعالى يوم القيمة اسر عملا او اعلنه من حركة جوارحه او هم في قلبه دون بعير فدابابه يوم القيمة حتى
يقرره ثم يغفر ما يشاء لمن يشاء ويعذب ايضاً بما يشاء فيغفر لمن يشاء من اهل المغفرة ويعذب من يشاء
من اهل العقوبة وهذا صريح في عدم نفي وجوب التعذيب في الاية دلالة على وقوع الحساب فيكون
حجة على من انكره من المعتزلة والروافض قرئ فيغفر ويعذب مجزومين على جواب الشرط ومرفوعين
على الاستيناف وتقديره فهو يغفر ويعذب وقرئ يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم بدل
البعض من الكل او بدل الاشتمال ومعنى الابدال تفصيل الاجمال الذي في الحساب لان التفصيل ابين
واوضح فكل ما يحتاج الى البيان يجري فيه هذا البدل اسما كان او فعلا اذ الفعل قد يحتاج اليه احتياج
الاسم والقراءة الظاهرة الراء في الجزم وادغام الباء من يعذب وادغام الراء في اللام من ابي عمرو فهو مختلف

مرتين حيث اللحن لحنا فاحشا اذ الراء لا تدغم الا في مثلها ثم نسبها الى اعلم الناس بالعربية والسبب عدم
ضبط الرواة لعدم الدراية كذا قيل وفيه بحث يطلب من تفسير ابي حيان والله على كل شيء قدير فلا يعجز
عن الاحياء والمحاسبة وما يعقبهما من الغفران والتعذيب امن الرسول تنصيص من الله تعالى على صحة ايمانه
عم والاعتداد به بما انزل اليه روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جبرئيل عم انزل على محمد عم جميع القرآن الا هذه الايات
الثلاث فان الله تعالى اوحاها اليه عم ليلة المعراج وبه قال الحسن ومجاهد وابن سيرين من ربه في عبارة
الرب اشارة الى ان في الانزال المذكور تربية له عم ولهذا كان تدريجا والمؤمنون كل امن بالله وملائكته
ان عطف والمؤمنون على الرسول كان التنوين في كل عوضا عن الضمير الراجع الى الرسول والمؤمنين اي كلهم
امن ووحد ضمير كل في امن لبيان ان كل واحد فيكون ابلغ من الجمع وان جعل مبتدا كان الضمير للمؤمنين دون
الرسول وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبرا للمبتدا ويكون افراد الرسول عم اما لتعظيمه اولان ايمانه
عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر وبرهان فكانا جنسان وكتبه ورسله ذكر الكتب بين الملائكة والرسل
باعتبار انها تصل منهم اليهم وقراءة ابن عباس رضي الله عنهما وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه ان الكتاب اكثر من الكتب
لما ذكر من تناوله وحدان الجنس بخلاف الكتب فان تناوله وحدان الجمع لا نفرق بين احد من رسله
اي يقولون لا نفرق وقرئ لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله تعالى وكل
اتوه داخرين واحد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في المعنى العام مستويا فيه المذكر
والمؤنث والواحد وما فوقه وهذا العموم غير العموم المستفاد من وقوع النكرة في سياق النفي يدل
على انه لا يستقيم لا نفرق بين رسول من الرسل لا بتقدير عطف اي رسول ورسول والمراد الفرق بالتصديق
لا الفرق مطلقا فان الفرق بالتفضيل والبعثة بالشريعة غير منفي عنه وقالوا سمعنا اي فهمنا
كما في قوله تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اي كان اطاعتنا من اذعان وقبول لا عن
تغلب على العمى او طمعا في متاع الدنيا وقيل اي اجبنا وقيل ان قوله واطعنا يغني عنه والافادة خير
من الاعادة ويجوز ان يكون المراد سمعنا قولك فيما كلفتنا واطعنا امرك في ذلك غفرانك ربنا منصوب
باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك اي من التقصير في حقك وفي عبادتك
التي لا نوفي حقها لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى
الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورافته كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر لانه كان في طاقته
ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وفيه دلالة على عدم وقوع التكليف بالمحال
واما انه يمتنع فلا دلالة عليه بل الظاهر من الاخبار عن عدم وقوعه امكانه لها ما كسبت من خير
وعليها ما اكتسبت من شر وتقديم لها وعليها على الكسب والاكتساب لتخصيص الكسب بالخير
والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكان اجد

ستره

والبك المصير صح

ط:

في تحصيله واعمل بخلاف الجبر وفيه التنبيه على زيادة اللطف وكمال الفضل حيث يثيب على الخير كيف ما
وقع ولا يعاقب على الشر الا بعد الاعتمال فيه وهو التصرف ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ٥
النسيان والخطأ مجازان من باب اطلاق السبب على المسبب اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى النسيان والخطأ
من تفريط وقلة مبالاة ويجوز ان يكون على حقيقتهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا لكنه تعالى وعد التجاوز
عنهما رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان فيه استدامة واعتدادا بالنعمة فيه وقوله عم رفع عن امتي
الخطأ والنسيان يحتمل المعنيين ايضا لان المرفوع اثرهما لا انفسهما وعلى هذا يصح ان يراد المعنى الاول
ربنا تكرير للنداء فلا يخل بعطف قوله ولا تحمل علينا على قوله لا تؤاخذنا اصرا الاصر الحبس الذي ٥
يأصر حامله اي يحبسه في مكانه لا يستقل به لثقله والمراد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمّل
بالتشديد للمبالغة في الطلب لا في المطلوب لتفاوته كما حملته حملا مثل حملك اياه على الذين من قبلنا ٥
من الامم او مثل الذي حملته عليهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع
موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا
به من العقوبات النازلة بالامم السالفة طلبوا الاعفاء عن التكاليف الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل بهم من
العقوبات لتفريطهم في المحافظة عليها وقيل هو تأكيد للاول بالتكرير او المراد به الشاق الذي لا يكاد
يستطاع من التكاليف وهذا يدل على جواز التكليف بما لا يطاق ولم يتعين هذا المعنى مرادا من الاية حتى
يتم الدلالة بها على جوازه والتشديد هنا لتعدية الفعل الى المفعول الثاني واعف عنا قال الازهري كل من استحق
عقوبة فتركتها فقد عفوت عنه لفظ اللازم والمتعدي سواء يقال عفا الله عن العبد عفوا وعفت الريح
الاثر عفا اي محا الاثر عفوا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بكشف عيوبنا والعفو لا يستلزم الستر
فلا تكرار وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا ومتولي امورنا
فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء او فان ذلك عن امورنا التي عليك
توليها ختمت السورة الكريمة بمثل ما بدئت من اثبات توحيده وصفات جلاله والنبوات والمعاد والقضاء
والقدر وذكر المؤمنين السامعين المطيعين وهم المتقون الذين جعل الكتاب هدى لهم وبين شمول لطفه
في شأن هذا النوع وخصوصا هذه الامة وجعل ختام ذلك كله ما يدل على ان كمال المؤمن المطيع انه لا يزال
مستمدا من بحر جوده بالسنة الاستعداد والحال والمقال لغيبة كمال تفاوته في مدارج الكمال والجلال والجمال

سورة آل عمران مكية في قول عكرمة والحسن البصري ومدنية في قول عامة اهل التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو لا فتحة نون تتعلق على ميم كما وقفه على الفعلام كما هو قراءة ابي بكر في رواية
عن عاصم وطلقوا بها بن القراء على فتح الميم بطرح الهمزة للتخفيف والقاء حركتها عليها وهي في حكم الوقف على الهمزة
في حكم الثابت وفرقا لان الحركة لا لالتقاء الساكنين لم ترد بالساكنين اليا والميم من الكلام بميم في الوقف بل اراد بها

الميم

الميم ولام التعريف فنظيرهما النون واللام في من الرجل فلا يرد عليه انه غير محذور في باب الوقف
ولذلك لم يحرف في لام لما عرفت انه يزيل التقاء الساكنين من كلمتين فما ذكر ليس بنظير له لانه في كلمة
واحدة والفرق واضح واما قراءة الكسر فاجوزها الاخفش ولم ينقل عن احد من السبعة الحي القيوم
اسم الله الاعظم بدلالة ما روي انه عم قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة لا اله الا هو
الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب
القرآن منجما بالحق بالعدل او الصدق في اخباره ومواعيده او بالبينات المحققة انه من عند الله
وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب الالهية المنزلة على الانبياء السالفة الحاضرة
عند نزوله وانزل جملة التورية والانجيل اسمان عبرانيان فلا يدخلهما اشتقاق وعربي نحل النحاة
ثم تكلموا فيهما على تقدير كونهما عربيان فالتورية فوعلة او تفعلة بكسر العين او تفعلة بفتحها من الوري
والانجيل افعيل من النجل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم واختصاص الكتابين المذكورين
ببني اسرائيل من جهة التكليف لا ينافي عمومهما لجنس الانس من جهة الهداية فان من تعبد بهما قبل الانتساخ
فقد اهتدى وان لم يكن من بني اسرائيل على ان كونهما هداية الى اصول الدين لا يختص ولا يقبل النسخ وهذا
قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية وانزل الفرقان رابع الكتب الاربعة وهو الزبور لان الظاهر من العطف خصوصا
مع اعادة لفظ انزل التغاير بالذات وانما خص بعبارة الفرقان جبرا للنقصان المتوهم من جهة تأخير
ذكره عن قوله هدى للناس فكانه قيل في الكتب المنزلة الثلثة شرائع هي هداية للناس وفي هذا الكتاب
حكم يفرق بها بين الحق والباطل ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها من المعجزات لهم عذاب
مخصوص بنوع لا يعرف كنهه من العذاب الشديد والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام ٥
تنكيره دل على قوته كما وقد اقترن بصفة العزة فدل على قوته كيفا حيث لم يتصور اندفاعه فهم
من الجملة معنى قوله انتقام لا يقدره قدره من الشدة ولا يقدر على مثله منتقم والنقمة مطلق العقوبة
لا عقوبة المجرم خاصة وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة
تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء عبر عن العالم بقطريه
وتقديم الارض لان المقصود بالذكر ما اقترف فيها كانه قيل بعذبهم الله الذي له كمال القدرة والغلبة
والعلم باحوال العباد وهو على الانفراد دليل التغيير الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء من الصور المختلفة
فهو في موضع الظرف اي في اي صورة وعلى اي هيئة شاء يصوركم وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه
وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز المنيع في ملكه
والحكيم في قوله وفعله قيل هذا احتجاج على من زعم ان عيسى عم كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا
فيه رسول الله صلعم نزلت السورة من اولها الى آخرها بضعا وثمانين آية تقريرا لما احتج عليهم واجاب

عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات في موضع النصب بالحال من الكتاب او كلام مستانف موضح لما له
محكمات احكمت بظهور دلالتها على المعنى المراد من ام الكتاب اي اصل الذي يحمل المتشابهات عليه ويرد عليه
وانما افرد الام بتجريدها للكلام للدلالة على ما سيق له واُخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول
عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان القياس ان يعرف فعدم تعريفه لانه في معنى المعرف او عن آخر من متشابهات
محتملات لاكثر من معنى واحد او غير ظاهر الدلالة وفايدته بعث النفوس على النظر والتفكير وتحريض
القلوب على التامل والتدبر لتتمرس في الاستدلال لاستخراج الدقايق وابراز مكنونات الحقايق ويزداد
حرصهم على تحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد من المتشابهات والتوفيق بينها وبين المحكمات
الانسان بذلك ينال الدرجات بالتقلب في العبادات والمواظبة على ساير العلوم ومن وهم انه لو كان كله محكما لتعطل
الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله تعالى الا به فقد وهم اذ لا يلزم من ترك التامل في معرفة معاني الالفاظ
تركه في ترتب البعض على البعض واستنباط ما فيها من العلل والنكات والفروع وغيره لكنه واما المراد من المحكم
في قوله احكمت آياته المحفوظ من فساد المعنى وركاكة اللفظ ومن المتشابه في قوله كتابا متشابها المتشبه المتشبه
بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ فاما الذين في قلوبهم زيغ ميل عن الصواب بعدول عن الحق تفريع على
ما فهم مما تقدم من ان في المتشابهات مجال الصرف عن الحق كما ان فيها مجال الرد اليه واما التفصيل حال الفريقين
السالكين مسلكي الصرف عنه والصرف اليه وانما اقتصر على ذكر الاول منهما لظهور حال الثاني فيتبعون
ما تشابه منه فيتعلقون المتشابه المحتمل لما يطابق اهواءهم ولا يلتفتون الى المحكمات وكان حقهم ان يتبعوها
ابتغاء الفتنة طلبا ان يفتنوا الناس ويضلوهم عن الحق وابتغاء تاويله بما يطابق عقيدتهم قدم الاول لانه
الغرض وهذا وسيلة اليه وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم الذين رسخوا اي
ثبتوا وتحققوا في العلم وتمكنوا منه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله تعالى بعلمه
ومعرفة الحكم فيه من آياته ولم يطلع احدا لا يقال لو لم يكن للراسخين حظ من علم المتشابه الا ان يقولوا آمنا
بالله كل من عند ربنا لم يكن لهم فضل على الجهال لانهم ايضا يقولون ذلك لانا نقول ليس الكلام
في اثبات الفضيلة لهم بل في بيان اختصاص علم المتشابهات بالله تعالى والمعنى ان الراسخين مع ما فيهم
من المزية والفضل يقفون عند التصديق الاجمالي ولا يتجاوزون عنه الى حد التفصيل بالتفسير
او التاويل فكيف من دونهم يقولون آمنا به كلام مستانف موضح لحال الراسخين او حال منهم وخبر
ان جعل والراسخون مبتدأ به بالمتشابه او بالكتاب كل من عند ربنا اي كل من المحكم والمتشابه منزل
من اللوح المحفوظ عنده تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب مدح وعلى سبيل المدح للراسخين المحققين
في العلم وايماء الى انهم جردوا عقولهم من قشر الاوهام والخيالات وشوايب الاهواء والعادات
فهم اهل اللب الخالص لا يحوم غيرهم حول التذكر والتفكر ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين

وما بينهما اعتراض ويحتمل الاستيناف على اضمار قولوا والمعنى لا تمل قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه
بتاويل باطل قال عليه السلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا
تبتلينا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق ويندرج فيه الايمان بالقسمين [illegible]
وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة
ترشدنا بها الى كل خير وصلاح وتعصمنا بها عن كل شر وفساد انك انت الوهاب كثير الهبة وهو ما يدل على
الفاعل فعله ولا دلالة فيه على ما هو الحق في الخلافية المشهورة لان المعتزلة لا ينكرون الانفعال بعد اداء
الواجب ربنا انك جامع الناس ليوم المراد من اليوم واقعة القيمة والتنكير للتهويل لا ريب فيه في وقوعه
ان الله لا يخلف الميعاد اي للداعين بالاجابة وللمطيعين بالاثابة واقامة القيمة كما وضع اولوا الالباب
موضع هم اولئك للمدح والتبجيل بالب على طريقة الالتفات من الخطاب الى الغيبة وضع ان الله موضع انك
للتعظيم واما افادة معنى التنافي بين الالوهية وخلف الميعاد فمداره على التعبير بالاسم المذكور لا على الالتفات
غايته وجه التعبير المذكور هنا في ضمنه ان الذين كفروا يعني برسول الله عم لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا من جهة رحمته وطاعته كما في قوله لا يقوم بدل رحمته او طاعته فيغني عنهم عنها او اولئك هم وقود
النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك
او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر
دأب في العمل اذا كدح فيه ثم غلب استعماله في معنى الشأن والذين من قبلهم عطف على آل فرعون او استيناف كذبوا بآياتنا
فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم وجر على تقدير الابتداء بالذين والله شديد العقاب
تهويل للمواخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا لمشركي مكة وقيل لليهود ستغلبون يوم بدر او بقتل قريظة
واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وتحشرون الى جهنم وقرئ بالياء فيهما على الغيبة الاخبار بمعنى
كلام الله تعالى وعلى الخطاب بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استيناف اي بئس المهاد جهنم او ما مهدوا لانفسهم
وفي عبارة المهاد تهكم بهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وما قيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة
تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة صح الابتداء بالنكرة لانه في موضع تفصيل وثمة صفة محذوفة تقديره فئة مومنة تقاتل
في سبيل الله واخرى معطوفة على فئة تقديره واخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت حذف عن الجملة الاولى
ما اثبت مقابله في الجملة الثانية وعن الجملة الثانية ما اثبت مقابله في الجملة الاولى وهذا من الاختصارات البليغة
يرونهم مثليهم اي يرى المشركون المومنين مثل عددهم وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر او مثل المشركين وكانوا
قريبا الف وهذا لا ينافي قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم لانه يجوز ان يكون التقليل
من جهة العدد فلا ينافي التكثير من جهة العدد ويكونان في حالة واحدة كيلا يجبنوا كل الجبن فيحجموا عن القتال ويجرؤوا
كل الجرأة فيشتد الامر وهذا اولى من التوفيق بينهما بان التقليل كان في اول الملاقاة والتكثير بعد ذلك او يرى المؤمنين

المشركين مثل المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الموعود لهم في قوله وان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين والقراءة بالتاء الفوقانية تؤيد هذا ان كان الخطاب للمؤمنين ويؤيد المعنى الاول ان كان
الخطاب لليهود وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وقرئ فئة بالجر على البدل
من فئتين والنصب على المدح واخرى كافرة على الذم او الحال من فاعل التقتا رأي العين لا بد من صرفه عن
ظاهره لان الرؤية بمعنى الابصار لا يتعدى الى المفعولين ومثليهم مفعول ثان الا على الحال العدم ثبوت تلك الحال
في الواقع لواحد من الفئتين فالمراد معناه المجازي وهو العلم الحاصل بسبب رؤية العين والله يؤيد بنصره
من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي فيما ذكر من غلبة المسلمين على قلتهم وضعفهم الكافرين على كثرتهم
وشوكتهم بالكيفية المذكورة لعبرة لعظة لاولي الابصار لذوي البصائر او لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات
اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتهم لها وهي توقان النفس
الى الشيء والمزين في الحقيقة هو الشيطان لان التزيين صفة تقوم بمحل فالمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال
والدواعي فقد اخطأ في المدعى وما اصاب في الدليل على ما سبق تفصيله في سورة البقرة تعالى انما سلطه الله تعالى
على تزيين ما ذكر لا نه من اسباب التعيش وبقاء النوع من النساء والبنين والقناطير المقنطرة القناطير جمع القنطار
وهو المال الكثير والمقنطرة مأخوذة منه للمبالغة اي من شأن العرب ان يشتقوا من لفظ الشيء الذي يريدون
المبالغة في وصفه ما يجعلونه تاكيدا او نعتا على ما هو من ذلك ظل ظليل وداهية دهياء وبدرة مبدرة ويحتمل
ان يكون من قنطر الشيء اذا رفعه ومنه القنطرة لانه بناء مشيد من الذهب والفضة والخيل المسومة والخيل
الافراس سميت خيلا لاختيالها في مشيها والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة
اي تامة الخلق من السومة لانها كانها علم في الحسن او من السوم في البيع لانها تسام كثيرا والانعام الابل والبقر والغنم
والحرث هو القاء البذر وتهيئة الارض والزرع مراعاته واشتقاقه لهذا قال تعالى افرأيتم ما تحرثون أانتم تزرعونه
ام نحن الزارعون فاثبت لهم الحرث ونفى عنهم الزرع ذلك اشارة الى ما ذكر متاع الحيوة الدنيا المتاع ما ينتفع به
مدة ثم يفنى والله عنده حسن المآب المرجع وفي الاشارة بذلك اشارة الى بعد تلك المشتهيات من الله تعالى وتقديم اسم
الله تعالى على ما عنده تعريض لذلك البعد لتخصيص غيره وذكر الحسن وتقديم الظرف عليه اشارة الى ان الحسن مختص بما عنده
وايماء الى قبح الشهوات المعينة والمقصود التحريض على ايثار ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية على الشهوات
الناقصة الفانية قل أؤنبئكم بخير من ذلكم لتقرير خيرية ما عند الله تعالى من مستلذات الدنيا للذين اتقوا
عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان تتعلق اللام
بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة قد سبق
تفسيره في سورة البقرة ورضوان من الله جمع بين التكثير المستفاد من التنكير والتشريف المستفاد من
قوله من الله فهو ابلغ من رضوان الله والله بصير بالعباد اي بحسب بعاقب على سخطهم فيهم ويصير

بالذين امنوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات على حسب درجاتهم الذين يقولون ربنا نصب على المدح
او رفع عليه او جر صفة للمتقين او للعباد فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار في ترتيب السؤال على
مجرد الايمان دلالة على انه وسيلة كافية في طلب المغفرة الصابرين والصادقين والقانتين والمستغفرين
بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب والتوسل
اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما
قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق
في سبيل الله واما الطلب فهو الاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسط الواو
بينها للدلالة على انهم جامعون لها واما دلالته على الاستقلال لكل من المعطوفين فغير مسلمة فان
دلالتها على الانضمام على ما بان في تفسير سورة التوبة وتخصيص الاستغفار بالاسحار لانها اصفى اوقات
العبادة فانهم كانوا يتهجدون قوامين بالليل يتقربون الى الله تعالى فيكون طلب الحاجة بعد احسن
واقرب الى الاجابة لتعاضد الامرين صفاء الوقت والتقرب بالطاعة اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها
وانزال الكتب والايات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم من الثقلين بالاحتجاج عليها شبه
ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد والدلالة على الاقرار والاحتجاج من اقرار ومعنى مجازي
هو الامر المشبه بالشهادة لا معان مجازية ليمتنع الجمع بينها في الارادة والعامل يغني تقدير فعل
اخر ليكون الاول مجازا والثاني حقيقة لانه خلاف الظاهر مع الغنية عنه بالمجاز المستفيض
قائما بالقسط بالعدل في قسمة الارزاق والاجال والثواب والعقاب وتعيين الشرائع والاحكام بين
العباد وانتصابه على الحال من هو والعامل معنى الجملة اي تفرد قائما وهذا اوجه الاوجه لانه اقرب
وادل على المقصود اعني التعديل بخلاف الشهادة كالتوحيد وكون الحال المؤكدة عقيب الجملة الاسمية واما
انتصابه على المدح نكرة والمنتصب عنه معرفة فيمنعه القياس ولم يرد عليه به الاستعمال وقرئ القائم
بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد المشهود به على ما هو عليه في نفس الامر وتقرر
ان الاصل في الدين هو التوحيد والعدل لا ذم له لزوم الظل للذات ولهذا اكدهما بقوله العزيز اي الغالب
بوحدته على كل شيء لا يغالبه شيء فيكون الها الحكيم الذي يوفي كل ذي حق حقه لا يعدل عن العدل في افعاله
فهما صفتان مقررتان لهما ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد ان الدين عند الله الاسلام
كلام مستانف لما قرر اصل الدين واساسه باطنا وظاهرا وهو التوحيد والعدل اتجه ان يقال فما الدين الذي
يجب ان يتدين به بعد هذا الاعتقاد فاجيب بان الدين بينا هل ان يسمى دينا ويعتد به عند الله ويقبل
هو الشرع الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام وقرئ بالفتح على انه بدل من انه بدل الاشتمال وقرئ

انه بالكسر وأن بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما او اجرا شهد مجرى قال النارة وعلم
اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى بالامر الا من بعد ما جاءهم العلم
من بعد ما تمكنوا من العلم بحقيقة الامر بالايات والبينات لا اختلاف ان المراد اختلافهم فيما بينهم على ما دل عليه
قوله بغيا بينهم حسدا وطلبا للرياسة انقسمت اليهود الى فرابي ودرباني وسمني وانقسمت النصارى
الى ملكي ويعقوبي ونسطوري وكل طائفة يكفر من خالفها بعد ان كانت اليهود امة واحدة والنصارى
كذلك ... تمكنوا من العلم بالكتب المنزلة عليهم من التوراة والزبور والانجيل ومن يكفر بايات الله بر شدك
الى ان المراد من مجى العلم ما يفيد من الابانة فان الله سريع الحساب اي لا يهمل في جزائه ولا يمهل فان الحساب
عن عدم الامهال في الجزاء وسرعته كناية عن عدم الاهمال في الابصار وهذا اية وعيد شديد في انقا به
فان حاجوك فان جادلوك ولم ينفعهم التبيينه من الجواد انه في الدين فقل اسلمت وجهي لله اخلصت
نفسي وجملتي له لا اشرك بها غيره فالوجه مجاز عن نفس الشي وذاته كما في ويبقى وجه ربك او عن جملة
الشخص تعبيرا عن الكل باشرف الاعضاء اجزاء والمقصود المبالغة بجعل كل البدن محلا للاخلاص والقاء
للترتيب على ما فهم مما تقدم من ان اختلافهم في الدين لغرض دنيوي لا لاظهار الحق او اذا التقى الشبهة فلا تجدي
الجدال لذمهم والاحتجاج عليهم ولهذا امره عليه السلام بالجواب المفصح عن الاعراض عن محاجتهم ومن اتبعني
في موضع رفع للابتدا والخبر محذوف والدلالة ما قبله عليه تقديره اسلم وجهه لله ولا يجوز عطفه على الضمير
في اسلمت لاستلزامه المشاركة في المفعول ولا صحة لها وعلى الواو على معنى مع لا يفضي الى ذلك الا ان خفي
مع ان يدخل المتبوع وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب فيهم كمشركي العرب أأسلمتم استفهام
فيه استقصار وتعيير بالمعاندة اي قد جاءكم من البينات ما يوجب الاسلام ولم يبق معه شبهة فهل اسلمتم
ام انتم بعد على كفركم وعنادكم فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم باخراجها من ظلمة الضلال
الى نور الهدى وان تولوا فلم يضروك فانما عليك البلاغ فان الرسول ما عليه الا البلاغ وقد بلغت وبا
في الحجة والله بصير بالعباد وعد للرسول ووعيد لهم ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بغير حق في سورة البقرة بغير الحق اي بغير الحق الذي حرم الله تعالى واذن فيه والنكرة ههنا على معنى ان القتل
يكون بوجه من الحق فمعناه يقتلون بغير حق من تلك الحقوق ويقتلون الذين يامرون بالقسط قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الاية ثم قال يا اباعبيدة قتلت بنوا اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار
في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف
ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار في ذلك اليوم وهو الذي ذكره الله تعالى وفائدة البيان
بقوله من الناس التنبيه على انهم قتلوا لامرهم بالمعروف بالقسط لا لخصوصية فيهم ووجه المضارع
الدال على الاستقبال والحال مع ان قتل الانبياء انما كان فيما مضى ان اوايل اهل الكتاب قتلوا الانبياء

واتباعهم

واتباعهم الامرين بالقسط والمعاصرون راضون بذلك وقاصدون قتل رسول الله صلعم والمؤمنين
وذلك في حكم القتل فكانوا مستمرين على قتل الانبياء واتباعهم فوضع المضارع الدال على الاستمرار ه
ويكون الحكم بالقتل على المعاصرين بقرينة قوله فبشرهم بعذاب اليم لا على المجموع ليلزم الجمع
بين الحقيقة والمجاز على ان الماضين قد انقرضوا والمعاصرين لم يباشروا فالاستمرار على القتل
في الكل ايضا مجاز فلا جمع وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولهذا قيل الخبر اولئك
الذين حبطت اعمالهم لكنه زيف فانهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتدا بخلاف ليت ولعل في الدنيا
والاخرة اي لا ينالون بها نفعا في الدنيا ولا في الاخرة وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب واعتبر مقابلة
الجمع بالجمع والافنفي المفرد ابلغ الم تر تعجيب من حيهم وتنبيه على سوء صنيعهم الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يريد احبار اليهود فانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية لافادة التنكير التكثير واللام
للعهد والمعهود التورية ومن اما للتبعيض لانهم فهموا مع وفوره ليس الا البعض منها لتعذر احاطة
البشر بكنه كلام الله تعالى واما للبيان بمعنى ان النصيب الوافر الذي اوتوه هو التوراة وعلى هذا فالانسب
ان يفسر الايتاء بالانزال عليهم والاطلاع عليها لا بالتحصيل ويجوز ان يكون اللام للجنس ومن للابتداء
او للتبعيض وان يكون للعهد والمعهود اللوح ومن للابتداء والنصيب التورية ووصفها بالعظم
انسب من وصفها بالكثرة يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم حال او استيناف وكتاب الله هو التورية وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال
على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت
وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القران لانهم قد علموا انه كتاب الله
لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم ان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون
وهم قوم عادتهم الاعراض اعتراض او حال الثلاثة فائدة تقييد التولي وان استقام ان يكون حالا مؤكدة
وقرى ليحكم على البنا للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم
وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل
منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا
بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلعم ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزايغ والطمع الفارغ والتسبب
في الحقيقة زعمهم اياه الا انه عبر عنه بالقول تنزيلا لمعتقدهم الفاسد عن منزلة العقايد
الى منزلة الاقوال الباطلة التي لا طائل تحتها وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان اباهم الاولياء
يشفعون لهم او الغرور لا اطماع فيما لا يصح او غر الضعفاء قول الكبراء او انما سماه افتراء وهو اختلاق

تسهيلهم

الكذب على الغير لانهم اضافوا القول الى التورية فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما اعد لهم
من العقاب وتهويل لهم اى فكيف يصنعون او كيف يكون حالهم اذا وقعوا فيما لا حيلة لهم في دفعه
ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت قيل فيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المومن لا يخلد في النار لان
توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص ويرد عليه انا لا نسلم ذلك فانه
لا يجوز توفيتها بتخفيف العذاب وقبلها بدفع بعض الاهوال عند موقف الحساب والمرور على الصراط وهم
لا يظلمون بنقص ما وعد لهم من اجورهم والضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض
من يا ولهذا لا يجتمعان وذلك بعض خواص هذا الاسم لدخول يا القسم وبحرف التعريف وقطع همزته
مالك الملك اللام للاستغراق تفيد العموم وهو ندا ثان عند سيبويه لان الميم عنده تمنع الوصفية
توتي الملك من تشا اللام هنا وفي قوله وتنزع الملك ممن تشا للماهية التي تحصل بوجود فرد منه فهما
خاصان اى توتى من تشا النصيب الذى قسمت له منه وتنزع ممن تشا النصيب الذى اعطيته منه وتعز
من تشا وتذل من تشا في الدنيا بالنصر والادبار وفي الاخرة بالتوفيق والخذلان بيدك الخير انما خص
الخير بالذكر لعدم نسبة الشر اليه تو على ما وقع التصريح به في الحديث النبوي حيث قال والخير في يديك
والشر ليس اليك ولما احتمل ان يظن ان الشر خارج عن حيز قدرته دفع بقوله انك على كل شي قدير
تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشا بغير
حساب لما ذكر قدرته في ايتاء الملك والنزع والاعزاز والاذلال بحسب المشية عدد اثار القدرة الباهرة
بذكر الليل والنهار وزيادة كل منهما بنقص الاخر وذكر الحي والميت واخراج كل منهما من الاخر وذكر سعة
فضله دلالة على ان من قدر على هذه الامور العظام المحيرة للعقول لا اقدام ثم قدر على ان يرزق من يشا من عباده
بغير حساب فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم ويرزقهم بغير حساب
والولوج الدخول في شي بكلفة واستعير هنا للحوق قدر من الليل بالنهار وقدر من النهار بالليل بان تسير
على وجه يكون اللاحق من جنس الملحوق والمراد من اخراج الحي من الميت وعكسه انشا النسمة الحية من النطفة
الميتة والنطفة الميتة من النسمة الحية وقيل هو اخراج المومن من الكافر وعكسه وفيه انه ليس من الايات
الباهرة التي تستحق ان يستدل بها على ما ذكر وذكر من يشا ان الرزق غير مخصوص بذوي العقول للتنبيه
على ان رزق هذا الجنس وهو اقل افرادا من الجنس الاخر اذا كان خارجا عن حد الحد فالخروج عنه في الجنس
الاخر في الكل بطريق الاولى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة ونحوهما
حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وساير الامور الدينية من دون المومنين
اي لا تتجاوزهم اولياء مجاوزين ولاية المومنين فان لهم في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكافرين فلا يوثروهم
عليهم بالولاية ومن يفعل ذلك اى اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء فليس من ولاية الله في شي يطلق

عليهم

98

اسم

عليه الولاية ولا يتخذ ولاية العدو عداوة وهم اعداء الله تو الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من
جهتهم امرا يجب اتقاؤه في محل النصب على الظرف اى الا وقت ان تتقوا قيل بمعنى تخافوا وتحذروا
فتعديه بمن كان هذا القايل ظن ان خاف بمعنى حذر لا يتعدى بنفسه ولم يصب وتكون تقاة نصبا
على المصدر بمعنى متقي وفرئ تقية فعيلة بمعنى مفعول او تميزه بالمصدر ايضا ويجوز ان يكون مفعولا من
اجل مفعولا به فيفيد مبالغة شديدة حيث كان الرخصة معلقة بشدة الخوف حتى اذ المحذور
من غاية كونه مخوفا كانه نفس الحذر وفيه التفات ولا يخفى ما فيه من اللطف فانهم لما ابتدا فعل
ما لا يجوز فعله جعل ذلك في اسم غايب فلم يواجهوا بالنهي ولما وقعت المسامحة والاذن في بعض ذلك
وجهوا به ايذانا بلطف الله تو بهم وتشريفا بهم بخطابه اياهم ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه
بموالاة اعدايه وعيد شديد مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه
عقاب يصدر منه فلا يوبه دونه بما يحذر من الكفرة والى الله المصير دون غيره فلا تفوتونه
ولا يمكنكم الحذر ابعاد بليغ عند مخالفته ثم بين قوله ويحذركم الله نفسه بقوله قل ان تخفوا ما في صدو
او تبدوه يعلمه الله وهو بيان من باب التعميم كافا منه البرهان اى ان تخفوا ما في صدوركم من ولاية
الكفار وغيره مما لا يرضى الله به او تبدوه يعلمه الله تو يستوي عنده الاخفا والابدا فذكر قوله او
تبدوه بعد قوله ان تخفوا مع انه مغن عنه لتقرير معنى التسوية المذكورة فهو كقوله وكهلا في قو
يكلم الناس في المهد وكهلا ويعلم اى وكيف لا وهو يعلم ما في السموات وما في الارض فانه مطلع بالذات
على الاشيا كلها سرها وعلنها والله على كل شي قدير فهو القادر على عقوبتكم وفي اظهار ذكر الله في المواضع
الثلاثة وتقديمه على المصير مع ان الموقع موقع الاضمار ايعاد شديد لو تربية للعلم والقدرة والنهي
بانه هو العالم القادر دون غيره ولا يختص علمه وقدرته ببعض المعلومات والمقدورات دون بعض
فيجب ان يحذر ويتقى يوم تجد نصب بمضمر نحو اذكر او لا بتود اذ ح يضيع توصيف اليوم بوجدان كل نفس
ما عملت من خير محضرا بل يحل اذ لا يصلح منشأ لتلك الودادة والاصل في مثل ذلك هو المشابهة كل نفس
اي كل نفس عاملة للخير وهي النفس المومنة لعدم الخير للكافر وحذف الوصف لدلالة قوله ما عملت من
خير محضرا عليه وفيه اشارة بشارة المومن لانه ذكر انه يجد الخير محضرا ولم يذكر في حقه احضار
الشر لانه مما يغفر فلا يحضر فانه تو اولئك يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم
وظاهره حضور العمل بنفسه من الخير والشر على ما نطق به الخبر عن خير البشر فلا يجوز الصرف
عنه بلا اصارف وما عملت من سوء مبتدا وخبر تود لو ان بينها وبينه اى تحب متمنيا ان بينها وبين ذلك
اليوم ولا يجوز ان تكون ما شرطية وكذا على قراة العامة عند التحقيق ولا يا باه رفع تود لان الشرط
اذا كان ماضيا والجزاء مضارعا جاز فيه الرفع والجزم لكن الحمل على الجملة الاسمية اوقع في المعنى لانه

حكاية الكائن في ذلك اليوم امدا بعيدا والامد المسافة او الزمان ويحذركم الله نفسه ذكره فيما سبق للمنع
عن موالاة الكافرين وذكره هنا للحث على عمل الخير والمنع عن عمل السوء فلا تكرار والله رؤف بالعباد
يعني ان المبالغة في تحذيرهم واستيقاظهم عن الغفلة وتذكيرهم كمال علمه وقدرته واحاطته بهم من الرأفة
العظيمة بالعباد لانهم اذا تنبهوا وعرفوه حق معرفته حذروا واستحقوا وطلبوا رضاه فنجوا فيجوز ان يريد
انه مع كونه محذورا لاحاطة علمه وكمال قدرته وقوة قهره مرجو لسعة رحمته ورأفته ولطفه كقوله
لذو مغفرة وذو عقاب اليم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة امر وجداني لا يمكن تعريفه بحسب الحقيقة
كما قيل حقيقة الحب لا تحكى لفاقدها والواجد استبشع التعريف بالقيل لا يعرف الشمس الا من يشاهدها
فكلهم في تعريفها عن تضليل واثرها الحادث في القلب ميل الى المحبوب بكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه
اليه فمحبة الله تعالى تقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة
وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على طاعته يحببكم الله جواب للامر اي يرضى عنكم ويقربكم من
جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المشاكلة ويغفر لكم ذنوبكم
ما سلف من ذنوبكم والله غفور رحيم لمن يتحبب اليه بطاعته ومتابعة نبيه قل اطيعوا الله والرسول ذكر
الله توطية للرسول تخصيصا له بالله تعالى وتعظيما لكون الطاعة مكان المتابعة كانه قال فان لم تتبعوني
فاطيعوني ونوه به بذكر الرسول والالتفات واكد تعظيمه فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا
بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين قد سبق انفا بيان معنى حب الله اثبت الكفر لتارك طاعة الله ورسوله
بوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالكفر وحصرا للكفر فيهم بافادة انهم جنس الكفار ليلزم ان تارك
المتابعة ليس بكافر ما دام مطيعا لانها لا تتيسر لكل واحد من احاد المسلمين مومئا الى ان الذي لم تتيسر
له المتابعة في سلوك طريقه فعليه بالطاعة كما مر وان كان كافرا ان الله اصطفى ادم ونوحا بالرسالة
والخصايص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسول وبين انها
الجالبة لمحبة الله تعالى عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وآل ابراهيم اسمعيل واسحاق عم واولادهما
وقد دخل فيهم الرسول صلعم وآل عمران موسى وهارون عم هو المراد عمران بن يصهر وقيل عمران بن ماثان والد
عيسى ومريم بنت عمران المذكورة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الالين او منهما او من نوح وادم عم اي
انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض والذرية لما كانت مشتقة من الذرء وهو الخلق شملت الكل
لان الاب خلق منه الولد والولد خلق من الاب وقيل بعضها من بعض في الدين والله سميع عليم باقوال الناس
واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امراة آل عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة
عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فانتصب اذ بسميع ومنع توصيفه من العمل غير مسلم وقيل نصبه باضمار
اذكر محررا نصبه على الحال اي معتقا لخدمته مخلصا للعبادة لا اشغله بشيء وقيل كان بنوا اسرائيل

لم يكن لهم غنايم اعدائهم فلم يكن لهم مماليك يعتقونه وكانوا يحررون اولادهم تقربا الى الله تعالى ويقطعون
منافعهم عن انفسهم ويفرغونهم لخدمة بيت الله فتقبل مني ما نذرته والتقبل اخذ الشي على الرضا به
انك انت السميع لقولي العليم بنيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه
لا لانه كان انثى حتى يكون كقولك وضعت انثى بل نظرا الى الحال وعلى تاويل النفس والنسمة وانثى حال
من وضعتها وطوبق ضمير ما في بطني للحال وذا الحال كشي واحد انما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها
لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والله اعلم بما وضعت اي بالشي الذي
وضعته وهو استيناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرئ وضعت على انه من كلامها
تسلية لنفسها اي ولعل الله تعالى جعل فيها سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى
لها وليس الذكر كالانثى الذي وهبتها بيان لقوله والله اعلم بما وضعت والتعريف فيها للعهد قيل ويجوز
ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون التعريف للجنس وفيه ان مقصودها
تنقيص الانثى بالنسبة الى الذكر والمشهود في مثله ان ينفي عن الناقص شبهه بالكامل لا العكس
واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض ارادت بذلك التقرب الى الله
والعصمة لها لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فلعل يصدق فيها ظنها وتجعل طبقا لاسمها فتقوم
مقام ما نذرته الا تراها كيف اتبعته بقولها واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان
الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلعم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه
فمن تردد في صحته ثم اوله فقد ضل واضل فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول
حسن بوجه حسن يقبل به النذاير وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر
وتصلح للسدانة ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل
بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا
اي نشاها ورباها على احسن وجه خلقا وخلقا وكفلها زكريا وقرئ بتشديد الفاء اي جعل زكريا كافلا
لها وضامنا لمصالحها كلما دخل عليها زكريا المحراب قال الاصمعي المحراب الغرفة التي بني لها وقال الزجاج
المحراب اشرف المجالس ومقدمها وقيل المساجد عندهم تسمى المحاريب وهو مفعال من الحرب
لانه محارب فيه الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا
جواب كلما وناصبه وتنكير رزقا للتنويع اي نوعا غريبا من الرزق روي انه كان لا يدخل عليها
غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس
قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب
مغلقة عليك استفيد الاوصاف من اسم الاشارة المستعمل لكمال العناية بالتمييز لما له من الاوصاف

العجيبة الشان قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل من جملة كلا
او من كلام الله تعالى هنالك اي في ذلك المكان دعا زكريا ربه لما كان المحراب مكان عبادة وكرامة لمريم
دعا فيه ان يهب الله تعالى له ذرية طيبة قال تفسير لدعا رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي تفضل
علي باعطاء ولد وانما تنبه كما وهبت لامرأة عمران وهي عجوز عاقر بنتها هذا من قوله من لدنك فان فيه اشارة
[illegible] على خلاف العادة وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من
الشيخ فسال والاولى منه ان يقال لما شاهد وقوع هذا الخارق كرامة لمريم امتد امله الى خارق يناسبه
كرامة له والذرية الولد يقع على الذكر والانثى والواحد والجمع وتانيث الطيبة للفظ الذرية
والطيب هو الذي يستطاب فلا يكون فيه امر يستخبث ويعاب انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة
كان النداء من جبريل عم وحده وانما ذكر جمعا لانه اذا نزل لامر خارق كان معه جماعة من الملائكة تعظيما
لذلك الامر وهذا كما يقال حضر زيد اخواص السلطان يدعونه اليه وان كان الذي يخاطبه بالدعوة
واحدا منهم وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلاة ويصلي صفة قائم او خبر او حال عن الضمير
في قائم دل على ان المرادات تطلب بالصلوات وفيها اجابة الدعوات وقضاء الحاجات ان الله يبشرك
قرئ بالفتح لوقوع فعل النداء عليه وحمل النداء في معنى الاعلام وبالكسر على ان في النداء معنى القول وقرئ
يبشرك بالتشديد من التبشير وبالتخفيف من البشارة وقد سبق تفسيرها في سورة البقرة بيحيى
اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى عم مؤمنا به
سمي بذلك لانه وجد بامر الله تعالى بلا اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله تعالى سمي كلمة
كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان يفوق الناس كلهم في انه
ما هم بمعصية وحصورا ممتنعا من الشهوات مع القدرة عليها والحصر الحبس والمنع وهو فعول بمعنى الفاعل
وقيل هو المتبتل الذي حصر نفسه عن كل لذة في الدنيا روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى
اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عم او كائنا من
الصالحين وفي توصيفه بالصلاح بعد توصيفه بالنبوة ما لا يخفى من التعظيم للصلاح قال رب انى يكون
لي غلام استعظاما وتعجبا وفي عبارة الغلام دون الولد تقوية له وذكر الغلام كان في البشارة
على ما ذكر في سورة مريم وترك هاهنا اختصارا والاستبعاد بحسب العادة لا يناسب الحال وسياق
المقال الا على قول من قال كان دعاؤه عم قبل بشارته باربعين سنة فلذلك نسي ما سال ربه حتى قال
ما قال على ان الاستعظام ينتظم اذا اقتضاه المقام واما الاستفهام عن كيفية حدوثه فلا يناسبه
تمام الكلام ولا ينتظم الجواب حق الانتظام وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع

وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون ولهذا قال وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر
من الاولاد قال كذلك تعظيم اي مثل ذلك الفعل العظيم العجيب الشان البعيد عن العقل والعادة يفعل الله
ما يشاء من الافاعيل العجيبة وهو خلق الولد من الفاني والعجوز العاقر كذلك نصب على المصدر او خبر مبتدا
الله اي على مثل هذه الصفة الله وقوله يفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادة
قال رب اجعل لي اية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار
قال ايتك الا تكلم الناس اي لا تقدر على تكليم الناس من غير خرس ولا افة اخرى لقوله في موضع اخر سويا
اي سليم الاعضاء وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليتخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق نعمه
لما اطلع الله تعالى على انه طلب الاية لاداء الشكر جعل الاية نفس الشكر فان اخلاص المدة لذكره دون
شغل لسانه بغيره من احسن انواع الشكر واحسن الجواب ما كان منتزعا من السؤال كانه قال ايتك لا تقله
الا على شكري ثلاثة ايام ذكر الايام هنا والليالي هناك ولا تنافي بينهما لان ذكر احدهما مجتمعا يقتضي
دخول الاخرى فيها لغة وعرفا الا رمزا الا ايماء بالشفتين وقد يستعمل في الايماء بالحاجب والعين
واليد والراس والاول اغلب واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والكلام يتناول الرمز لان المراد منه
ما دل على الضمير قال جوبة بن عائذ كان تكلم الابطال رمزا وغمغمة لهم مثل الهدير فالاستثناء متصل
وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين واذكر ربك
كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه والكثرة قيد للغرض للمامور به لا قيد الامر فلا
تقييد لدلالة الامر على التكرار فائدته تكرار الذكر الكثير وسبح بالعشي والابكار في طرفي النهار خصهما
بالذكر لانهما مجمع ملائكة الليل والنهار وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين
اي بكرة واذ قالت الملائكة يا مريم لما فرغ من قصة زكريا وكان قد استطرد من قصة مريم اليها رجع
اليها الى قصتها والمقصود تبرئتها عما رمتها به اليهود وفي نداء الملائكة باسمها تانيس لها وتوطئة
لما يلقيهم اليها ودفع احتمال ان يكون ذلك بطريق الالهام لا على وجه المشافهة بالكلام ان الله اصطفاك
اولا بانواع الكرامة واختصك بتقبلك من امك وتربيتك برزق الجنة وفيض القدرة وطهرك مما
يستقذر ويجتنب من الافعال ويدخل فيه ما قذفها به اليهود دخولا اوليا واصطفاك اخرا على نساء
العالمين بان وهب لك عيسى عم من غير اب كان تلك المخاطبة كرامة لها للاجماع انه تعالى لم يستنبئ امرأة
واما قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا فلا دلالة له على المطلوب لان الرسول اخص من النبي ولا يلزم من انتفاء
الخاص انتفاء العام يا مريم اقنتي اخلصي او ادعي الطاعة لربك واسجدي اي صلي النافلة وحدك
واركعي مع الراكعين اي صلي الفرض مع المصلين في بيت المقدس جماعة وانما خص السجود من بين اركان الصلاة
بالذكر في مقام التعبير عن الكل بالجزء لان تمام الصلاة به ولهذا لم يحنث من حلف لا يصلي اذا تم سجدة

ولا تسنن قبله وخص الركوع بالذكر في مقام التعبير عن الصلوة بالجماعة لان شرط صحة الاقتدا ادراك الامام
في الركوع ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عم من انباء الغيب نوحيه اليك يعني ان
اليك من الغيوب وما كنت لديهم الضمير عايد الى ما دل عليه المعنى اي وما كنت لدى المتنازعين اذ يلقون
اقلامهم قداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا بها والمراد
تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فانه قيل انه عليه السلام يخبركم بما لا سبيل اليه لنظر العقل
وانتم تنكرون الوحي ونعترفون بعدم السماع فلم يبق لنا بمقتضى عقولكم ما يحتاج الى النفي سوى المشاهدة
التي هي اظهر الامور انتفاء ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا
ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى
وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة
كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه قد سبق تفسيرها اسمه الضمير للكلمة وانما ذكره باعتبار المعنى ه
المسيح عيسى بن مريم المسيح لقبه واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك فهو من الالقاب المشرفة كالصديق
وعيسى معرب ايشوع وانما قال ابن مريم والخطاب لها تنبيها بنسبته الى الام انه يولد من غير اب
لان النسبة اليها انما تكون عند فقد الاب وقد كان في قوله تعالى بكلمة منه تمهيد لهذا التنبيه ولما كان
للاسم علامة يعرف بها المسمى ويتميز من غيره قيل اسمه اي ما يعرف به ويتميز مجموع هذه الثلثة تعظيما له
وتنويها بذكر اللقب والصفة مع الاسم وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة
لكنها موصوفة وذو الوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس بالمعجزات وفي الآخرة علو الدرجة والشفاعة
ومن المقربين من الله تعالى حال اخرى وقيل اشارة الى رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس حال اخرى
والعدول الى الفعل لانه صفة متجددة بخلاف السابق واللاحق وذكر الناس ليبان ان المراد التكلم المعتاد
فان الصبي قد يقدر على التكلم مع ابويه ولو طفل فتكلمه مطلقا في تلك الحال ليس بخارق العادة في المهد
حال من يكلم وكهلا عطف عليه طفلا وكهلا وانما عدل عنه الى المنزل تصوير الحال صغره المنافي للقدرة ه
على التكلم كما ينبغي والمعنى يكلمهم في الطفولية والكهولة على سواء وفيه بشارة لامه بعيشه وبقائه
الى الكهولة وهي ما بين الشباب والشيب واستدل به على نزوله من السماء لان رفعه اليها كان قبل ان يصير
كهلا والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه تسمية بالمصدر ومن الصالحين حال رابع من كلمة او ضميرها الذي
في يكلم قالت لما فهمت من نسبته لها انه هو الولد رب انى يكون لى ولد تعجب ناش من استبعاد عادي
لا استفهام عن ان يكون بتزوج او غيره لان قوله ولم يمسسني بشر ظاهر في ان الطريق عندها منحصر
في التزوج قال جبرئيل عم بامر الله تعالى كذلك الله يخلق ما يشاء قد سبق تفسيره اذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون بيان لقوله يخلق ما يشاء واشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب

ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما
همها من خوف اللوم لما علمت يقينا انها تلد من غير زواج والكتاب الكتبة وقرى ونعلمه بالنون على الالتفات
من الغيبة الى الخطاب في لتشريفه الاعتنا بامره عم ويجوز ان يراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة وخص الكتابين
في قوله والحكمة والتورية والانجيل لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب
بمضمر اي ونجعله رسولا او رسولا يتضمن معنى النطق كانه قال ورسولا ناطقا باني قد جئتكم باية ويجوز
ان يكون التقدير ويقول ارسلت رسولا ولا يخفى ضعفه اذ فيه اضمار شيئين القول ومعمولها والعطف
على الاحوال المتقدمة يا باه الفصل بقوله قالت رب انى يكون لي ولد الخ فانه حينئذ ينبغي ان يؤخر هذا
عن ذكر الاوصاف والاحوال لان الاهتمام بالصلة لا يصلح باعثا للتقديم ما حقه التاخير فانه لا يكون
بسلامة الامر وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته عم والمراد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق
لكم من الطين في محل النصب بدل من اني قد جئتكم او الجر بدلا من اية والرفع على هي اني وقرئ اني بالكسر على الاستئناف
كهيئة الطير اي اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير واصل الكلام كالطير في الهيئة وانما عدل الى
المنزل اشارة الى انه لم يكن منه عم تصرف الا في الهيئة فلا مماثلة بينهما في المادة انما المماثلة في
الصورة فقط فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون طيرا اي يصير حيا طايرا باذن الله بين به
ان احياءه كان من الله تعالى لا منه وفي عبارة الاذن دون الامر اشارة الى تهوين امر كونه طيرا قيل نوطا
عن المفسرين ان الطاير الذي خلقه عم كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا
ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق ومن هنا ظهر وجه زيادة لكم في قوله اني اخلق لكم ووجه التهوين الذي
اليه بعبارة الاذن وابرئ الاكمه والابرص الاكمه الذي ولد اعمى وقيل الممسوح العين واحيي الموتى باذن
ذكره فيما لا يدخل تحت قدرة العباد وقيل في وجهه انه علم انه يعبد ويتخذ الها فنفى عن نفسه الالوهية قطعا
لحجتهم عند الله تعالى وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها
ان في ذلك الاشارة الى مجموع ما ذكر لاية لكم ان كنتم مومنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او
مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على رسولا او على باية تقديره قد جئتكم
باية وجئتكم مصدقا ولاحل لكم ولا بين الحل واعله معطوف على محذوف تقديره ولاخفف عنكم ولاحل لكم
او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك او مردود على قوله جئتكم باية اي مستظم
معه معطوف عليه ظاهر الكنه في التحقيق من عطف الجمل اي وجئتكم باية ولاحل اذ لا وجه لعطف المفعول
له على المفعول به ولكن لما تحمل اللام في معنى الحال فيستقيم العطف اي جئتكم ملتبسا باية ومصدقا لما بين
يدي وكاينا لاحل بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عم كالشحوم والثروب ولحوم الابل والعمل
في السبت وهذا لا ينافي كونه مصدقا للتورية لان النسخ في الحقيقة بيان لانتهاء حكم المنسوخ وجئتكم

بآية من ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم وما لم اذكر من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد
وغير ذلك وقرئ بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات واطيعون فيما ادعوكم به ثم ابتدا فقال
ان الله ربي وربكم اي تلك الآيات واسمعوا هذا لأنها اعظمها وهو التوحيد الذي نطقت به الرسل كلهم وهو
دين الكل واسه فاعبدوه فخصصوه بالعبادة وقرئ ان الله بالفتح ومعناه ولان الله ربي وربكم فاعبدوه
كقوله تعالى لايلاف قريش ايلافهم فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم بآية عظيمة ما اعظمها دالة على ان
الله ربي وربكم الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد بقوله فاعبدوه
الى استكمال القوة العملية فانه يلازم الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك
بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة فلما احس عيسى منهم الكفر نزل الكفر منزلة
آثاره المحسوسة من سببه وطلبه للقتل مبالغة في قوة تأثيره وشدة ظهوره ثم كنى باحساسه عن التأثر
به والخوف منهم ولذلك طلب الانصار ومن وهم ان الاحساس مستعار للعلم اليقيني الذي لا شبهة فيه فقد
وهم لان فيه تشبيه القوي بالضعيف فان الاحساس كثيرا ما يقع فيه الغلط نعم لو قيل شبه الكفر المعقول
بالمحسوس في قوة الظهور فاضاف اليه الاحساس على طريقة الاستعارة بالكناية لكان له وجه والفا فصيحة
ترتيبها على محذوف يفهم من سياق الكلام وسياقه قال من انصاري جمع النصير كالاشراف جمع الشريف
او جمع ناصر كالاصحاب جمع صاحب الى الله في محل النصب متعلق بحال محذوف اي ذاهبا الى الله او ملتجئا
او صلة لانصاري متضمنا معنى فعل متعد بالى اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصر
الله قال الحواريون حواري الرجل صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص سمي به اصحابه عم لخلوص
نياتهم ونقاء سرائرهم نحن انصار الله اي انصار دينه آمنا بالله واشهد بانا مسلمون تأكيدا لاسلامهم لان الرسل
يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين مع الانبياء
الذين يشهدون لاممهم او مع محمد عم لانهم شهداء على الناس او بمعنى الشاهدين بالوحدانية ومكروا اي الذين
احس عيسى عم منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله بان رفعه اليه والقى شبهه على من قصد اغتياله
حتى قتل وحقيقة المكر اظهار امر يعتقد فيه الناظر اليه الجاهل حقيقته بضد ما هو وكذلك الاحتيال
والخديعة والسخرية وهو من قصد بشيء من فعل ذلك امرا قبيحا يكون ذميما وان قصد به فعلا جميلا يكون بذلك
حميدا كذا قال الراغب فلا شيء في اسناده الى الله تعالى كما لا شيء في اسناد الكيد اليه ومن وهم انه لا يسند اليه
تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج فقد وهم وكانه غافل عن قوله تعالى افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال
الله ظرف لمكر الله لا لخير الماكرين لان تقييد كونه تعالى خير الماكرين بالظرف ليس بسديد يا عيسى اني متوفيك
اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي

فعك

او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما وقيل اماته الله ورفعه الى السماء ثم احياه واليه ذهب النصارى ورافعك
الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء خبث صحبتهم وسوء جوارهم او قصد جوارهم
وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها او بالسيف ومتبعوه هم المسلمون
لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى
الى يوم القيامة الى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم دولة وملك ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن
تبعه ومن كفر به ومن غلب المخاطبين على الغائبين بعدما التفت من الغيبة الى الخطاب ليكون الاخبار ابلغ في التهديد
واشد زجرا فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والتفت من الغيبة الى التكلم مسندا الحكم الى نفسه
ليعلم ان الحاكم هنا من لا يخفى عليه خافية فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم
من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وبدا بذكر الكفار لان
ما تقدم من الجمل انما ذكر على سبيل التهديد والوعيد لهم والاخبار بجزائهم وقوله وعملوا الصالحات لم يذكر
على انه قيد احترازي بل ذكر للتنبيه على ان الايمان الصحيح يتبعه العمل ان لم يمنعه مانع والله لا يحب الظالمين
اي يبغضهم فانه من الكنايات الملحقة بالحقيقة في جميع الالسنة ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى عم وغيره
وهو مبتدا خبره نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف ويجوز
ان يكون من الآيات خبرا ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه
وان يكون بمعنى الذي ونتلوه صلته والخبر من الآيات والذكر الحكيم هو القرآن وصف بصفة من هو له على طريقة
قولهم شعر شاعر او لكثرة حكمه كانه حكيم ناطق بالحكمة او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه ان مثل عيسى
عند الله اي شانه الغريب في ولادته من غير نطفة كمثل آدم كشانه الغريب في خلقه كذلك والجامع
هو الحال على الخلق قال عند استوائهما في ذلك اي في وجد او وجود خارجا عن العادة بان خلقا من غير
نطفة نظيران لا مزية لاحدهما على الآخر في نفس ذلك المعنى فصح التشبيه بلا اشتباه واما كون عيسى عم مخلوقا
من غير اب وادم عليه السلام مخلوقا من غير اب وام فخارج عما هو اول الكلام وان كان مقصودا في تمشية ما سبق
له ذلك ملحوظا من عرضه بمعونة المقام فان الغرض دفع استغراب خلق عيسى عم من غير اب فيما احتج من
خلق من غير اب وام يتم ذلك الغرض على وجه اقوى ولهذا تعرض لبيان حاله بقوله خلقه من تراب جملة
مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه اي خلق جسده لانه من عالم الخلق وهو عالم الملك وعالم الشهادة ثم وجد
روحه بامر كن وهو عالم الامر وهو عالم الملكوت وعالم الغيب على ما افصح عنه بقوله ثم قال له كن وفيه دلالة
على ان الانسان كائن مرة بعد اخرى على ما صرح به في قوله تعالى ثم انشاناه خلقا آخر فيكون ثم للتراخي حقيقة فيكون
حكاية حال ماضية استحضارا لتلك الحالة العجيبة وبيانا لسرعة حصول المراد فان الفا للدلالة على عدم
التراخي الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق من ربك اي ثابتا منه على انه حال مؤكدة وقيل الحق مبتدا

وممن يكتم خبره اي الحق المذكور من الله تعالى وتعريف الحق للعهد الذهني اي ايجاد عيسى عم من غير اب هو الحق الذي
نعرفه فلا تكن من الممترين الخطاب للنبي عم وفائدة النهي عن الامتراء هو التثبيت على اليقين والطمأنينة والاعلام
الى ان الممتري هو الذي لا يعرف الحق اي قدرة الله تعالى على الايجاد من غير اب والا فرسول الله صلعم اجل من ان
يمتري حتى ينهى عنه فمن حاجك من النصارى فيه اي في عيسى عم من بعد ما جاءك من العلم اي البينات الموجبة
للعلم فقل تعالوا اي هلموا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدعو كل منا ومنكم نفسه
واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس تنبيها على لطف مكانهم وقرب
منزلتهم وانهم مقدمون على الانفس كيف والرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل من البهلة
بفتح الباء وضمها وهي اللعنة واصل الابتهال الالتعان ثم استعمل في كل دعاء يجتهد الانسان عليه وان لم يكن
التعانا والمباهلة الملاعنة اي نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم فنجعل لعنة الله على
الكاذبين عطف فيه بيان قد طول المفسرون في قصة المباهلة وحاصلها انه عم لما دعاهم اليها وخرج
الحسن والحسين وفاطمة وعلي رض الى الميعاد كفوا عن ذلك ان هذا ما قص من نبأ عيسى وامه لهو القصص الحق
بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شأنهما حق دون ما ذكروه وما بعده خبر وحق الكلام ان يدخل
المبتدأ فلما دخلت ان ازيلت عنه الى الخبر او الواسطة لمزيد التأكيد واذا جاز تأخيرها الى الخبر فلان
يجوز الى الواسطة التي هي اقرب الى المبتدأ اولى وما من اله الا الله زيادة من هنا في افادة معنى الاستغراق
والتأكيد في المنفي كالبناء على الفتح في لا اله الا هو والمراد الرد على النصارى وان الله لهو العزيز الحكيم دخول ان
واظهار اسم الله وتوسيط هو للفصل وادخال اللام عليه وتعريف العزيز الحكيم مبالغات وتأكيدات في التوحيد
ونفي الشرك لان العزة اي الغلبة والقهر مخصوص بالله تعالى ليس لغيره فيها نصيب وانما قهره انما يكون بالحكمة فلا
يقهر الكافر ثم بالغ في الايعاد بقوله فان تولوا اي عن التوحيد فان الله عليم بالمفسدين وادخال الفاء في ان الله
اشارة الى ان الوعيد مسبب عن الاعراض ووضع المفسدين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم وتنبيها على ان حقيقة
الفساد هو التولي عن التوحيد وان الوعيد المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
مخصوص بهم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد وفد نجران وقيل يهود المدينة تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم اذ لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها الا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ولا نشرك
به شيئا لم يرد به الشرك في العبادة لان الوصل اياه بل اراد به ما ذكر بقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث
والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله اي لا
نتخذ الاتباع الرؤساء اربابا بامر من دون الله فيطيعونهم كطاعة الله تعالى في طاعتهم لا اجبارهم فيما احدثوا
من التحليل والتحريم من غير الرجوع الى ما شرع اليه ولا في قولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله لان من جعله
الها تقدم من توحيده تعالى بالعبادة فان تولوا عن التوحيد الذي هو وصل بين الكل فقد لزمهم الحجة بانهم ليسوا

على دينهم فقولوا اشهدوا بانا مسلمون دونكم لانكم خالفتم كتابكم ونبيكم ويجوز ان يكون من باب التعريض اي اشهدوا
واعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل ولا يخفى نظم ما في هذه القصة من المبالغة في
الارشاد ولطف التدرج في الحجاج وحسن المقطع عند ظهور اللجاج يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت
التوراة والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم عم وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يعني انكم معترفون بحدوث اليهودية والنصرانية بنزول التوراة والانجيل
ونزوله بعد ابراهيم عم فكيف يكون يهوديا او نصرانيا ولا يلزم الالزام علينا في قولنا انه عم كان مسلما
لانا ما نقول بحدوث دين الاسلام بنزول القران افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم
هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف التنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره
وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للاولى اي تنبهوا ايها الغافلون انتم هؤلاء الحمقى على هذه الصفة التي
انتم عليها مما لا يمكن ذمكم بما هو ابلغ منه فانتم الاشخاص المتعينة المشار اليهم في الحماقة وفي حرف التنبيه
مبالغة في غفلتهم وفي هؤلاء الذم بالجهل وحاججتم كشف بجهلهم وسخافة عقولهم اي ان حماقتكم انكم
جادلتم فيما لكم به علم من التوراة والانجيل من حال محمد عم فلم تحاجون فيما لا ذكر له في كتابكم ولا علم لكم به
من حال ابراهيم والله يعلم ما حاججتم فيه فيعلمنا وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما ثابتا على ملة الاسلام
وما سبق الى بعض الاوهام من الاشتراك في الالزام فقد اندفع بما قدمناه من الكلام وما كان من المشركين تعريض
بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح وردا لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم عم ان اولى الناس
بابراهيم ان اقرب الناس منه واخصهم به من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي
خصوصا والذين امنوا من امته لموافقتهم له في اكثر ما شرع له اصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء
في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والذين امنوا على قراءة النصب عطف على الذين اتبعوه وعلى قراءة الجر يحتمل
العطف على النبي وعلى الذين اتبعوه وهذا اوجه والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت
طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان
وما يضلون الا انفسهم اي وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم او ما يعود وبال
اضلالهم الا عليهم فان الوبال يضاعف عليهم بضلالهم واضلالهم وما يشعرون ذلك يا اهل الكتاب لم تكفرون
بايات الله بما في التوراة والانجيل من الايات الناطقة بنبوة محمد عم وانتم تشهدون نعته في الكتابين او
تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورة الحق وقرئ
تلبسون بفتح الباء اي تكتمون الحق مع الباطل كقوله عم كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد عم ونعته
وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب المراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك

ابن الضيف وكعب بن الاشرف قالوا لاصحابهم لما حولت القبلة امنوا بالذي انزل على الذين امنوا كان حقه
ان يقول بالذي انزل على محمد عم وانما عدل عنه الى المنزل لعدم المساعدة من باطنهم على التكلم به وجه النهار
اوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه النهار اي اظهروا الايمان بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة
وصلوا اليها اول النهار واكفروا اخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يرجعون ظانين بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم وقيل
اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا
علماءنا [illegible] محمدا بالنعت الذي ورد في كتابنا لعل اصحابه يشكون فيه فيرجعون ولا تؤمنوا ولا تقروا
عن تصديق قلب الا لمن تبع دينكم الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان
رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه الهدى اسم ان
وهدى الله بدل منه وان يؤتى احد مثل ما اوتيتم خبره واللام في الهدى للعهد وفائدة الابدال تعظيم
الهدى الالهي الذي ليس وراءه هدى بل لا هدى الا هو لان ما عداه من هدى الخلق ليس بهدى على هذا او في قوله
او يحاجوكم بمعنى حتى لان المحاجة نفسها لا تصلح لذلك الامر تبطئة بالابتناء مرتبة عليه او هدى الله خبر
ان وان يؤتى علة فعل محذوف دل عليه ما قبله من اظهار ايمانهم ورجوعهم لتغيير من اسلم من اصحابهم
اي لا يؤتى احد كتابا موافقا لكتابكم مصدقا له منزلا من عند الله او ليحاجوكم عند ربكم دبرتم ما دبرتم
وقلتم ما قلتم لاصحابكم وانما اتى باو تنبيها على ان كل واحد منهما مستقل في اغاظتهم حملهم على الحسد حتى
دبروا ما دبروا ولو اتى بالواو لما وقع هذا الموقع للعلم بان الثاني يلزم الاول فلم يكن فيه فايدة زايدة
اذا اتى باو فقد اشعر بان كلا مستقل في الباعثية على الحسد والاحتشاد في التدبير والحمل على معنى حتى ليس
له موقع يروع السامع وان كان وجها ظاهرا ويؤيد هذا قراءة ان يؤتى بهمزة الاستفهام اي الان
يؤتى احد او لان يحاجوكم فعلتم ذلك ويجوز ان يتعلق ان يؤتى بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان
يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيدوا ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم
الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل وقرئ ان يؤتى بكسر الهمزة
على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل
ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير فيه لاحد على ان المراد به المنزل عليه وامته
قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء اي بايديكم وبيد غيركم فمن يؤتيه ويوفقه له لم يكن لاحد منعه
وهو الاسلام فيكون تاكيدا لقوله قل ان الهدى هدى الله ويجوز ان يكون اعتراضا اخر لتقرير ما مر
في قوله ان يؤتى احد اي النبوة والوحي الذي هو الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا عليكم دفعه ولا
ينفعكم الحسد ولا يضره والله واسع عليم واسع الرحمة عليم بالمصلحة فمن صلح لذلك من غيركم فهو يؤتيه
متفضلا عليه يختص برحمته من يشاء تاكيد وتاييد لقوله ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو

الفضل العظيم فيه دفع وهم القصور في افضاله المتبادر الى الفهم من اختصاص من يشاء برحمته
ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومايتي اوقية
ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي اخر
دينارا فجحده الا ما دمت عليه قائما في محل النصب على الظرف اي لا وقت دوامك عليه قائما على
راسه بالمطالبة والتقاضي والتعسف او بالبينة عليه عند المرافعة الى الحاكم ذلك اشارة
الى عدم الاداء المدلول عليه بلا يؤده اي تركهم اداء الحقوق بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا
في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا ذم ولا عقاب في شان الاميين الذين ليسوا من اهل الكتاب
ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا
ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التوراة حرمة بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى
بعهده واتقى فان الله يحب المتقين جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده
راجع الى من او الى الله تع ويقويه بعهد الله بعد والضمير الراجع من الجملة الجزائية الى من يقوم مقامه
المتقين لعمومه فيشمله اي كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الخيانة والغدر فان الله يحبه ويستلزم ان
الغادر الخائن فله الذم والعقاب عليهم سبيل في الاميين وفي غيرهم ووضع المتقين موضع الضمير للدلالة
على ان التقوى توجب محبة الله تع لصاحبها وان الموفي بالعهد هو المتقي فالغادر هو الفاجر بدلالة
وتعميم الحكم لعموم من في المتقين يفيد انهم لو وفوا بعهودهم واتقوا الخيانة لوفوا بالعهد الاعظم وهو ما
اخذ الله عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم واتقوا الكذب على الله وتحريف كلمه فكانوا مسلمين
محبوبين عند الله تع لقوله فاتبعوني يحببكم الله ثم صرح بما عرض به من تطرق الذم والعقاب الى الخائنين
بقوله ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم
وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة
قد سبق في تفسير سورة البقرة ما يتعلق به ولا يكلمهم الله اصلا او ان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او لا
ينتفعون بكلمات الله تع والظاهر انه كناية عن سخطه وشدة غضبه تع عليهم ومجاز لان الغاضب لا يكلم المغضوب
عليه ولا ينظر اليهم يوم القيمة كناية عن الاستهانة بهم واذلالهم ومجاز عن ترك الاحسان اليهم ولا يزكيهم
ولا يثني عليهم هذا غير مقيد بيوم القيمة فيفيد فائدة زائدة ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في
احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت الرسول عم وحكم الامانات وغيرها واخذوا على ذلك رشوة وان منهم
من المحرفين لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك بن الضيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب
يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبهه فعلى هذا الباء صلة كما تقول لويت لسانه
بالشعر اذا اخذ [illegible] وفيه اضمار او سمى كذا [illegible] او على زعمهم لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب والضمير

راجع الى اشهد الكتاب والعدول في قوله من الكتاب عن الضمير الى المظهر لتفخيمه فان المقام مقام تعظيم جريمة التحريف
وذلك تفخيمه وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله اي ليس
هو نازلا من عنده وفيه دفع لاحتمال ان يكون من الكتاب ومع ذلك يكون من عند الله كالاحاديث القدسية فهو تاسيس
لا تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتسجيل عليهم بالكذب وتشنيع عليهم باجترايهم على الله تعالى والعدول عن الضمير
الى المظهر في قوله من عند الله لتعظيم هذا الامر وبيان انهم لفرط دعارتهم يصرحون بذلك ولا يورون
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ما صح له
وما استقام ان يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ذكر اولا الكتاب وهو جنس وترقى منه الى الحكم وهو الفصل
بين الناس بالكتاب ثم الى النبوة وهو الرتبة العليا فالترتيب في غاية الفصاحة ثم يقول للناس اني
ثم وهي للمهلة تعظيما لهذا القول واذا انتفى هذا القول بعد المهلة كان انتفاوها بدونها اولى واحرى
اي ان هذا الايتا لا يجامع هذا القول وان كان بعد مهلة كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة
عيسى ع م وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال
معاذ الله ان امر بعبادة غير الله تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت بالاه قوله بعد اذ انتم مسلمون
وقيل قال له رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض فلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد
غير الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله وربما سبعنا قوله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا
ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في
العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين
له فالبا متعلق بكونوا فالمطلوب هو الربانية المسببة عن العلم وهذا انما يدل على ان الربانية والتمسك
اذا لم يكن مسببة عن العلم لا يكون معتدا بها واقعة على وفق المامور به لا على العكس وان كان الامر كذلك
في نفس الامر وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس
كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير رعاية سوالهم على الناس ولا
يامركم ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا قرئ بالنصب عطفا على يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في
ما كان لبشر لبعد العهد وتخلل الاستدراك او غير مزيدة على انه ليس لنبي ان يدعو العباد الى عبادته
وينهاهم عن عبادة الملايكة والنبيين وبالرفع على الاستيناف وهو الظاهر ويويده قراءة ولن يامركم ايامركم
بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون
لان يسجدوا له عم واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به ولتنصرنه قيل هذا على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه
تعالى اخذ الميثاق من النبيين وامهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين

اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على امهم وقيل المراد اولاد النبيين
على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد
لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطية للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف
وما شرطية مفعوله لاتيتكم من كتاب بيان لما وحمله على التبعيض يفضي الى اعتبار قيد لا يقتضيه
المقام وهو مثله عند البلغا يعد حشوا في الكلام وجواب القسم لتؤمنن به وهو ما بعده وجواب الشرط محذوف
لدلالة جواب القسم عليه وقدم الايمان لانه الاصل ثم النصر لانه من ثمرته ويجوز ان يكون ما خبرية
وقرئ لما بالكسر اللام للتعليل على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول
مصدق لما معكم او موصولة لان ما معكم بمعنى ما اتيتكم فيجوز عطف جاءكم على الصلة لوجود الراجع
اليها اي لاجل الذي اتيتكموه من الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق له وقرئ لما بالتشديد بمعنى حين
اتيتكم الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقل
ثلاث ميمات لان النون ما لم تقلب ميما لم تدغم في الميم فحذفت احداها فصارت لما اي لمن اجل ما
اتيتكم لتؤمنن به قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد ويعقد وقرئ
اصري بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر واما جمع اصار قالوا اقررنا قال فاشهدوا فليشهد بعضكم
على بعض بالاقرار وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد استيناف معناه
التوكيد والتحذير وقيل الخطاب للملايكة فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة
فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون من الكفار افغير دين الله يبغون الفاء عاطفة للجملة على الاولى
اي فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لتوجيه الانكار الى كون دين غير
الله مطلوبا فالمقصود الاهم بالانكار هو المفعول ويجوز ان يكون التقديم للتخصيص لا بمعنى ان التخصيص
منكر فيلزم جواز طلب دين باطل الى دين الله بل يخصون الدين الباطل بالطلب وقرئ تبغون بالتاء على
تقدير وقل لهم وقرئ هو بالياء ترجعون بالتاء لان الباغون هم المتولون والراجعون جميع الناس وله
اسلم من في السموات والارض طوعا بالادلة وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجي الى الاسلام كنتق
الجبل فوق بني اسرائيل وانتصابهما على المصدر او الحال ومر قال طوعا مختارين كالملايكة والمومنين
ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على ان يمتنعوا عما قضى عليهم فكانه ذهب الى مذهب الجبرية
واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل امنا بالله وما انزل علينا الخطاب له ع م لفظا وله
ولامته معنى ولهذا قال في موضع اخر قولوا امنا وجاء الكلام في امنا وعلينا بلفظ الجمع او امر الرسول
عم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقران وان كان منزلا عليه خاصة لكن نزوله عليه لك
لتبليغه اليهم صح نسبته اليهم ايضا وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم ويجوز ان يكون

ما مورًا بان يتكلم على طريقة التواضع ارشادا له عم الى ادب المحاورة وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحاق
ويعقوب والاسباط قدم المنزل عليه عم على المنزل على سائر الرسل عم لانه المعرف له والعيار عليه والنزول يعتبر
انه من فوق يعدى بعلى وباعتبار انه ينتهى الى الرسل يعدى بالى ولهذا قال في موضع اخر وما انزل الينا وما
انزل الى ابراهيم ووجه التخصيص ان الخطاب هنا للرسول عم والنزول من السما كان عليه والخطاب ثمة
للمسلمين ولا نزول عليهم حقيقة بل انتهى لتبليغ اليهم ولا يتجه المناقشة بقوله بما انزل اليك وانزلنا اليك
الكتاب وقوله امنوا بالذى انزل على الذين امنوا لان النكتة الزايدة على اصل البلاغة الحاصلة بمطابقة
الكلام لمقتضى المقام لا يلزمها الاطراد ولهذا يتفاوت المكررات في القران بحيث يكون بعضها افصح من بعض
وما اوتى موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة اليهما مغاير لما
سبق والنزاع وقع فيهما والنبيون من ربهم وفي موضع اخر وما اوتى النبيون ولما تقدم هنا قوله واذ اخذ
الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب الخ اكتفى به عن اعادة وما اوتى ولم يتقدم ثمة مثل هذا فلم يكن فيه
ما يغنى عن التاكيد باعادته لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون
او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام غير اسلام الوجه لله اى التوحيد دينا نكره تحقيرا
فلن يقبل منه في الدنيا وهو في الاخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع
ولا دلالة فيه على ان الايمان ليس غير الاسلام انما دلالته على انه ليس دينا غير الاسلام كيف يهدي
الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات هم اليهود امنوا بالنبي صلعم حين
عاينوا اما بوجه قوة ايمانهم من البينات وتحققوا بها ومن كتابهم انه حق ثم كفروا به وقيل نزلت في رهط
كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة كيف استبعاد لان يهديهم الله تو فان الحايد عن الحق بعد
ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له لما علم من عنادهم ومكابرتهم والامتناع قبولهم
اباه نعيا عليهم وتوبيخا لهم فلا دلالة فيه على عدم قبول توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم
من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا او المراد من ايمانهم تصديقهم بالله تو
وعلى تقدير ان يراد منه التصديق بعو بالرسول عم ايضا كان اباه عطف وشهدوا عليه لا دلالة فيه في الا
ايضا على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان المصطلح عند اهل الشرع انما دلالته على انه خارج
عن الايمان بمعنى التصديق بالله وبرسوله وليس هنا مما يقبل النزاع والله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض
اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد
بلعنة الله من خلقه ولا دلالة فيه بمفهومه على عدم استقرار اللعن على غيرهم لا على عدم جوازه في حق
غيرهم فالمراد من الناس المومنون او يجوز ان يراد العموم لان الكافر ايضا يلعن منكر الحق ولكن

تبوئهم

لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او في النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي لا يمهلون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظرة رحمة الا الذين
تابوا اي رجعوا عن الارتداد من بعد ذلك الاشارة الى الكفر لتعظيمه وشدته وغاية بعده عن الصواب
والعقل واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه
ان الذين كفروا بعد ايمانهم كاليهود كفروا بعيسى عم والانجيل بعد الايمان بموسى عم والتورية ثم ازدادوا
كفرا بمحمد عم والقران او كفروا به بعد ايمانهم قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن
فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق والسخرية بكل ما نزلت من الايات او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا
كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم قد عرفت ان
ان التعريف في الذين كفروا للعهد والاشارة الى قوم مخصوصين والانكار فاذا انا يقبل توبته
بقرينة وان ازداد كفرا اي كفر فان اريد بهم المرتدون فالواو في واولئك هم الضالون للحال اي لن تقبل
توبتهم في حال كونهم الباقين على ضلالهم الذي هم ثابتون عليه لكون توبتهم نفاقا وان اريد بهم اليهود
فكذلك وفيه وجهان اخران احدهما ان يكون اخبارا بالغيب على طريقة قولهم لا يرى الضب بها ينجحر اي
لن يتوبوا فلا توبة ولا قبول واولئك هم الضالون اعتراض اي والموصوفون بما ذكر اولئك هم الثابتون
على الضلال المطلق والثاني ان يكون كناية عن توبتهم على الكفر اي يموتون وهم كافرون على ما صرح به
بعد والفايدة فيها التغليظ في شانهم وابراز حالهم في صورة حال الايسين من الرحمة التي هي اغلظ
الاحوال واشدها ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار تضمينا للموصول معنى الشرط على ان الموت على الكفر سبب
لامتناع قبول الفدية وانما ترك الفا في الكلام السابق لفقد التسبب ثمة وايراد المسند اليه موصولا لتحقيق
الخبر ملء الارض ذهبا ملء الشيء ما يملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر
لمحذوف وفيه انه لا بد من تقدير وصف ليحسن البدل ولا دلالة عليه والثاني انما يحسن اذا جعلت
الجملة صفة او حالا ولا يخلو عن ضعف ولو افتدى به اعتراض اي ولو فرض انه افتدى به على ان
الافتدا ثمة محال وتقدير الكلام ان الذين ماتوا على الكفر فلو افتدى احدهم بملء الارض ذهبا لم
يقبل منه فلما كان الجزاء اهم للاقناط والبعث على الرجوع عن الكفر الى الايمان قبل الموت قدمه
وجعل جزاء الشرط الاول والواو دون للتاكيد واخر الشرط فلزم الواو للربط وقيل محمول على
المعنى لانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا اولئك لهم عذاب اليم
تتميم لمعنى الاقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب
ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر وهو ما يتقرب به الى الله تو من اعمال
الخير وقيل لن تنالوا بر الله اي ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون من اموالكم التي تحبونها او ما يعمه

دوا

دوا

لفظ الذين هنا عام فيجب كسوماتقع على الكفر
فلذلك فطنا الفا في قوله فلن يقبل من احدهم
ع

وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله تعالى والمهجة في سبيله ومن هنا للتبعيض ويدل
عليه قراءة حتى تنفقوا بعض ما تحبون وفي قوله وما تنفقوا من شيء للتبيين اي ما تنفقوا اي من اي
شيء تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اي المطعومات كان
مشروبا والمراد تناولها كان حلا على شريعة ابراهيم عم لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت
به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب
عم كلحوم الابل والبانها وكان تحريمه ذلك بالنذر ولذلك قيل على نفسه ثم انه تو حرمه على اولاده على ما دل
عليه الاستثناء المذكور فلا تمسك فيه لمن جوز للنبي عم ان يجتهد من قبل ان تنزل التورية متعلق
منه وفايدته بيان حل ما عدا لحوم الابل والبانها في شريعة ابراهيم عم حتى يثبت تحريم بعض ما كان
حلا لبني اسرائيل بنزول التورية وبه تحصل الالزام لليهود ويتم الرد عليهم في دعوى البراءة عما نعى عليهم
في قوله تو فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات الخ وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية
بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم عم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا
فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول عم موافقة ابراهيم عم بتحليله
لحوم المذكور قبله اذ لا فايدة فيه اصلا قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين في زعمكم ان تحريمها
قديم امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم
لا تحريم قديم كما زعموا روي انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وفي ذلك برهان قاطع على صدق
النبي عم وحجة بينة على جواز النسخ فمن افترى على الله الكذب بابتداعه على الله تو بادعائه ذلك كان محرما
على بني اسرائيل قبل انزال التورية من بعد ذلك من بعد ما الزمهم بالبرهان القاطع فاولئك هم الظالمون
المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت
ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون لما عرض بكذبهم لزمهم اتباع محمد عم والايمان بالقران فعبر
عن ذلك بقوله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي في الاصل ملة ابراهيم ولما نسب
الى ابراهيم عم كان اكبر لتحنيهم واقرب الى قبولهم كانه قال اذا ظهر بالحجة البينة كذبكم فيما زعمتم
وثبت صدق كتاب الله وظهر بطلان دينكم الذي اضطركم الى التحريف كتاب الله والافترا على الله لتسوية
اغراضكم فاتبعوا الحق الذي هو ملة ابراهيم وهي ما عليه محمد ومن معه وانتصب حنيفا على الحال
وقد سبق تفسيره في سورة البقرة وما كان من المشركين اراد استمرار المنفي لا نفي الاستمرار فهذا ولهذا كان
مقدم في الاعتبار وفيه تعريض لشركا اليهود واشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف
والاستقامة في الدين ان اول بيت وضع للناس اي جعله الله تعالى متعبدا لهم للذي ببكة للبيت الذي
ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او دقه

فانها تدق اعناق الجبابرة مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال
من المستكن في الظرف وهدى للعالمين سبب هدايتهم لانه قبلتهم فيه ايات بينات حال اخرى مقام ابرا هيم
عطف بيان لقوله ايات بينات وحده لقيامه مقام ايات كثيرة يدل على هذا اية بينة ولا يخفى ما فيه
من التحكم لشانه كانه لظهور اعجازه وقوة دلالته على قدرة الله تو ونبوة ابراهيم عم بمنزلة ايات
كثيرة ويؤيد ذلك التعظيم البالغ تنكير ايات ووصفها بالبينات ونحوه في التعظيم قوله تو ان ابراهيم
كان امة قانتا ومن دخله كان امنا جملة ابتدائية كان الحرم امنا في الجاهلية ومفزع كل خايف وملجا كل جا
وقال ابن عمر لو وجدنا قاتل ابينا في الحرم لم نقتله وقيل المراد حرم والامن من العذاب يوم القيمة ويرد
ان مدار هذا الامن على الدخول فيه على ما افصح عنه قوله عم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا
لا على دخوله ولله على الناس حج البيت اكد ما يكون من الالفاظ الدالة على الالزام كلمة على فانها علم فيه
والحج كاخواته من المنقولات الشرعية وله فرايض وواجبات وسنن وشرايط بعضها للوجوب وبعضها
للاداء ومعناه اللغوي القصد على جهة التعظيم والمراد معناه الشرعي فاضافه الى البيت للملا
فطوافه احد ركنيه او احد اركانه على الاختلاف في الاحرام فانه ركن عند الشافعي وشرط عند ابي
حنيفة ومن قال في تفسيره قصد الزيارة على الوجه المخصوص فقد زاد على معناه اللغوي وقصر عن
معناه الشرعي وقرئ حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وفيه
ايراد المراد في الصورتين المختلفتين على وجه فيه تشويق ووجدان بعد شغف وطلب وتنكير سبيلا
وتقديم اليه عليه اي سبيلا تاما اي سبيل تيسر على اي وجه يكون قريبا وبعيدا بشرط اختصاص
انتهائه اليه لا الى خير وكل ما ادى الى الشيء فهو سبيله وقد فسر رسول الله صلعم الاستطاعة
بالزاد والراحلة وما فسره عليه السلام استطاعة السبيل الى البيت المذكور في القران لا استطاعة
الحج فانه لا بد فيها من صحة البدن ايضا فلا دلالة فيه على احد القولين المذكورين في المسئلة الخلافية
المشهورة ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تارك
الحج وتشديدا عليه ولذلك قال عم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج
في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في صورة الاسمية وايراده على
وجه يفيد انه حق واجب لله تو في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كالايضاح
بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغنا فانه في
مثل هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم
والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس
واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله تو بقي هنا دقيقة انيقة

وهي ان اللام في قوله ولله متعلقة ان يكون في الحج نفع له تعالى فدفعه ببيان غنائه عن العالمين روي انه لما نزل
صدر الاية جمع رسول الله صلعم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت
به خمس ملل فنزل ومن كفر الاية قل يا اهل الكتاب تخصيص اهل الكتاب بالخطاب لان كفرهم اقبح واما الدلالة
على انهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما فلا تاثير فيها للتخصيص المذكور
لم تكفرون بايات الله اي باياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد عم فيما اتى به من الاوامر
والنواهي ومعنى الاستفهام في لم الانكار لكفرهم وتعجيبه منه مع وجود المانع وهو كونه الحق شهيدا على
اعمالهم والله شهيد على ما تعملون اي والحال ان الله شهيد اي مطلع على اعمالكم فمجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف
والاسرار وهذه الحال توجب الايمان فما جسركم على الكفر باياته واظهار اسم الله تعالى والمقام مقام الاضمار
للتخويف والتربية للمهابة قل يا اهل الكتاب اعيد الخطاب لان الاول في الضالين وهنا في المضلين فلا تكرار
وكون كل واحد من الامرين مستقبحا في نفسه مستقلا في استجلاب العتاب مما لا حاجة الى الاشعار به لعدم
الخفاء فيه لم تصدون بمعنى الاستفهام انكار لقصد الصد وطلب العوج في الطريق المستقيم مع كونهم علماء
وشهداء بان ليس فيه عوج وان الصاد عنها ضال مضل والتوبيخ هنا اشد لمعنى المكابرة عن سبيل الله دينه الحق
المامور بسلوكه وهو الاسلام قدم للاهتمام على المفعول الاول وهو قوله من امن كانوا يفتنون المؤمنين و[illegible]
بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا الى مثله او كانوا يحرجون
لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم فعلى الاول يكون التجوز في الصد وعلى الثاني في امن
تبغونها في محل النصب على الحال عوجا مفعول تبغون والضمير منصوب بنزع الخافض وتعدية الفعل اي فيها
والعوج بكسر العين الميل والانحراف في المعاني وبفتحها في الاشياء تطلبون لها عوجا عن الاستقامة
بان تلبسوا على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى عم لا تنسخ وبتغيير صفة رسول
الله صلعم ونحوهما وانتم شهداء عالمون انها سبيل الله تعالى لا يصد عنها الا ظالم كافر او عدول بين اهل دينكم
يتمسكون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم لكونكم احبارا وما الله بغافل عما تعملون وعيد بالغ وختم
بهذا يناسب المقام لان الكلام في صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون له وفيما تقدم
في كفرهم وهم يجهرون به فكان المناسب الختم بقوله والله شهيد على ما تعملون يا ايها الذين امنوا خاطبهم
الله بنفسه بعد توسيط الرسول عم في مخاطبة اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم منزلة
عند الله تعالى دون اهل الكتاب ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب نزلت في نفر من الاوس والخزرج
كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تالفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود
ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل
فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع
به عنكم الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا
وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلعم والتعبير عن شاس ومن اعانه فيه بالفريق يناسب قصدهم
ايقاع التفرقة بين جميع المؤمنين يردوكم اي عن الهدى الى الضلال على ما دل عليه قوله بعد ايمانكم كافرين
رد متعدي الى مفعولين قال الشاعر فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا وكيف
تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله معنى الاستفهام الانكار والتعجب من تطرق الكفر اليهم في حال
اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ولعل تاخير قوله وفيكم رسوله مع ان حقه التقدم
لان التلاوة المذكورة بواسطته اخراجا له عن حيز الوسائط الى منزلة الاستقلال في السببية كانه قيل
والحال ان اياته تعالى تتلى عليكم معجزة وازعة عن الكفر وفيكم الرسول واعظا زاجرا لكم ناهيا عنه ومن يعتصم
بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجي اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم انما يورد قد في جواب الشرط
عند مضيه معنى والقصد هنا الى تحقق الوقوع بمعنى فقد حصل له الهدى كانه قد حصل فهو خبر عنه
حاصلا ومعنى التوقع في قد ان المعتصم بالله متوقع للهدى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته واجب
تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ويدخل فيه الاحتراز عن طاعة اهل الكتاب
دخولا اوليا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى الاسلام حين الموت فالمنهي كونهم على حال غير
الاسلام عند موتهم لا موتهم هذا ما عندهم والذي عندي ان مورد النهي المذكور التحذير عن الموت على حال
سوى الاسلام والحذر عنه انما يكون بالاحتراز عما يفضي اليه فهو حث على الثبات على الاسلام في جميع
الازمان على ابلغ وجه وعلى هذا لا عدول عن الظاهر بخلاف ما قالوه واعتصموا بحبل الله يحتمل التمثيل
بان يمثل صورة حالهم في اعتمادهم واستظهارهم ووثوقهم بالله تعالى وحمايته واتكالهم عليه بصورة
حال المتدلي من مكان مرتفع متمسكا بحبل وثيق يامن انقطاعه والاستعارة بان يستعير الحبل للعهد او كا[illegible]
ويجعل الاعتصام ترشيحا لها بما يناسب الحبل جميعا اي مجتمعين على استعانتكم بالله ووثوقكم به او مجتمعوا
على التمسك بعهده اليكم بان تعبدوا الا اياه او بكتابه لقوله عم القران حبل الله المتين ولا تفرقوا ولا تتفرقوا
كما كنتم متفرقين في الجاهلية يعادي بعضكم بعضا ويحاربه ولا تتعاطوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة من القول
والعمل واما التفرق بالاختلاف في الدين كاليهود والنصارى فهو مضمون قوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
واذكروا نعمة الله عليكم اي الان نعمة الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء
في الجاهلية متقاتلين فالف اي اوقع الالفة بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته بسبب تلك النعمة اخوانا .... بالاسلام
متحابين مجتمعين على الاخوة في الله واصبح اصله دخل في الصباح ثم اطلق على الصيرورة اي وقت كان فيه
باعتبار اصله دلالة على خروجهم من ظلمات الضلالة الى نور الهداية قيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين

فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله تعالى بالاسلام والف بينهم
برسول الله صلعم وكنتم على شفا حفرة من النار مشرفين عليها بكفركم وان لم يكونوا فيها لانهم كانوا بمنزلة من فيها اذ لو
ادركهم الموت على تلك الحالة لصادفتهم البتة حفرة من النار وانما قال فانقذكم منها وان لم يكونوا فيها لانهم كانوا بمنزلة من
هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها ويجوز ان يكون الضمير للشفا وتانيثه لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر
وشفتها طرفها واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم اياته
دلايله لعلكم تهتدون ارادة ان تثبتوا على الهدى او تزدادوا هدى ولتكن منكم امة من للتبيين بمعنى وكونوا امة كقوله
خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف ولان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية تتوجه واجب على كل
الامة بدليل انه لو ترك اثم الجميع وان سقط بفعل البعض لحصول المقصود فلا بد من توجيه الخطاب الى الكل فمن قال
من للتبعيض ثم علل بما ذكرناه انفا فقد اختار المذهب المردود وهو ان يكون الوجوب على البعض من غير تعيين
واما الاستدلال على انه لا يجب على الكل بعدم الوجوب على الجاهل فمردود لانه اذا ترك بالكلية فذلك الجاهل
ايضا اثم ولولا الوجوب عليه لما اثم كمن وجب عليه الصلاة وهو محدث فان عليه تحصيل الشرط ثم الفعل
ومن اختار ان يكون من للتبعيض معللا بما تقدم ثم قال خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب
على الكل فقد خبط حيث خلط بين المذهبين ثم انه لم يدر ان الوجوب على الكل فان الخطاب بدون الطلب بمعزل
عن الدلالة على الوجوب يدعون الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي فينتظم الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فقوله ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من قبيل عطف الخاص على العام للايذان بفضله
واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يومر به وكذا
النهي عن المنكر فانه يكون واجبا ان كان المنهي عنه محرما او مكروها كراهة تحريم ويكون مندوبا ان كان المنهي
عنه مكروها كراهة تنزيه فمن وهم ان جميع ما انكره الشرع حرام فقد وهم والعاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه
لانه كما يجب عليه تركه يجب عليه انكاره ونهي الغير عنه لا ان الثاني على طريق الكفاية والانكار في قوله تعالى
اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم مرجعه الى القيد وهو قوله وتنسون انفسكم ولا تكونوا كالذين تفرقوا
اي بالعداوة واختلفوا اي في الديانة وهم اليهود والنصارى وانما قال من بعد ما جاءهم البينات اي الايات
والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه لان الاختلاف في موضع الاجتهاد دليل منكر وقد قال عم
اختلاف امتي رحمة ولا اختصاص لواحد من الاختلافين بالاصول والفروع فان في الاصول ايضا موضع
الاجتهاد كما ان في الفروع ما لا مساغ فيه له واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على
التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل وبياض الوجه وسواده كنايتان
عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه ويجوز ان يراد بالبياض والسواد حقيقتهما فاما الذين اسودت
وجوههم ابتدأ بهم في مقام التفصيل للاهتمام بالتحذير من حالهم والمجاورة قوله وتسود وجوه

ويكون

ويكون الابتداء بالمؤمنين والاختتام بحكمهم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة
للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم من اهل الكتاب كفروا وكذبوا برسول الله صلعم بعد ايمانهم به
قبل مجيئه وهم المرتدون وقيل هم جميع اهل الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار وكفرهم بعدما اقروا
به حين اشهدهم على انفسهم على ما افصح عنه قوله الست بربكم قالوا بلى فذوقوا العذاب امر اهانة والفاء للسببية
عن الكفر المقدر والباء تاكيد له بما كنتم تكفرون بسبب كفركم والجمع بين الصيغة الدالة على التجدد وبين
الكون الدالة على الاستمرار للمطابقة بين العمل والجزاء المذكور مفصلا في قوله كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب والله اعلم بالصواب واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة
الله ففي نعمته من الثواب المخلد جمع للفريق الاول بين التضعيف بالقول على العذاب وهنا جعلهم مستقرين في
الرحمة فهي ظرف لهم واشار بها الى سابق عنايته بهم وان العبد وان كثرت طاعته لا يدخل الثواب
الا برحمة الله تعالى واضافها الى نفسه دون العذاب تفخيما لجانب الثواب هم فيها خالدون اخرجه مخرج
الاستيناف لبيان ان ذلك الاستقرار هو على سبيل الخلود لا زوال منه ولا انتقال وهم تاكيد لقوله الذين
وفيها تاكيد لقوله ففي رحمة الله ولم يذكر الخلود للكافر اكتفاء بذكره في قرينته ولم يعكس لئلا يتوهم
من دوام العدل دوام الفضل بخلاف العكس ثم انه لما ذكر العذاب علله بفعلهم ولم يذكر ما سبب كونهم
في الرحمة اشعارا بان رحمته تعالى لا تحتاج الى السبب تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها
عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في
عقاب مسيء على ما يستحقه او ينقص من الثواب الموعود للمحسن وتقديم اسم الله على فعل الارادة بعد
يفيد ان الذي يظلم ويريد الظلم غيره لا هو اي هم الظالمون على انفسهم لا غيرهم ونفي ارادة الظلم تاكيد
بليغ في نفي الظلم اي انتفى ارادة الظلم عنه تعالى فضلا عن الظلم وتنكير ظلما وتعميم العالمين معناه لا يريد
شيئا من الظلم احقر ما يكون لاحد من العالمين كائنا من كان ومن قال في تعليل ما ذكر اذ يستحيل الظلم منه لانه
لا يحق عليه شي فيظلم بنفسه ولا يمنع عن شي فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق لم يدر انه على تقدير ان يكون
الظلم منه مستحيلا لا ينافي نفي ارادته فضلا عن المبالغة فيه اذ ليس من شانها التعليق بما ليس مقدورا له بل
الظاهر منه انه مقدور له الا انه لا يريده لانه لا يليق بشانه والتعليل المذكور قاصر لانا نعلم قطعا ان النقص
عن الثواب الموعود لبعض الاعمال من قبيل الظلم كنقص حق الاجير وهو من جملة المحتملات والله تعالى قادر له
الا انه لا يفعله ولله ما في السموات وما في الارض استيناف في معرض التعليل لما تقدم كانه يقول ارادة الظلم
امارة الحاجة والرغبة الى ما ينتفع به بالظلم والله تعالى منزه عنها لانه مالك ملك السموات والارض والى الله
ترجع الامور فالملك في دار الاخرة ايضا له تعالى والعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر للاشعار بان ما ذكر من شان
الالوهية ولوازمها وانما قال ترجع لانها قد نالت بحلاك ما سواه كنتم خير امة دل على خيريتهم ولم يدل على

انهم لو يكونوا خيرا افضارو اخير او انقطع ذلك عليهم لانكان الناقصة لا دلالة فيها على علم سابق ولا
على عدم الدوام فلذلك تستعمل فيما هو كالدائم مثل كان زيد راكبا وفيما هو دائم مثل كان الله غفورا رحيما
اخرجت للناس اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استينافا فبين به كونهم خير امة وتومنون
بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يومن به لان الايمان به تعالى انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر
ان يومن به وانما اخره وحقه ان يتقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه والتعريف في الموضعين للجنس والمعهود المعروف في الشرع
وتوهم انه للاستغراق فقدوهم واستدلال به على حجية الاجماع ليس بتام كما لا يخفى على ذوي الافهام
ولو امن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المومنون كعبد الله بن سلام
واصحابه واكثرهم الفاسقون المراد الكافرون والتعبير عنهم بالفاسقين للتنبيه على ان المومنين المذكورين
عادلون لا حظ لهم من الفسق وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد ولذلك جا من غير
عاطفة لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا الطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا
يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون لا يكون لهم نصر من احد نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك
بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وانما عدل به عن
حكم الجزاء والعطف عليه الى الاخبار لئلا يكون انتفاء النصر مشروطا بالشرط مقيدا بالمقاتلة لتولية
الادبار بل مطلقا اي ثم اخبركم انهم لا ينصرون بوجه ما قاتلوا او لم يقاتلوا ويبقون في الخذلان والذل
والعجز لا ينهضون بجناح ولا يرجى اليهم قوة ونجاح كما كان من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود
خيبر وثم استعارة للتراخي في الرتبة فان الاخبار بالخذلان المطلق وانتفاء النصر بالكلية اعظم من الاخبار
بالانهزام عند المقاتلة ضربت عليهم الذلة قد سبق تفسيره في سورة البقرة اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل
من الله وحبل من الناس في محل النصب على الحال اي الا متمسكين او معتصمين بذمة الله وذمة المسلمين والظاهر
من تكرار الحبل تعدد الذمتين معنى فالمناسب ان يحمل الاولى على التي نص الله عليه في قوله حتى يعطوا الجزية
والثانية على الذي يراه الامام من اعطا الامان في مقابلة اخذ مال او لمصلحة اخرى فالاستثنا من اعم
الاحوال اي لا عز لهم الا هذا العز وهو على طريقة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم لان التمسك باحدى الذمتين
غاية الذل فيستر احدى الذمتين بدين الاسلام والاخرى بسبيل المومنين اجرا للاستثناء على ظاهره
فيرد عليه ان سبيل المومنين هو دين الاسلام بعينه ولا يناسبه تكرير ذكر الحبل وباؤا بغضب من الله ورجعوا
مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة لم يقل ضربت عليهم الذلة والمسكنة كما قال في سورة البقرة لان اراد
تفصيل حال ذلتهم بالمبالغة فيها بخلاف حال مسكنتهم فانها باختيارهم في الغالب فان الاغنيا كثير في اليهود
الا انهم لا يظهرون غناهم ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والبوء بالغضب وضرب المسكنة بانهم

كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق قد تقدم تفسيره في سورة البقرة ذلك اي الكفر والقتل
بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله على الاستمرار فان الاصرار على الصغاير
يفضي الى الكباير والاستمرار عليها يودي الى الكفر وقيل كرر الاشارة والمشار اليه واحد اشارة الى ان
كل واحد من الامرين مستقل بايجاب الامور المذكورة من الذل والمسكنة والبوء بغضب عظيم من الله ولو لم يكن الا
فكيف والامران متعاضدان والمراد بالامرين الكفر ويندرج فيه قتل الانبيا والاستمرار على عدم الامتثال
بالتكاليف ومبنى هذا على انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سوا في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل
الكتاب امة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سوا كقوله تامرون بالمعروف لبيان كنتم خير امة قايمة
اي مستقيمة عادلة من قولهم اقمت العود فقام اي استقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله صفة
لامة وكذا يومنون اناء الليل وهم يسجدون يتلون القران في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل
مع السجود ليكون ابلغ في المدح ويجوز ان يكون قايمة احد نعتا صيله اي قايمة في حال تلاوة الايات بالليل
وقيل المراد صلاة العشا لان اهل الكتاب لا يصلونها على ما ورد في حديث ابن مسعود رض وقوله يومنون
بالله واليوم الاخر في عداد خصايص المومنين تعريض اخر بان ايمان اليهود ليس بشي لاشراكهم
بالله عزيرا ووصفهم اليوم الاخر بخلاف صفته وكذا يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر تعريض به
بانهم مداهنون ويسارعون في الخيرات تعريض بانهم متباطئون عنها لقلة رغبتهم فيها اذ كل من رغب في شي
يسارع في توليه والقيام به والمسارعة المبادرة والخيرات عامة تشمل هذه الاوصاف السابقة واتيانها
على صيغة المضارع للدلالة على التجدد والتكرار واوليك اشارة الى ان من اتصف بهذه الاوصاف من الصالحين
حقيقة الصلاح من اتصف بالفساد عنه بالكلية ومونها بكمال الوصف بالمحاسن وهو مما مدح الله تعالى به انبياءه
لما عدد الخصايص التي يستحق بها الثواب بالغ في تعظيم جزائها للترغيب فيها بقوله وما تفعلوا من خير
جي الى بالتنكير للتقليل اي وان كان قليلا وجعلها نعمة فاستعمل في مقابلتها انتفاء الكفران ليكون تركا
بالكناية وما يستلزم كون الله تعالى شاكرا فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة ضمن الكفران معنى
الحرمان فعدي الى مفعولين وفي هذا التضمين زيادة تنزيه ان ينسب اليه تعالى معنى الكفران لان تقديره
لن تحرموه مكفورين والله عليم بالمتقين وعد لهم وبشارة بالفوز والثواب الجزيل واشعار بان التقوى
مبدا الخير وحسن العمل ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغنا
فيكون مصدرا واوليك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون دون فساق المومنين مثل ما ينفقون
ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة والمنافقون ريا وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها
صر برد شديد والشايع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به
البرد للمبالغة كما في قولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي فاهلكته عقوبة لهم

لان الاهلاك عن سخط اشد اراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث من يستحق العقوبة ضربته صرفا سنا صللة
ولم يبق لهم فيه منفعة ما وهو من التشبيه المركب ولا يلزم منه ان يكون ما يلي الاداة هو المشبه به الا ان تشبيه المثل
بالمثل يستدعي ان يراعي فيما اضيف اليه المثل في الجانبين المناسبة على ما قرر في مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق
ولهذا قيل تقدير الكلام كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله بعدم قبول نفقاتهم ولكن انفسهم يظلمون ٥
بخبث نياتهم او ما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن
بالتشديد اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز اعمالها في ضمير الشان المحذوف على تقدير ولكنه انفسهم يظلمون
لان ذلك لا يجوز الا في الشعر يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يطلعه على باطنه وسره
ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار في قوله عم الانصار شعاري والناس دثاري من دونكم من دون
المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم لا يالونكم خبالا الخبال
الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا الوك نصحا على تضمين معنى المنع ٥
او النقص ودوا ما عنتم يحبوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم
لانهم لا يتمالكون انفسهم لافراط بغضهم ولا يتمكنون ان يخفوا ولا ينفلت من افواههم ما يظهر به بغضهم وعداوتهم مع ضبطهم
انفسهم وتحاملهم عليهم وسعيهم في الاخفاء وذكر الافواه دون الالسنة اشعار بان ما يلفظون به يملأ افواههم
كما يقال كلمة يملأ الفم اذا تشدق بها وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا وفي نسبة البدو الى البغضاء والاخفاء الى ٥
صدورهم اشعار بانهم مطبوعون على النفاق فما بدا انما بدا بلا ايد الا بالطبع ولا بالاختيار قد بينا لكم الآيات
الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع مستانفات
على التعليل ويجوز ان يكون الثلاث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم ها تنبيه على خطائهم
واولاء تحقير لهم وتعيير اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم
بيان لخطائهم في موالاتهم بغضهم وهو خبر ثان او خبر اولاء والجملة خبر انتم او حال والعامل فيها معنى
الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا والواو في وتؤمنون بالكتاب
كله واو الحال والتقدير وانتم تؤمنون والعامل تحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كلها او بجميع
الكتب وفيه توبيخ شديد اي لا يحبونكم مع كونكم تؤمنون بكتابهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم فهم احق بان
اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتعزيرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله
تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته والمراد
به زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله المستلزم لذلهم وتبارهم فهو من كناية بالواسطة عبر بدعاء
موتهم بالغيظ عن ملزومه الذي هو دوام زيادة غيظهم الى حد الهلاك وبه عن ملزومه الذي هو قوة الاسلام
وعز اهله وذلك لان مجرد الموت بالغيظ وازدياده ليس مما يحسن ان يطلب ويدعى فيجوز ان لا يكون ثمة قول انت

يكون بمعنى الامر بالقول اي طب نفسا وكن متبشرا بان الله تعالى يعز الاسلام ويذل الكفر بحيث يزداد غيظ الكفار
الى حد الهلاك على ما بقي من طريق الكناية واصل الكلام استعارة تمثيلية شبه طيب النفس واستبشاره بتكلم
بخطاب بشبه نفسه واطلاقها بذلك ان الله عليم بذات الصدور من الاسرار التي لا تنكشف اصلا كني بالزوم للصدور
عن عدم الظهور البتة والظاهر انه تذييل لمجموع ما سبق من قوله ها انتم الى قوله بغيظكم فهو وعيد على
موالاتهم بعد النهي وتعريض لاطلاع الله تعالى على بواطنهم واطلاعه رسوله عم عليها وتحذير لهم ايضا ان
يرجعوا نفاقهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها التنكير في الحسنة للتحقير وفي السيئة
للتعظيم والمس مبني عن ادنى مراتب الاصابة فالمعنى ان الحسنة اي قدر كان ولو مسا ما يسؤهم واما الفرح بالسوء
فلا يكون الا بالوصول التام بحيث يعتد به لان مقام مبالغة الحسد والغيظ يقتضي ذلك فرض وهم ان المس
للاصابة فكان المعنى واحدا فتعذر بهم وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا موالاتهم لا يضركم كيدهم شيئا ٥
بفضل الله وحفظه ان الله بما تعملون محيط اي يحيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم
فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي اذكر اذ غدوت من اهلك اذ خرجت غدوة من وطنك منزل عائشة الى احد
تبوئ المؤمنين تسوي لهم وتهيئ ويرشد اليه القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له والله سميع ٥
لاقوالكم عليم بنياتكم وفيه وعيد للمنافقين اذ همت بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج
وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا اي قصدتا ان تفعلا فعل من فشل وهو الانصراف وترك
القتال وهو للخطرة ههنا لا للعزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما من اتباع تلك الخطرة وكاد ذلك عند
انخزال ابن ابي في ثلثمائة من قومه وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم على الله للتخصيص اي فلا يتوكل المؤمنون
الا على الله لينصرهم كما نصرهم يوم بدر وانما جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم العلة للاختصاص
فالواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان كونه تعالى وليهم سبب للتوكل عليه خاصة والعدول عن الضمير
الى الاسم الظاهر للتعظيم المناسب لمقام الامر بتخصيص التوكل عليه ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم
التوكل على الله تعالى وبدر ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما ورد
اذلة على صيغة جمع القلة ليدل على انهم مع ذلتهم كانوا قليلا او ذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة المركوب
والسلاح والمال فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته او لعلكم ٥
ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لكونه سببا له اذ تقول للمؤمنين ظرف
لنصركم او بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة
فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول عم لم ينزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف
من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة الاف من الملائكة وتاكيد النفي بلن اشعار بانهم كانوا
لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر قيل امدهم الله تعالى يوم بدر اولا بالف ثم صاروا

من الصبر والتقوى عن مخالفة ربكم

خمسة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج وقرئ منزلين بكسر الزاء اي منزلين النصر بلى ايجاب
لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال
ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت
القدر اذا غلت فاستعير للسرعة في الحركة ثم سميت به الحالة التي لا لبث فيها ولا تعرج
على شئ والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين في حال اتيانهم بلا تراخ
وتاخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله عم لاصحابه تسوموا فان الملائكة
قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرئ مسومين بكسر الواو وما جعله الله وما جعل
الوعد بالامداد وقيل الوما جعل الامداد فكانه غفل عن ان البشارة قد حصلت بالوعد بالامداد
الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر هذا غاية [illegible] للوعد وقوله ولتطمئن قلوبكم به اي ولتسكن اليه من الخوف غاية
للامداد وللتنبيه على انهما غايتان لامرين مختلفين غير الاسلوب وفصل بينهما بحرف التعليل هذا ما بحسب
البلاغة والذي بحسب النحو انه لما وجدت شروط المفعول له من اتحاد الزمان والفاعل في الاول
دون الثاني دخل عليه اللام ولم يدخل على الاول وما النصر الا من عند الله لا من العدد والعدد فيه
تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مددهم الا ان عادته تعالى جرت بان ينصر باعداد الاسباب وامداده
الاصحاب ولو بتكثير السواد على ما اشار اليه بقوله العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي يفعل على
مقتضى الحكمة بالامداد والاعداد وفي التنبيه المذكور ادمج الاشارة الى ان الملائكة ما نزلوا للقتال بل لمجرد
تكثير السواد ولذلك احتيج الى الكثرة والا فكن واحد كاف في اهلاك الكل ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق
بقوله وما النصر الا من عند الله اي ليهلك طائفة منهم ويبطل بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل
سبعين واسر سبعين من صناديد قريش ورؤسائهم او يكبتهم يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين
غير ظافرين بمطلوبهم ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى
ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم
شيء وانما انت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر باضمار ان اي ليس لك من
امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم روي ان عتبة ابن ابي وقاص شجه عم يوم احد وكسر رباعيته فجعل
يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب
بظلمهم تعليل للتعذيب ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء صريح في نفي وجوب شيء من المغفرة والتعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له وتقديم
المغفرة للاشارة الى سبق الرحمة على الغضب والله غفور رحيم لعباده فلا تبادروا الى الدعاء عليهم
قيل هم عم الدعاء عليهم يوم احد فنهاه الله تعالى لعلمه بان فيهم من يؤمن يا ايها الذين امنوا لا

تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة والتخصيص بحسب الواقع ولا بد له من نكتة
ولعلها تمشية ما قصد تخصيص الخطاب بالمومنين مع عدم اختصاص النهي بهم من التنبيه على ان المومن
بارتكاب الكبيرة لا يخرج عن الايمان واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار
التي اعدت للكافرين تخصيص بعد التعميم فان اتقاء الله تعالى ينتظم اتقاء سخطه في الدارين ولا يخفى على الفطن
ما فيه من المبالغة في التهديد على الربوا حيث اتى بلعل في فلاح من اتقاه واجتنبه لان تعليق امكان
الفلاح ورجائه بالاجتناب عنه يستلزم امتناع الفلاح لهم اذا لم يجتنبوه ثم توعدهم مع ايمانهم ثم
اوعد عليهم بالنار التي اعدت للكافرين مع كونهم مومنين فما اعظمها من معصية توجب عقاب الكفار للمومنين
وما اشده من تغليظ عليه ثم اكد التغليظ بالامر بطاعة الله تعالى ورسوله عم تعريضا بان اكل الربا منهمك
في المعصية لا طاعة له ثم علق رجاء المومنين لرحمته بطاعة الله ورسوله اشعارا بانه لا رجاء للرحمة مع هذا
النوع من العصيان فانظر كيف درج في التغليظ في التهديد حتى الحقه بالكفار في الجزاء والعقاب واما ما قيل
فيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة فمبناه على ان يكون المراد نار جهنم مطلقا
وذلك غير مسلم وقد نبهت فيما تقدم على ان المناسب للمقام حملها على نار مخصوصة بالكفار واطيعوا الله في
نهيه عن الربوا مجملا واطيعوا الرسول في بيان ذلك المجمل لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن
المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا
بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة من الاسلام والتوبة والاخلاص ترك الملزوم
واقيم اللازم مقامه للتشويق والتحريض على ما يوجبه وليكون سرعة الاقبال عليه بالنشاط مع خفة
النفس وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرض السموات والارض كما قال في موضع اخر عرضها
كعرض السماء والارض قال ابن عباس والحسن ان السموات اذا ضم بعضها الى بعض فعرض الجنة مثلها فاما الطول
فاكبر من ذلك لان طول كل شيء يزيد على عرضه وقيل العرض هو السعة قال الشاعر كان بلاد الله وهي عريضة
على الخائف الحيران كفة حابل اي واسعة اعدت للمتقين صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او
مرفوع هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم فلا دلالة له عليه فيه
اذ يجوز ان يكون فوق السموات دون العرش وقد جاء في الحديث سقف الجنة عرش الرحمن الذين ينفقون
صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء اي في حال الرخاء واليسر وحال الضيق
والعسر لا يهملون انفاق ما يتيسر لهم او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة ومضرة اي لا يخلو في
حال مما من انفاق ما قدروا عليه من القليل او الكثير وقدم الانفاق على سائر خصال المتقين لكونه اشق على
النفس وادل على الاخلاص والتوكل ولانه كان اعظم اعمال البر في ذلك الوقت للحاجة اليه في مجاهدة العدو
ومواساة فقراء المسلمين والكاظمين المتجرعين من كظم البعير جرته اذا ردها الى جوفه الغيظ هو توقد حرا

القلب من الغضب يقال تغيظت الهاجرة اذا اشتد حميها ويجوز ان يكون من كظمت القربة اذا شددتها
على ملئها والاول ابلغ ومن قال في تفسيره الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه فلم يصب
في اعتباره القيد الاخير لانه غير لازم في كظم الغيظ على ما يفهم من قوله عم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه
ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين المتجاوزين عن الناس كائنا من كان والله يحب المحسنين يحتمل الجنس
فيدخل المذكورون دخولا اوليا والعهد فتكون الاشارة اليهم فيكون تسجيلا عليهم بالاحسان وبشارة لهم
بكرامة محبة الله تعالى اياهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم
ان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة وقيل الفاحشة ما يتعدى
وظلم النفس ما لا يتعدى ذكروا الله تذكروا اخذه الموجب للخشية والحياء منه او تذكروا عقابه ووعيده
او نهيه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا بولعها نادمين ومن يغفر الذنوب الا الله اعتراض بين المعطوفين تصويبا
للتائبين المستغفرين وتطييبا لقلوبهم وبشارة لهم بوصف ذاته تعالى بسعة الرحمة والمغفرة وتحريضا
لهم على التوبة وبعثا على الرجاء وردعا عن الياس ومعنى الاستفهام النفي اي لا يغفر الذنوب الا الله تعالى وعلو مخصوص بوجوب
المغفرة وصحتها من الفضل في الكرم والعفو والرحمة الذاتية ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على العالم
السيئة غير مستغفرين اي تداركوا بالاستغفار كلما عادوا الى الذنب عن النبي عم ما اصر من استغفر
وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من فاعل الاصرار وحرف النفي منجر اليها معنى اي لم يصروا مضرين
على الذنوب وهم يعلمون كونها منهيا عنها لانه قد يعذر من لا يعلم قبحها وكونها منهيا عنها اولئك جزاؤهم مغفرة
من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستانفة مبينة
لما قبلها ان عطفتها على المتقين او على الذين ينفقون ومن ادعى الحق وانصف وبالتجنب عن التعسف والتعصب
انصف علم ان ليس في هذه الايات سوى ان الجنة اعدت للمتقين والتائبين او للمتقين خاصة والتائبون اجرهم
مغفرة وجنة اما مع سكوت عن حكم المصرين او دلالة ظنية على انهم ليسوا كذلك ولا نزاع في ان الجنة
ليست معدة لهم ولا جزاؤهم لكن من اين البيان القاطع انهم لا يدخلون الجنة وانه لا يجوز في حقهم التفضل
والاحسان على ان الكلام وارد لترهيبهم كلاهما والترغيب في الاقلاع عنده نيابا فالتقييد بعدم الاصرار
ليلايم الغرض فينتفي شرط مفهوم المخالفة على انه لا يظهر فائدة اخرى وتنكير جنات على الاول يدل على انها لم
دون ما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فرقا بين القبيلين انه فصل
ايتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله تعالى وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا
الى التخصيص بمكارمه وفصل اية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان التدارك لتقصيرهم كالعامل لتحصيل
بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه
النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة رجع الى تفرد احد

وما

وما نالهم فيها فقال قد خلت من قبلكم سنن في الامم المكذبين من الوقايع كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله
في الذين خلوا من قبل وقيل سنن ويجوز ان يكون اعتراضا للتحريض على الايمان والتصديق بما نصحهم به اي مضت على هذا
المنهاج سنن من الانبياء السابقين فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين بما فيه تكذيبهم حتى تعتبروا
بما ترون من اثار عذابهم فتنزجروا عن التكذيب وتصدقوا وانما تضمين الكلام معنى الشرط اي ان شككتم
فسيروا هذا بيان للناس اشارة الى قوله قد خلت وسهوهم قوله فانظروا ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه
من التكذيب وهدى وزيادة تثبت وموعظة للمتقين الذين اتقوا من المؤمنين او الى ما تمحض من امر المتقين
والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية للرسول عم والمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية لقلوبهم ٨٧
اي لا يورثنك ذلك وهنا وجبنا عن الجهاد وحزنا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم
واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله
لله تعالى ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او وانتم الاعلون
في العاقبة فيكون بشارة لهم بالعلو والغلبة في العاقبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي ولا تهنوا ان صح
ايمانكم فان صحة الايمان توجب الثقة بالله تعالى وقوة القلب وصحة العزيمة والتوكل عليه حذف جوابه
لدلالة النهي عليه تقديره ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا او بلا تعلون اي انتم الغالبون ان كنتم مصدقين
بما يعدكم الله به ويبشركم ان يمسسكم قرح قرئ بالضم والفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل
هو بالضم الجراح وبالفتح الالم وقيل بالفتح المصدر وبالضم الاسم فقد مس القوم قرح مثله
اي نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم يوم بدر ثم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بذلك فانكم ترجون
من الله تعالى ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول عم
وقوله مثله لا ينافي المعنى الاول لقوله وانتم الاعلون لان الاصابة تنتظم الاسر والمماثلة في مس الجرح
وما يترتب عليه من القتل فقط وتلك الايام نصرفها بينهم نديلها لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله
فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر اي فواقعة علينا وواقعة لنا ووقت نساء ووقت نسر
والمداولة كالمعاورة يقال داولته الشيء بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها تحتمل
الخبر والحال وليعلم الله الذين امنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله فالواو
عاطفة للايذان بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم وفيه تسلية لهم
عما جرى عليهم وتبصير بان العبد ربما يسوءه شيء ويجري عليه من المكاره ولا يدري ان الله خيرا له والفعل
المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله
ونفيا بضده ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه بطريق البرهان ويتخذ منكم شهداء
ويكرم قوما منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات

تلك اشارة الى العظام فسر بالايام وهي الوقايع العظام نداولها بين الناس هو

والصبر على الشدايد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون اعتراض بين التعليلات
للتسجيل على من ليس من هولاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله المخلصين من الذنوب بالظلم والتنبيه
على ان ظلمهم وجبان بعضهم الله تو والتعريض بانه يحبهم لاهل تلك الصفات وليمحص الله الذين امنوا
المحص التطهير والتصفية والتخليص وصيغة التفعيل للمبالغة والاي وليطهرهم من الذنوب ان كانت
الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق ابطال الشي حالا بعد حال كمحق الهلال ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو للحال بتقدير المبتدا
لما كلمة في نفي الماضي لان فيه معنى التوقع في المستقبل فدل على نفي الجهاد في الماضي مع توقعه في المستقبل
لان معنى ولما يعلم الله ولما يجاهدوا لان وقوع الشي يستلزم كونه معلوما لله تو ونفي اللازم يستلزم نفي
الملزوم فنزل نفي العلم منزلة نفي الجهاد للتاكيد والمبالغة لان انتفا اللازم برهان على انتفا الملزوم وفيه
اشعار بان علمه تو بالاشيا على ما هي عليه ضروري وقرى ولما يعلم الله بفتح الميم على ارادة التاكيد بالنون الخفيفة
اي ولما يعلمن فحذفت ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب
اللبن اي لما تجمعوا بين الجهاد والصبر يريد وجوب الجمع بينهما وقرى بالجزم على العطف وقرى ويعلم بالرفع
على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي لقا العدو فانه من
اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلعم
مشهدا ليكون لهم يوم كيوم بدر او تمنوا الشهادة فيدل ينالوا ما نال الشهدا يوم بدر من الكرامة فالحوا يوم
احد على الخروج من قبل ان تلقوه اي العدو فانه ملحوظ وان لم يكن ملفوظا فقد رايتموه حين قتل دونكم من
قتل من اخوانكم وانتم تنظرون معاينين له مشاهدين لا على غفلة واشتغال امر سواه ففيه تاكيد وهو
توبيخ لهم على تمنيهم الحرب والحاحهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم قلة مصابرتهم عليه
وعدم ثباتهم لدواهيهم عند مشاهدته او على تمنيهم الشهادة ثم توليهم مدبرين ومن وهم ان
في تمني الشهادة تمني غلبة الكفار فقد وهم فانه يقصد الى نيل كرامة الشهادة ولا يخطر بباله غلبة
الكفار وما محمد الا رسول قصر الموصوف على الصفة يستلزم نفي ساير الصفات التي فوق الرسالة عنه
اي ليس مخلدا الا الدهر حتى لا يكون موته وقتله ومعنى قد خلت من قبله الرسل انه لا ينافي الرسالة المضي
لسبيله فسيمضي كما مضت الرسل من قبله وما كان مضيهم سببا لانقلاب اتباعهم عما كانوا عليه فسبيلكم
ان تتمسكوا بدينه وطريقته في الجهاد وغيره كما تمسك اتباع الرسل بعدهم بما كانوا عليه فان المقصود من الرسالة
التبليغ لا البقا بين امته وقد بلغ ثم عقبه بذكرهم على ما كان منهم بقوله فان مات او قتل اي بكلمة ان
وقد علم انه يكون تنزيلا للسامع منزلة المتردد لاستعظامه وذكر القتل بقوله او قتل لكونه مجوزا
عند المخاطبين وقد يعلم الله يعصمك من الناس على تقدير نزوله قبل يوم احد لابا بماذ ليس كل اية

م يسمعها كل احد ولا كل سامع يستحضرها في كل مقام سيما مثل ذلك المقام الهايل انقلبتم على اعقابكم فحوى الكلام
تفريع الانكار على ما تقدم اي قد علمتم مضي الرسل وتمسك اممهم بعدهم باديانهم فكيف صح انقلابكم على
اعقابكم بمصيبة بالموت او القتل الا انه قدم ما حقه التاخير لاقتضاء اداة الاستفهام الصدارة في
الكلام لا انكار التفريع على ما تقدم لان ذلك التفريع بمعزل على مذهب الاوهام فمن يراده لا يناسب المقام كما
لا يخفى على ذوي الافهام ومن ينقلب على عقبيه قد مر بيانه في سورة البقرة فلن يضر الله شيئا بارتداده
بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس
اي وما صح لها ان تموت الا باذن الله لملك الموت في قبض روحه لما كان السابق الى الوهم والمتبادر الى
الفهم من اسناد الموت الى المبني في قوله فان مات هو ان يكون الموت الواقع بلا سبب ظاهري من مرض
والقتل بمقتضى طبيعة الميت دفعه ببيان ان الموت مطلقا لا يكون الا بقبض الروح وهو باذن الله تو وليس
فيه تحريض وتشجيع على القتال بنا على ان الاجل المقدر لا يتاخر بالحذر كيف وهو الماموريه في قوله تو ولا
تلقوا بايديكم الى التهلكة واما الوعد للرسول عم بالحفظ وتاخير الاجل فلا يفهم منه اصلا كتابا موجلا
مصدر موكد اذا المعنى كتبت الموت كتابا موجلا صفة له اي موقتا له اجل معين ومن يرد ثواب الدنيا
بها نوته منها تعريض بالذين شغلتهم الغنايم يوم احد ومن يرد ثواب الاخرة نوته منها اي من ثوابها
وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شي عن الجهاد وحذف المفعول الثاني في الموضعين

لايهام الجزا العظيم اي جزا لا يوصف كنهه وكاين اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون
ل تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرى كاين ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة فصار كيا
ثم حذف الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت اليا الاخرى الفا كما ابدلت طاي من بني بيان للعاقل
معه ربيون كثير الربيون الربانيون وقرى بالحركات الثلث فتح الفتح على القياس والكسر والضم من تغييرات
النسب وقرى قتل والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه اي قاتل كاينا معه ربيون والاول اولى لانه قرى بالتشديد بحمله فما وهنوا فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم في سبيل الله من القتل وغلبة
العدو وقتل الاخوان او قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده لقوة اليقين والثبات في الدين وما استكانوا
وما خضعوا للعدو قيل استكان افتعل من سكن والالف للاشباع لان معناه خضع وتذلل الخاضع يسكن
لصاحبه ليفعل به ما يريد وقيل استفعل من كان الناقصة كان الخاضع يطلب من نفسه ان يكون ويثبت
على ما يريد صاحبه والاول اقوى من حيث المعنى ولكن لا يساعد وجوه الاشتقاق والتصريف والثاني
اصح لفظا واضعف من حيث المعنى وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عم من الوهن
والضعف عن الجهاد والاستكانة للمشركين حتى هموا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب
الامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا قرأة العامة

قولهم بالنصب وانما جعلوه خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ربنا
اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا الاسراف مجاوزة الحد وذكره بعد ذكر الذنوب للمبالغة في الاعتراف
بالذنب وسوء الظن بانفسهم وهو مدح لهم انهم مع حسن العمل استغفروا من الذلل والخلل وثبت اقدامنا
على حاجة الجهاد وانصرنا على القوم الكافرين وما كان قولهم الا هذا القول اي الاستغفار عن الذنوب والاسراف
واضافتها الى انفسهم وطلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ومعتقدين ان الخذلان وتزلزل الخذلان
القدم انما يكون لذنوبهم مقدمين عليه الاستغفار منها هضما لانفسهم واستقصارا مع كونهم ربيين
ليكون الدعاء مع الخضوع وزكاء النفس فيقرن بالاجابة كما جاء بصرهم فاتاهم الله بسبب الاستغفار والالتجا
الى الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وحسن ثواب الاخرة من الجنة وما فيها
من النعيم وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عند الله والله يحب المحسنين اي هم
محسنون والله يحبهم ويحسن ثوابهم يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا
خاسرين نزلت في قول المنافقين عند الارجاف ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل
ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على
حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم دون غيره فلا تميلوا الى ولاية غيره ونصرته وقرئ بالنصب
على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فهو الحقيق ان يستعان سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
هو بيان لقوله وهو خير الناصرين والرعب الخوف الذي يملأ القلب يقول ان نالكم الحال لبعض الشدة بعصيانكم
سنلقي في قلوبهم الرعب فيكون العاقبة لكم بايمانكم وقد حقق هذا الوعد فالقي في قلوب ابي سفيان واصحابه
الرعب فلم يجيئوا الى بدر الصغرى لميعاد وعد واذلك وقيل يريد به ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد
حتى تركوا القتال فانهزموا الى مكة من غير سبب على القوة والغلبة ولا يساعد الخوف عبارة سنلقي بما
اشركوا بالله بسبب اشراكهم به عبارة عن الهتهم ما لم ينزل به باشراكه سلطانا حجة يرد على معنى نفي الحجة
والانزال جميعا كقوله ولا تهكم بالهتكم واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة
لحدة اللسان ومأواهم النار اي مرجعهم في الاخرة وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر
للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياكم بالنصر بشرط الصبر والتقوى كما مر في قوله ان تصبروا
وتتقوا وكان كذلك حتى خالف الرماة اذ تحسونهم تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه باذنه بتيسيره حتى
اذا فشلتم الخطاب للكل والمراد بعضهم على طريقة العرب في نسبة ما يقع من البعض الى الجميع على سبيل
والفشل الجبن وحتى حرف جر بمعنى الى داخل الى اسم هو اذا وقد عرفت ان معنى صدق الوعد النصر والاظفار
فلا يرد انه لا يصلح غاية لا للوعد ولا لتعلقه كذبا وانما قدم ذكره وهو موخر وجودا عن التنازع
والعصيان للدلالة على ان الموعود لم يفته بتنازعهم وعصيانهم ما لم يجبنوا فالغاية في الحقيقة

جبنهم

جبنهم وهنا يرجح الوجه المذكور على ما قيل ان اذا لم يتجرد عن معنى الشرط وجوابه محذوف دل عليه ثم صرفكم
اي منعكم نصره وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون في اول الوهلة فقال بعضهم فما موقفنا
ههنا الغنيمة وقال الاخرون لا تخالفوا امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون
للنهب وهو المعنى بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الغنيمة وفيه تنبيه على ان باعث عصيانهم
وتشنيع لهم حين اثروا الغنيمة على الجهاد ومن زاد على ما ذكر الظفر وانهزام العدو فقد فوت النكتة
منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الاخرة وهم الثابتون محافظة على امر
الرسول عم ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان
عندها ولقد عفا عنكم تفضلا لما فرط منكم من عصيان امر الرسول عم لما علم من ندمكم عليه والله ذو
فضل على المؤمنين في جميع الاحوال فتارة يتفضل عليهم بالنصر والادالة على عدوهم لتقوية الدين
وتارة يتفضل بالابتلاء وادالة العدو عليهم لظهور الصفات الجليلة الكامنة فيهم ونيل درجات الشهادة
وتارة يتفضل بالعفو وتمحيصهم من الذنوب وكلها رحمة منه عليهم وفضل بحسب اقتضاء احوالهم
ذلك اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الضرب في الارض وفي الصحاح
الديوان الاصعاد في الارض والتصعيد في الجبل والصعود في السلم وقرئ تصعدون بفتح التاء من الصعود
وقرئ اذ تصعدون في الوادي ويحتمل انهم ذهبوا في الوادي ثم صعد بعضهم الى الجبل ملتجيا به ولا تلوون
على احد ولا تلتفتون على احد من الاحاد من قولك لوى جيده اليه اذا التفت اليه وهو اخبار عن غاية
خوفهم من العدو والرسول يدعوكم كان يقول الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله من يكر عني
فله الجنة في اخريكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله على فشلكم
وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وغلبة المشركين والارجاف بقتل الرسول عم والثواب
الجزاء كيفما كان والاثابة اعطاؤه وهما لعم الواهب حين يعطاه ما لم يثب منها الا ان الثواب اذا
اطلق يراد به الجزاء وعلى هذا يكون فاثابكم كقوله فبشرهم بعذاب اليم او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه
رسول الله عم بعصيانكم له لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لتتمرنوا على تجرع الغموم وتعتادوا
بالصبر واحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على ما فاتكم من الغنائم ولا ما اصابكم من المكاره وقيل الضمير
في فاثابكم للرسول فاساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم
تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عليم باعمالكم
وبما قصدتم بها وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا نصب
على المفعول ونعاسا بدل منها وهو المفعول وامنة حال منه او مفعول له او حال من المخاطبين
بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن

نعستم

عليكم الامن وازال الغم والخوف حتى نعستم يغشى طايفة منكم اى النعاس عن ابى طلحة رض غشينا النعاس ونحن في
مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه وقرى تغشى بالتاء ردا على الامنة والطايفة المومنون
حقا وطايفة منهم وهم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهم والحزن لعدم اليقين لصابهم الاهم
انفسهم وطلب خلاصها الاهوالدين ولاهم رسول الله عم والحصر مستفاد من المقام يظنون بالله صفة اخرى
لطايفة اوحال اواستيناف على وجه البيان لما قبله غير الحق نصب على المصدر اى يظنون بالله غير الظن
الذى يجوز ان يظن به ظن الجاهلية بدل له وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها وفى الابدال مبالغة
في كشف خطا الظن واشعار بان ظن الجاهلية واهلها علم على البطلان يقولون اى لرسول الله عم وهو
بدل من يظنون هل لنا من الامر من شئ هل لنا مما امر الله تع ووعد من النصر والظفر نصيب قط قل ان الامر كله
لله اعتراض وكون الامر لله تع كناية عن كونه لخواصه لكونهم بمكان من الله تع اى الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه تع
فان حزب الله هم الغالبون بخلاف معنى لنفى الامر بمعنى النصر والاظهار رغمهم وقرى كله بالرفع على الابتداء يخفون في
انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون او هو بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان له وهو الجحود
اى يظهرون هل لنا من الامر شئ سوال المومنين المسترشدين ويقولون في انفسهم او بعضهم لبعض مبطلين
لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا منكرين لقولك ان الامر كله لله نفاقا اى لو كان الامر كما قال محمد ان الامر
كله لله ولاوليائه وانهم هم الغالبون ما غلبنا قط وما قتل من قتل من المسلمين في هذه المعركة قل لو كنتم في
بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اى لخرج الذين قدر الله تع عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ
الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد منهم لا لان العلم الازلى يجبرهم البتة بل يلزمهم
ذلك لان العلم تبع للمعلوم فلا تاثير له فيه بل لان الله تع قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلى
الله ما في صدوركم وليمحص ما في صدوركم ويظهر سرايرها من الاخلاص والنفاق وهو علة محذوف اى وفعل
ذلك ليبتلى او عطف على محذوف اى لبرز لمصالح جمة وللابتلاء وليمحص ما في قلوبكم من وسواس والله عليم
بذات الصدور من الظنون والعزايم وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه تع غنى عن الامتحان وانما فعل ذلك
ليميز المومنين ويظهر حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا يعنى ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوا
الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعهم الله تع التاييد بالنصر وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل
استزلال الشيطان اياهم هو التولى وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب
كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وقيل ببعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذى امرهم رسول الله صلعم بالثبات
فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذلك الخطا بذكر حوالقتال الله تع فكرهوا فاخروا الجهاد حتى يصلحوا
امرهم ويجاهدوا على حال مرضية ولقد عفى الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم

لا يعاجل بعقوبة المذنب كى يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعنى المنافقين وقالوا
لاخوانهم لاجلهم والمراد بالاخوة اخوة الصداقة او الاتفاق في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اى سافروا
فيها وابعدوا للتجارة وساير المهام واذا بعد قالوا بمجرد الظرفية على حكاية الحال الماضية او كانوا غزا
او نهضوا للغزاء غزا جمع غاز كعفى جمع عاف لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا اى
لم لو لم يخاطروا لعاشوا وهو يدل على ان اخوانهم قد فاتوا بعد ان غابوا وغزوا ليجعل الله ذلك حسرة في
قلوبهم اى قالوا ذلك معتقدين ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام للعاقبة ويجوز ان يتعلق بالنهى اى لا
تكونوا مثل الكفار في النطق به لكن القول لاعتقاده ليجعله الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون
قلوبكم منها ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم
مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتكم اياهم في قولهم واعتقادهم مما يغيظهم والله يحيى ويميت
رد لقولهم وتخطية لعقيدتهم اى ان الامر بيده قد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد وبالعكس
كما يشاء والله بما تعملون بصير تهديد لهم على ان بما تعملون وعلى القراءة بالياء وعيد للكفار رضيه للحالتين
بالقسم للتاكيد والتحقيق ولئن قتلتم في سبيل الله او متم في سبيل الله متعلق بالمعطوفين كما قبل في قوله
تع ولم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا فلا حاجة الى تقديره بعد قوله او متم وقرى بكسر الميم
من مات يمات وتقديم القتل لانه الغالب في الجهاد بخلاف غيره ولهذا اخر فيما ياتى ثم ان المقتول احق
بالمغفرة تع لاجله والميت في الحشر اكثر فتدبر لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وساد
مسد جواب الشرط وعدل في الجواب الى الجملة الاسمية للدوام والتخليد وتنكير مغفرة للتعظيم وكذلك
تنكير رحمة كذب الكافرين اولا في زعمهم وخطاهم في اعتقادهم ونهى المسلمين عن ذلك لكونه اعتقادا باطلا
موجبا للتقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن وقع ما تحذرونه فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة والثواب
العظيم خير مما تجمعون من منافع الدنيا لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اى وجه اتفق هلاككم
لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذى توجهتم اليه وبذلتم مهجتكم لاجله لا الى غيره لا محالة
تحشرون فيوفى جزاءكم ويعظم ثوابكم ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه شان لا يخفى ولذلك
عدل عن الضمير اليه فبما رحمة من الله لنت لهم ما مزيدة للتوكيد وتقديم الظرف للدلالة على ان لينه
لهم ما كان الا برحمة من الله تع وتنكير رحمة للتعظيم اى بحظ وافر لك من رحمة الله تع لنت لهم وتلطفت
وما عنفتهم على مخالفة امرك وتركهم اياك بين الكفار بل واسيتهم بالغم واغتممت لاجلهم والفاء للترتيب على
ما دل عليه سياق الكلام من انهم كانوا مستحقين للعتاب البليغ وان المرجو منه عم على ما هو مقتضى
الطبع البشرى ان يعنف عليهم ويغلظ في مخاطبتهم ولو كنت فظا الجافى الخشن الخلق غليظ القلب
قاسية لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك ولما بين غاية حسن الخلق واقر القلب

ربنه عليه الامر بقوله فاعف عنهم فيما يختص بحقك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله تعالى اتماما للشفقة
عليهم وشاورهم في الامر اي في امر الحرب وغيره فيما لم ينزل عليك فيه وحي لما في مشاورتهم من الرفع في اقدارهم
وتطييب قلوبهم والاستظهار برايهم وعن الحسن قد علم الله تعالى انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان
يستن به من بعده فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على شيء بعد الشورى والفا للتعقيب والدلالة على ان
حق المشاورة ان تنتهي الى العزم على احد الامرين ولا يبقى في التردد بينهما فتوكل على الله اي في امضاء امرك على
ما هو الارشد الاصلح فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك
فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين اي يرضى عملهم ويهديهم الى الاصلح ويبصرهم ان ينصركم
الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا يغلبكم احد وان يخذلكم اي ان يترك نصرتكم كما تركها يوم احد
فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزته وهو من قولهم ليس لك من يحسن
اليك من بعد فلان وهو تنبيه على المقتضي للتوكل عليه وتحريض على ما يستحق به النصر وتحذير عما يستجلب
خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي لما علموا ان لا ناصر سواه فليخصوه بالتوكل عليه والتفويض
اليه وفي عبارة المؤمنون اشارة الى وجه يؤيد التخصيص المذكور وهو ان الايمان الحقيقي يقتضي
رؤية فناء القوى والقدر كلها في قوته تعالى وقدرته فلا ناصر سواه وما كان لنبي (وما صح) من الانبياء فكيف
لمن هو افضل الرسل ان يغل الغلول اخذ المال من الغنيمة في خفاء فقدت قطيفة حمراء من الغنائم يوم بدر
فقال بعض من كان مع النبي عم لعل رسول الله صلعم اخذها فنزلت وقايل ذلك لم يظن في ذلك حرجا برأه
الله تعالى من ذلك ونزهه ونبه على عصمته عم بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن ظان في حقه
شيئا منه ولا يسترسل احد فيه وقرئ ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح ان يوجد غالا او ان
ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة يات بالشيء الذي غله بعينه كما ورد في بعض الاحاديث
فغير منظور اليه في هذا المقام ثم انه مخصوص بما له ثقل على ما يفهم من قوله عم لابي هريرة رض [illegible]
من ابيرك شيئا من الغنائم اذا تخرج يوم القيمة وهو متعلق بانوابك ولم كانت لنا برنة فلا نجاه لما نقل خيانة
عن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل
ثم توفى كل نفس ما كسبت يعطى جزاء ما كسبت ليتصل بقوله يات بما غل الخ وانما عدل عنه عم ليدخل
تحته دخولا اوليا فيكون ابلغ واثبت بالبرهان لانه لما علم تعالى ان كل نفس مجزي جزاء مكسوبه
خيرا كان او شرا علم انه غير متخلص من جزائه مع عظم ما كسبت فاتصل به معنى وهم لا يظلمون فلا ينقص
ثواب مطيعهم ولا يزداد في عقاب عاصيهم ولما عم كل كاسب خيرا وشرا وكان المتنافيين من النبي والغال
فقال منكرا افمن اتبع رضوان الله بهمزة الاستفهام مبالغا بايرادها على الفاء العاطفة مع ما بعدها على
مقدر يدل عليه ما قبلها هو كلا بها المنافاة بين النبي والغال كانه قال لا يغل النبي فمن اتبع رضوان الله

117

بالطاعة يعني النبي والمؤمنين بعد كمن باء بسخط من الله (عظيم) بالعصيان كالغال ومن جانبه وماواه جهنم وبئس
المصير للفرق بينه وبين المرجع هو انتقالا الى الحال كان عليها والمصير كان انتقالا به الى خلاف الحال التي
كان عليها هم درجات تشبيه بليغ اي هم متفاوتون كما يتفاوت الدرجات وقيل على حذف المضاف اي هم
ذوو درجات وانما قال عند الله تعظيما للتفاوت والله بصير بما يعملون اي عالم باعمالهم فيجازيهم على
حسبها لقد من الله على المؤمنين خصهم بالذكر لانهم هم المنتفعون بمبعثه عم والمنة هنا الانعام وقرئ لمن
من الله على انه خبر محذوف مثل منه او بعثه ولا يجوز ان يكون اذ في قوله اذ بعث في محل الرفع بانه مبتدا
اي وقت بعثه لمن من الله لان العرب لم تستعمل اذ منصرفا قال ابو علي الفارسي لم ترد اذ واذا في كلام العرب
الا ظرفين ولا يكونان فاعلين ولا مفعولين ولا مبتدا بين وانما قال فيهم لانهم كانوا عرفوا اسلافه ونشأه
وصدقه وامانته وطهارة اخلاقه فاندفع بذلك كثير من الخواطر رسولا التنكير للتعظيم من انفسهم
من جنسهم عربيا مثلهم ليسهل عليهم اخذ ما يجب اخذه عنه لاتفاقهم في اللسان وقيل من نسبهم يعني من ولد
اسمعيل كما انهم من ولده وكلما كانت الجنسية اكثر كان المن اوفر لمناسبتهم اياه وسهولة تلقيهم وعلى هذا
يكون المراد من امن من قومه عم وتخصيصهم بالمن لزيادة انتفاعهم ببعثته عم وعلى كلا الوجهين لا اختصاص
لمن امن معه والوجه عندي هو الاول المتوكد بقوله تعالى في موضع اخر هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو
عليهم اياته وقرئ اي بتشديد بعضه بعضا وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه كان من اشرف شعوب العرب
والخاذهم يتلو عليهم اياته من الوحي المتلو بعدما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم
من دنس الكفر والخبائث وغواشي الطبيعة والرذائل ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القران والسنة الشاملة
لاقسام الحكمة وان في قوله وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين هي المخففة من الثقيلة ومن قبل مبني على الغاية
جهم واللام هي الفارقة اي وان الشان كانوا من قبل بعثته في ضلال ظاهر لا شبهة فيه وهو بيان لشدة احتيا
الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم انه عم تعلم ذلك من معلم اولما اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد
من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين والهمزة لتقرير القول والتقريع
ولما نصب بقلتم في قوله قلتم انى هذا واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقريره وقلتم حين اصابتكم
وانى هذا على انه مقول قلتم والواو عاطفة للجملة على قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده
او على محذوف اي افعلتم وقلتم ح انى هذا اي من اين هذا قل هو من عند انفسكم اي استوجبتم لما اصابكم
لتخليتكم بسبب ناشئ من عند انفسكم فان الله يكم ذلك ولا دينا في كونه من عند الله اي السبب العادي انتم تخليتكم
المركز وميلكم الى الغنيمة فان وعد النصر كان مشروطا بالثبات والطاعة وعدوا ما اختيار الخروج
من المدينة فبعيد لان الله تعالى وعدهم النصر بعد بشرط الثبات واختيار الفدا يوم بدر ابعد منه
ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى ولا تاثير

للاسباب العادية ففيه دفع وهم الجزع عن يضرهم عند عدم شرط الثبات وما اصابكم يوم التقى الجمعان
جمع المسلمين وجمع المشركين يوم احد فباذن الله فهو كائن بتخلية الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه
وليعلم المؤمنين عطف على باذن الله والباء واللام كلاهما للسبب وليعلم الذين نافقوا اي وليتميز المؤمنون
والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة تعالوا قاتلوا في
سبيل الله او ادفعوا قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا دفعا عن
انفسهم واهليهم واموالهم ان لم يكن لهم هم في سبيل الله وفي الاخرة قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ابوا
القتال لو وجدوا القدرة عليه اسا لنفاقهم على ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع خلفائه فقيل له
تعال ذلك ويجوز ان يكون المعنى لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل
القاء بالنفس الى التهلكة يريد تخطئة رأيهم لان رأيه كان في الاقامة بالمدينة او ادفعوا العدو بتكثيركم
سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر قلبه بقي ههنا شيء وهو ان مقتضى
ترتيب الكلام على الوجه الاول ان يعطف قالوا لو نعلم قتالا على نافقوا بالفاء وانما اخرج مخرج الاستيناف
على انه جواب سؤال اقتضاه دعا المؤمنين اياهم الى القتال فاخره عن الدعا كانه قيل فماذا قالوا فقيل
قالوا لو نعلم ليتنبه على ظهور امارة النفاق منهم لتثبطهم وتعللهم بعد الدعا الذي كان يجب عليهم اجابته
ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدا عطفا على جملة وما اصابكم فباذن
الله هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وقولهم هذا فانهما اول امارة ظهرت منهم مؤذنة
بكفرهم والظروف كلها متعلقة باقرب لما فيها من الاتساع لكن تعلق للكفر باعتبار الزيادة وتعلق للايمان
من حيث المفعولية كانه قيل قربهم من الكفر يزيد على قربهم من الايمان وصلة القرب يكون من والى وتقول
العرب يقرب منه واليه ولا تقول له فاللام بمعنى الى وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة لاهل الايمان اذ كان انخزالهم لم
تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي يظهرون خلاف ما يضمرون
لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان والعرب تستعمل القول في غير الكلام فتقول قال بيده اي اهوى بها
وقال برأسه اي اشار فقوله بافواههم تخصيص القول بالكلام وايثار الافواه على الالسنة لانها اوسع
دائرة فان من الحروف ما لا دخل له في تلفظه اللسان والله اعلم بما يكتمون من النفاق وتجهيل المؤمنين
وتخطئة رأيهم وذمهم فيما بينهم والشماتة وغير ذلك فانا نعلم لانهم يعلمون بعض ذلك علما
مجملا بامارات والله تعالى يعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا بدل من ضمير يكتمون في
رفع المحل او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين قالوا او نصب بدل من الذين نافقوا او جر بدل من الضمير
في افواههم او قلوبهم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم ومن جنسهم وقعدوا
حال بتقدير قد وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤا عن انفسكم

الموت جواب شرط مقدر يدل عليه ان كنتم صادقين انكم تقدرون دفع القتل عمن كتب فادفعوا
عن انفسكم الموت فانه احرى بكم يعني ان القعود غير مظن فان اسبابه شتى والقتال قد يكون سببا
للنجاة والقعود سببا للهلاك ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد والابلغ
ان يحمل الخطاب لكل احد لانه امر خطير يحق ان يبشر به كل احد ليتوفروا رغبتهم الى الجهاد وليتيقنوا بحسن
الجزاء وقرئ بالياء اي حاسب وقرئ بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على
بل احسبهم احياء عند ربهم عند هنا بمعنى القرب شرفا ورتبة يرزقون يعني في الجنة وهو تاكيد
لكونهم احياء فرحين حال من يرزقون بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية
والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة معجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم
المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون
بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم وهو انهم سيلحقوا بهم في امن وفرح
ورغد عيش وفيه تحريض لمن بعدهم على الطاعة والجهاد والرغبة في نيل درجة الشهادة وبشارة للمؤمنين
بالفوز وحسن المآب واحماد لمن يرى نفسه فيتمنى مثله لاخوانه ويستبشر به لهم والاية تدل على ان
روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيده
ذلك قوله تعالى النار يعرضون عليها وما روى ابن عباس رض انه ع م قال ارواح الشهداء في اجواف طير
خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش يستبشرون كرره
ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لان ذكر النعمة والفضل هو بنفي الحزن
وعدم ضياع اجرهم بنفي الخوف لان الاول على الواقع والثاني على المتوقع ويجوز ان يكون الاول بحال
اخوانهم وهذا بحال انفسهم وفي تقديم الاستبشار بحال اخوانهم ارشاد الى موجب الصدق في الاخوة
الدينية وهو ان يكون صلاح حال الجدا اهم عنده من صلاح نفسه بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل
زيادة كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرها للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين قرئ ان
بالفتح عطفا على فضل فيكون من جملة المستبشر به وقرئ بالكسر على ان الجملة ابتدائية على سبيل
الاعتراض للاشعار بان ذلك اجرهم على ايمانهم وان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها ويعضده
قراءة والله لا يضيع اجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول اجابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
الله تمهيد لبيان ان دعوته ع م دعوة الله تعالى فكان اجابته اجابة الله من بعد ما اصابهم القرح اي الجرح
في غزوة احد بهم اثر ذلك ويجوز ان يكون الذين مخفوضا نعتا للمؤمنين وان يكون منصوبا على المدح
وان يكون مرفوعا بالابتداء خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر
الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون قيل لما كان يوم الثاني من غزوة

احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله من انتدب لطلب العدو حتى يعلموا انا لم نستأصل وان فينا
بقية وقال لا يخرج معنا الا من شاهدنا بالامس فانتدبوا وبهم الجراح حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية
اميال من المدينة وقام بها ثلثة ايام ثم انصرفوا وقد فاتهم العدو فنزلت الذين قال لهم الناس يعني
الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي رض واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان
يركب الخيل وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من اهل المدينة واذاعوا كلامه ان الناس يعني ابا
سفيان واصحابه فالمعرفة وان اعيدت معرفة فليس الثاني عين الاول واللام العهدية اشارة الى ما ذكر
من تخاذل الى ما يعرفه المخاطبون قد جمعوا لكم فاخشوهم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عم ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران
فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل
بعير من زبيب ان يثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيما وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل
فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت احد منكم الا شريد افتريدون ان
تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا
وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول اي فزادهم ذلك الكلام ايمانا او
للمصدر اي فزادهم قولهم والبارز للمتقين مع الرسول عم المقول لهم لما عرفنا ان كثيرهم كرهوا الخروج
معه عم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية
الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان بمعنى التصديق يزيد وينقص ومن انكره قال ذلك بحسب
التعلق اعني ما يؤمن به واما الايمان الشرعي فزاده الخلاف فيه كما سبق لان من المخالفين من قال بدخول
الطاعات فيه ومنهم من انكره وقالوا حسبنا الله محسبنا الله وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل على
انه بمعنى المحسب قولهم هذا رجل حسبك على انه صفة للنكرة لكون الاضافة غير حقيقية وهي اضافة
اسم الفاعل الى معموله ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر الصغرى سالمين غانمين
وهو ما ذكره بقوله بنعمة من الله بنعمة عظيمة وهي السلامة وهرب العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة
فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء لم يصبهم من الضرر بدنيا
كان او ماليا للتحقير والتنكير للتقليل واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم
وخروجهم والله ذو فضل عظيم بتوفيقهم لما فعلوا والتفضل عليهم بسعادة الدنيا والاخرة من
الربح والرضوان وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم
الشيطان يخوف اولياءه ذلكم مبتدأ خبره الشيطان اي انما ذلكم المثبط هو الشيطان وما بعده
بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي

انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول عم او يخوفكم اولياءه
الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس على الاول والاولياء على الثاني وخافوني في
مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين فان المؤمنين يرجح خوف الله تع كل خوف ولا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم المنافقون او قوم من اليهود
لقوله تع يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا ولم تؤمن قلوبهم ومن
الذين هادوا سماعون للكذب والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا
الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله شيئا بمسارعتهم وانما يضرون بها انفسهم وانما اضاف الضرر الى نفسه
تشريفا لاوليائه وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وتنكيره للتحقير يريد الله الا يجعل لهم حظا نصيبا
في الثواب في الاخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان
كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته او بان مسارعتهم الى الكفر لانه تع لم يرد
لهم ان يكون لهم حظ في الاخرة ولهم عذاب عظيم مكان الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله
شيئا ولهم عذاب اليم تعميم للكفرة بعد تخصيص المنافقين وقوم من اليهود فيتناولهم ويكون كالبرهان
على انه بالكفر هم وضرره لا يصل الا اليهم وان لهم عذابا مولما مع عظمه ولا تحسبن الذين كفروا نصب
على المفعولية على قراءة لا تحسبن بالتاء والخطاب لكل من يحسب وقد نبهت فيما سبق على ان هذا ابلغ من تخصيص
الخطاب بالرسول عم وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم بدل منه على الاشتمال وما مصدرية وحقها ان
تكتب منفصلة ولكنها وقعت في خط الامام متصلة فاتبع سنته وانما اقتصر على احد المفعولين
امتناع ذلك في افعال القلوب لان الاعتماد على البدل والمبدل منه في حكم المنحى ليس بمقصود [illegible] بدل
وهو ان مع اسمه وخبره ينوب عن المفعولين ويجوز ان يقدر مضاف اي ولا تحسبن حال الذين كفروا وعلى قراءة
بالياء فالذين كفروا رفع على الفاعلية والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه
اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما جملة استئنافية لتعليل الحكم السابق
وما كافة واللام للتعليل فان القائلين بان الخير والشر بارادة الله تع يجوزون التعليل بمثل هذا اما لانه
غرض والغرض لا يلزم ان يكون مطلوبا بل يكفي جعله غاية للفعل واما لانه مراد مع الفعل تشبيها بالعلة
وهم الذين لا يعللون فعل الله تع الا بالغرض وانما بالفتح والكسر الاولى ولا تحسبن بالتاء على معنى ولا
تحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض
معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان
يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله اراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار
فمعنى كان ما تقدم في الاعتبار واللام في ليذر المؤمنين لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلصين

بالمنافقين حتى يميز بينهم والخطاب للمؤمنين المخلصين لانهم المعنيون عليهم والموصوف بالطيب اعني حتى يعزل
المنافق عن المخلص لئلا يتعدى خبثه اليه والالتفات الى الخطاب تقريب للمؤمنين وتخصيص والمعنى لا يترككم
مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة
التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر بواطنكم
ويستدل به على عقايدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب من مضمرات القلوب وغيرها فان الله تعالى مما استاثر
الله تعالى بعلمه ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيعلم بعض المغيبات بالوحي او بطريق اخر وليس من الاطلاع ولذلك
قطع الاستثناء فامنوا بالله ورسله بان تعرفوه حق معرفته وتعلموه وحده مطلعا على الغيب ورسله بان تعلموهم
عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله تعالى ولا يخبرون الا بما يخبرهم الله تعالى من الغيوب بالوحي وليسوا من علم الغيب
في شيء قيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا بمن يومن منا ومن يكفر فنزلت وقيل انه عم قال عرضت
على امتي واعلمت من يومن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يومن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا
فنزلت وان تومنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من
فضله هو خيرا لهم القراءة فيه ما سبق ومن قرا بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون
هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء وجعل فاعله ضمير الرسول او ضمير من يحسب ومن جعل فاعله الذين يبخلون جعل مفعوله الاول
ما دل عليه يبخلون اي بخلهم وسوغ حذفه دلالة [illegible] وهو فصل [illegible] بل هو شر لهم لاستجلاب العقاب
عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة تفسير لقوله هو شر لهم والتطويق يستعار للالزام تشبيها بالطوق
ينفك عن الرجل بالطوق اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وقيل يجعل ما بخلوا به من الزكوة حية
يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك ولله ميراث
السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهم يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله
والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرا تعملون بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد
سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا
وعيد لهم وقد اكده بالقسم والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا اما
يقول المهدد لمرتكب الجرايم اذا وقفه على جريمة جديدة لقد سمعتها وساكتبها مع صواحبها بريدها
نسبت جرايمكم اجمعها والحق احداهما بالاخرى بحفظه مكتوبة عندي حتى واخذك بالكل فالكلام على طريقة
الاستعارة التمثيلية ومعرها تدل على حقايقها والسين للتاكيد لاثبات كما ان لن للتاكيد النفي اتخذها الكل
الوعيد على طريق التاكيد كما في الاحذار بوجود السامع لان الجريمة عظيمة اذ هو كفر بالله تعالى واستهزاء
بالقران وقتلهم الانبياء هذا العطف تذكيرهم لما يستحقون به اشد العذاب باظهارها اشد الغضب
وتوبيخ شديد بانه هذه عظيمة مثلها ولهم سوابق في ذلك ان من ارتكب قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجترا

على مثل هذا القول ولا احتمال ان يكون قتل الانبياء بحق فقوله بغير حق بيان للواقع زيادة على التشنيع
ونقول ذوقوا عذاب الحريق تتمة للوعيد مع تهكم بالغ ينتقم منهم بهذا القول وذوقوا كلمة يقولها المنتقم للمنتقم
منه اي ذوقوا كما اذقتم المسلمين الغصص ذلك اشارة الى ما مر من عذاب الحريق تهويلا وتعظيما والذوق ادراك
الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك ساير المحسوسات والحالات والتهكم لان سبب العذاب يقولهم [illegible]
والقتل كان على المال وغالب الحاجة اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل
مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولكم هذا وساير معاصيكم وعبر بالايدي عن الانفس لان اكثر
الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل وان كان بالقلب او اللسان وساير الجوارح عملا بالايدي على سبيل التغليب
ولان اليد مظهر القدرة والة المباشرة نسبوا الكسب اليها كانهم ارادوا كسب النفس وحدها بلا اشتراك
احد وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت اي ذلك بسبب كسبكم بانفسكم وان الله تعالى عادل يجازيكم
الا بما كسبتم وقضية العدل عقاب المسيء وثواب المحسن او صيغة المبالغة للتنبيه على ان ادنى الظلم بلوغه
الى الغاية في كل وصف يتصف به فعلى تقدير اتصافه بالظلم يلزم ان يكون ظلاما الذين قالوا
واضرابه ان الله عهد الينا يعني امرنا في التورية واوصانا ان لا نومن لرسول حتى ياتينا بقربان
تاكله النار بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لبني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي عم فيدعو فتنزل
نار سماوية فتاكلها اي تحيله الى طبعها بالاحراق قل قد جاءكم اي جاء اسلافكم الذين انتم على ملتهم وراضون
بعملهم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين الزام لهم بان رسلا جاؤهم قبله
كزكريا ويحيى عليهما السلام بمعجزات موجبة للتصديق وبهذه الاية التي اقترحوها فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
ان الايمان يلزمهم باتيانها واما ما قيل ان هذه الاية ما اوجب التصديق والايمان لانهم ادعوا العهد من الله
تعالى فيه ذلك قال السدي ان الله امر بني اسرائيل في التورية من جاءكم يزعم انه رسول مني فلا تصدقوه حتى
ياتيكم بالقربان تاكله النار من السماء حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فامنوا بهما فانهما ياتيان بغير قربان
فما ذكروه ليس من مفترياتهم بل من محرفاتهم فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات تسلية للرسول
عم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود والزبر والكتاب المنير الزبر جمع زبور وهو المكتوب يقال زبرته اي كتبته
والجمع يدل على الكثرة فالمراد منه الصحف ومن الكتاب المنير التورية والزبور والانجيل وقرئ بالزبور
وبالكتاب باعادة الجار فيهما للدلالة على انها مغايرة والبينات مغايرة كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد
للمصدق والمكذب وهو من تمام التسلية [illegible] مما يصدر من الكفار من المكذب وغيره
وفيه دلالة على ان النفس غير البدن وانها لا تموت بموته وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين
على الاصل وعدمه لالتقاء الساكنين وانما توفون اجوركم يوم القيمة يعني في دار الاخرة ولفظ التوفية
انها لم يشعر بانه قد يكون في هذه الدار بعض الاجور فلا يدل على عدمه [illegible] ما يدل على وقوعه من الاخبار

كثرة لهم الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار واما ما يعطى في القبر فهما يوفى في الدار الاخرة
لان الموت بابه والقبر اول المنزل فمن زحزح عن النار اى بعد عنها وقد سبق في سورة البقرة وادخل الجنة فقد فاز
بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع
الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والمدلس هو الشيطان وانما هذا التشبيه
لمن يؤثرها ويتخذ بدلها اشترائها بالاخرة ويؤثرها عليها واما بالنسبة الى من جعلها بلاغا بالاخرة وعلم سرعة فنائها وذهابها
منها زاده وتركها والخصال الباقية فهي متاع العبور لا الغرور والغرور مصدر والاضافة للملابسة لتبلون
اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبه من الافات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجرح
وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى
كثيرا من هجاء الرسول عم والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم
على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها فيفوتهم الصبر والاجر والكراهة وان تصبروا
على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور مما يجب
العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون منكم وقطعه عليكم وبالغ فيه والعزم القطع وقال عم لا صيام
لمن لا يعزم الصيام من الليل اي لم يبيته والاختصاص بالرأي واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين
اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرئ بالياء لانهم غيب واللام
جواب القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق والعهد اليهم
وراء ظهورهم تشنيع على اهل الكتاب وبالغ في توبيخهم بانهم اذا اخذ الله ميثاقهم وعهد اليهم واكد بالقسم
ان يظهروا الكتاب ويعلموه وجب عليهم بالتأكيد بيانه فكافروا واجتنبوا كتمانه فقابلوا مبالغة في ذلك بالمبالغة
في اطراحه وترك كفاية النبذ وراء الظهر مثل في الطرح بالكلية وترك الاعتداد بالشيء النبذ المرمي والابعاد
وفي الحديث انه من يغير منتبذ عن القبور اي منفرد بعيد عنها او الوراء كما يطلق على الخلف يطلق على الا علم
ذا اضافته الى الظهر بمعنى الخلف واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس
ما يشترون يختارون لانفسهم وقد سبق ما يتعلق به في تفسير سورة البقرة وكفى به دليلا على انه مأخوذ
على العلماء ان يبينوا الحق للناس وان لا يكتموا مما علموا شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب
لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم او غيرة
ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي عم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا
ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب لرسول الله عم ومن ضم الباء
جعل الخطاب له وللمؤمنين واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد
والفاء للاشعار بان فعلهم المذكور مفصلة لنفي الحسبان عن النهي عنه والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما

فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار
بالصدق بمفازة منجاة من العذاب بفائزين بالنجوة منه وقرئ بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على
ان الذين فاعل ومفعولي لا تحسبن محذوف فان يدل عليهما مفعولا مؤكد وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون
بما اتوا فلا تحسبن انفسهم بمفازة وقيل المفعول الاول محذوف وقوله ولا تحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله
ومفعوله الاول وفيه ان التأكيد للفعل والفاعل فالضمير المنصوب المتصل بالتأكيد هو المفعول
الاول ولا حذف ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عم سأل اليهود عن شيء في التورية
فاخبروه بخلاف ما كان فيها واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل غير ذلك
والحق انه شامل لكل من اتى بحسنة ففرح بها فرح اعجاب واحب ان يحمده الناس بما ليس فيه من الفضيلة
وبما لم يفعل من انواع البر اوهم وليس فان كان السبب خاصا ولله ملك السموات والارض فهو
يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لايات لاولي الالباب لدلالات واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
لذوي العقول الخالصة عن قشور الاوهام والعادات الصافية عن شوب الهوى والخيالات المدركة
للحقائق بنظر الاعتبار المتدبرة للمعاني بصواب الافكار وعن النبي عم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها
والاقتصار على الثلثة المذكورة لان مناط الاستدلال هو التغير وانواع الثلثة توجد فيها
لانه اما ان يكون في الاحوال الخارجة عن الشيء كتغير الافلاك او في جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها
او في ذاته كتغير الليل والنهار ووجه الترتيب ظاهر الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم محله النصب على الحال عطفا على اخويه اي قائمين وقاعدين ومضطجعين يعني يذكرون
الله ذكرا دائما على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع ويتفكرون في خلق السموات والارض
اي في خلق العالم استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عم لا عبادة كالتفكر لانه عمل القلب
والمقصود من الخلق وفيه اشعار بان ذوي الالباب بيانهم وتفسيرهم الذين يذكرون الله دائما
على اي حال كانوا المتفكرون في خلقه ربنا ما خلقت هذا باطلا مقول لقول مقدر اي يقولون
وهو في موضع الحال بمعنى يتفكرون قائلين وباطلا صفة مصدر محذوف اي ما خلقته خلقا باطلا
بغير حكمة او حال من هذا وهو اشارة الى ما عبر عنه بقطريه وهو عالم الملك وفيه ضرب من التعجيب
وظهور امره في العظمة وكمال ان ذلك يستعمل في التعظيم لبعد المرتبة وعلو القدر فكذلك هذا
يستعمل لظهور امره في ذلك المعنى وتعينه وانفراده بذلك اي ما خلقت هذا العالم العجيب الشان
البين البرهان المتفرد بالعظمة وغرابة الابداع باطلا وفي السكوت على هذا القدر من البيان دلالة
على قصور العبارة عن بيان فوائده وشأنه فخذه ولو اجمالا سبحانك تنزيها لك من ان تخلق العبث

ولو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه ولكون الدلالة على وجوب
الاعتبار به واجتناب الغفلة عنه ماخوذ في ربنا ما خلقت هذا باطلا احسن تعقيبه بهذا الكلام
والفا للسببية اذا ذكرنا كنوا قربنا بك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
غاية الاخزا وهذا مستفاد من جعل الجزا امرا ظاهرا للزوم الشرط بحيث لا فايدة في ذكره
ما دام محمولا على اطلاقه فيحمل على اخص الخصوص ليفيد والمراد به تهويل المستفاد منه قال
ابن السكيت خزي يخزي خزيا اذا وقع في بلية فلا اشعار فيه بان العذاب الروحاني اقطع وقد
تمسك بهذه الاية اصحاب الوعيد فقالوا من دخل النار ينبغي ان لا يكون مؤمنا فقد اخزيته لقوله
فان الله تعالى يقول يوم القيمة يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه والجواب ان المراد من الذين
امنوا معه الاصحاب رضي الله عنهم لا الذين امنوا مطلقا وما للظالمين من انصار اللام للعهد
والاشارة الى من يدخل النار والاعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له ووضع المظهر موضع
المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا
يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان
اذا اريد به تخصيص سماع القول بمن سمع منه او وقع الفعل على من سمع منه وحذف المسموع ووصف
المتكلم الموقع عليه الفعل بما سمع منه او جعل حالا منه فيسد الوصف او الحال مسده تقول سمعت
رجلا يقول وسمعت زيدا يتكلم وذكر النداء مطلقا ثم قيد بالايمان تفخيما للمنادي وهو الرسول
وتنبيها للشانه والنداء والدعاء ونحوهما تعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان امنوا
اي امنوا او بان امنوا بربكم فامنا فامتثلنا والفا للعطف على سمعنا او مسببة عن امنوا اي بسبب
عند ايماننا ربنا فاغفر لنا الفا للسببية اي اذا امنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة
وكفر تجاوز عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة في تخصيص كل من التقديرين بمقابه نوع
صح اشارة الى ان المراد من الذنوب الكبائر كما يناسبها معناها وما تعلق بها من الفعل بحسب معناه او خصصا
بالله تعالى ومن السيئات الصغاير كما يناسبها ايضا معناها وما تعلق بها من الفعل بحسب معناه وجواز
استعماله في غيره تعالى وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم ولا دلالة فيه
على طلب التوفي حتى يكون فيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله تعالى الابرار جمع بر او بار كارباب
واصحاب ربنا واتنا عطف على الدعوات السابقة وتكرار ربنا للاستلذاذ بذكره والخضوع في الربوبية
وكذا جميع التكرارات في الاية ما وعدتنا على رسلك اي تصديق رسلك من الثواب قيل الظاهر امتثالا
لما امر به من السؤال او منزلا عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة الا يكون من الموعودين لسوء عاقبة
او تقصير في الامتثال ويرد عليه انه على تقدير وقوع ما خاف لا يكون السؤال المذكور مناسبا

لحاله وعلى تقدير عدمه لا حاجة الى السؤال فالوجه ان يقال انه تعبد واستكانة وتجويز ان يكون ن
التقدير منزلا على رسلك او على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا بما يقتضيه انك لا
تخلف الميعاد باثابة المومنين واجابة الداعي فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى خزيه اهانه
بنفسه وباللام وفي الاثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف اني لا اضيع عمل
عامل منكم اي باني لا اضيع وقري بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان
الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لفرط الاتصال والاتحاد لانهما من اصل واحد او للاجتماع والاتفاق
في الدين وهي من جملة معترضة بين بها شركة النسا مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت
يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى اخره تفصيل
لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الاوطان
والعشاير واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله بدا اولا بالخاص وهو الهجرة
وهي اشق شي على النفس وثنى بما هو اعم منها فان الخروج من الديار لا يستلزم الهجرة الى المدينة كخروج
من خرج الى الحبشة والى جدة واتى ثالثا بذكر الاذاية وهو اعم من ان يكون بالاخراج من الديار وغيره
وارتقى بعد هذه الاوصاف السنية الى رتبة الجهاد فقال وقاتلوا الكفار وقتلوا في سبيل الله وقري
بالعكس ولا منافاة لان الواو لا يوجب الترتيب والثاني افضل لاشعاره بانه قتل بعضهم وقاتل
الباقون ولم يضعفوا وقري قتلوا بالتشديد للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم كفرا اذا عدي بعن
يفيد معنى تجاوز ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبنهم بذلك ثوابا من عند
الله تفضل منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه بالغ في جزائهم التاكيدا تعظيما
وابراز المصدر المؤكد وتقييده بالعندية تبعدا لاطلاق والالتفات في عند الله واظهار اسمه في الجملة
بعد وجعل الجملة الظرفية خبرا غاية البلاغة لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد خطاما للنبي وحقيقته
للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم مثبتا له على ما كان عليه كما في قوله تعالى ولا تطع المكذبين او لكل احد ليفيد نفي
السبب وهو من باب تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غر لاغتر به فمنع سبب الغرر يستلزم
امتناع المسبب الذي هو الاغترار بما لغته والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغترر
بظاهر ما ترى من تبسطهم في مناصبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المومنين كانوا يرون
المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعدا الله فيما نرى من الخير وقد اهلكنا من الجوع والجهد
فنزلت متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل وصف بالقلة بالنسبة الى ما فاتهم
من نعيم الاخرة او بالنسبة الى ثواب المومنين او اراد قلته في نفسه ونحو قدر لسرعة انقضائه
وزواله ثم ماواهم جهنم عطف على محذوف كانه قيل يوخذون بتبعته يوم القيمة ثم ماواهم جهنم

وثم للتراخي في الرتبة وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم والمخصوص بالذم محذوف لكن الذين اتقوا ربهم
اي خافوه ولم يخالفوا امره ولا نهيه لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها قابل جهنم بالجنات
وقلة متاعهم بالخلود في النعيم فوقعت لكن احسن موقعها لانه في معنى الجملتين الى تعذيب الكفار والى
تنعيم المتقين فهي واقعة بين الضدين نزلا من عند الله النزل بسكون الزاي وضمها ما يقام للنازل
عند نزوله من القرى وفيه تنبيه على ان ما وراء ذلك ما هو اعظم منه كرامة وانتصابه اما على
الحال من جنات لتخصيصها بالوصف والعامل الظرف اي حاصلة لهم الجنات نزلا وعلى انه في
معنى مصدر مؤكد كقوله ثوابا كانه قيل رزقا واعطاء من عند الله وما عند الله لكثرته ودوامه
خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله او صبر في بيان مآل الذين بحذف المبتدا
والمخصوص بالذم واقتصار الكلام للتحقير والازدراء او عدم الاعتداد بهم وبمتاعهم واطنب في
وصف المتقين لاظهار العناية بهم وبشانهم وما لهم او لا يقوله لكن ليستدرك ما لهم المخالف لما لهم المباين
مما لا يوصف بونه ثم بقوله لهم وتنكير جنات للتعظيم ووصفها للايهام والتوضيح وتقوية
الاسناد اليهم بتكرير النسبة لهم والجملة الظرفية والتقييد بالحال والتاكيد بقوله نزلا من عند
الله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل غير ذلك وانما دخلت
اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين خاضعين
خاضعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه هاهنا وفي اليهم باعتبار المعنى بعد ما افرده باعتبار اللفظ
لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من يسلم من احبارهم اولئك الموصوفون بما ذكر لهم اجرهم
الذي يختص بهم وهو ما وعدوه في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لانه عالم
محيط بكل شيء ولا يشغله شان عن شان والمراد ان الاجر سريع الوصول فان سرعة الحساب يستدعي
سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا اعداء
الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب ولا تكونوا اقل صبرا منهم وتخصيصه بعد
الامر بالصبر مطلقا لشدته وصعوبته ورابطوا اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين
مستعدين للغزو واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه لعلكم تفلحون لكي تفلحوا والفلاح الامن
مما يخافوا والوصول الى ما يرام والحمد لله على التمام والصلوة على نبيه سيدنا الانام وعلى آله واصحابه
الكرام ما تعاقب الليالي والايام

سورة النساء مائة وست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم الموجودين في زمان الخطاب ومن
بعدهم دون المنقرضين اتقوا ربكم في مخالفة امره ونهيه الذي خلقكم من نفس واحدة آدم عم
ترتيب الامر بالتقوى على هذه القضية لما فيها من الدلالة على القدرة العظيمة والا لكان خلق السموات

والارض اخص بالذكر وما في ذكر الرب من الاشارة الى نعمة التربية الموجبة للطاعة لتضمين الترهيب
معنى الترغيب وخلق منها زوجها يعني حواء خلقها من ضلع من اضلاع آدم عم بيان لخلقهم من نفس
واحدة على وجه الاستيناف كانه قيل انهم خلقوا من ذكر وانثى لا من ذكر وحده فاجيب بان تلك الانثى
قد خلقت منه فالواو واستينافية لا عاطفة لما عرفت ان مدخولها مقرر ومبين لما تقدم والعطف
لا يتخلل بين الشيء ومقرره وعلى تقدير العطف على محذوف اي خلقها وخلق منها زوجها يندفع
المحذور المذكور الا انه لا دخل للمقدر في تقرير ما ذكر ومن شرايط البلاغة تجريد الكلام عما
لا يقتضيه المقام وبث منهما اي نشر من النفسين المذكورين من جهة التناسل والتوالد المراد بيان كيفية
توالدهم ولذلك قال رجالا كثيرا ونساء دون ذكورا كثيرا واناثا ومن لم يتفطن لهذه الدقيقة
قال في تفسيره بنات وبنين وذكر كثيرا حملا على معنى الجمع وحذف وصف النساء لدلالة وصف
قرينها عليه حقيرى وخالق وباث على حذف مبتدا تقديره هو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون
به اي يسال بعضكم بعضا به فيقول اسالك بالله او تساءلون غيركم فجيء بتفاعلون موضع يفعلون للكثرة
وبعضده قراءة تساءلون بواصلة تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرئ بطرحها والارحام
بالنصب عطف على محل الجار والمجرور وبنصره قراءة تساءلون به وبالارحام او على الله اي اتقوا
الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وما ذهب اليه
البصريون من امتناع العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار والضعف في اضماره برده
هذه القراءة الثانية بالتواتر فانها مما يحتج به لا مما يحتج عليه الا عند من لا اعتماد له على القراءات
الثابتة ولا اعتداد له لرغبته الفاسدة وقرئ بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك
اي مما يتقى او مما يتسال به وقد نبه تو اذا قرن بالارحام باسمه على ان صلتها بمكان وعنه عم الرحم
معلقة بالعرش لا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا
وآتوا اليتامى اموالهم كما بلغوا ان آنس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا واليتامى جمع يتيم
وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اذا انفردت في صدفها اما انه
جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتايم ثم قلبت فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى
على اسارى وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد الا انه قد غلب ان يسموا
به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا بلغوه زال عنهم هذا الاسم وعلى وفق هذا ورد عرف الشرع
قال عم لا يتم بعد الحلم اي لا يجري عليه احكام اليتيم ولا يحتاج الى الولي والمراد في الآية المبلغ عن
اعتبار الاخذ لا الاعطاء من الولي لهم او بالنظر الى حال نفسه ومراد القائل اعتباره بالنظر الى حال
اليتم فدايرة الرد على الفهم لا على المفهوم على الاتساع اثر عهد بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم

او بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم وعن رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال عنه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب اي لا تتبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب والتفعل بمعنى الاستفعال كثير او لا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانه وهذا تبديل فان في التبدل وكذا في الاستبدال لما دخلته الباء متروكا وما تعدى اليه الفعل بنفسه ماخوذا في التبديل بالعكس ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي لا تضموها الى اموالكم في الاكل ودل قوله الى اموالكم على ان المخاطبين اغنياء وذلك لانه اذا كان فقيرا يجوز ان ياكل بالمعروف وفيه تعريض بانهم كانوا يفعلون كذلك وفائدة التقييد بالمعية الدالة على غاية قبح فعلهم حيث اكلوا اموالهم مع الغنى عنها ولم يميزوا بينها وبينها كالموحل البهايم وقصد بذلك تشهيرهم بما كانوا عليه من ارتكاب هذه الامور القبيحة ليكون ازجر لهم ولذلك عدل عن مقتضى الظاهر وهو نهي الغني عن اكل مال اليتيم مطلقا انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما والحوب مطلق الاثم قال عم رب تقبل توبتي واغسل حوبتي اي اثمي ولو اعتبر فيه العظم لما وصف بالكبير فتدبر وقري حوبا وهو مصدر حاب وكذا حابا وقد قري به ايضا كالقول والقال وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النسا اذا تزوجتم بهن فانكحوا ما طاب لكم من النسا فتزوجوا ما حل لكم من غيرهن لمن كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال ويكون دليل فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة وقري تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع منصوبة على الحال من فاعل طاب معدولة عن اعداد مكررة ثنتين ثنتين وثلثة ثلاثة واربعة اربعة غير منصرفة لوجود العدل والوصف فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها ومعناها الاذن في الجمع بان ينكح ما شا من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افرد كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو عطف باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم ان لا تعدلوا فيما فوقه فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع وقري بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة وخبروا الجمع او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين المنكوحة الواحدة وبين الاما مطلقا واحدة كانت او متعددة بلا حصر ولا تعيين عدد في التسري والرخص لخفة مؤنتهن وعدم شرط العدل بينهن لا في القسم ولا في العزل ولسنذ هذا الملك الى اليمين للفرق والتفاوت بينه وبين ملك اليد ذلك اشارة الى اختيار الواحدة

او التسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تعولوا تميلوا فتجوروا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم كم اذا جار وفسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المون على الكناية ويؤيده قراءة ان لا يعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه على تقدير ان يكون الاشارة الى التسري ان العزل يجوز فيه فهو مظنة قلة الولد وآتوا النسا صدقاتهن نحلة مهورهن والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور موليّاتهم نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء وقيل معناه نحلة من الله اي اعطاه من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل ديانة على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله مشروعا فان طبن لكم عن شي منه نفسا الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة في التذكير على ما ذكره رؤبة وقد سبق في تفسير سورة البقرة كانه قيل عن شي من ذلك اي ما ذكر من الصدقات او يرجع الى ما دل عليه الصدقات من الصداق ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان اعطين لكم عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وفيه دليل على وجوب الاحتياط في ذلك وضيق المسلك في قبول شي من الصداق منهن لانه بني الشرط على طيب النفس الذي هو امر خفي يطرق بها ان تدعي انها ما طابت نفسا ان تد لهذا لم يقل فان وهبن او سمحن اشعارا بان الشرط تجافي نفسها عن الموهوب من طيبة لا من ضرورة ثم قال عن شي منه بعثا لها على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا اما صفتا المصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حالان من ضمير كلوه اي كلوه في حالة كونه هنيئا مريئا والهنيء ما يلذ الاكل والمريء ما يحمد عاقبته وقد سبق ما في الاكل من الدلالة على ساير وجوه الانفاق روي ان ناسا يتاثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم والخطاب للاولياء بدلالة السياق والحاق والسفهاء هم الذين ينفقون اموالهم فيما لا ينبغي من وجوه التبذير ولا يمكنهم اصلاحها بالتمييز والتصرف فيها بالتدبير واضافة الاموال اليهم لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم او لا نعلم يقصد الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي معنى ما يقام به المعاش ويميل اليه القلوب وهي بهذا المعنى لا يخص باليتامى كما قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم قصدا الى الجنس النوعي وهذا اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقري قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقري قواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم الظرف متعلق بالمعطوفين كما في قوله تعالى لم تكن امنت من قبل او كسبت وانما قال فيها ولم يقل منها تنبيها على ما قال عم ابتغوا في اموال اليتامى النفقة لا تاكلها الزكوة فعلى هذا يكون الرزق والكسوة من الارباح لا من اصل المال فياكلها الانفاق وقولوا لهم قولا معروفا كلاما يؤنسهم ويؤلف قلوبهم ومنه عدة جميلة وكلاما سكنت اليه النفس واستحسنه

عقلا او شرعا او عرفا فهو معروف وكل ما نفرت عنه وكرهته فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا
عقولهم بتصرفاتهم قبل البلوغ حتى اذا بلغوا النكاح بلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح
النكاح عنده فان انستم منهم رشدا فان تبينتم منهم رشدا اى اهتداء الى مصالحهم وقرئ رشدا ان احسستم
بمعنى حسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن وقت البلوغ وتنكير الرشد نوعا من الرشد
وهو الرشد فى التصرف والتجارة او ظرفا من الرشد حتى لا ينتظر الى تمامه ونظم الايتان الشرطية
جوابا اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم
واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم ويجوز ان يكون اذا مجرد الظرف فيكون
متضمنة لمعنى الشرط اى ابتلوهم الى وقت البلوغ وفى الاية دلالة على ان لا يدفع اليهم مالهم قبل
البلوغ واما عدم دفعه اليهم بعد البلوغ قبل الايناس فلا دلالة عليه اما منطوقا فظاهر واما مفهوما
فلان مفهوم قوله فان انستم منهم رشدا وفى عدم الدفع على الفور لا عدم الدفع مطلقا ولا تاكلوها
اسرافا اى مبادرة وهى المسارعة ان يكبروا ان يبلغوا اى لا تاكلوا مسرفين ومبادرين كبرهم وهو كقوله
بادرت بحج زيد اى فعلت قبل مجيئه والمعنى لا تاكلوا قبل بلوغهم واسترادهم ما لهم منكم وليس هذا قصر التحريم
على الاسراف وعلى مبادرة البلوغ دون غيرهما بل هو ذكر غالب الحال كما فى قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على
البغاء ان اردن تحصنا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فى تقييد النهى بالاسراف
والبدار ايماء الى ان للاوصياء حقا فقسم الامر بين ان يكون الوصى غنيا وبين ان يكون فقيرا فامر الغنى بالاستعفاف
من اكل مال اليتيم اى ما هو ترك الطمع فى مال اليتيم والاقتناع بما رزقه الله تعالى توسيعا له واشفاقا على اليتيم
وابقاء على ماله والفقير بالاكل بالمعروف اى لا ياكله قوتا مقدرا محتاطا فى تقديره على وجه الاجرة لعملها
عليه بحفظه وتثميره على اليتيم وتسديده وتدبيره وفى الاستعفاف مبالغة كانه مأمور بطلب
زيادة العفة ولو قال فليعف لم يكن فى ذلك فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم سلموها ودفعوها
وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لئلا يتوجه اليمين عنكم عند التناكر وليظهر امانتكم ويبرأ ساحتكم
عن التهمة فالامر بالاشهاد هنا كالامر به فى قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم فلا دلالة فيه على
ان القيم لا يصدق فى دعواه بالبينة تعالى وكفى بالله حسيبا كافيا فى الشهادة عليكم بالدفع والقبض
او محاسبا يحاسبكم بالبراءة وعدمها والقبض وعدمه فعليكم بالتصادق وإياكم والتكاذب للرجال
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد المتوارثين
بالقرابة قيل كان اهل اليونان يعطون جميع المال للبنات لان الرجل لا يعجز عن الكسب والمراة تعجز
وكانت العرب لا يعطون البنات فرد الله على الفريقين وكان المقام مقام التفصيل والاطناب
وفى عبارة الرجال اشارة الى انقدرتهم على الكسب غير مانع لاستحقاقهم فاذا كان الرجل مع قدرته

على الكسب مستحقا للنصيب فالصبى مع عجزه عنه يكون مستحقا له بطريق الاولى مما قل منه او كثر بدل مما
ترك باعادة العامل وتقديم الظرف على المبتدا فى الرجال والنساء تخصيص لكل واحد من القبيلين بنصيب
مفروض على ما فرض الله مؤذن بان لكل واحد منهم ما خصه الله به لا يستأثر به غيره ولا يغلبه
عليه ثم اكد بقوله نصيبا مفروضا نصيب على الاختصاص اى اعنى نصيبا مقطوعا واجبا او على انه
مصدر مؤكد لقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا
نصيبا وانما ذكر النصيب على الابهام لان التعيين خارج عما سيق له الكلام فى هذا المقام وفيه دليل
على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اى قسمة التركة اولوا القربى
ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فرق بين من لا يرث من الاقارب وبين من يرث بقوله فارزقوهم قوله
منه حيث لم يعين لهم نصيبا وندبا الى ان يرضخوا بقليل منه ايماء الى ان لا حق لهم فيها الا ترى كيف
جعل اموال اليتامى للسفهاء مكان رزقهم حيث قال وارزقوهم فيها لانها حقهم وقولوا لهم
قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم والامر للندب والمامور البلغ
من الورثة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ولو اجملا كالمتعة حيث قال وعلى الموسع قدره وعلى
المقتر قدره وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر الاوصياء بالخشية
متمثلين فى انفسهم حال اليتامى بحالهم على الصفة المذكورة ليخشوا الله فى رعايتهم واكل
مالهم او ممثلين المتوفى وايتامه بحالهم وذرياتهم خلفهم على تلك الصفة فوقهم وهذا الوجه
هو الانسب الاليق بنظم الكلام من بين الوجوه المذكورة فى التفاسير فيكون قوله ان الذين يأكلون
تتمة له وتصريحا بحال الاوصياء لو خالفوا مقتضى الشفقة واكلوا مال اليتيم وتهديدا لهم
على ذلك ولو ما فى حيز صلة الذين اى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا الان يتركوا
خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع لفقد كافلهم وكاسبهم وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى
المقصود منه والعلة فيه وبعث على الرحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده فليتقوا الله
وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى الذى هو غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبداء والمنتهى
اذ لا ينفع الاول بدون الثانى ثم امرهم ان يقولوا لليتامى ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب
ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين على وجه الظلم انما يأكلون فى بطونهم ملأ بطونهم نارا تهويلا
للردع ومبالغة فى التهديد بجعل بطونهم ظروفا مملوة نارا ولما اراد ان يصور سوء جرمهم باكلهم
انفسهم الى النار جعلهم يأكلون النار كانه نار بالحقيقة ونكرها اى نارا تتعاظم عن الوصف وقواه
تنكير سعيرا فى قوله وسيصلون سعيرا اى سعيرا لا يحتمل سماع وصفه فعيل بمعنى مفعول من سعرت
النار بمعنى الهبتها وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها يقول يصلى النار

فاسي حرمًا وصلبته للوية واصليته وصليتها لقنيته فيها يوصيكم الله في اولادكم في شان ميراثهم
وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين التعريف في الموضعين للعهد والمعهود الذكور والاناث
من الاولاد ولا حاجة الى تقديرمنهم وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لفضله على الانثى وانما
لم يقل للذكر مثلا حظ الانثى او مثل حظي الانثى لانه لا يعلم عدم نقصان حصة الابن عند تعدد
البنت فانها اذا تعددت ينتقص حصة سائر العصبات فيجوز العقل ان ينتقص حصته ايضا اذا
تعددت واما العكس فغير محتمل فعبارة المنزل علم حد حصة الابن مع البنتين وبكلالته علم حصته
مع الواحدة وادنى الاختلاط ان يجمع ابن وبنت ولله بن الثلثان ويعرف بهذه الاشارة ان للبنتين الثلثان
في الجملة وليس ذلك الا في حالة انفرادها عن الابن ولما كان حكم الاثنين حالة الانفراد معلوما بهذه الاشارة
رتب عليه بيان حكمها اذا كانت فوق اثنتين بقوله فان كن نساء كن ضمير الاولاد طابق به الخبر كما في قوله
هذا ربي او على تاويل المولودات اي ان كانت الاولاد نساء خلصا ليس فيهن رجل فوق اثنتين خبر ثان لكان
او صفة للنساء اي زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم يدل عليه المعنى وان كانت اي المولودة
واحدة فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والنصب اوفق لقوله فان كن نساء ولا يجوز ان
يكون الضميران في كن وكانت مبهمين مفسرين بنساء وواحدة منصوبين على التفسير على ان كان تامة
لان كان ليست من الافعال التي يكون فاعلها مضمرا يفسره ما بعده بل هذا مختص من الافعال بنعم وبئس
وما حمل عليهما اختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال
الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لما قررناه فيما سبق وقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين لبيان ان كثرة
عددهن لا يزيد على ما لهن عند التعدد والانفراد عن الذكور بشرط المفهوم معقود على انه لا يعارض
بمعنى المنطوق والوجه الذي قدمنا من قبيل المنطوق واما ما قيل ان للبنتين امس رحما من ابن الاخ
فلا يحرزن ما يحرزه كما اذا كانت البنت فوق الاربع واذا جاز ذلك في العصبة والمعتبر فيه قوة
القرابة فلان يجوز فيمن لا يعتبر فيه تلك القوة من اصحاب الفرائض بطريق الاولى وكذا ما قيل
ان الاخت اذا كانت مع اخيها وجب الثلث فبالاولى ان يجب لها ذلك اذا كانت مع اخت اخرى مثلها
غير تام لان مبناه ايضا على ان من اخذ سهما مع وارث يأخذ ذلك السهم مع وارث اخر دونه بطريق
الاولى وقد عرفت صحته ذلك المبنى ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس بدل منه بتكرير
العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال للتاكيد
السدس مبتدا ولابويه خبره والبدل متوسط بينهما للبيان مما ترك اي من جملته ان كان له اي للميت
ولد ذكرا او انثى وعلة الابن وان سفل يقوم مقام الصلبين عند عدمه بالاجماع غير ان الاب يأخذ
مع الانثى ما بقي من الفروض بالعصوبة بعد اخذ فرضه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب

فلامه الثلث مما ترك ومعنى الفيه اذا ورث مع ابويه احد الزوجين لم يكن لها الثلث مما ترك بل ثلث ما
بقي بعد فرضه كما هو مذهب الجمهور خلافا لابن عباس والمعنى ان الابوين اذا انفردا بالارث تقاسما الميراث
للذكر مثل حظ الانثيين ولذلك لزم سهمهما اذا كانا مع احد الزوجين كان لها ثلث ما بقي والا انقلب
الفاضل مفضولا فيما اذا كانا مع الزوج لان فرضه النصف فلو فرض لها الثلث بقي للاب السدس مع كونه
اقوى بكونه ذا فرض وتعصيب لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض لها ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب
الام علم ان الباقي للاب ولم يعكس مع كونه احق ببيان نصيبه اصالة لفضله لانه يلزم ح ان يكون هذا
صاحب فرض وصاحبته عصبة وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اي للميت والفاهنا ايضا لترتيب
احد القسمين على الاخر اخوة المراد منها ما يعم الاخوات على طريقة عموم المجاز لا على طريقة التغليب اذ ح
لا يتناول الاخوات المفردة وهذا التعميم لا بد منه عند الجمهور خلافا لابن عباس رض ومن صيغة الجمع
ما يتناول المثنى وفيه خلاف لابن عباس واطلاق الاخوة يدل على انهم يردونها من الثلث وان كانوا لا يرثون
كما اذا كان مع الاب وعن ابن عباس رض انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام فالجمهور على ان الاثنين من
الاخوة او من الاخوات او منهما سواء كانا من الاعيان او من العلات او من الاخياف متفقين او مختلفين محجوبين
او غير محجوبين يردونها من الثلث الى السدس من بعد وصية يوصى بها او دين متعلق بجميع ما تقدمه
من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية يوصى بها او دين وانما قال باو التي
للاباحة دون الواو الدالة على انهما متساويان في التقدم على القسمة مجموعين ومنفردين ولم يكونا متساويين
في التعلق بالتركة فان الدين لا يسقط منه شيء بذهاب بعض المال بخلاف الوصية وانما قدمت على الدين
وهي متاخرة عنه في الحكم لان مظنة الاشتباه تقديمها فكان هو احوج الى البيان واما كونها مشبهة
بالميراث يشق اخراجها على الورثة فلا ينتظم بعض الوصايا كالوصية للحج ثم اكد امر الوصية ورغب
فيها بقوله اباؤكم وابناؤكم معترضا اي هم بضعكم واهل شفقتكم ومحبتكم لا يريدون بكم الا خيرا باعثا لهم
على مصابيتها مبينا ذلك المعنى بقوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي الفريقين منهم انفع لكم من اوصى منهم
ام من لم يوص لان من اوصى عرضكم لثواب الاخرة بامضائها وهو وان كان اجلا فهو بالحقيقة اقرب
لكم نفعا واوفر جدوى لانه خير وابقى ومن لم يوص ابقاكم على حطام الدنيا وهو وان كان عاجلا لكنه
في الحقيقة ابعد نفعا واقرب ضررا واقل جدوى لانه سيزول ويفنى اباؤكم وابناؤكم خبر مبتدا محذوف
اي هم اباؤكم وابناؤكم لا تدرون بيان لحالهم ومبتدا خبره لا تدرون ايهم فريضة من الله في موقع المصدر
المؤكد اي فرض ذلك فرضا او حال مؤكدة بمعنى مفروضة اي لكم الانصباء المفروضة المذكورة بعينها حال كونها
مفروضة ولما فرض انصباءهم واثبت الفرضية وسلب علمهم بدقائقها ان الله كان عليما اي بمصالح دنياكم
واخراكم حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وحكم به من الوصية وغيرها ولكم نصف ما ترك ازواجكم

ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اى ولد وارث ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم وولد الابن
وان سفل يقوم مقام الصلبي في الحجب المذكور عند عدمه بالاجماع من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن
الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين
يستوي فيه الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا
قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وفي
الحصر نظر فان الابوين ايضا من هذه الجملة وان كان رجل اى الميت يورث منه من ورث صفة رجل والكلالة
خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد
بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث منه من اورث وكلالة
من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول
خبر او حال على الثاني ومفعول له وعلى الثالث مفعول به وهو في الاصل مصدر بمعنى الكلال فاستعيرت للقرابة
لا يقارنها النسبة لانها كلالة ضعيفة بالنسبة الى التي يقارنها النسبة ثم وصف بها المورث والوارث
بمعنى ذي كلالة كقوله فلان من قرابتي او من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كانه من غاية الضعف
نفس الكلالة او امراة عطف على رجل وله اى لواحد منهما فلا ضرورة للحمل على الاقتصار كما ذهب اليه من قال
اى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على مشاركتها فيه اخ او اخت اى من الام على ما نص عليه
في قراءة وله اخ او اخت من الام وقد ذكر في اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق
باولاد الام وما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر
من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى لان الادلاء بمحض الانوثة وقد عرفت ان الكلالة
استعيرت للقرابة لا يقارنها النسبة فينتظم قرابة الام والجدة دون البنت وبنت الابن لان النسب
الى الاباء دون الامهات فلا تخصيص في مفهوم الاية من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اى لورثته
وذلك ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار اعتبر المضارة في الدين ايضا بناء على تاخير الحال عنهما او اعتبر
الايصا فيه ايضا بناء على عطفه على وصية كانه قيل او دين يوصى بها على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به
المعطوف عليه وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده القراءة باضافة
مضار الى وصية اى غير مضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد
بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بمن جار وعدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله
بعقوبته وهذا وعيد بليغ تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود
الله شرايعه التي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار حملا على لفظ من في قوله يطع ويدخله فافرد ثم حمل على المعنى في قوله خالدين فجمع

وانتصا

ج وانتصابه على الحال المقدرة ويجوز ان يكون صفة لجنات على مذهب الكوفيين وبه اخذ الزجاج ههنا ولا يحتاج
الى ابراز الضمير عندهم اذ لم يلتبس وذلك الفوز العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين زاد ههنا على العصاة تعدي الحدود
وهو في الاعمال صرفا للعصيان الى ما يكون في العقائد وفائدته التنبيه على ان المراد من الاطلاق
بلغ في قسيمه ما يكون في العقائد وان الموعود من دخول الجنة ليس مشروطا بالعمل الصالح وذلك في منع
الاهانة لانه لا يتعداها الامر اصرفا سببه الاهانة والمراد غايتها وهذا مستفاد من توصيف
العذاب به فانه ظاهر بحيث لا فائدة في ذكره ما دام محمولا على اطلاقه فيحمل على الكمال ليستفيد وافرد
ههنا خالدا وجمع فيما قبله اشارة الى ما في خلود المطيعين من لذة روحانية ومن حظ الاستيناس وما
في خلود العاصين من الم روحاني وهو عذاب الوحشة واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم يفعلن الفعلة
القبيحة والمراد الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فاستشهدوا عليهن اى فاطلبوا ايها الائمة
الذين اليكم اقامة الحدود اربعة منكم من الرجال المؤمنين ليشهدوا عليهن بالزنا فان شهدوا عليهن
فامسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات في البيوت حتى يتوفاهن يستوفي ارواحهن الموت
او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد او يجعل الله لهن سبيلا
لتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح واللذان يأتيانها يعني الزاني والزانية وصفا
بما يوصف به الذكران تغليبا للذكر على الانثى والظاهر من زيادة منكم ههنا ومن زيادة من نسائكم
فيما سبق تخصيص الحكم بالمسلمين والمسلمات فآذوهما بالتوبيخ والتقريع قال الحسن اول ما نزل من حد
الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة وقال الضحاك كان
الرجل اذا زنى بامراة وكانا بكرين حبس كل واحد منهما في بيت ثم لا يمسهما مالك الا اذاهما بالتعيير
وعلى هذا يكون الاذى مع الحبس مشروعين في وقت واحد في حق الرجال والمراة جميعا وقال
مجاهد الاية الاذى في الرجلين اى الذكرين يفعل ذلك بالذكر وهو اللواطة قال ابو منصور انه الاذى
هذا يكون حجة لابي حنيفة في انه يعزر ولا يحد بالجلد والرجم فان تابا عن المعصية واصلحا
وغير الحال الى العفاف فاعرضوا عنهما بالاغماض والستر واقطعوا عنهما الاذى ان الله كان توابا
يقبل توبة التائب رحيما فلا يعذبه وهو علة الامر بالاعراض وترك المذمة انما التوبة على الله
من تاب الله عليه اذا قبل توبته لا من تاب العبد اذا رجع اليه للذين يعملون السوء بجهالة متلبسين بها
وليست في عدم العلم بانه ذنب لانه عذر لكنها ترك التفكر في العاقبة كفعل من جهله ثم يتوبون
من قريب من زمان قريب اى قبل حضور الموت لقوله عم ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر سماه
قريبا لان امد الحيوة قريب وفي عبارة ثم اشارة الى انه لم يرد من القرب القريب من عمل السوء

حقيقة فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وفاية
اولئك والفا انهم اذا تابعه فى هذا الزمان بسبب توبتهم للقبول لدمعنى الحصر فى انما التوبة اى كتب الله
على نفسه قبولها ليست هذه الامة فيلزم ان لا يقبل غيرها ولهذا فصل الاية بقوله وكان الله عليما اي
بتوبة الموصوفة بما يقتضي القبول والتى تتصف به حكيما لا يقبل الا الاولى فانه تهديد ووعيد وما
يناسب القبول ترغيب ووعد فلو لم يكن للحصر والسببية لكان ينبغي ان يقول وكان الله غفورا رحيما
ولذلك وللفرق بين التوبتين صغر المعصية هنا بتوحيدا لسوء والتقييد بالجهالة اى الغفلة وقيد
مجال التوبة بالقرب وعظمها فى قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال انى تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار حيث جمع السيئات وبعد مجال التوبة بحرف
الغاية واضاف الى المحتضر قبول التوبة لا نفسها وزاد قوله الان وسوى بين الذين سوفوا توبتهم
الى ذلك الامر البعيد الذى هو حضور الموت وبين الذين ماتوا على الكفر مبالغة فى عدم الاعتداد بها
فى تلك الحالة واكد الوعيد بقوله اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما اى الموصوفين باحد الوصفين التوبة به
وقت الاحتضار والموت على الكفر استحقوا عذابا اليما بسبب اتصافهم بما ذكر وفخم وعيدهم
بتقديم الظرف وتنكير العذاب ووصفه بالاليم فافهم والاعتداد التهيئة من العتاد اصله اعددنا
فابدلت الدال الاولى تاء وانما لم يقل اذا حضرهم الموت لان المتبادر منه الموت النادر وهو ان يموت
جماعة معا وذلك لا يناسب مقام التغليظ للتقصير يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء
كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها
الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك
وقيل لهم لا يحل لكم ان تحوزوها على سبيل الارث كما يحاز الميراث وهن كارهات لذلك او مكروهات
عليه والتقييد بالكره لتقرير معنى الاخذ على سبيل الارث واظهار ما فيه من القبح فلا دلالة فيه
على جوازه اذا كان طوعا وقرئ كرها وهما لغتان فيه وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه
ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل
وهو الحبس والتضييق ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه
كان احدهم اذا تزوج امراة ولم يكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة قهرا وشكاسة الخلق حتى
تفتدي منه بمالها وتختلع فمنعوا عنه وقيل لهم ولا تحبسوهن لتاخذوا منهن بعض ما اتيتموهن
من الصداق والاولى لعطف الجملتين اما عطفه على ان ترثوا على ان يكون الخطاب لمن خوطب فيما
سبق فيأباه قوله ببعض ما اتيتموهن ولا ينتظم مع قوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة لاستثناء
من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا ان ياتين بفاحشة والمراد

شكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويدل عليه قراءة الا ان يفحشن عليكم وعاشروهن
بالمعروف بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا
كثيرا قوله فعسى الخ علة للجزاء اقيم مقامه لاستلزامه اياه اى لا تفارقوهن لكراهة النفس وحدها
واصبروا عليهن مع الكراهة فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ونون خيرا تعظيما ووصفه بالكثرة
مبالغة وان اردتم استبدال زوج مكان زوج اي ان عزمتم على ان تتزوجوا مكان زوج مستبدلين
بها اياها وتصوير الكلام فى هذه الصورة لتعيين ان يكون التطليق لرغبته فى تجديد الفراش لا بسبب
من جهتها فانه ح يجوز اخذ المال فى مقابلة الطلاق واتيتم احداهن احدى الزوجات جمع
الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا اما الاكثر اضمن الكلام الاشارة الى جواز المغالاة فى الصداقات
ولهذا تعرض لكثرة ما اعطى والاشارة الى جواز الاستبدال مع تعددها ولهذا اتى بعبارة تفصح عنه
وكان يكفى ان يقول واتيتم اياها فلا تاخذوا منه من القنطار شيئا قليلا اتاخذونه بهتانا واثما
مبينا باهتين واثمين والاستفهام للانكار والتوبيخ اى تفعلون هذا مع ظهور قبحه قيل يحتمل انتصابهما
على العلة وان لم يكن غرضا كقولهم قعدت عن الحرب جبنا وفيه ان الاثم ليس بعلة الاخذ بل الامر بالعكس
وتخصيص البهتان بالذكر لانهم كانوا اذا ارادوا امراة جديدة بهتوا التى تحتهم بفاحشة حتى يلجؤها
الى الافتداء منهم بما اعطوها ليصرفوه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الفحش الكذب لانه ان كان
عن قصد يكون افكا والافك اذا كان على الغير يكون افتراء والافتراء اذا كان بحضرة المقول فيه يكون
بهتانا لانه يدهشه ويتركه متحيرا من بهت اذا دهش وتحير وكيف تاخذونه انكار لاسترداد
المهر وقد افضى بعضكم الى بعض والحال انه وصل ما يصرف عنه الافضاء هو الخلوة من الفضاء وهو المفازة
الخالية كذا فسره الكلبي وهو حجة اصحابنا فى ان المهر يتاكد بالخلوة الصحيحة من غير وطء واخذن منكم
ميثاقا غليظا الميثاق العهد الوثيق والغليظ المبالغة فيه وهو قوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح
باحسان وكان ذلك معتادا فى السلف ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم وانما ذكر ما ولم يقل من لانه اريد به الصفة
قيل مصدرية على ارادة المفعول من المصدر فلا يأباه البيان بقوله من النساء وزائدة وزان فى الارض فى
قوله وما من دابة فى الارض فائدته تاكيد ما نكح من العموم الا ما قد سلف قيل استثناء من المعنى اللازم
للنهي كانه قيل يستحقون العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد مضى قبل التحريم او من اللفظ للمبالغة
فى التحريم والتعميم لقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل
اباءكم الا ما قد سلف لا مواخذة عليه لانه مغفور وتنصيف على ان هذا هو الوجه انه كان فاحشة علة للنهي
وزيادة كان للدلالة على انه لم يرخص فيه فى شريعة من الشرائع ومقتا ممقوتا والمقت البغض باستحقار
وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله كانوا ينكحون زوجة ابيهم وناس من ذوي مروءاتهم يمقتونه ويسمونه

نكاح المقت وكان المولود عليه يسمى المقتى ولذلك قيل فاحشة في دين الله ثم مفرطة القبح مقتا في المروة والعرف
ولا مزيد على ما يجمع القبيحين شرعا وعرفا وبه زاد على الزنا فانه ثم قال فيه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء
سبيلا حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت اراد تحريم التمتع
بهن لان المفهوم في العرف من جهة عين حرمة ما هو المقصود منه ويلزمه حرمة النكاح لانه موضع لملك المتعة
فلا يصح بدونه والام حقيقتها الوالدة وفي معناها كل امراة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك او من
جهة امك والبنت من كل ابنة ولدتها وفي معناها كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات باناث
او ذكور والاخت كل من جمعك وايا ها صلب او بطن والخاله من جمع امك وايا ها صلب او بطن وفي معناها
الحكم
من جمع جدك قريبة كانت او بعيدة وايا ها صلب او بطن ونوافل الاخ والاخت وان بعدت داخلات في
الرضاعة
بالذكور بدلين او بالاناث والاخوة من اى جهة كانت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من
نزل الله ثم الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا فلزم منه ان زوج المرضعة ابوه
ضعة
وابويه جداه وجداه واخته عمته وكل ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوانه لابيه وام المر
جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولدها
من غيره فهم اخوته واخوانه لامه ومنه قوله عم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا اخر بحر
الرضاع كتحريم النسب الا في المسئلتين احداهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز
ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع والثانية لا يجوز لان المانع في النسب وطيها وهذا المعنى غير موجود
في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطى الاب
اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع وفي الحصر نظر لان ام العافلة وجدة الولد ايضا يحرمان من
لدك
النسب لان ام النافلة زوجة الابن وجدة الولد ام الزوج ولا يحرمان على الرضاع كمن ارضعت ولدو
المذكو
وكام اجنبية ارضعت ولدك هذا بحسب جليل النظر والذى هو بحسب دقيقه ان الحرمة في الصور رة
بالمصاهرة دون النسب فلا حاجة الى الاستثنا اصلا وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي ارضعنكم
في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة لانها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات
نه
المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة من اخر سمى به لا
لم
يربيه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التا لانه صار اسما للولد المراة وان
يربه وقوله في حجوركم كناية عن كونهن في ولايتهم وحمايتهم وقالوا ان ذكره خرج مخرج العادة لا
مخرج الشرط ولهذا اكتفى في موضع الاحلال بنفي الدخول وهذا ما بحسب جليل النظر والذى بحسب
دقيقه هو انه تقوية العلة وتكميلها والمعنى اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم ومن شانهن
وحقهن الكون فيه قوى الشبه بينها وبين اولادكم فصارت احقا بان تجروها مجراهم وعلى هذا اى على

تقدير ان يكون المعنى ما قررناه من تعميم المراد للتي من شانها ان يكون في احتضانكم كما هو مقتضى كون الوصف
المذكور لتقوية العلة يكون ذلك الوصف تقييدا للحرمة والاكتفا في موضع الاحلال بنفي الدخول لاستلزم
انتفائه انتفا يقوم من نسائكم حال من ربائبكم او صفتها او من جملة الصلة اى اللاتي من نسائكم لما ولى بنظم
الكلام والباقي بهن للتعدية والمعنى ادخلتموهن الستر وهو كناية عن الجماع وعندنا يقوم اللمس مقامه و
يجوز ان يكون اللاتي وصفا لنسائكم من قوله وامهات نسائكم لعدم الحاجة في افادة المعنى المراد الى قوله
من نسائكم والكلام البليغ يجب صونه عن الحشو والرسول عم السلام فرق بين ام المراة وبنتها فقال
ورجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وهذا شرط
بالاجماع بخلاف كون الربائب في حجورهم فانه خرج على الاغلب وليس بشرط عند عامة العلما فان لم تكونوا
بب
دخلتم بهن اريد استمرار النفي لا نفي الاستمرار فمعنى الكون مقدم في الاعتبار فلا جناح عليكم اى في نكاح الربا
وهذا البيان بهم عند من لا يقول بحجية المفهوم وعند من قال بها فايده دفع القياس وحلايل ابنائكم زوجاتهم
سميت حليلة لحلها لزوجها او لحلولها معه في محل الذين من اصلابكم بالذات او بالواسطة احترز به عن المتبنى
لانهم كانوا يحلونه كولد الصلب لا عن الابن من الرضاع وان تجمعوا بين الاختين في محل الرفع عطف على ما قبله
من المحرمات اى وحرم عليكم الجمع بين الاختين في التمتع ويلزمه حرمة الجمع بينهما بالنكاح لما قدمناه
دون ملك اليمين لانه يجامع حرمة التمتع كما في الامة المجوسية والاخت رضاعا ولا دلالة في قوله تعالى او
وما ملكت ايمانكم على حل المملوكة على كل حال فلا يعارض هذا القول الدال على حرمتها في بعض الاحوال
حتى يحتاج الى الترجيح الا ما قد سلف استثنا منقطع معناه لكن ما قد سلف منكم مغفور لقوله ان الله
كان غفورا رحيما وروى هشام عن محمد بن الحسن انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنين
نكاح امراة الاب ونكاح الاختين معا فلذلك قال هناك ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف
وقد قال هنا وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف والمحصنات من النساء بفتح الصاد اى التي احصنهن
التزويج والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام الا ما ملكت ايمانكم يعني من اللاتي سبين ...
واخرجن بدون ازواجهن فان الفرقة انما تقع بتباين الدارين لا بالسبي ولا تجب العدة وتحل الغنايم بملك
المصا
اليمين بعد الاستبراء ولا مساغ لاخذه على عمومه فانها اذا كانت مجوسية او محرمة بسبب الرضاع او هرة
ن
او بسبب اخر او مشتراة وهي ذات زوج لا تحل لمالكها فلا يكون حجة على ابي حنيفة رح في قوله لو سبي الزوجان
معا لا يرتفع النكاح ولا يحل للسابي كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اى كتب الله ذلك عليكم كتابا وهو تحريم
بالجر
ما حرم واحل لكم عطف على كتب المقدر الناصب يدل عليه قراءة كتب الله عليكم واحل لكم وقرئ كتاب الله
ي
هو والرفع اى هذه فرايض الله عليكم ومن قرا واحل لكم على البناء للمفعول عطفه على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى
المذكور من الاصناف بالنسب او الرضاع او المصاهرة او الجمع وما ثبت حرمتها بالسنة ليست بخارجة

منها الكاف والميم في ذلكم خطاب للرجال والذال اشارة الى المذكور قبله من المحرمات ولو اشار اليها لقال
وراتلكم ان تبتغوا باموالكم مفعول له اى لان تبتغوا باموالكم ما احل لكم من النساء ويجوز ان يكون بدلا من
وراء ذلكم على الاشتمال او الاخصاص لا بفعله المفعول اى لبيصله منكم الا ابتغا باموالكم وهو اخراجها في مهور
النساء واشترائه الاماء محصنين حال غير مسافحين صفة او حال اخرى والمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم لكيلا تضيعوا
اموالكم فيما لا يحل لكم فتخسروا في دنياكم ودينكم وتجمعوا بين الخسرانين والسفاح الزنا من السفح وهو صب
المايع باطلاق منه السفاح وهو المسرف في القتل وفي الزنا تضييع المال لعدم ثبوت النسب به وفي الاية
دلالة على انه لا نكاح الا بمهر من جنس المال فما استمتعتم به منهن من جماع ودواعيه والخلوة الصحيحة
اقيمت مقامه ولفظه يدل على ان يسير التمتع يوجب ايتاء الاجر فاتوهن اجورهن مهورهن والاجر
بدل منافع العين في الاجارة وبدل منافع البضع في النكاح فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضا او مصدرا و
وضع موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اى فرض ذلك فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم
به من بعد الفريضة من حط شي منها او كلها منه او من زيادة عليها او فيما تراضيا به من نفقة او مقام
او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت وهي غير النكاح الموقت
على ما بين في محله ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا لا غنا
واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المومنات لان ينكح الحراير لقوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم
المومنات قال الشافعي ره لا يجوز نكاح الامة الكتابية بناء على مفهوم الوصف ولا نكاح الامة المسلمة
عند القدرة على مهر الحرة ونفقتها بناء على مفهوم الشرط وكلا المفهومين ليس بحجة عندنا على ان اللازم
على تقدير حجية المفهوم عدم اباحة نكاحهما ويجوز ان يكون ذلك لكراهته لا لعدم صحته ونحن لا
نتنازع فيها والله اعلم بايمانكم تانيس بنكاح الاما وازالة الاستنكاف منه اى علم بتفاصيل ما بينكم
وبين ارقائكم في الايمان فربما كان ايمان المراة ارجح من ايمان الحرة وايمان المراة ارجح من ايمان الرجل
ولا ينبغي للمومن ان يطلب الفضل والرجحان الا باعتبار الايمان والاسلام لا بالاحساب والانساب
وقوله بعضكم من بعض تاكيد لذلك المعنى اى انتم وارقاكم متواصلون ومتناسبون لنسبكم من ادم
عم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن اى مواليهن اعتبار اذنهم دون مباشرتهم ظاهر في انعقاد
النكاح بعبارتهن اذ لو كانت مباشرتهم او مباشرة وكيلهم شرطا لكان المهم ذكرها لا ذكر الاذن
لان ذكره لا يغني عن ذكرها واتوهن اجورهن اي واتوا مواليهن مهورهن ووصفها لهن وما في ايديهن
ملك للموالي فكان الادا اليهن ادا الى الموالي وفقا لمالك بليس للسيد ان ياخذ مهر امته ويدعها
بلا جهاز بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفايف غير مسافحات غير مجاهرات
بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج فان اتين بفاحشة بزنا

فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحراير من العذاب اي ما على الحراير من الحد وهو الجلد لان الرجم لا ينصف
والعذاب المعهود ههنا هو الحد فالتنوين وليشهد عذابهما طائفة من المومنين كان زناهن في الجاهلية
من وجهين بالسفاح وهو بالاجر بكل من رغب فيها والمخادنة وهي في صديق لها على الخصوص وكان الاول
يقع اعلانا والثاني سرا وقوله فاذا احصن ليس لنفي الحد عنها اذا لم تنكح بل لبيان انها بالنكاح لا يزداد
حدها ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم خاف الاثم الذي قد يقع فيه من غلبة الشهوة والعنت
في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة فادحة لا اشق كما في التضرر الالم ولا ضرر اعظم
من تبعة الاثم بافحش القبايح وقيل المراد به الحد اخذ الشافعي ره بظاهر الاية وقال لا يجوز نكاح الا
الا بثلاث شرايط اثنان في الناكح عدم طول الحرة وخشية العنت والثالث في المنكوحة وهي ان تكون
مومنة وهذه الاشيا عند الاختيار لا للاشتراط وان تصبروا اى صبركم عن نكاح الامة خير لكم لان فيه
ارقاق الولد وقال عم الحراير صلاح البيوت والاما هلاك البيوت والله غفور للزناة باقامة الحد
اذا احصن لكن رحيم اذ جعل العذاب عليه الحد في الدنيا لا العقوبة في الاخرة يريد الله ليبين لكم ما هو
خفي عنكم من مصالح دينكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام لتاكيد ارادة التبيين كما زيدت في لا
ابا لك لتاكيد اضافة الاب لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة فانه لا ينبغي ان يخطر بالبال
في مثل هذا المقال ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم
ويقبل توبتكم اذا رجعتم اليه بسلوك مناهجهم والله عليم بمصالح عباده حكيم بما شرع لهم والله يريد
تقديم اسم الله على الفعل للاختصاص مع تقوية الاسناد اى والله خاصة يريد بارادة تامة ان يتوب عليكم
بسلوك طريق الحق التي هداكم اليها ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فاتباع الشهوة في كل حال
مذموم لان ذلك ايثار لها من حيث ما دعت الشهوة اليه اما اذا كان الاتباع من حيث العقل او الشرع فذلك
هو اتباع لهما لا للشهوة وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت
ان تميلوا الى الباطل عن القصد والحق بموافقتهم على اتباع الشهوات ميلا التنكير للتكثير عظيما توصيف بالعظم
للمبالغة فانه فوق الكبير وهو المناسب لمقام التعبير والتحذير ولقوة ارادته وضعف ارادتهم واستلزامها
للمراد وتخلف به مرادهم عن ارادتهم قدمه على الفعل واخرهم عنه يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الاماء
وسائر الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق التكاليف يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل بالوجه الغير المشروع كالشركة والمعاوضة الفاسدتين والربوا والقمار والسرقة
والغصب ونحوها مما لا يناسبها قوله بينكم الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة
عن تراض غير منهي عنه اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة تجارة اي تجارة صادرة عن تراض المتعاقدين قرئ
وخص التجارة بالذكر لان اكثر اسباب الرزق يتعلق بها وقرئ تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار

الاسم اى الا ان يكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المومنين فانهم كنفس واحدة
ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بالقا النفس الى التهلكة ويويده ما روى ان عمرو بن
العاص تاوله فى التيمم لخوف البرد ولم ينكر عليه النبي عم او بارتكاب ما يؤدى الى قتلها جمع فى التوصية
بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقا لهم ريثما يستكملوا النفوس
ويستوفوا فضايلها رافة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا
لرحمته وقيل معناه ان الله كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهيكم عنه ومن
يفعل ذلك اشارة الى قتل النفس اى ومن يقدم على قتل النفس عدوانا وظلما لا اقتصاصا وعلا والمراد
من العدوان التعدي على الغير ومن الظلم الاتيان بما لا يستحق فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرى
بالتشديد من صلي وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء على ان الضمير
لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا
كباير ما تنهون عنه الاجتناب التباعد والكباير جمع كبيرة وهى الفعلة العظيمة الاثم وقد اضافها الى
جميع المنهيات وقرى كبير على ارادة الجنس نكفر نستر عنكم سيئاتكم من الصغاير والكبيرة والصغيرة
وضعفت كل واحدة منهما بالقياس الى صاحبتها فكلما كانت المخالفة فيهما اكثر والنهى عنها اغلظ كانت اكبر
وبالعكس والتكفير مبالغة فى سترها بجعلها كان لم تكن حيث لا عقاب عليها وعن امير المومنين على رض الكباير
سبع الشرك بالله والقتل والقذف واكل الربوا واكل مال اليتيم والفرار عن الزحف والتعرب بعد الهجرة
وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رض ان رجلا قال له الكباير سبع فقال هى الى سبع
ماية اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وفيه ما فيه وقيل اراد بها انواع الشرك
لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وفيه نظر وكان هذا القايل غافل عن الفرق
بين ما دون ذلك وبين غير ذلك فلم يتنبه لوجه العدول عن الثاني مع كونه اخصر واظهر الى المنزل
اضاف سيئات الى المخاطبين لان المراد الذنوب التى فعلوها ولم يضف الكباير اليهم لان المراد منها
ما اجتنبوا عنها وفى عبارة الاجتناب اشارة الى ان تلك الكباير مما يتعرض الناس فى طرق معاشه ومكاسبه
ومعاملته فالاحتراز عنها لا يخلو عن مشقة وكلفة فتلك الكفارة جزاوه ولو قيل انه لم تفعلوا الفا
تلك الغاية وندخلكم مدخلا كريما بضم الميم وهو مصدر او مكان الادخال وهو الجنة وبفتحها وهو
مكان الدخول او مصدر منصوب بفعل محذوف تقديره فيدخلون مدخلا حذف لدلالة الفعل
المطاوع عليه ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض نهوا عن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على
بعض من الجاه والمال فانه ربما يودي الى التحاسد والتعادي لان ذلك التفضيل
قسمة من الله على ما اقتضته حكمته فليرض كل واحد بما قسم له علما بانه هو الذي فيه صلاحه ولا يذهب

131

عليكان موجبه هذا ان يكون التمنى المذكور منهيا عنه سواء كان مقارنا للطلب او لم يكن فمن وقف بالتعليل المذكور
ثم قال لانه تشهى لحصول الشى له من غير طلب وهو مذموم لان تمنى ما لم يقدر له معارضة لحكم القدر وتمنى
ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظه وتمنى ما قدر له بغير كسب ضايع وباطل لم يكن على بصيرة ثم ان قوله معارضة
لحكم القدر مبناه الغفول عما بين فى موضعه من انه لا حكم للقدر والا يلزم الجبر ويبطل التكليف للرجال نصيب
مما اكتسبوا وللنسا نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اى لكل من الرجال والنسا نصيب مقدر على ما يقتضيه
الحكمة فلا ينبغى للمفضول ان يتمنى نصيب الفاضل ونسب الكسب اليهم وجعل النصيب منه لانه جعل سعيه
سببا للوصول ما قدر له اليه ثم ان الشوق لا خير فى معرض المنع اذ يحتمل ان يكون ما قدر له بغير كسب
مشروطا بالتمنى فلا يلزم المحذور المذكور واسئلوا الله من فضله اى لا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل فانه
طلب للمحال ولكن اسئلوا الله من خزاين جوده التى لا تنفد ان الله كان بكل شى عليما وهو يعلم ما يستحقه كل انسان
فيفضل عن علم وتبيان يروى ان ام سلمة قالت ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتب على الرجال فيكون لنا
من الاجر مثل ما لهم فنزلت ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون مما ترك صفة لكل مبينة له اى لكل شى
مما ترك الوالدان جعلنا وارثا يلونه يحرزونه ولكل احد مفعول جعل وصفة لمحذوف على ان جعلنا موالى
صفة لكل اى ولكل قوم جعلناهم موالى نصيب مما ترك الوالدان والراجع محذوف وهو احد مفعولى جعل ولكل
خبر مبتدا محذوف وهو نصيب ولا يجوز ان يكون المعنى ولكل ميت جعلنا وارثا مما تركه اذ لا يلزم ان يكون
لكل ميت وارث فضلا ان يكون وارثا من الوالدين والاقربين والذين عقدت ايمانكم موالى الموالاة كان الحليف
يورث السدس من مال الحليف فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابى حنيفة رض اذا
تعاقدوا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث بحق الموالاة خلافا للشافعى رض وحمله على الازواج على ان
العقد عقد نكاح اباه قوله ايمانكم وهو مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره فاتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر
يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فاتوهم جملة مسببة عما تقدم
والضمير للموالى وقرى عقدت بمعنى عاقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه
ثم حذف كما حذف فى القراءة الاخرى ان الله كان على كل شى شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على
النسا يقومون عليهن امرين ناهين كالولاة وعلل ذلك بامرين موهبى وكسبى فقال بما فضل الله بعضهم على
بعض بسبب تفضيل الرجال على النسا والتعبير عنه على وجه الابهام بان هذا التفضيل من جملة التفضيلات
الواقعة فى القسمة الازلية على مقتضى الحكمة المذكورة فيما تقدم بقوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض وفيه دليل على ان الرجال انما يستحقون الولاية عليهن بالفضل لا بالتغلب والقهر وهو كمال العقل
وحسن التدبير وقوة العزم والحزم ومزيد القدرة على الطاعات وسائر الاعمال ولذلك خصوا بالنبوة
والامامة والولاية واقامة الشعاير ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا

في نكاحهن من ابو الهم في مهورهن ونفقاتهن روي ان سعد بن ربيع نشزت عليه امرأته فلطمها فانطلق
بها ابوها الى رسول الله صلعم فشكى فقال لعم ليقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي
اراد الله خير ثم بين ان النسا نوعان فقال في قوله فالصالحات لتفصيل المجمل المفهوم مما تقدم فقانتات
اي النسا الموصوفات بالصلاح هن المطيعات لله تو القايمات بحقوق الازواج حافظات للغيب اي لغيبة
الازواج والمعنى بواجب الغيبة اي يحفظن في غيبة الازواج مما يجب عليهن حفظه من الفروج والاولاد
والبيوت والاموال وقيل لما غاب عن الجنس من اسرارهم والوجه هو الاول لما روي عنه عم خير النسا امراة
ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الاية بما حفظ
الله بحفظ الله اياهن يعني ان حفظهن للغيب ليس من قبل انفسهن بل ذلك بحفظ الله اياهن لهن وقيل بالامر
بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد ويرد عليه انه لا اختصاص بحفظ الله تو بهذا المعنى بالنوع ٥ انه لاختصاص
الاول منهن ومن رام الاصلاح بزيادة قوله والتوفيق له لم يدرانا لذي زاد موجه مستقل ومعنى تام
وقرى بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف
والتحصن والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج
من النشز فعظوهن قال الامام ابو منصور العظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبايع النافرة
وهو بتذكر العواقب واهجروهن في المضاجع اي اذا لم ينفع الوعظ وظهر النشوز فادبوهن بالهجر وهو القطع والمضاجع
جمع مضجع وهو موضع وضع الجنب للنوم ولم يرد به تبعيدها عن مضجعه ولذلك لم يقل عن المضاجع بل اراد
ان يوليها ظهره وهما في مضجع واحد اعلاما في التعب والموجدة واضربوهن اذا لم ينجع الكناية بالهجران
فادبوهن بالضرب لاصرارهن على النشوز وهو ضرب غير خارج ولا خارش ولا شاين وما ذكر من الترتيب
مع النظم بالواو مستفاد من قرينة المقام وسوق الكلام للرفق في اصلاحهن وادخالهن تحت الطاعة
فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا فلا تتعرضوا لهن بالاذى والتوبيخ واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد
الرجوع الى الطاعة وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا يعني انكم تعصونه تو مع علو شانه وكبرياء
سلطانه ثم لا يواخذكم باول الحال ويدعوا الى التوبة ويقبل اذا تاب ولا يواخذ بما قد كان والعبد
احق بذلك وفي ذكر علوه تعالى وكبريايه تحذير للعبد ومنع عن مجاوزة الحد فيما يقيمه عليها على وجه
التاديب وان خفتم الخطاب لولاة الامر شقاق بينهما خلافا بين المراة وزوجها اضمرها قبل الذكر لذكر
ما يدل عليهما واصل الشقاق ان يصير احدهما في شق والاخر في شق بالمخالفة والمباعدة واضافته
الى الظرف اما لاجرايه مجرى المفعول كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهاره صايم فابعثوا حكما
من اهله وحكما من اهلها متى اشتبه اليكم حالهما لتبيين الامر واصلاح ذات البين رجلا عدلا مرضيا
به يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها لان الاقارب من الطرفين اعرف بباطن الاحوال

والطلب

والطلب للاصلاح وتسكن اليهم نفوس الزوجين ولا يحتشمان من ابراز ما في ضمايرهما من الحب والبغض وارادة دة
الصحبة والفرقة وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات
ولا يساعده نظم الكلام كما لا يخفى على ذوي الافهام واختلف في انهما يليان الجمع والتفريق بينهما بحسب
ما رايا اولا الا باذن الزوجين والاصح ان ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا واليهما بنا الامر على ما يقتضيه
اجتهادهما وبه استدل على جواز التحكيم ان يريدا اي الحكمان اصلاحا لما فات البين يوفق الله بينهما
اي اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل الضميران كلاهما للحكمين اي قصدا الاصلاح
يوفق الله بينهما ليتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان اريدا الاصلاح وزوال
الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما تحراه اصلح الله
مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق وانما
ذكر ارادة الاصلاح والتوفيق بينهما واهمل ذكر التفريق مع كون الحكمين منصوبين لما رايا من الامرين
جميعا حثا لهما وبعثا للزوجين على الوفاق والجمعية والالفة وردعا لهما على الخلاف والتقاطع
والفرقة وترجيحا للاول على الثاني واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا من الاشيا في العبادة
او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى بكل
من بينكم وبينه قرابة عطف بتكرير الجار العامل ليفيد احسان ذي القربى بالاصالة لا بالتبعية
واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وليس له اتصال بنسب والا لا فصل بينه
وبين ذوي القربى بالاجنبي وقرى الجار ذا القربى نصبا على الاختصاص تعظيما لحق الجوار والجار
الجنب الذي بعد جواره ولا قرابة له قال النبي عم الجيران ثلثة جار له حق واحد وهو حق الجوار وهو
الجار المشرك وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وهو الجار المسلم وجار له ثلاثة حقوق حق الجوار
وحق الاسلام وحق القرابة وهو الجار المسلم القريب والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل
بجنبك اما رفيقا في سفر او شريكا في تعلم علم او صرفة وابن السبيل المسافر والضعيف حكمه
وما ملكت ايمانكم من الرقيق ان الله لا يحب من كان مختالا تياها بتكبر عن اكرام اقاربه وجيرانه واصحابه تياها
وما ليكه فلا يلتفت اليهم وقد سبق ان عدم المحبة عبارة عن البغض فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون
بما يبخلوا به ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله الغنا والعلم بدل من قوله من كان امر ارشاد
او صفة لمن في المختال حملا على لفظ من ثم قال الذين حملا على المعنى او نصب على الذم او رفع عليه
اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويامرون ويكتمون احقا بالمقت ريب
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا يهانون به في الا... غاية ال...انة وهذا يستفاد من جعل الوصف
امرا ظاهرا اللزوم للموصوف بحيث لا فايدة في ذكره ان لم يحمل على البالغ والمعنى اعتدنا لهم

وهم الذين قال الله تعالى فيهم واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم
من لو يشاء الله اطعمه والعدول عن المضمر الى الظاهر للاشعار بان امرهم الناس بالبخل واخفايهم ما
انعم الله تعالى عليهم من المال وسعة الحال اثر الكفر وفيه تنبيه على ان الكفران نعمة الله تعالى من واد الكفر
قال طاوس البخل هو ان يبخل الانسان بما في يده والشح هو ان يشح بما في ايدي الناس فهم جامعون بين
البخل والشح والذين ينفقون اموالهم رياء الناس بقالا لما استخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله تعالى
عطف على الذين يبخلون وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق
لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدا خبره
محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان له ولا يومنون بالله ولا باليوم الاخر ليتحروا
بالانفاق مراضيه وثوابه ونفقة من لا يومن لا يكون له رضا الله بل يكون لتزيين الشيطان ولذلك
ختم الاية بقوله ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل رذيلة او حين
يقرن بهم في النار فيكون وعيدا لهم في فساء ضمير مبهم قرينا تفسيره وبيانه والمخصوص بالذم
محذوف اي الشيطان وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله واي تبعة ووبال
عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في
الشيء على خلاف ما هو عليه وايهام انهم في الاعتياد بالرذائل والشغف بالكفر والقبائح كانهم
يعتقدون انهم مثابون على ذلك معاقبون على اضدادها من الفضائل والايمان والمحاسن وتحريض
على التفكر في طلب الجواب لعله تؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه
على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع ولما قصد في الا
الاولى الى ذمهم بالانفاق رياء لكونهم غير مومنين ولما حثهم في هذه الاية على ما يجب ان يتحروه
ابتدا بذكر الايمان تنبيها على ان انفاقهم غير معتد به الا بعد الايمان وكان الله بهم عليما اي انه عالم
على علم باحوالهم يوفيهم بما لهم ونحو ان مخالفتهم اياه لا يضره ان الله لا يظلم مثقال ذرة اي لا ينقص من الثواب
الموعود ولا يزيد في العقاب المعهود اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويدل عليه قراءة مثقال
نملة والمثقال مفعال من الثقل وفيه تنبيه على ان الاعمال لصور مثقالية لها ثقل وخفة وايما الى
حكمة الميزان وان تك مثقال ذرة حسنة وتانيث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى الذرة
وحذف النون من غير قياس تشبيها بحرف العلة وقرئ حسنة بحذف بالرفع على كان التامة يضاعفها
يضاعف ثوابها وقرئ يضعفها والمعنى واحد ويؤت من لدنه من عنده تفضلا وفيه تنبيه على ان
اطلاق الاجر عليه بحسب الوعد لا بالحقيقة اجرا عظيما ما وصفه الله تعالى بالعظم
فمن يعرف مقداره مع انه سمى الدنيا وما فيها قليلا وسمى هذا الفضل عظيما فكيف حال هولاء الكفرة من

اهل الكتاب وغيرهم اذا جئنا من كل امة من الامم السالفة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم واذا اشار
الى وقت المجيء بالرسل للشهادة والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا
بك يا محمد على هولاء اي هذه الامة شهيدا لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول اي خالفوا امره ونهيه لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اي
يود الذين جمعوا بين الكفر والعصيان الرسول في ذلك الوقت ويتمنون ان يسوى بهم الارض بان يكونوا من
جملة الارض ترابا قال الله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وهذا لان الارض انما تسوى بشيء منها
ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود اي يودون ذلك ولا يقدرون كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم
بذلك وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه
بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم
فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اي لا تدنوا
الى مواضع الصلاة وهي المساجد حالة السكر لعطف قوله ولا جنبا عليه وهو نهي الجنب عن قربان المساجد لان
الاستثناء بقوله الا عابري سبيل في غير المساجد دون الصلاة ولا يجوز ان يكون معناه الا في السفر لان السفر
ليس بمرخص فيه والمصير الى ان المعنى اذا لم يجدوا الماء فتيمموا ارتكاب تعسف ظاهر ثم انه على تقدير اعتبار الشرط
المذكور لا يبقى فرق بين المسافر والمقيم والنهي عن قربان المساجد حالة السكر نهي عن الصلوة لانها عبادة
لا نهي عنها بل هو نهي عن الافراط في الشرب في وقت يلزمه اداء الصلوة حالة السكر فما ذكر ينطبق على سبب النزول
دلالة وان لم ينطبق عليه عبارة وهو ما روي ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة
حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد
ما تعبدون فنزلت وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكارى وسكرى
كحبلى على انه صفة للجماعة والسكرى وهو اشد حتى تعلموا ما تقولون تبين ان السكر المانع وهو ان يصير بحال لا يعلم
ما يقول ولا جنبا عطف على قولهم لهو وانتم سكارى اذ الجملة مع الواو في موضع النصب على الحال [illegible] اصابته
الجنابة يستوي فيه المذكر والمونث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا
استثناء اعم الاحوال اي لا تقربوا المسجد جنبا في عامة الاحوال الا في حال العبور او صفة لقوله جنبا اي جنبا
غير عابري سبيل قيل في نزوله ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد وكانت تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم
فيردون الماء ولا يجدون الممر الا في المسجد فارخص الله ولا جنبا الا عابري سبيل واضافة العابر الى السبيل
لتخصيص الرخصة بحال الضرورة بان لا يكون له سبيل الا في المسجد وبهذا قال ابو حنيفة رحمه الله لا يجوز له المرور
في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي [illegible] حالة الجنابة ولعل التيمم بدل عنه
فذكر الاغتسال يغني عن ذكره وان كنتم مرضى مرضا يخاف [illegible] استعمال الماء حقيقة كالالم او كراهة عند ما

ولا يقدر على الحركة وليس عنده من يناوله او حكما كما اذا كان مرضه يشتد باستعمال الماء او يمتد او على سفر اي مسا
اراد به البعد من العمران ومواضع الماء ولم يرد به كمال مدة السفر ولا مسافر يجد الماء ولما ثبت ان الحكم يتعلق
بعين المرض والسفر بل بمعنى فيهما وهو العجز عن استعمال الماء وانما علق بهما لظاهر الارتباط بالعجز عنده بوقوعه فيهما غالبا
ثبت ان الحكم كذلك في كل موضع تحقق العجز وظهر به صحة قول ابي حنيفة رحمه الله في اجازة التيمم للجنابة في المصر
اذا عدم الماء الحار وخاف ان يضره الاغتسال بالماء البارد او جاء احد منكم من الغائط الغائط المكان المطمئن
من الارض وكانوا ياتونه لقضاء الحاجة قبل اتخاذ الكنف في البيوت والمجيء منه كناية عن الحدث ولما كان
الاجتماع في السفر مندوبا بخلاف التغيط فان المندوب فيه الانفراد عن الاسلوب ولم يقل او جئتم
من الغائط واما قوله او لامستم النساء فعلى طريقة مقابلة الجمع بالجمع فيفيد ايضا رعاية ما هو المندوب
وقرئ لمستم اي جامعتم فاجنبتم قال ابن عباس به الملامسة واللمس والمباشرة والافضاء كنايات عن الجماع
فلم تجدوا ماء حقيقة او حكما كما اذا لم يكن مقدور الاستعمال لمانع او يكون في استعماله نوع حرج لضرورة
بدنا وما ينبغي ههنا اشكال وهو ان الجمع بين الامور المذكورة في الشرط المرتب عليه جزاء واحد وهو الامر
بالتيمم عند فقد الماء مع ان سببية الاولين انما هي للترخص والثاني لوجوب الوضوء والرابع لوجوب
الغسل وليس الامر بالتيمم معنى واحدا يعم الكل ووجه حله هو ان القصد الى الترخص في التيمم بالتراب بعد وجوب
عليه التطهر ولم يجد الماء فيفيد عدم الوجدان راجع الى الكل وفيه وجوب التطهر المكني عنه بالمجيء من الغائط
والملامسة الذين هما من اغلب اسباب وجوب التطهر معتبر في الكل حتى المرضى والمسافرين وذكرهما تخصيص
قبل التعميم بناء على زيادة استحقاقهما للترخيص بغلبة المرض والسفر على ساير الرخصة فصل فكانه قيل
ان جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء ولم تجدوا ماء خصوصا المرضى والمسافرين فتيمموا او وجه
سببية مضمون الشرط لمضمون الجزاء فتيمموا صعيدا طيبا التيمم القصد والصعيد وجه الارض والتراب
الطاهر ويجوز التيمم بكل ما كان من اجزاء الارض عند ابي حنيفة لزق بالكف ام لم يلزق عملا باطلاق النص ه
وعند محمد [illegible] لكن اذا لزق بالكف لقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه
وعند ابي يوسف الصعيد هو التراب خاصة والرمل وعند الشافعي هو التراب بلا غير والطيب المنبت من الارض عنده
واللائق بموضع الطهارة انما هو المعنى الاول ولو شرط من التبعيضية وهو صحة وضع بعض موضعها منتف
ههنا اذ لو قيل فامسحوا وجوهكم وايديكم بعضه افاد ان المطلوب جعل الصعيد ممسوحا والعضو ممسوحا به
وهو فاسد بالاتفاق فامسحوا بوجوهكم وايديكم الى المرافق لانه بدل عن الوضوء فيتقيد بتقييد الاصل
ولانه عم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ومسح [illegible] اليد على الشيء تقول مسحت برأسه ومسحت راسه بمعنى [illegible]
ان الله كان عفوا غفورا اشارة الى وجه الترخيص والتيسير لان من كانت عادته العفو عن الخطائين ه
والغفران للمذنبين فلا يكون ميسرا غير معسر الم تر الى الذين اوتوا كلمة تعجيب من قد بلغ الخطاب ه

فيخرج مخرج التذكير او لمن يبلغه فيخرج مخرج التعليم من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وتعديته بالى
لتضمين معنى الانتهاء نصيبا حظا وتنكيره يحتمل التعظيم والتحقير من الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية
ومن للتبعيض او للبيان يشترون الضلالة يستبدلون اليهودية التي هم عليها بالهدى الذي هو دين الاسلام
لتمكنهم منه بعد ما تبين لهم من علم الكتاب انه الحق ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق وتنخرطوا
في سلكهم والله اعلم منكم باعدائكم اخبر بعداوتهم وما يريدون بهم تحذيرا اياهم وكفى بالله وليا يلي امركم
وكفى بالله نصيرا ينصركم عليهم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال
الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانه متناول لليهود
والنصارى والجمل الثلاث توسطت بينه وبين المبين على سبيل الاعتراض الاولى للتصريح بما اومى اليه
لان المخالفة في الدين سبب العداوة والباقيتان لتشجيعهم وتقوية قلوبهم في عدم المبالاة باعدائهم
ولذلك كرر وكفى بالله لتقدير معنى كفاية الله تعالى عنهم في نفوسهم والولاية تفيد الله تعالى بالانفراد كافية
لهم كما ان نصر الله وحدها كافية او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض ويجوز ان يكون صلة لنصيرا اي
ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا او كلاما مبتدا على ان يحرفون صفة
مبتدا محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعها الله
تعالى فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يأولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله تعالى فيه
والكلم والكلمة كالتمر والتمرة على انه اسم جنس فرق بينه وبين واحده بالتاء لا على انه جمع ولهذا ذكر
ضميره واما جمع المواضع فلتكرره في التورية في مواضع بحسب الجنس وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون
اللام على انه جمع كلمة تخفيف كلمة وتذكير الضمير على هذه القراءة لارادة جنس الكلم يقولون سمعنا
قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب
الى ما تدعوا اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه
فيكون مفعولا به او اما قيل واسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه [illegible]
وقصد كونه على قصد النفاق لا يتحمله السياق لانهم يقولون وعصينا اظهارا للخلاف والنفاق وراعنا
انظرنا نكلمك ونفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا
موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها وطعنا في الدين كانوا يقولون له عم السام عليك
فيخرجون فيسخرون ويقولون لولا يعذبنا الله بما نقول اي لو كان هو على الدين الحق فلماذا لا يعذبنا الله
بهذا ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا [illegible] قالوا فاعل فعل محذوف دل عليه معنى الثبوت
والتحقق في ان اي ولو ثبت انهم قالوا بعينه ولو [illegible] مما قالوا والضمير المستكن في لكان
يرجع الى هذا القول خيرا لهم واقوم واعدل ولكن لعنهم [illegible] خذلهم الله وابعدهم عن الهدى بكفرهم

بسبب كفرهم فلا يومنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به هو الايمان ببعض الكتب والرسل فيجوز ان يراد
بالقلة العدم لانه رديفها في الغالب اي لا يومنون الا ايمانا معدوما على طريقة لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى اي انه كان الايمان المعدوم ايمانا فهم يحدثون شيا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال يكون بعد ما
الا موافقا لما قبلها في المعنى ولا يجوز ذلك في الاستثنا وكذا لا يجوز ان يكون المعنى الا قليلا منهم امنوا او
سيومنوا لعدم صحة نسبة عما تقدم فافهم يا ايها الذين اوتوا الكتاب خطاب لليهود والنصارى امنوا بما
نزلنا وهو القران مصدقا لما معكم من الكتاب الذي انزل على نبيكم يعني التورية والانجيل متضمنا صفة النبي
عم وصحة ما جاء به من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها
على هيئة ادبارها يعني الاقفا او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس محو الاثر وازالة
الاعلام وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصورة ويطلق القلب والتغيير لذلك وقيل معناه من قبل ان نغير
وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها حيث جاءت منه وهي اذرعات
الشام يعني اجلا بني النضير او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن
سماع الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت نخزيهم بالمسخ كما
اخزينا اصحاب السبت او باللعن للتعارف والضمير لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او
للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد الوجها وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به المسخ
الصورة في الدنيا ومن جملة الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه متى قبل او كان وقوعه مشروطا
بعدم ايمانهم وقد امن بعضهم وكان امر الله بايقاع شي مفعولا كائنا لا ما انما المنتظر ابداؤه بالنظر الى المعتد
بقيد متى لا ابداعه المجرد عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه وبشاركه في الحكم
المذكور ما في منزلته وهو سائر وجوه الكفر فان الحكم على خلود عذابها ايضا قد ثبت ولوجود هذا
القسم قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ولم يقل ويغفر غيره مع انه اخصر واظهر دلالة على المراد على تقدير
عدم قسم [illegible] بر والله الهادي الى الرشاد وانما قال لمن يشا مع انه معلوم ان المعلوم المغفرة لا تكون
الا بمشية الله [illegible] للدلالة على انها لا تعم والاشارة الى ان ما دون الشرك يجالعه جيث ان المشية
لا تتعلق بمغفرته اصلا ومن يشرك بالله فقد افترى فقد ارتكب مفتريا اي مفتعلا ما لا يصح كونه
اثما عظيما يستحقر دونه الاثام ويجوز ان يكون المعنى فقد افترى اثما عظيما وذلك لا ما لكونه
سببا للاثم عبر عنه بالاثم مبالغة كما عبر بالنار عن موجبها في قوله فاتقوا الله وهذا ابلغ وهذا ابلغ
وفيه اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين ساير الذنوب الم تر الى الذين يزكون انفسهم بقولهم نحن ابنا
الله واحباؤه ولن تمسنا النار [illegible] وانا [illegible] ابنا الصغار التورية فنكفر بذلك ذنوبنا
نصير كما لا ذنب لنا وفي ذلك غض على من يزكي نفسه بزيادة الطاعة والتقوى بل الله يزكي من

135

بل اضطرابهم في تزكيتهم انفسهم وانما قدم الله على الفعل للتخصيص اي لا يزكي احد نفسه ولا غيره فانه غير معتبر
ولا يعتد به اذ لا علم لاحد بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح بل الله خاصة يزكي من يشا من المرتضيين
من عباده الذين عرف منهم الزكا واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون فتيلا اي اقل
قليل من الظلم والفتيل هو ما يفتل من الوسخ عند دلك الاصبع بالاصبع مثل في القلة اي يثابون على
زكائهم ولا ينقص من ثوابهم الموعود شي انظر كيف يفترون على الله الكذب بقولهم نحن عند الله ازكيا
وكفى به بافترائهم هذا اثما مبينا من جملة اثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب قد سبق
تفسيره في هذه السورة يومنون بالجبت والطاغوت الجبت في الاصل اسم صنم ثم اطلق على ما عبد من دون
الله والطاغوت الشيطان وكل راس في الضلال نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام
ارضى عند الله مما يدعوا اليه محمد ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى
من الذين امنوا حذفوا المفعول للاختصار بل اختصارا سبيلا ارشد دينا واقوم طريقا اولئك
الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بالنصرة والخطاب لكل احد ام لهم نصيب
من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك والتنكير في نصيب للتحقير فهذا جحد
على ابلغ وجه لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يوتون الناس نقيرا النقير النقرة
في ظهر النواة ومعنى اذن انه لو كان لهم نصيب من الملك فاذن لا يوتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم وهذا
هو الاغراق في بيان شحهم فانهم اذا بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنكم بهم اذا كانوا اذلا متفارقين
واذن اذا وقع بعد الواو والفا لا تشريك مفرد جاز فيه الالغا والاعمال والاكثر لا يوتوا على النصب
ثم انتقل من هذه الخصلة الذميمة الى خصلة اشد منها وهي الحسد فان البخل منع الخير ووصول خير من
نفسه الى الغير والحسد تمني زوال ما اعطى الله تعالى الغير من الخير فقال ام يحسدون الناس انكار لحسدهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين على ما اتاهم الله تعالى من النصرة والغلبة وازديادها العز والقوة والتقدم
كل يوم واللام في الناس للعهد كانهم الناس بالحقيقة وما عداهم من اليهود ليسوا بالناس [illegible] ما اتاهم الله من
فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا
عظيما الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله تعالى الكتاب والنبوة والملك العظيم لال ابراهيم الذين هم اسلاف
محمد عم وانه ليس ببدع ان يوتيه الله تعالى مثل ما اوتي اسلافه فمنهم فمن اليهود من امن به بما ذكر من حديث
ال ابراهيم ومنهم من صد عنه وانكر مع علمه بصحته او فمنهم من امن برسول الله صلعم ومنهم من انكر نبوته
او من ال ابراهيم عم من امن بنبوته ومنهم من كفر فلا تعجب من قومك فان احوال جميع الامم هكذا وذلك
تسلية له عم وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة [illegible] يعذبون بها او [illegible] الذين بخلوا بالعقوبة هذا كما هم ما عدهم
من [illegible] ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا [illegible] النفر [illegible] وتنكير نارا للتعظيم قال

سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وقد ترد في الوعد ايضا كلما نضجت جلودهم اي بلغت الى حد لا يتأثر
من الاحراق بدلناهم جلودا غيرها اي اعدنا تلك الجلود غير محرقة قال ابن عباس رض يوم تبدل الارض غير الارض
تلك الارض لكن بدلت اكامها وجبالها وانهارها واشجارها والجملة في محل النصب على الحال من الضمير المنصوب
في نصليهم ليذوقوا العذاب ليتجدد لهم ذوق العذاب ولما كان تأثر الذائقة اسرع واقوى من تأثير اللامسة
استعير الذوق لادراك اللامسة مبالغة في التأثر عن العذاب وقيل تخلق مكانه جلدا اخر والعذاب في الحقيقة
للنفس العاصية المدركة لا لالة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا حكيما العزيز القادر الغالب الحكيم الذي
لا يفعل الا الصواب انما قال ذلك لانه قد يقع في القلب تعجب من كون الكريم الرحيم يعذب الشخص الضعيف الى هذا
الحد العظيم ابد الاباد فقيل ليس هذا بعجب لانه القادر على ذلك وكما انه رحيم فهو ايضا حكيم والحكمة تقتضي ذلك
والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات الوعد والوعيد يتعاقبان في الذكر غالبا وقدم الوعيد
ههنا لان الكلام في الكفار تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد سبق تفسيره لهم فيها ازواج مطهرة
وندخلهم ظلا ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم اليوم وهو ما كان
مطبقا لا فرجة فيه ودائما لا ينسخ ولا يحجب الاحر فيه ولا برد لما كانت بلاد العرب في غاية الحرارة كان
الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة ولهذا جعلوه كناية عن الراحة قال عم السلطان ظل الله تعالى في الارض
فلا يتجه السؤال بان يقال اذا لم يكن في الجنة شمس تؤذي بحرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل
ان الله يامركم ان تؤدوا بان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين وجميع الامانات وان كان سبب
النزول خاصا وهو اخذ رسول الله صلعم مفتاح الكعبة من سادنها ورده لهم بعد نزول هذه الاية
واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بان تحكموا بالعدل العدل يقابله الجور والانصاف يقابله الظلم ان الله
نعما يعظكم به ما في نعما نكرة موصوفة منصوبة اي نعم شيئا يعظكم او معرفة مرفوعة اي نعم الذي يعظكم
به والمخصوص بالمدح محذوف فعل ذلك يعني المأمور به من اداء الامانات الى اهلها والحكم بالعدل ان الله
كان سميعا باقوالكم [illegible] احكامكم بصيرا بما تعملون في الامانات يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
كرر لفظ اطيعوا تعظيما لامر الرسول صلعم ولهذا اي لما ذكر من ان تكريره للتعظيم ترك اعادته في قوله واولي
الامر منكم فرقا بين المطاعين في التعظيم لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها والحكم بالعدل امر الناس
بان يطيعوهم ويمتثلوا امرهم والمراد بهم امراء المؤمنين القائمون بالعدل الثابتون على الحق لا امراء الجور
على ما تتفق عليه وجهه فيه وفي قوله منكم تمهيد للرخصة في المنازعة المعروضة في قوله فان تنازعتم
لما كان في الامر بالطاعة لاولي الامر اشعار [illegible] العدل لكونهم على الحق وفيما تقدم من قوله واذا
حكمتم الاية نوع تمهيد لذلك [illegible] المذكور [illegible] في شيء من امور الدين وامور الدنيا فردوه
فارجعوا فيه الى الله اي الى كتابه والرسول الى سنته [illegible] او فيما يدل [illegible] هذا ينتظم [illegible]

وبما

وبما انه ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان بالمبدأ والمعاد يوجب ذلك صدر الامر بطاعة اولي
الامر بامرهم بالحكم بالعدل وقيد بجمعهم مع الله تعالى ورسوله في العطف وتخصيصهم بقوله منكم وذيله بالامر
بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل واختلف فيه اعلاما بان طاعة المتغلبة من امراء الجور الذين هم
على خلاف ذلك ليست بواجبة بل الواجب مخالفتهم وعصيانهم فيما لا يطابق الكتاب والسنة من احكامهم واحتج
بالاية المذكورة منكروا القياس حيث حصر المرجع اليه في الكتاب والسنة ولم يذكر القياس لكنها حجة عليهم
لا لهم لانه تعالى اوجب في كل متنازع فيه الرد اليهما ولا يوجد في كل حادثة نص ظاهر فعلم انه امر بالنظر
في مودعاته والعمل بمدلولاته ومقتضياته ذلك خير واحسن تأويلا عاقبة الم تر الى الذين يزعمون
انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس ان منافقا
خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي عم ودعا المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول
الله صلعم فلم يرض بقضائه وخاصم الى عمر فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما
حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق وقال هكذا اقضي لمن لا يرضى بقضاء رسول الله
صلعم فنزلت وقال جبرئيل عم [illegible] بالباطل سمي بذلك لفرط طغيانه وتشبهه بالشيطان من حيث انه الحامل عليه
كما قال وقد امروا ان يكفروا به وقرئ بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا قيل ظاهر الاية يدل على انه كان المخاصم منافقا من اهل الكتاب
كان يظهر الاسلام على سبيل النفاق لان قوله تعالى يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك انما يليق بمثل
هذا المنافق واما صيغة الجمع فلعلها لدرج امثاله فيما ذكر فانهم في صدد ذلك وان لم يظهر منهم واذا قيل
لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول لما بين رغبتهم في التحاكم الى الطاغوت بين ههنا رغبتهم عن التحاكم الى
الرسول عم وقد سبق الكلام في تعالوا في سورة ال عمران رايت المنافقين يصدون عنك في موضع الحال
صدودا اي يعرضون عنك اعراضا فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق والنقمة من الله تع
بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك عطف على اصابتهم جاؤك [illegible] معتذرا او على
يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل
بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر
رض الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم
الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم في الدنيا لمصلحة في استبقائهم او عن
قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه او عن المخاطبة لا ينافي الاعراض عن المعاتبة وقل
لهم في انفسهم فيما يحل بهم من العذاب ان لم يرجعوا [illegible] ان رجعوا قولا بليغا يبلغ منهم
ويؤثر فيهم مرة بالتجافي عن معاتبتهم والنظر [illegible] بالترهيب والترغيب كما هو مقتضى

شفقة الانبياء عم وتعلق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها يجوز على اصل الكوفيين
خلافا للبصريين وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بتيسيره وتوفيقه لطاعته اذ بسبب
اذن الله تعالى في طاعته اى بامره للمبعوث اليهم ان يطيعوه لانه مبلغ عن الله تعالى وخليفته فطاعته طاعة عنه
الله تعالى لما امر النبي عم بوعظهم وابلاغ القول فيهم امرهم بطاعته فيما امروا واتعاظهم بما وعظوا ولا
دلالة فيه على ان من لم يطعه ولم يرض بحكمه كان كافرا مستوجب القتل فان الكفر لا يستوجب القتل
البتة كنفس الذمي والمستامن كافران ولا يجب قتلهما ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاءوك
تائبين لله ومعتذرين واذ متعلق به فاستغفروا الله مخلصين له معتذرين اليك مما ارتكبوه من رد قضائك
حتى استغفر لهم ولما كان تحاكمهم الى الطاغوت اساءة على الرسول عم وادخالا للغم في قلبه لزمهم
الاعتذار له عم وطلب الاستغفار منه واستغفر لهم الرسول على طريقة الالتفات تفخيما
وتفخيما لاستغفاره وتنبيها على ان من كان رسول الله فاستغفاره وشفاعته من الله بمكان رجاء قبول
اعتذار التائب فلا دخل فيه لوصف الرسالة فلا وجه للتنبيه عليه بالالتفات لوجدوا الله توابا
رحيما اى قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة تعالى توابا حالا ورحيما بدل منه او حال من الضمير فيه فلا وربك
اى فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله لا
اقسم بهذا البلد وفي اضافته تعالى نفسه اليه عم في القسم رفع قدره حتى يحكموك غاية تعلقه بقوله لا
يؤمنون فيما شجر فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه واختلاطها في الجهات ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت مما حكمت به او من حكمك واغفال اثم لان المحتمل الغالب وجدان ذلك بعد زمان
ويسلموا تسليما وينقادوا انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم ان مصدرية او مفسرة
لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم اى لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل حين استتابتهم
من عبادة العجل من قتلهم انفسهم واخراجهم من ديارهم ما فعلوه الضمير للمكتوب الذي دل عليه كتبنا الا قليل
الا قوم قليل منهم ... المخلصون وهذا توبيخ بليغ لهم لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه
على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم وقرئ بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به
من متابعة الرسول وطاعته في اوامره ونواهيه بلا اعتراض وشبهة في انفسهم لكان خيرا لهم في عاجلهم
واجلهم واشد تثبيتا لايمانهم في انفسهم وابعد اضطرابا ونصبه على التمييز وهذه الايات نزلت في شان المنافق
واليهودي وقيل غير ذلك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر وجزاء لمحذوف معطوف على الجملة
الشرطية قبلها اى ولو تثبتوا لاتيناهم وفي قوله من لدنا الدال على انه على سبيل التفضل مع انها بالوعد
من الاجر المعنوي الحقيقي فانا الغاية ... وهو ... انزل منزلة الاجر له ولهديناهم صراطا مستقيما
اى وفقناهم لطريق التوحيد وزيادة الخير ... ومن يطع الله والرسول فاولئك مع

الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا
من النبيين بيان للذين حال منه او من ضميره والصديقين هم الصادقون في اقوالهم واعمالهم
ونياتهم واحوالهم المتقدمون لغاية الصدق في تصديق الانبياء من افاضل اصحابهم والشهداء
الباذلون الارواح لله تعالى لغاية حضورهم وشهودهم والصالحين هم اهل الاستقامة الى الله تعالى
بالاعمال المقربة او في الله بالتخلق باخلاقه والاتصاف بصفاته وليس المراد من المعية المعية
في الدرجة فان ذلك غير ممكن بل المعنى ان الارواح الناقصة اذا استكملت علاقتها مع الارواح
الكاملة في الدنيا يثبت بعد المفارقة تلك العلاقة فينعكس الشعاع من بعضها على بعض فتصير
انوارها في غاية القوة وحسن اولئك رفيقا بمعنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ورفيقا
منصوب على التمييز ولذلك لم يجمع اذ لم تقصد الانواع ويجوز ان ينتصب على الحال ذلك اشارة قصد
بها التعظيم الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وفيه
تنبيه على ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم فضل خاص منه تعالى لا عدل مقابله
بازاء طاعتهم بل مزيد عليه من عنده وتفضل به عليهم تكملة لثوابهم واكراما لهم وكفى بالله عليما بجزاء
من اطاع لعلمه باحواله وما يقتضي هذا الفضل من استعدادهم بحسب العناية الاولى في حقهم فهو
يوفقهم على حسب تلك العناية يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم اى احذروا واحترزوا من العدو
ولا تمكنوه من انفسكم كانهم امروا بان يجعلوا الحذر الة لهم التي يقون بها انفسهم ويعصمون بها ارواحهم
والحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف فانفروا يقال
نفر القوم اذا نهضوا لقتال عدوهم وخرجوا للحرب ثبات نصب على الحال اى جماعات متفرقة سرية
بعد سرية جمع ثبة من ثبيت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه او انفروا جميعا مجتمعين
كوكبة واحدة ولا تتفرقوا ولا تخاذلوا فتلقوا بايديكم الى التهلكة والاية نزلت في الحرب ولا دلالة لها
في لفظها على وجوب المبادرة الى الخيرات كلها وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر ... عم المؤمنون
منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم
او بطأ غيره كما فعل ابن ابي يوم احد واللام الاول للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية
جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم
لمن اقسم بالله ليبطئن ووجوه التاكيد لتحقيق حال المنافقين وانهم على خلاف ما يظهرون من الايمان
فان اصابتكم مصيبة من قتل وهزيمة قال اى المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني
ما اصابهم واذ لم اكن ظرف ناصبه انعم عليه ... ولئن اصابكم فضل من الله من الفتح والغنيمة ليقولن ذلك
المنافق اكد لفرط تحسره وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من لانه في معنى الجماعة كان لم يكن بينكم

بينكم وبينه مودة اعتراض بين مفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما حكى الله سرور المنافق
عند نكبة المسلمين ثم اراد ان يحكي حزنه عند دولتهم بسبب فوات الغنيمة فقبل ان يذكر الكلام بتمامه الحق هذا
القول في البين للتعجب كانه يقول انظروا الى ما يقوله هذا المنافق كان لم يكن بينكم وبينه مودة ومخالطة اصلا ه
والذي حسن موقع الاعتراض كون ما بعدها فاصلة وهي ليست بفاصلة او حال من الضمير في ليقولن او داخل
في القول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تغريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد عم
مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وكان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف
وقرئ تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز
نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت معهم ليندرج الفوز مع الكون
معهم في حكم التمني فيكونا متمنيين جميعا فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي جعل
بمعنى يبيعون فالامر للمؤمنين اي ان صد هؤلاء المبطئون عن القتال فليقاتل الثابتون في الايمان المخلصون
الذين يستحبون الاخرة على الدنيا ويستبدلونها بها وان جعل بمعنى يشترون فالامر للمبطئين الذين يشترون
الحيوة الدنيا بالاخرة وعظوا بان يغيروا نياتهم وما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا
في سبيل الله فالفاء على الاول جواب شرط مقدر وعلى الثاني للتعقيب يعني ينبغي ان يعقبوا ما صدر عنهم
من التثبيط عن القتال الثبات على النفاق بالتحريض على القتال ومن يقاتل في سبيل فيقتل او يغلب لم يقل فيغلب
او يغلب اذ ح يندرج في الاول الفار من الزحف ولا اجر له ولم يقل فيقتل او يقتل للتنبيه على انه يستحق الاجر
بالغلبة قتل او لم يقتل وعلى ان حقه ان لا يقصد بالقتال الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وتقديم
الاول للدلالة على انه اولى واحق بالاجر والاقتصار عليهما للتنبيه على ان حق المجاهد ان يثبت في المعركة
ولا يفر حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة فسوف نؤتيه اجرا عظيما قيل وعده الاجر
غلب او غلب ترغيبا للقتال وتكذيبا لقوله قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وفيه انه لم يصب
في قوله غلب على انعمت عليه بالنفاق وكذا في قوله وتكذيبا لان مراد ذلك المنافق من القول المذكور مطابق
للواقع وما لكم مبتدا وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين
مجرور عطف على سبيل الله وفي خلاص المستضعفين فان سبيل الله عام في كل خير ومن اعظم الخير خلاصهم
من ايدي الكفار وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين من الرجال
والنساء والولدان جعل الولدان من جملة المستضعفين تسجيلا على الظلمة بافراط الظلم حتى بلغ اذاهم الصبيان
ارغاما وايذاء لابائهم وامهاتهم ومبغضة [illegible] لهم ويجوز ان يكون ذكر الولدان مع المستضعفين
لاشتراكهم الاطفال في الدعاء استرحاما من الله [illegible] على الصغار الذين لم يذنبوا ويجوز ان يراد بالرجال
والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد [illegible] العبد يسمى بالوليد فغلب الذكر واطلق عليهما ه

خلاصهم

138

الولدان كانه قال الولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها ارادوا بالتوصيف
التنبيه على ان طلبهم الخروج منها لظلم اهلها والا فهي وطنهم واشرف البقاع لا يريدون الخروج منها
بلا اضطرار ولما كان المراد من القرية مكة شرفها الله تع تجنبوا عن المبالغة في ظلم اهلها بالنسبة الظلم
الى القرية ولم يسلكوا مسلك قوله وكاين من قرية عتت عن امر ربها وكم اهلكنا من قرية بطرت واجعل لنا
من لدنك وليا وهب لنا من عندك من يتولى امرنا واجعل لنا من لدنك نصيرا من ينصرنا ويمنعنا من عدونا
فاستجاب الله تع دعاهم بان جعل رسول الله صلعم وليهم وعتاب بن اسيد ناصرهم قال عطا فكان ينتقد واحدا
واحدا ويبعثه على يد مرثد الى المدينة الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما صرفهم على القتال
في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين شجعهم ورغبهم فيه ترغيبا باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله
فالله وليهم وناصرهم والكفار في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا
اي كيده للمؤمنين في جنب كيد الله تع للكافرين اضعف شيء واوهنه فلا تخافوا اولياءه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا
ايديكم عن القتال واقيموا الصلاة واتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم
يخشون الناس على ما طبع عليه البشر من المخافة وذلك ان المسلمين كانوا بمكة مكفوفين عن القتال وكانوا يتمنون
ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة احجم فريق منهم خوفا من الموت وضنة بالارواح وجبنا عن الاخطار
بها لا لريبة في الدين اذا المفاجاة جي بها في جواب الشرط مع الجملة الاسمية بدل الفاء وفريق مبتدا تخصيص
بالصفة وهي منهم خبره يخشون كخشية الله في موضع النصب صفة للمصدر المحذوف اي خشية مثل ما يخشى
الله فهي مضافة الى المفعول او على الحال من ضمير يخشون اي يخشون مثل اهل خشية الله منها او اشد خشية
نصب على المصدر اي خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله على ان الخشية خاشية او جر
على خشية الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية من خشية الله او على الله على ان الخشية من الفعل المبني للمفعول
اي كخشية الله او خشية رجل اشد في كونه مخشيا من الله كما ذكر في اشد ذكرا او نصب [illegible] عطف على محل
الكاف والخشية في الاصل الخوف مع التعظيم المخوف منه والمراد هنا المبالغة في الخوف وكلمة او للدلالة
على تفاوتهم في الخشية فان خشية بعضهم كان مثل خشية الله تع وخشية بعضهم كان اشد منها
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال هذا المقال لا ينافي اسلام الصحابي الراسخ قدمه في الايمان المنشرح
جنانه بالاسلام الذي يرى الوصول الى دار الاجلة خيرا من القرار في الدار العاجلة ولهذا قيل هم المنا فقون
والثاني انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله تع عنهم مع انه بعيد لم يرد مثله في القرآن
لا تجلب نفعا لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت كانهم حسبوا
القتال القتل فتمنوا تاخير الاجل وهذا اية غايته [illegible] متاع الدنيا قليل سريع التقضي والاخرة

خبر لمن اتى المعاصي ولا تظلمون فتيلا شيئا يسيرا من قصر على الاول فقد قصر بالنقص عن الثواب
الموعود ولا بالزيادة على العقاب المعهود وقد تقدم تفسير الفتيل وفيه ترغيب في التحمل على مشاق
القتال وترهيب عن مخالفة الامتثال لامر الجهاد وقرئ ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم
الموت اى لا خلاص لكم من الموت وللجهاد موت يستعقبه سعادة اخروية فاذا كان لا بد من الموت
فالموت في سبيل الله تعالى اولى وقرئ يدرككم بالرفع على حذف الفا كما في من يفعل الحسنات الله يشكرها
او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون وعلى هذا اين ظرف مكان لا اسم شرط وانتفاء الظلم
ظرفي بانتظام الدارين ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبرج في الاصل بيت على
القصر واصل البروج الظهور ومنه تبرجت المرأة اذا اظهرت محاسنها وقرئ مشيدة وصفها
بوصف فاعلها كقوله شعر شاعر ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة نعمة
كخصب يقولوا هذه من عند الله اى ينسبوها اليه تعالى نسبة مجردة عن توسط كسب العبد وان تصبهم
سيئة بلية كقحط الحسنة والسيئة كما تقعان على الطاعة والمعصية كذلك تقعان على النعمة
والبلية يقولوا هذه من عندك اى اضافوها اليك وقالوا هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل
محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله بتقدير الله واقع على حسب سنته
في خلقه قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقال وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا
اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ولما كان هذا تفصيل ذلك المجمل المنزل ظهر حسن موقع
الفاء في قوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن وتنكيره للتعظيم
والتنبيه على انه لا حاجة الى الاشارة عند الاطلاق ومساعدة المساق ونفي المقاربة وهو ابلغ من
نفي الفعل ما اصابك خاطب النبي عم ليعلم حال ما اصاب غيره بطريق الدلالة من حسنة من نعمة فمن الله
تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود وكيف يقتضي غيره وما اصابك
من سيئة من بلية فمن نفسك يعني هو وان كان من عند الله باعتبار الايجاد والفاعلية لكن لما كان السبب
القابل المقتضي لذلك اعمالك واستحقاقك فهو من عندك وبما كسبت يداك واستدعائك اياه نزلت
بكقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير لما نسبوا النعمة الى الله تعالى والبلية
الى النبي عم على ما زعموا فقام الرد عند قوله فمن نفسك وارسلناك للناس جميعا لا للعرب خاصة
كما زعم بعض المنكرين وهذا المعنى مستفاد من ذكر اسم الجنس بمساعدة المقام رسولا حال قصد بها
التأكيد ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام ولا يجوز تعلق الجار بها لانه يفهم منه
اختصاص رسالته عم بجنس الناس وكفى بالله شهيدا على ذلك بنصب المعجزة فوجب على الكل طاعتك
واتباعك ولهذا قال من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والامر هو الله تعالى لانه

لا ينتظم

لا ينتظم الطاعة في غير الاحكام الشرعية بل لانه تعالى ارسله وامر بطاعته والعدول عن الضمير الى المظهر
للاشعار بترتب ايجاب الطاعة على وصف الرسالة وروي انه عم قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد
اطاع الله فقال المنافقون لقد قارب الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذ النصارى عيسى
فنزلت ومن تولى اى عن طاعته حذف جزاؤه وهو فاعرض عنه واوقع ما هو سبب له موقعه فقيل فما
ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف
ويقولون اذا امرتهم امرا او نهيتهم عن شيء طاعة اى امرنا طاعة اى لك واصلها النصب على المصدر والعدول
الى الرفع للدلالة على الثبات فاذا برزوا خرجوا من عندك اى غابوا عنك والفاء للدلالة على عدم التراخي بين
قولهم الموافق وفعلهم بيت طائفة منهم اى زورت وهيأت غير الذي تقول خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من
القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامر تدبر بالليل او من البيت المبني لانه يسوّى
ويدبر وقرئ بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون تعالى عليهم اى يثبت في صحائف
اعمالهم ويجازيهم عليه او يكتب في جملة ما يوحي اليك فيطلعك عليه فلا يخفى منهم اسرارهم فاعرض عنهم
لا تشتغل بالانتقام منهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شأنهم وكفى بالله وكيلا لمن توكل عليه وهو
الدافع كيدهم عنك والمنتقم منهم لك افلا يتدبرون القرآن الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف
اى ايقدحون في القرآن فلا يتدبرونه لانهم لو تدبروه حق التدبر لم يكن لهم شك في توافق معناه وتناسق
نظمه والتدبر اثارة المعاني بغوص الافكار واستخراج جواهر المعاني بدقائق الاعتبار وهو في الاصل النظر
في دبر الامر اى عاقبته ثم استعمل في كل تامل ونظر سواء كان في حقيقة الشيء واجزائه او سوابقه واسبابه
او لواحقه واعقابه وهو فيه باعتبار اصله وفيه اشارة الى ما في مقاطعة الكلام من مظان الطعن في بادئ
الرأي التي تزول عند التأمل وتوفيق النظر والواو في قوله ولو كان من عند غير الله للحال او غير الله ينتظم
الجن والملك وفيه دلالة على انه كلام الله تعالى واما اعجازه فانما يثبت به انه ليس من كلام البشر
ولا يلزم منه ان يكون كلام الله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من جهة فصاحة اللفظ وبلاغة النظم وصحة
المعنى لان الخطيب الفصيح البليغ اذا كثر كلامه اختل نظامه واختلفت اقسامه خصوصا اذا تطاولت
في تفاريق كلامه ايامه لنقصان قدرة غير خالق القوى والقدر وما يوجد فيه من الاختلاف في الاحكام
لا اختلاف الاحوال في الحكم لا للتناقض في الحكم واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اى ما يوجبهما لا باحدهما
على سبيل البدل فكلمة او للتنويع لا لمنع الجمع اذاعوا به فعلوا الاذاعة به وهو ابلغ من اذاعوه للدلالة
على انه يوجد نفس الحقيقة كما في نحو يقطع ويمنع لما فيه من الابهام والتفسير والاذاعة الاشاعة والافشاء
كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله صلعم او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه
من الظفر بالعدو وتخويفهم من الكفرة اذاعوا به [illegible] مفسدة ولو ردوه اى الامر الى الرسول

لم يحدثوا به حتى يكون الرسول هو الذي يحدث به واولى الامر منهم وهم كبار الصحابة رض البصراء بالامور
(يستنبط) وامر السر لعلمه على وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم واصل الا
اخراج النبط وهو الماء الذي يخرج من البئر اول ما تحفر وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها
فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر حتى سمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك
من هولاء الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته
ايها الرسول والمومنون بما انزل من الهدى وظهر من كيد الشيطان والمنافقين لاتبعتم الشيطان ودمتم على
الكف على القتال والاصغاء الى المنافقين المثبطين الا قليلا منهم رسول الله صلعم والمستنبطين وفيه تحريك
من جهة الضعفة مع لطف واحماد لحال الاخرين ثم قال فقاتل في سبيل الله فاذا كان الامر كذلك من انك
اوتيت الفضل والرحمة مع ما وفقت له من سابقة القدم والتجنب عن اتباع الشيطان فقاتل في سبيل الله
واعلاء كلمة الرحمن ولا تبال بكيد المنافقين واستجرارهم الضعفاء وما يحصل من مفسدة الاذاعة فانه لا
يضرك خذلان خاذل قوي او ضعيف فانه ناصرك لا الجنود بالجلال باسه بمن يعاديك لا تكلف الا نفسك
نصب على الحال من فاعل فقاتل اي غير مكلف الا نفسك وحدها يعني لا يضرك تخالفهم وتقاعدهم فتقدم
الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عم دعا الناس في بدر الصغرى الى
الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون
على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض المومنين على القتال
وما عليك الا تحريضهم فحسب لا التعنف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا اي كفار قريش وقد كف
بان بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب فرجع بهم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم
وفيه تقريع لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شرا وجلب
بها اليه خير لا في حد من حدود الله او حق من حقوقه طلبا لرضاء الله تعالى لا لغرض من اغراض الدنيا
والسيئة بخلافه ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها وقيل (الشفاعة)
الحسنة هو الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله تعالى وعن النبي عم من دعا لاخيه بظهر الغيب استجيب
له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضده ذلك ومن يشفع شفاعة سيئة
يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا
قدر عليه او شهيدا حافظا من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها
الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم
زاد وبركاته وهي النهاية وذلك لاستجماع اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها
او بردها بان يقول له ان بلغ المسلم نهايتها [illegible] ان رجلا قال لرسول الله صلعم السلام عليك

قال وعليك السلام ورحمة الله وقال الاخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبر كاته
وقال الاخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال نقصتني فاين ما قال الله تعالى الاية
فقال عم انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله فكلمة او للتنويع لا للتخيير لما عرفت ان كلا من الزيادة
ورد المثل مشروط بشرط ينافي شرط الاخر فلا يجتمعان وايضا التخيير بين امرين احدهما ايسر من
الاخر لا يكون على وجه الوجوب على ما تقرر في موضعه وهو الوجوب على الكفاية وحيث السلام
مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القران وفي الحمام وعند قضاء الحاجة والتحية تفعلة من حيي
يحيي تحية وكانت تحية العرب عند اللقاء حياك الله اي اطال الله حياتك ونقل ذلك في الاسلام الى
السلام وبقي الاسم كذلك ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله مبتدا لا اله الا
هو خبر او اعتراض والخبر ليجمعنكم اخبر بجمعه العالم في يوم القيمة للمجازاة واغيا الى يوم القيمة
تنبيها على ان جمعهم بطريق الحشر والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من قبورهم
او للحساب لا ريب فيه في اليوم او في الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ولما ذكر الجمع مقسما
عليه اردفه بقوله ومن اصدق اي لا احد اصدق من الله حديثا فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه
لانه نقص ينافي الالوهية فما لكم الفا للترتيب على ما فهم مما تقدم من ان ما نزل في حق المنافقين وبيان
احوالهم حق مطابق للواقع في المنافقين فئتين اي فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فرقتين ولم تتفقوا
على كفرهم الذي نطق به المنزل وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله صلعم في الخروج الى البدو
لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون
في اسلامهم وقيل غير ذلك وفئتين نصب على الحال من الضمير في ما لكم والعامل ما في الظرف من معنى
الاستقرار كقولك ما لك قائما في المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون
فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله اركسهم ردهم في حكم المشركين واصل الركس رد الشيء مقلوبا
بما كسبوا من لحوقهم واحتيالهم على رسول الله صلعم او ردهم في الكفر بسبب مرض قلوبهم بسوء نيتهم
جملة اعتراضية منبئة لوجوب اتفاق المومنين على نفاقهم رافعة لاختلافهم في ذلك [illegible] لمعنى
الانكار الذي في ما الاستفهامية او حال مبينة اتريدون ان تهدوا الى الحق من اضل الله [illegible] الى الحق
معنى الهمزة انكار ارادتهم هداية من اضل الله تعالى لكونه مستحيلا ولذلك قيل ومن يضلل الله فلن تجد
له سبيلا اي الى الاهتداء او لن تجد لهدايته سبيلا لاستحالة وقوع ما اراد خلافه [illegible]
المتعلقة بالمحال ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم [illegible] بقوله
كما كفروا اي لا يرضون بانشائكم الكفر [illegible] ثم بالغ في ذلك
بقوله فتكونون سواء لا يتزحزح كفرهم عطف على تكفرون [illegible] وكونكم مستوين معهم في الضلال

ويجوز نصبه على جواب التمني فلا تتخذوا منهم اولياء فلا تتولوهم وان اظهروا الايمان حتى يهاجروا في
سبيل الله حتى يظاهروا الايمان بهجرة صحيحة في سبيل الله بنية صادقة لله ولرسوله لا لغرض من اغراض
الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا فان اعرضوا عن الهجرة المستقيمة التي تصدق ايمانهم
فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم اي فحكمهم حكم سائر المشركين في وجوب قتلهم حيث وجدتموهم في
الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا وجانبوهم مجانبة
كلية الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم الا الذين يتصلون
وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم فانهم في حكمهم في الميثاق وهم من وادع رسول الله صلعم
وقت خروجه الى مكة على ان لا يعينوه ولا يعينوا عليه ومن لجا اليهم فله من الجوار مثل ما لهم او جاؤكم
عطف على صلة الموصول اي والذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور بالاخذ
والقتل من ترك المحاربين ولحق المعاهدين ومن جاء المومنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم لان
الاستثناء يدل على ان سبب ترك التعرض لهم امران احدهما الاتصال بالمعاهدين والاخر الاتصال بالكافين
عن القتال ان كان العطف على الصفة ونفس الكف عن القتال ان كان العطف على الصلة وقوله فان اعتزلوكم
يرشد الى انه الكف وقرئ بغير العاطف على انه بيان ليصلون او بدل او استيناف حصرت صدورهم
في موضع الحال باضمار قد يدل عليه قراءة حصرة صدورهم حصرات صدورهم وقيل بيان لجاؤكم
وهم بنو مدلج جاءوا الى رسول الله صلعم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا
قومهم عن ان يقاتلوا او لان يقاتلوا صلة لحصرت او كراهة ان يقاتلوا مفعول له ولو شاء الله لسلطهم عليكم اي ولو شاء
الله ابتليكم بهم بان لا كم بتسليطهم عليكم وهذا بيان القدرة ولا يلزمها الموافقة المحكمة فانها تستتبع
الوقوع دون القدرة فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم اي فان لم يتعرضوا لكم والقوا
اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في قتلهم واخذهم ستجدون اخرين
يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام
فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها ردوا وقلبوا الخبث قلب
واشنعه من الكفر الى الغدر ونقض العهد فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد
ويكفوا ايديهم عن قتالكم كلاهما معطوفان على يعتزلوكم في حكم الجزم بلم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
حيث تمكنتم منهم لانهم لم يكفوا ايديهم عن القتال واولئكم اشارة الى ان الموصوفين بعدم نقض العهد
ونبذنا بعد اخرى في جميع الاوقات انما تحققون تسليط الله تو اياكم عليهم واظهاركم بالحجة
بهذه الصفات جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور حالهم في
الكفر والعداوة والغدر او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم بما اتضح تم عليهم وما كان لمومن اي

